

(سلسلة تقريب التراث الإسلامي إلى القارئ المعاصر ٢٣)

دولة بني العباس

العصر العباسي الأول

(١٣٢ - ٢٣٢ هـ)

جمع وتعليق

محمد علي أبو زهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ
وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدِلُّ مَنْ
تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

تمهيد

الدَّوْلَةُ العَبَّاسِيَّةُ أو الخِلافةُ العَبَّاسِيَّةُ أو دَوْلَةُ بَنِي العَبَّاسِ هو الاسم الذي يُطلق على ثالث خلافة إسلامية في التاريخ^١، وثاني السلالات الحاكمة الإسلامية^٢. استطاع العباسيون أن يزيحوا بني أمية من دربهم ويستفردوا بالخلافة عبر سلسلة من الثورات المسلحة التي انطلقت من خراسان، وقد قضوا على تلك السلالة الحاكمة، وطاردوا أبناءها حتى قضوا على أغلبهم، ولم ينج منهم إلا من لجأ إلى الأندلس، وكان من ضمنهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم (عبد الرحمن الداخل)؛ فاستولى على شبه الجزيرة الأيبيرية، وبقيت في عقبه لسنة ١٠٢٩م.

أسس الدولة العباسية رجالٌ من سلالة العباس بن عبد المطلب، أصغر أعمام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اعتمد العباسيون في تأسيس دولتهم على الفرس الناقمين على الأمويين؛ حيث استبعدوهم من مناصب الدولة والمراكز الكبرى، بينما اختُصَّ العرب بها، كذلك استمال العباسيون الشيعة للمساعدة على زعزعة كيان الدولة الأموية.

^١ سبقها عصر الخلافة الراشدة ثم عصر دولة بني أمية.

^٢ بعد سلالة الأمويين.

وقد نقل العباسيون عاصمة الدولة، بعد نجاح ثورتهم، من دمشق، إلى الكوفة، ثم الأنبار، قبل أن يقوموا بتشييد مدينة بغداد لتكون عاصمة لهم، والتي ازدهرت طيلة ثلاثة قرون من الزمن، وأصبحت أكبر مدن العالم وأجملها، وحاضرة العلوم والفنون، لكن نجمها أخذ بالأفول مع بداية غروب شمس الدولة العباسية ككل، ونقل المعتصم عاصمة الدولة من بغداد إلى سامراء التي أطلق عليها سُرَّ مَنْ رَأَى، ثم أعيدت إلى بغداد بعد أربعين سنة.

عرفت الدولة العباسية عصرها الذهبي خلال عهدي هارون الرشيد وابنه المأمون؛ إذ نشطت الحركة العلمية وازدهرت ترجمة كتب العلوم الإغريقية والهندية والفهلوية إلى اللغة العربية على يد السريان والفرس والروم من أهالي الدولة العباسية، وعمل المسلمون على تطوير تلك العلوم، وابتكروا عدة اختراعات مفيدة، كما ازدهرت الفلسفة الإسلامية، واكتمل تدوين المذاهب الفقهية الكبرى: الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية عند أهل السُّنَّة، والجعفرية والزيدية عند الشِّيعة، وبرزت الكثير من الأعمال الأدبية والفنية.

تنوّعت الأسباب التي أدّت لانحيار الدولة العباسية، ومن أبرزها: بروز حركات شعبية ودينية مختلفة في هذا العصر؛ فقد أدّت النزعة الشعبية إلى تفضيل الشعوب غير العربية على العرب، وقام جدل طويل بين طرفي النزاع، وانتصر لكل فريق أبناءه. وإلى جانب الشعبية السياسية، تكوّنت فرق دينية متعددة عارضت الحكم العبّاسي، وكان محور الخلاف بين هذه الفرق وبين الحكام

العَبَّاسِيِّينَ هو «الخلافة» أو إمامة المسلمين، وكان لكل جماعة منهم مبادئها الخاصة، ونظامها الخاص، وشعاراتها وطريقتها في الدعوة إلى هذه المبادئ الهادفة لتحقيق أهدافها في إقامة الحكم الذي تريد. وقد جعلت هذه الفرق الناس طوائف وأحزاباً، وأصبحت المجتمعات العباسية ميادين تتصارع فيها الآراء وتتناقض، فوسَّع ذلك من الخلاف السياسي بين مواطني الدولة العباسية، وساعد على تصدُّع الوحدة العقائدية التي هي أساس الوحدة السياسية.

ومن العوامل الداخلية التي شجعت على انتشار الحركات الانفصالية، اتساع رقعة الدولة العباسية؛ ذلك أن بُعِدَ العاصمة، والمسافة المترامية بين أجزاء الدولة، وصعوبة المواصلات في ذلك الزمن؛ جعل الولاة في البلاد النائية يتجاوزون سلطاتهم، ويستقلون بشؤون ولاياتهم، دون أن يخشوا الجيوش القادمة من عاصمة الخلافة لإخماد حركاتهم الانفصالية، والتي لم تكن تصل إلا بعد فوات الأوان.

العصر العباسي الأول

العصر العباسي الأول أو العصر الذهبي امتد قرناً من الزمان (١٣٢ - ٢٣٢ هـ)^١، وكان من العصور الإسلامية المرموقة، فقد استقرت أحوال الإسلام،

^١ هكذا حدده المؤرخون.

بعد أن هدأت حركة الفتوح التي مرت بها العصر الأموي، كما أرسى كل من أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور دعائم الدولة، ونتيجة لكل هذا برز في العصر العباسي جمهرة من الأدباء والفلاسفة والمؤرخين والرياضيين ورجال الفقه في الدين.

كما تميز العصر العباسي الأول ببسط الدولة سيطرتها على أراضي الخلافة الإسلامية كافة الممتدة من الشرق إلى أقصى الغرب، كما تميز هذا العصر بزيادة الفتوحات الإسلامية، فقد شهدت الدولة العباسية توسعاً كبيراً.

هذا الكتاب

ومعلوم أنّ من أفضل مَنْ جمع السيرة والتاريخ الحافظ ابن كثير، في كتابه الموسوعي "البداية والنهاية"¹. وقد قلتُ - مراراً - إني لم أزل مشغولاً بهذا السِّفر العظيم لابن كثير. وقد أكرمني الله بقراءته، ورأيت أن أفصل بعض أجزائه في كُتُبٍ مستقلة يسهل على القارئ المعاصر الرجوع إليها وقراءتها، فوفَّقني الله لذلك، وجاءت هذه الكتب على النحو الآتي:

¹ وهو موسوعة ضخمة تضم التاريخ منذ بدأ الخلق إلى القرن الثامن الهجري الذي عاش فيه ابن كثير. والكتاب بحق المرآة الصادقة، والمرجع الأصيل لأهل التاريخ والسير.

- قصة الإيمان منذ آدم حتى محمد عليهما السلام (من أول كتاب "البداية والنهاية" حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم).
- محمد رسول رب العالمين (السيرة النبوية الشريفة).
- خلافة الصديق والفاروق رضي الله عنهما.
- خلافة ذي النورين عثمان رضي الله عنه.
- خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه..
- معاوية كسرى العرب رضي الله عنه.
- الثائران: الحسين وابن الزبير.
- دولة بني أمية
- دولة بني العباس. (وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا)¹

وكان من عملي في خدمة ما كتبه ابن كثير عن دولة بني أمية:

- استخلاص مادة هذا الكتاب من كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير، وحذف الأسانيد وسلسلة الرواة من الأخبار؛ لتكون الرواية متسلسلة في شكل سردي؛ تسهياً على القارئ المعاصر.

¹ وهي منشورة ضمن أعمال، على مواقع نشر الكتب الإلكترونية مثل موقع نور، وموقع فولة

- الاكتفاء بما كان في صلب تاريخ بني العباس، والتخفف من الأخبار التي يمكن التخفف منها.
- حذف من توفي من الأعلام في كل سنة. إلا من كان ذكره ضرورياً في أحداث الدولة العباسية.
- حذف من حج فيها بالناس في كل سنة. إلا من كان ذكره ضرورياً في أحداث الدولة العباسية
- إضافة عناوين فرعية إلى العناوين التي وضعها ابن كثير.
- التعريف بالأعلام، والأماكن والبلدان التي ورد ذكرها في هذا الكتاب.
- إيضاح معاني الكلمات والألفاظ والعبارات التي تحتاج إلى بيان وشرح وتفسير، من خلال كتب اللغة والمعاجم.
- ضبط الضروري من ألفاظ الكتاب، تيسيراً على القارئ المعاصر ومساعدة له في إقامة اللغة التراثية المروية في الكتاب.
- وهو المنهج الذي التزمته وأخذت به نفسي فيما وقفتي الله في إخراجه من كتب التراث، في المشروع الذي تبنيته وسميته (سلسلة تقريب التراث الإسلامي

إلى القارئ المعاصر) وهذا هو الكتابُ الثالث والعشرون - بفضل الله - في هذه السلسلة^١.

رحم الله الحافظ ابن كثير، وجزاه عنا خيراً، ونفعنا بعلمه، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أبو زهرة

الكويت - ديسمبر ٢٠٢٣م

^١ وقد سبقه لي اثنان وعشرون عملاً في الجمع والدراسة والاختصار هي: (دولة بني أمية - الناثران: الحسين وابن الزبير - معاوية كسرى العرب - خلافة علي بن أبي طالب - خلافة ذي النورين عثمان بن عفان - خلافة الصّديق والفاروق - محمد رسول رب العالمين - علي ومعاوية يوم صفين - الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر - التعازي والمراثي للمبرد - محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني - الداء والدواء لابن القيم - أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي - النساء لابن قتيبة - بهجة المجالس لابن عبد البر - تهذيب تاريخ ابن خياط - مختصر زاد المعاد لابن القيم - قصة الإيمان منذ آدم حتى محمد - تحقيق العواصم من القواصم لابن العربي - حقوق آل البيت في مفهوم ابن تيمية - الشواهد الشعرية في معجم البلدان لياقوت الحموي - مختصر فضائل القرآن لأبي عبيد) إضافة إلى كتابين آخرين خارج السلسلة هما: "علماء معاصرون نصرُوا الإسلام"، وكتاب "غرباء". وكلها كتب منشورة على مواقع نشر الكتب الإلكترونية مثل موقع: نور، وموقع فولة بوك (في صفحة: محمد علي أبو زهرة).

بداية الكتاب

العصر العباسي الأول

قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ أبا العَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ الْمَلَكِ بِالسَّفَّاحِ^١، بُويعَ لَهُ بِالْخِلاَفَةِ أَوَّلَ مَا بُويعَ بِهَا بِالْكُوفَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، ثُمَّ جَرَدَ الْجِيُوشَ نَحْوَ مَرْوَانَ الْحِمَارِ^٢ فَطَرَدُوهُ مِنْ مَمَالِكِهِ وَأَجْلَوْهُ عَنْهَا، وَمَا زَالُوا وَرَاءَهُ حَتَّى قَتَلُوهُ بِبُوصَيْرٍ مِنْ بِلَادِ الصَّعِيدِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرَةِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَحِينَئِذٍ اسْتَقَلَّ بِالْخِلاَفَةِ السَّفَّاحُ، وَاسْتَقَرَّتْ يَدُهُ عَلَى بِلَادِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ^٣ وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ وَالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، لَكِنْ لَمْ يَحْكَمْ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَلَا عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَ مَنْ دَخَلَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَيْهَا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ.

^١ من سفح المال والكرم، لا من سفح الدم.

^٢ آخر حكام بني أمية.

^٣ خراسان الكبرى منطقة تاريخية كان لها حدود جغرافية واسعة. يشمل إقليم «خراسان الإسلامي» شمال غرب أفغانستان (مثل مدينة هراة) وأجزاء من جنوب تركمانستان، إضافة لمقاطعة خراسان الحالية في إيران. ومن مدنه التاريخية: حيرات ونيسابور وطوس (تعرف باسم مشهد اليوم) وبلخ ومرو. وكان إقليم خراسان الساساني أصغر حجماً من خراسان الإسلامية.

ثورة أهل قنسرين

وَقَدْ خَرَجَ عَلَى السَّفَاحِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ طَوَائِفٌ، فَمِنْهُمْ أَهْلُ قِنْسَرِينَ^١ بَعْدَمَا بَايَعُوهُ عَلَى يَدَيْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ^٢ وَأَقَرَّ عَلَيْهِمْ أَمِيرُهُمْ، وَهُوَ أَبُو الْوَرْدِ مَجْزَأَةُ بْنُ الْكَوْثَرِ بْنِ زُفَرَ بْنِ الْحَارِثِ الْكِلَابِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مَرْوَانَ وَأَمْرَائِهِ، فَخَلَعَ السَّفَاحَ وَلَبِسَ الْبَيَاضَ^٣، وَحَمَلَ أَهْلُ الْبَلَدِ عَلَى ذَلِكَ فَوَافَقُوهُ، وَكَانَ

^١ قنسرين موقع أثري سوري في هضبة حلب الجنوبية عبارة عن مدينة أثرية، يبعد الموقع حوالي ٤٠ كم عن مدينة حلب، وتاريخياً كانت قنسرين ذات أهمية كبيرة بالنسبة للكنيسة السريانية الأرثوذكسية فكانت تحتوي على مدرسة لاهوتية ضاهت مدرستي الرها ونصيبين. كما أصبحت بعد الفتوحات الإسلامية موقعاً عسكرياً مهماً في هذه المنطقة من سوريا.

^٢ عبد الله بن علي بن عبد الله: (١٠٢ - ١٤٧ هـ): أمير عباسي، عمُ الخليفةين أبي العباس عبد الله السفاح وأبي جعفر المنصور، فتك بالأمويين في معركة الزاب. طالب بالخلافة أيام المنصور فهزمه أبو مسلم الخراساني، وقد مات سجيناً.

^٣ من المعروف في التاريخ أن العباسيين كانوا يلقبون بالمسوّدة، نسبة إلى اللون الأسود، وذاك أهم اعتمدوا هذا اللون شعاراً لهم، ويبدو أيضاً أن اللون الأسود اتخذ بالضد من شعار الأمويين وهو البياض. فكان من يخلع الحاكم العباسي يخلع السواد ويلبس البياض، والعكس.

وتبنت الدولة العباسية السواد كشعار رسمي منذ تأسيسها عام ١٣٢ هـ الى زمن المأمون الذي أبدل السواد عام ١٩٨ هـ فجعل رايته خضراء لفترة ثم أعادها سوداء وبقي كذلك إلى سقوطها.

السَّقَّاحُ يَوْمَئِذٍ بِالْحَيْرَةِ^١، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ مَشْغُولٌ بِالْبَلْقَاءِ^٢ يُقَاتِلُ بِهَا حَبِيبَ
 بْنَ مُرَّةَ الْمُرِّيَّ وَمَنْ وَافَقَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَلْقَاءِ وَالْبُنَيْيَةِ وَحَوْرَانَ عَلَى خَلْعِ السَّقَّاحِ،
 فَلَمَّا بَلَغَهُ عَنْ أَهْلِ قِنَسَرِينَ مَا فَعَلُوا صَاحَ حَبِيبَ بْنَ مُرَّةَ وَرَكِبَ نَحْوَ قِنَسَرِينَ،
 فَلَمَّا اجْتَارَ بِدِمَشْقَ - وَكَانَ بِهَا أَهْلُهُ وَثِقْلُهُ^٣ - اسْتَحْلَفَ عَلَيْهَا أَبَا غَانِمٍ عَبْدَ
 الْحَمِيدِ بْنَ رَبِيعِ الطَّائِيَّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَلَمَّا جَاوَزَ الْبَلَدَ، وَأَنْتَهَى إِلَى حِمَصَ
 نَهَضَ أَهْلُ دِمَشْقَ مَعَ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ سُرَّاقَةَ، فَخَلَعُوا
 السَّقَّاحَ وَبَيَّضُوا^٤، وَقَاتَلُوا أَبَا غَانِمٍ فَهَزَمُوهُ، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَنْتَهَبُوا
 ثِقَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَحَوَاصِلِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِأَهْلِهِ.

وَفَعَةُ أَبِي مُحَمَّدٍ السُّفْيَانِيَّ

وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ قِنَسَرِينَ تَرَأَسَلُوا مَعَ أَهْلِ
 حِمَصَ وَتَدَمَّرَ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ السُّفْيَانِيَّ، وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
 بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَبَايَعُوهُ عَلَيْهِمْ بِالْخِلَافَةِ، وَقَامَ مَعَهُ نَحْوُ مِنْ

^١ الحَيْرَةُ مملكة عربية بائدة وموقع أثري تقع في الجزء الجنوبي من وسط العراق على مقربة من مدينة الكوفة.

^٢ البلقاء في الأردن، تبعد عن العاصمة عمان حوالي ٢٩ كم.

^٣ الثقل: المتاع، والزوجات.

^٤ بَيَّضُوا: خلعوا الخليفة وتركوا لبس السواد ولبسوا البياض علامة على خلع الخليفة العباسي.
 وضدها: سَوَّدُوا: لبسوا السواد علامة على الدخول في الحكم العباسي.

أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَصَدَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ فَالْتَقَوْا بِمَرْجِ الْأَحْرَمِ، فَقَدَّمَ عَبْدُ اللَّهِ
 بْنُ عَلِيٍّ أَخَاهُ عَبْدَ الصَّمَدِ بْنَ عَلِيٍّ فِي عَشْرَةِ آلافٍ مِنَ الْفُرْسَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ،
 فَاقْتَتَلُوا مَعَ مُقَدِّمَةِ السُّفْيَانِيِّ، وَعَلَيْهَا أَبُو الْوَرْدِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَهَزَمُوا
 عَبْدَ الصَّمَدِ، وَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ الْوَفُّ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ وَمَعَهُ
 حُمَيْدُ بْنُ فَحْطَبَةَ بَمَنْ مَعَهُ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَجَعَلَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ
 يَفِرُّونَ وَهُوَ ثَابِتٌ هُوَ وَحُمَيْدٌ، وَمَا زَالَ حَتَّى هَزِمَ أَصْحَابُ أَبِي الْوَرْدِ، وَثَبَتَ
 أَبُو الْوَرْدِ فِي حَمْسِمَائَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَقَوْمِهِ، فَقُتِلُوا جَمِيعًا، وَهَرَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ
 السُّفْيَانِيُّ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى لَحِقُوا بِتَدْمُرَ، وَأَمَّنَ عَبْدُ اللَّهِ أَهْلَ قِنْسَرِينَ وَسَوْدُوا^١،
 وَبَايَعُوا وَرَجَعُوا إِلَى الطَّاعَةِ، ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِ دِمَشْقَ، وَقَدْ بَلَغَهُ مَا صَنَعُوا،
 فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا تَفَرَّقُوا عَنْهَا وَهَرَبُوا مِنْهَا، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قِتَالٌ، فَأَمَّنَهُمْ
 وَدَخَلُوا فِي الطَّاعَةِ وَسَوْدُوا، مُوَافِقَةً لِلْخَلِيفَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ شِعَارَ السَّمْعِ
 وَالطَّاعَةِ.

وَأَمَّا أَبُو مُحَمَّدٍ السُّفْيَانِيُّ، فَإِنَّهُ مَا زَالَ مُتَعَبِيًّا مُشْتَتًا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ حَتَّى لَحِقَ
 بِأَرْضِ الْحِجَازِ؛ فَقَاتَلَهُ نَائِبُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ فِي أَيَّامِهِ، فَقَتَلَهُ وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ
 وَبَابْنَيْنِ لَهُ أَخَذَهُمَا أُسَيْرِينَ، فَأَطْلَقَهُمَا أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورُ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمَا.

^١ سَوْدُوا: ضِدُّ بَيْضُوا، وَمَعْنَاهُ أَبَقُوا عَلَى الطَّاعَةِ لِلْعَبَّاسِيِّينَ وَلَمْ يَغْيِرُوا.

وَمَنْ خَلَعَ السَّقَّاحَ أَيضًا أَهْلُ الْجَزِيرَةِ^١؛ حِينَ بَلَغَهُمْ أَنَّ أَهْلَ فَيْسَرِينَ خَلَعُوا،
وَأَفْقَهُمْ وَبَيَّضُوا، وَرَكِبُوا إِلَى نَائِبِ حَرَّانَ مِنْ جَهَةِ السَّقَّاحِ - وَهُوَ مُوسَى بْنُ
كَعْبٍ - وَكَانَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ قَدْ اعْتَصَمَ بِالْبَلَدِ، فَحَاصَرُوهُ قَرِيبًا مِنْ شَهْرَيْنِ،
ثُمَّ بَعَثَ السَّقَّاحُ أَخَاهُ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ فَيَمِّنُ كَانَ بِوَاسِطَ مُحَاصِرِي ابْنِ
هُبَيْرَةَ^٢، فَمَرَّ فِي مَسِيرِهِ إِلَى حَرَّانَ بِقَرْقِيسِيَا وَقَدْ بَيَّضُوا، فَغَلَّقُوا أَبْوَابَهَا دُونَهُ، ثُمَّ
مَرَّ بِالرَّقَّةِ وَعَلَيْهَا بَكَّارُ بْنُ مُسْلِمٍ وَهُمْ كَذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَ حَرَّانَ وَعَلَيْهَا إِسْحَاقُ
بْنُ مُسْلِمٍ فَيَمِّنُ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ يُحَاصِرُونَهَا، فَرَحَلَ إِسْحَاقُ عَنْهَا إِلَى
الرُّهْمَا، وَخَرَجَ مُوسَى بْنُ كَعْبٍ فَيَمِّنُ مَعَهُ مِنْ جُنْدِ حَرَّانَ، فَتَلَقَّوْا أَبَا جَعْفَرَ
وَدَخَلُوا فِي جَيْشِهِ، وَقَدِمَ بَكَّارُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى أَخِيهِ إِسْحَاقَ بْنِ مُسْلِمٍ بِالرُّهْمَا
فَوَجَّهَهُ إِلَى جَمَاعَةِ رَيْبَعَةَ بَدَارًا وَمَارِدِينَ، وَرَبَّيْسَهُمْ حُرُورِيٌّ يُقَالُ لَهُ بَرِيكَةٌ.
فَصَارُوا حِزْبًا وَاحِدًا، فَقَصَدَ إِلَيْهِمْ أَبُو جَعْفَرٍ فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ
بَرِيكَةَ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَهَرَبَ بَكَّارُ إِلَى أَخِيهِ بِالرُّهْمَا فَاسْتَحْلَفَهُ بِهَا، وَمَضَى فِي
عُظْمِ الْعَسْكَرِ إِلَى سُمَيْسَاطَ، فَخَنَدَقَ عَلَى عَسْكَرِهِ، وَأَقْبَلَ أَبُو جَعْفَرٍ فَحَاصَرَ

^١ الجزيرة الفراتية شمال الشام.

^٢ يزيد بن عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين الفزاري الغطفاني (٨٧ - ١٣٢ هـ): أمير، وقائد عسكري في الدولة الأموية، وهو آخر ولاية الأمويين على العراق في عهد الخليفة مروان بن محمد ولما ظهر أمر بنو العباس وهزمت الجيوش الأموية، قتل يزيد على يد خازم بن خزيمة التميمي في مدينة واسط وعمره خمسة وأربعون عاماً.

بَكَارًا بِالرُّهَا وَجَرَتْ لَهُ مَعَهُ وَقَعَاتٌ، وَكَتَبَ السَّفَّاحُ إِلَى عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ أَنْ يَسِيرَ إِلَى سُمَيْسَاطَ، وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ مُسْلِمٍ سِتُّونَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ فَكَاتَبَهُمْ إِسْحَاقُ وَطَلَبَ مِنْهُمْ الْأَمَانَ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ عَلَى إِذْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ السَّفَّاحِ، وَوَلَّى السَّفَّاحُ أَخَاهُ أَبَا جَعْفَرٍ الْجَزِيرَةَ وَأَذْرَبِجَانَ وَإِزْمِينِيَّةَ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا حَتَّى وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَخِيهِ.

بداية توجس العباسيين من أبي مسلم الخراساني

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ذَهَبَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ عَنْ أَمْرِ أَخِيهِ السَّفَّاحِ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ وَهُوَ أَمِيرُهَا، لَيْسْتَطَلِعَ رَأْيَهُ فِي قَتْلِ أَبِي سَلْمَةَ حَفْصِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْوَزِيرِ^١، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ السَّفَّاحَ سَمَرَ لَيْلَةً مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَتَذَاكَرُوا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي سَلْمَةَ حِينَ كَانَ أَرَادَ أَنْ يَصْرِفَ الْخِلَافَةَ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ،

^١ أبو سلمة الخلال واسمه حفص بن سليمان الهمداني أحد دعاة بني العباس في بداية دولتهم. كان صلة الوصل بين خراسان ، والحميمة (مركز بني العباس)، وسلم الخراسانيون الرئاسة إليه بعد دحر قوات الأمويين عن خراسان والكوفة، وسمي وزير آل محمد، وأعلن الإمامة الهاشمية، وكان يريد تسليم الخلافة لثلاثة من العلويين، وهم: جعفر الصادق، وعبد الله بن الحسن المثنى، وعمر الأشرف بن علي زين العابدين. وكتب إليهم، ولم يستجب إليه أحد منهم. وكان أبو العباس السفاح يعلم ذلك، ولما بوع بالخلافة، جاء أبو سلمة يعتذر إليه، فظاهر السفاح بقبول اعتذاره، ثم أوعز إلى أبي مسلم الخراساني أن يقتله، ففعل وأرسل رجلاً فاتكأ يدعى مرار بن أنس الضبي فقتله.

فَسَأَلَ سَائِلٌ: هَلْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ مُمَالَاةِ أَبِي مُسْلِمٍ لَهُ فِي ذَلِكَ أَمٌ لَّا؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ السَّقَّاحُ: لَبِنَ كَانَ هَذَا عَنْ رَأْيِهِ إِنَّا لَبِعَرَضِ بِلَاءٍ، إِلَّا أَنْ يَدْفَعَهُ اللَّهُ عَنَّا. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَقَالَ لِي أَحْيِي: مَا تَرَى؟ فَمُتُّ: الرَّأْيُ رَأْيُكَ. فَقَالَ: لَيْسَ أَحَدٌ أَحْصَى بِأَبِي مُسْلِمٍ مِنْكَ، فَاذْهَبْ إِلَيْهِ فَاعْلَمْ عِلْمَهُ، فَإِنْ كَانَ عَنْ رَأْيِهِ اخْتَلْنَا لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ رَأْيِهِ طَابَتْ أَنْفُسُنَا. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ قَاصِدًا عَلَى وَجَلٍ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى الرَّيِّ إِذَا كِتَابُ أَبِي مُسْلِمٍ إِلَى نَائِبِهَا يَسْتَحِثُّنِي إِلَيْهِ فِي السَّيْرِ، فَازْدَدْتُ وَجَلًا، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى نَيْسَابُورٍ إِذَا كِتَابُهُ يَسْتَحِثُّنِي أَيْضًا، وَقَالَ لِنَائِبِهَا: لَا تَدْعُهُ يُقِيمُ سَاعَةً وَاحِدَةً؛ فَإِنَّ أَرْضَكَ بِهَا حَوَارِجٌ. فَاَنْشَرَحْتُ لِذَلِكَ، فَلَمَّا صِرْتُ مِنْ مَرَوْ عَلَى فَرْسَحَيْنِ، أَتَى يَتَلَقَّانِي وَمَعَهُ النَّاسُ، فَلَمَّا وَاجَهَنِي تَرَجَّلَ، وَجَاءَ فَقَبَّلَ يَدَيَّ، فَأَمَرْتُهُ فَرَكَبَ، فَلَمَّا دَخَلْتُ مَرَوْ نَزَلْتُ فِي دَارٍ، فَمَكَتَ ثَلَاثًا لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ سَأَلَنِي: مَا أَقْدَمَكَ؟ فَأَحْبَرْتُهُ فَقَالَ: أَفْعَلَهَا أَبُو سَلْمَةَ؟! أَنَا أَكْفِيكُمُوهُ. فَدَعَا مَرَّارَ بْنَ أَنَسِ الضَّبِّيِّ فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى الْكُوفَةِ فَحَيْثُ لَقِيتَ أَبَا سَلْمَةَ فَاقْتُلْهُ، وَانْتِهِ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِ الْإِمَامِ. فَقَدِمَ مَرَّارُ الْكُوفَةَ الْهَاشِمِيَّةَ، وَكَانَ أَبُو سَلْمَةَ يَسْمُرُ عِنْدَ السَّقَّاحِ، فَلَمَّا خَرَجَ قَتَلَهُ مَرَّارٌ. وَشَاعَ أَنَّ الْخَوَارِجَ قَتَلُوهُ، وَعُغِلَّتِ الْبَلَدُ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَحُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَدُفِنَ بِالْهَاشِمِيَّةِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: وَزِيرُ آلِ مُحَمَّدٍ. وَيُقَالُ لِأَبِي مُسْلِمٍ: أَمِيرُ آلِ مُحَمَّدٍ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْدَى فَمَنْ يَشْنَاكَ كَانَ وَزِيرًا

وَلَمَّا رَجَعَ أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ خُرَّاسَانَ قَالَ لِأَخِيهِ السَّفَّاحِ: لَسْتُ بِخَلِيفَةٍ مَا دَامَ أَبُو مُسْلِمٍ حَيًّا حَتَّى تَقْتُلَهُ؛ لِمَا رَأَى مِنْ طَاعَةِ الْجَيْشِ وَالْأَمْرَاءِ لَهُ، فَقَالَ لَهُ السَّفَّاحُ: اكْتُمَهَا. فَسَكَتَ.

مقتل ابن هبيرة

وَلَمَّا رَجَعَ أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ خُرَّاسَانَ بَعَثَهُ أَخُوهُ إِلَى حِصَارِ ابْنِ هُبَيْرَةَ بِوَأَسِطَ، فَلَمَّا اجْتَاَزَ بِالْحَسَنِ بْنِ قَحْطَبَةَ أَخَذَهُ مَعَهُ، فَلَمَّا أُحِيطَ بِابْنِ هُبَيْرَةَ كَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ^١ لِيُبَايِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ جَوَابُهُ، فَمَالَ إِلَى

^١ محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، ولد بالمدينة سنة ١٠٠ هـ. كان كثير الصوم والصلاة، شديد القوة. رجلاً شديد السمرة. ضخماً في لسانه متممة، بين كتفيه خال أسود كالبيضة، كان أفضل أهل بيته ويسمونه المهدي، وكان علماء آل أبي طالب يرون فيه أنه النفس الزكية، وكان هو وأخوه إبراهيم يلزمان البادية ويحبان الخلوة، ولا يأتیان الخلفاء ولا الولاة. ولما بويع لبني العباس، اختفى محمد وأخوه إبراهيم مدة خلافة أبي العباس السفاح، فلما صارت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور خاف محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم منه خوفاً شديداً، وذلك لأنه توهم منهما أن يخرجا عليه، والذي خاف منه وقع فيه، ولما خافا منه هربا، فصارا إلى اليمن، ثم سارا إلى الهند، ثم تحولوا إلى المدينة فاختفيا بها. ثم خرجا عليه من سوقة المدينة (سوقة النائرة)، وجدَّ المنصور في طلبهما، فخرج أخوه إبراهيم إلى البصرة وقتل، أما محمد النفس الزكية فخرج بالمدينة فكان من أبي جعفر المنصور أن كتب إليه وراسله وحاووه محمد النفس الزكية ولم يتوصلا إلى حل سلمي فندب لحره المنصور ابن عمه عيسى بن موسى بن

مُصَالِحَةِ أَبِي جَعْفَرٍ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو جَعْفَرٍ أَخَاهُ السَّقَّاحَ فِي ذَلِكَ، فَأَذِنَ لَهُ فِي الْمُصَالِحَةِ، فَكَتَبَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ كِتَابًا بِالصُّلْحِ، فَكَتَبَ ابْنُ هُبَيْرَةَ يُشَاوِرُ فِيهِ الْعُلَمَاءَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. ثُمَّ خَرَجَ يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ فِي أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ الْبُخَارِيَّةِ^١، فَلَمَّا دَنَا مِنْ سُرَادِقِ أَبِي جَعْفَرٍ هَمَّ أَنْ يَدْخُلَ بِفَرَسِهِ، فَقَالَ الْحَاجِبُ سَلَامٌ: انزِلْ أَبَا خَالِدٍ. فَنَزَلَ، وَكَانَ حَوْلَ السُّرَادِقِ عَشْرَةُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ حُرَّاسَانَ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَقَالَ: أَنَا وَمَنْ مَعِيَ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَنْتَ وَخَدَكَ. فَدَخَلَ وَوَضَعَتْ لَهُ وَسَادَةٌ، فَجَلَسَ عَلَيْهَا، فَحَادَثَهُ أَبُو جَعْفَرٍ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَاتَّبَعَهُ أَبُو جَعْفَرٍ بَصْرَهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَأْتِيهِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ فِي حَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ وَثَلَاثِمِائَةِ رَاجِلٍ، فَشَكَّوْا ذَلِكَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِلْحَاجِبِ: مَرَّةٌ فَلْيَأْتِ فِي حَاشِيَّتِهِ. فَكَانَ يَأْتِي فِي ثَلَاثِينَ نَفْسًا، فَقَالَ الْحَاجِبُ: كَأَنَّكَ تَأْتِي مُتَأَهِّبًا؟ فَقَالَ: لَوْ أَمَرْتُمُونَا بِالْمَشْيِ لَمَشَيْنَا إِلَيْكُمْ. ثُمَّ كَانَ يَأْتِيهِ فِي ثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ. وَقَدْ حَاطَبَ ابْنُ هُبَيْرَةَ يَوْمًا لِأَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ

محمد العباسي، فأقبل عيسى حتى أناخ على المدينة، وكتب إلى كبار أهلها يستميلهم ويمنيهم، فتنفرق عن النفس الزكية الكثير وبقي معه القليل، وكان الإمامان أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس من أنصاره. خرج محمد النفس الزكية ومن معه فقاتلوا قتالاً شديداً، حتى قتل عند أحجار الزيت موضع قرب المدينة على يد جيش أبي جعفر المنصور، واحتزوا رأسه، وكان مقتله يوم الإثنين بعد العصر، لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ١٤٥ هـ، ودفن بالبقيع. وقتل وعمره خمس وأربعون سنة.

^١ لعل المقصود بالبخارية جنود مدينة بخارى.

فِي عُبُونِ كَلَامِهِ: يَا هِنَاهُ. أَوْ قَالَ: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ. ثُمَّ اعْتَدَرَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ قَدْ سَبَّ لِسَانَهُ إِلَى ذَلِكَ، فَأَعَدَرَهُ.

وَقَدْ كَانَ السَّقَّاحُ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ يَسْتَشِيرُهُ فِي مُصَالِحَةِ ابْنِ هُبَيْرَةَ فَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، وَكَانَ السَّقَّاحُ لَا يَقْطَعُ رَأْيًا دُونَ مُرَاجَعَةِ أَبِي مُسْلِمٍ، فَلَمَّا وَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى يَدَيْ أَبِي جَعْفَرٍ لَمْ يُعْجِبِ السَّقَّاحُ ذَلِكَ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ يَأْمُرُهُ بِقَتْلِهِ، فَرَجَعَهُ أَبُو جَعْفَرٍ مِرَارًا لَا يُفِيدُ شَيْئًا، حَتَّى جَاءَ كِتَابُ السَّقَّاحِ إِلَيْهِ أَنْ افْتُلَهُ لَا مَحَالَةَ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ طَائِفَةً فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ ابْنُهُ دَاوُدُ وَفِي حِجْرِهِ صَبِيٌّ لَهُ صَغِيرٌ، وَحَوْلَهُ مَوَالِيهِ وَحَاجِبُهُ، فَدَافَعَ عَنْهُ ابْنُهُ حَتَّى قُتِلَ، وَقُتِلَ خَلْقٌ مِنْ مَوَالِيهِ، وَحَلَصُوا إِلَيْهِ، فَأَلْقَى الصَّبِيَّ مِنْ حِجْرِهِ، وَحَرَّ سَاجِدًا، فَقُتِلَ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَاضْطَرَبَ النَّاسُ، فَنَادَى أَبُو جَعْفَرٍ فِي النَّاسِ بِالْأَمَانِ إِلَّا الْحَكَمَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشْرِ، وَخَالِدَ بْنَ سَلَمَةَ الْمَحْزُومِيِّ، وَعُمَرَ بْنَ ذَرٍّ، فَسَكَنَ النَّاسُ، ثُمَّ اسْتَوْمِنَ لِبَعْضِ هَؤُلَاءِ وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعَثَ أَبُو مُسْلِمٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ إِلَى فَارِسَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ عُمَّالَ أَبِي سَلَمَةَ فَيَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَفَعَلَ ذَلِكَ.

وَفِيهَا وَلى السَّقَّاحُ أَحَاهُ يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدِ الْمُؤَصِّلِ وَأَعْمَالَهَا، وَوَلَّى عَمَّهُ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْيَمَنَ وَالْيَمَامَةَ، وَعَزَلَهُ عَنِ الْكُوفَةِ، وَوَلَّى مَكَانَهُ عَلَيْهِمَا

عيسى بن موسى^١، فَوَلَّى قَضَاءَهَا ابْنَ أَبِي لَيْلَى. وَكَانَ عَلَى نِيَابَةِ الْبَصْرَةِ سُفْيَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْمَهَلَّبِيُّ، وَعَلَى قَضَائِهَا الْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ، وَعَلَى السِّنْدِ مَنْصُورُ بْنُ جُمَّهُورٍ، وَعَلَى فَارِسَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ، وَعَلَى إِزْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِجَانَ وَالْجَزِيرَةَ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، وَعَلَى الشَّامِ وَأَعْمَالِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ عَمُّ السَّقَّاحِ، وَعَلَى مِصْرَ أَبُو عَوْنٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ يَزِيدَ، وَعَلَى خُرَّاسَانَ وَأَعْمَالِهَا أَبُو مُسْلِمِ الْخُرَّاسَانِيُّ، وَعَلَى دِيوَانَ الْخَرَاجِ خَالِدُ بْنُ بَرْمَكٍ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٌ، وَفِيهَا وَلَّى السَّقَّاحُ عَمَّهُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ الْبَصْرَةَ وَأَعْمَالَهَا، وَكُورَ دِجْلَةَ، وَالْبَحْرَيْنِ، وَعُمَانَ. وَوَجَّهَ عَمَّهُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَلِيٍّ إِلَى كُورِ الْأَهْوَازِ.

وَفِيهَا تُوفِّيَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ بِالْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَاسْتَحْلَفَ ابْنَهُ مُوسَى عَلَى عَمَلِهِ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ أَرْضَ الْحِجَازِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَلَمَّا بَلَغَتْ السَّقَّاحُ وَقَاتَهُ اسْتِنَابَ عَلَى الْحِجَازِ خَالَهُ زِيَادُ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ الْحَارِثِيِّ،

^١ عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ولي العهد أبو العهد موسى الهاشمي أمير عباسي، من الولاة القادة، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح، كان يقال له: شيخ الدولة. ولد في الحميمة ونشأ بها، وكان من فحول أهله وذوي النجدة والرأي منهم. جعله أبو العباس السفاح ولي عهد المؤمنين بعد المنصور، وهو الذي انتدب لحرب ابني عبد الله بن الحسن المثنى فظفر بهما وقتلا وتوطدت الدولة العباسية به. وقد تحيل عليه المنصور بكل ممكن حتى أخره وقدم في العهد عليه ابنه المهدي. مات عيسى بن موسى في الكوفة عن عمر يناهز الخامسة والستين، تاركاً وراءه آثاراً وإنجازات عدة، فأسهم في تخطيط مدينة بغداد، وسمى «نهر عيسى» باسمه.

وَوَلَّى الْيَمَنَ لِابْنِ خَالِهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ، وَجَعَلَ
إِمْرَةَ الشَّامِ لِعَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ، وَصَالِحِ ابْنِي عَلِيٍّ، وَقَرَّرَ أَبَا عَوْنٍ عَلَى الدِّيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ نَائِبًا عَلَيْهِمَا.

وَفِيهَا تَوَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى فَتَحَهَا.
وَفِيهَا حَرَجَ شَرِيكُ بْنُ شَيْخِ الْمَهْرِيِّ بِبُحَارَى عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ، وَقَالَ: مَا عَلَى
هَذَا بَايَعْنَا آلَ مُحَمَّدٍ عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ! وَاتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ نَحْوَ مَنْ ثَلَاثِينَ
أَلْفًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ زِيَادَ بْنَ صَالِحِ الْخَزَاعِيِّ فَقَاتَلَهُ فَقَتَلَهُ.

وَفِيهَا عَزَلَ السَّفَّاحُ أَحَاهُ يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ عَنِ الْمَوْصِلِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عَمَّهُ إِسْمَاعِيلَ
بْنَ عَلِيٍّ.

وَفِيهَا وَوَلَّى الصَّائِفَةَ مِنْ جِهَةِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَعَزَا وَرَاءَ
الدُّرُوبِ.

وَتُوَابُ الْبِلَادِ هُمْ الَّذِينَ كَانُوا فِي الَّتِي قَبْلَهَا سَوَى مَنْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ عَزَلَ فِي هَذِهِ
السَّنَةِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٌ، وَفِيهَا حَلَعَ بَسَامُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَسَامِ
الطَّاعَةَ، وَحَرَجَ عَلَى السَّفَّاحِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ حَازِمُ بْنُ حُزَيْمَةَ فَقَاتَلَهُ فَقَتَلَ عَامَّةَ
أَصْحَابِهِ، وَاسْتَبَاحَ عَسْكَرَهُ، وَرَجَعَ فَمَرَّ بِمَلَأٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ أَحْوَالِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ نُصْرَةٌ لِلْخَلِيفَةِ، فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ، وَاسْتَهَانُوا

به، فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ رَجُلًا وَمِثْلَهُمْ مِنْ مَوَالِيهِمْ، فَاسْتَعَدَى بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ عَلَى خَازِمِ بْنِ حُزَيْمَةَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالُوا: قَتَلَ أَحْوَالَكَ بِلَا ذَنْبٍ. فَهَمَّ السَّقَّاحُ بِقَتْلِهِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ بِأَلَّا يَفْتُلَهُ، وَلَكِنْ لِيَبْعَثَهُ مَبْعَثًا صَعْبًا، فَإِنْ سَلِمَ فَذَلِكَ، وَإِنْ قُتِلَ فَذَلِكَ الَّذِي أَرَدْتَ. فَبَعَثَهُ إِلَى عُمَانَ - وَكَانَ بِهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ قَدْ تَمَرَّدُوا - وَجَهَرَ مَعَهُ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ، وَكَتَبَ إِلَى عَمِّهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ نَائِبِ الْبَصْرَةِ بِحَمْلِهِمْ فِي السُّفُنِ إِلَى عُمَانَ فَفَعَلَ، فَقَاتَلَ الْخَوَارِجَ فَكَسَرَهُمْ وَقَهَرَهُمْ وَاسْتَحْوَذَ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ، وَقَتَلَ أَمِيرَ الْخَوَارِجِ الصُّفْرِيَّةِ وَهُوَ الْجُنْدِيُّ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَنْصَارِهِ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ، وَبَعَثَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَبِعِثَ بِهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ. ثُمَّ بَعْدَ أَشْهُرٍ كَتَبَ إِلَيْهِ السَّقَّاحُ أَنْ يَرْجِعَ، فَرَجَعَ سَالِمًا غَنِيمًا مَنْصُورًا.

وَفِيهَا غَزَا أَبُو مُسْلِمٍ بِلَادَ الصُّعْدِ، وَغَزَا أَبُو دَاوُدَ أَحَدُ نُوَابِ أَبِي مُسْلِمٍ بِلَادَ كِشٍّ، فَقَتَلَ حَلْفًا، وَغَنِمَ مِنَ الْأَوَانِي الصِّينِيَّةِ الْمَنْقُوشَةِ بِالذَّهَبِ شَيْئًا كَثِيرًا.

وَفِيهَا بَعَثَ الْخَلِيفَةُ السَّقَّاحُ مُوسَى بْنَ كَعْبٍ إِلَى مَنْصُورِ بْنِ جُمَّهُورٍ^١ - وَهُوَ
بَاهُنْدٍ - فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، فَالْتَقَاهُ مُوسَى بْنَ كَعْبٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، فَهَزَمَهُ
وَاسْتَبَاحَ عَسْكَرَهُ.

وَفِيهَا مَاتَ عَامِلُ الْيَمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ،
فَاسْتَحْلَفَ السَّقَّاحُ عَلَيْهَا عَمَّهُ - وَهُوَ حَالُ الْخَلِيفَةِ - زِيَادَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ.
وَفِيهَا تَحَوَّلَ السَّقَّاحُ مِنَ الْحَيْرَةِ إِلَى الْأَنْبَارِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ حَمْسٌ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا خَرَجَ زِيَادُ بْنُ صَالِحٍ^٢ مِنْ وَرَاءِ نَهْرٍ
بَلَخَ عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيَّ فَأَظْفَرَهُ اللَّهُ بِهِمْ، فَبَدَّدَ شَتْلَهُمْ، وَاسْتَأْصَلَ
خَضْرَاءَهُمْ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ بَيْنَكَ النَّوَاحِي مُعْظَمًا.

^١ منصور بن جمهور بن حصن الكلبي: من فرسان العرب المعدودين في عصر بني أمية. خرج مع يزيد الناقص على الوليد بن يزيد، وكان مع من شارك في قتل الوليد. ولاة يزيد العراق وخراسان، ثم لحق بالسند فغلب عليها، فلما أصبحت الدولة لبني العباس قتله موسى بن كعب التميمي.

^٢ زياد بن صالح الحارثي: قائد شجاع موالٍ لبني العباس، كان من عمال أبي مسلم الخراساني. وعمل معه على إخماد ثورة شريك المهري سنة ١٣٣ هـ، وساعده في قمع ثورات أخرى. لكنه ما لبث أن انقلب على أبي مسلم نفسه في بلخ سنة ١٣٥ هـ قائلاً: «لقد بايعناهم على العدل... وما أبو مسلم إلا ظالم جائر.. وإنه مخالف أفسد قلوب أهل خراسان». فقام أبو مسلم بقمع ثورته، لكن زياداً نجح، ولجأ إلى الدهاقنة، فقام الدهقان بقتله، وتسليم رأسه إلى أبي مسلم.

المحاولة الأولى لقتل أبي مسلم

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتٌّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا قَدِمَ أَبُو مُسْلِمٍ مِنْ حُرَّاسَانَ عَلَى السَّقَّاحِ بِالْعِرَاقِ، وَذَلِكَ بَعْدَ اسْتِئْذَانِهِ الْخَلِيفَةَ فِي الْقُدُومِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْدَمَ فِي خَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْجُنْدِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِيَّيَّ قَدْ وَتَرْتُ النَّاسَ، وَإِيَّيَّ أَحْشَى مِنْ قَلَّةِ الْخَمْسِمِائَةِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ اقْدَمْ فِي أَلْفٍ. فَقَدِمَ فِي ثَمَانِيَةِ آلَافٍ فَرَقَّهْمُ، وَأَخَذَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالنُّحْفِ وَالْهَدَايَا شَيْئًا كَثِيرًا، وَلَمَّا قَدِمَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِوَى أَلْفٍ مِنَ الْجُنْدِ، فَتَلَقَّاهُ الْقُوَادُّ الْكِبْرَاءُ إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى السَّقَّاحِ أَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ وَاحْتَرَمَهُ وَأَنْزَلَهُ قَرِيبًا مِنْهُ، وَكَانَ يَأْتِي إِلَى الْخِدْمَةِ كُلَّ يَوْمٍ، وَاسْتَأْذَنَ الْخَلِيفَةَ فِي الْحَجِّ، فَأَذِنَ لَهُ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي كُنْتُ عَيَّنْتُ إِمْرَةَ الْحَجِّ لِأَبِي جَعْفَرٍ لَأَمَرْتُكَ.

وَكَانَ مَا بَيْنَ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي مُسْلِمٍ حَرَابًا، وَذَلِكَ لِمَا رَأَى مِنَ الْجُفُوءَةِ مِنْهُ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ نَيْسَابُورَ فِي الْبَيْعَةِ لِلْسَّقَّاحِ وَلِلْمَنْصُورِ مِنْ بَعْدِهِ، فَحَقَّدَ عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ، وَأَشَارَ عَلَى السَّقَّاحِ بِقَتْلِهِ، وَحِينَ قَدِمَ حَرَضَهُ عَلَى قَتْلِهِ أَيْضًا، فَقَالَ لَهُ السَّقَّاحُ: قَدْ عَلِمْتَ بِلَاءَهُ مَعَنَا وَخِدْمَتَهُ لَنَا. فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا ذَلِكَ بَدَوْلَتَنَا، وَاللَّهِ لَوْ أُرْسَلْتَ سَنُورًا لَسَمِعُوا لَهُ وَأَطَاعُوا، وَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَّعَدَّ بِهِ تَعَشَى بِكَ هُوَ. فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ فَحَادِثْتَهُ جِئْتُ أَنَا مِنْ وَرَائِهِ فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ. قَالَ: فَكَيْفَ يَمُنْ مَعَهُ؟ قَالَ: هُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ. فَأَذِنَ لَهُ فِي قَتْلِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو مُسْلِمٍ عَلَى السَّقَّاحِ

نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ أَذِنَ لِأَخِيهِ فِيهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْخَادِمَ يَقُولُ لَهُ: إِنَّ ذَاكَ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَدْ نَدِمَ عَلَيْهِ، فَلَا تَفْعَلْهُ. فَلَمَّا جَاءَهُ الْخَادِمُ وَجَدَهُ مُحْتَبِيًا بِالسَّيْفِ، مُتَهَيِّئًا لِمَا يُرِيدُ مِنْ قَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ، فَلَمَّا نَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ غَضِبَ أَبُو جَعْفَرٍ غَضَبًا شَدِيدًا.

موت السفّاح

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ حَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ عَنْ وِلَايَةِ أَخِيهِ السَّفَّاحِ، وَسَارَ مَعَهُ إِلَى الْحِجَازِ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَّاسَانِيُّ عَنْ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ وَإِذْنِهِ لَهُ فِي الْحَجِّ فِي هَذَا الْعَامِ، فَلَمَّا رَجَعَا مِنَ الْحَجِّ فَكَانَا «بِدَاتِ عِرْقٍ» جَاءَ الْخَبْرُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ - وَكَانَ يَسِيرُ قَبْلَ أَبِي مُسْلِمٍ بِمَرَحَلَةٍ - بِمَوْتِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ فَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ أَنْ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، فَالْعَجَلِ الْعَجَلِ. فَلَمَّا اسْتَعْلَمَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَبْرَ عَجَلَ السَّيْرَ وَرَاءَهُ، فَالْحِقَهُ إِلَى الْكُوفَةِ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الْمَنْصُورِ عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ قَرِيبًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

تَرْجَمَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ وَذِكْرُ وِفَاتِهِ

وَهَذِهِ تَرْجَمَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ وَذِكْرُ وِفَاتِهِ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ السَّفَّاحُ - وَيُقَالُ لَهُ: الْمُرْتَضَى - وَالْقَائِمُ أَيْضًا - ابْنُ مُحَمَّدِ الْإِمَامِ بْنِ عَلِيِّ السَّجَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَبْرِ بْنِ الْعَبَّاسِ ذِي الرَّأْيِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ شَيْبَةَ الْحَمْدِ بْنِ هَاشِمٍ عَمْرُو بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأُمُّهُ

رَبِطَةٌ - وَيُقَالُ: رَائِطَةٌ - بِنْتُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ بْنِ الدِّيَّانِ الْحَارِثِيِّ، كَانَ مَوْلِدُ السَّقَّاحِ بِالْحُمَيْمَةِ مِنْ أَرْضِ الشَّرَاةِ مِنْ أَرْضِ الْبُلْقَاءِ بِالشَّامِ، وَنَشَأَ بِهَا حَتَّى طُلِبَ أَحُوهُ إِبرَاهِيمُ، فَقَتَلَهُ مَرْوَانَ الْحِمَارُ بِحِرَّانَ، فَانْتَقَلُوا إِلَى الْكُوفَةِ، وَبُوعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ أَخِيهِ فِي حَيَاةِ مَرْوَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ.

وَتُوِّفِيَ بِالْجَدْرِيِّ بِالْأَنْبَارِ يَوْمَ الْأَحَدِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ. وَكَانَ عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً. وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعِ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ.

وَكَانَ أَبْيَضَ جَمِيلًا طَوِيلًا، أَقْنَى الْأَنْفِ، جَعَدَ الشَّعْرَ، حَسَنَ اللَّحْيَةِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، فَصِيحَ الْكَلَامِ، حَسَنَ الرَّأْيِ، جَيِّدَ الْبَدِيهَةِ، دَخَلَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ وَلَايَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَمَعَهُ مُصْحَفٌ وَعِنْدَ السَّقَّاحِ وَجُوهُ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَعَيْرِهِمْ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطِنَا حَقَّنَا الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَنَا فِي هَذَا الْمُصْحَفِ^١. فَأَشْفَقَ الْحَاضِرُونَ أَنْ يَعْجَلَ السَّقَّاحُ بِشَيْءٍ أَوْ يَعْيًا بِجَوَابِهِ، فَيَنْبَى ذَلِكَ سُبَّةً عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، فَأَقْبَلَ السَّقَّاحُ عَلَيْهِ غَيْرَ مُغْضَبٍ وَلَا مُنْزَعَجٍ، فَقَالَ: إِنَّ جَدَّكَ عَلِيًّا وَكَانَ خَيْرًا مِنِّي وَأَعْدَلًا، وَلِي

^١ مطالبات الطالبيين (أحفاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه) بحقهم في الخلافة استمرت في

هَذَا الْأَمْرَ، فَأَعْطَى جَدِّكَ الْحُسَيْنَ، وَالْحُسَيْنَ - وَكَانَا خَيْرًا مِنْكَ - شَيْئًا قَدْ
 أَعْطَيْتُكَهُ وَزِدْتِكَ عَلَيْهِ، فَمَا كَانَ هَذَا جَزَائِي مِنْكَ. فَمَا رَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 حَسَنِ جَوَابًا، وَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَةِ جَوَابِهِ وَحِدْتِهِ وَجُودَتِهِ عَلَى الْبَدِيهَةِ.
 وَوَفَدَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَبَادَرُوا إِلَى تَقْبِيلِ يَدِهِ، وَتَرَكَ ذَلِكَ عِمْرَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
 بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعِ الْعَدَوِيِّ وَإِنَّمَا حَيَّاهُ بِالْخِلَافَةِ، وَهَنَأَهُ بِهَا فَقَطُّ. وَقَالَ:
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ كَانَتْ تَزِيدُكَ رِفْعَةً وَنَزِيدُنِي وَسِيلَةً إِلَيْكَ، مَا سَبَقَنِي
 إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَإِنِّي لَعَنِّي عَمَّا لَا أَجْرَ فِيهِ. ثُمَّ جَلَسَ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا
 نَقَصَهُ ذَلِكَ مِنْ حَظِّ أَصْحَابِهِ.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: كَانَ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّقَّاحُ حِينَ حَضَرَهُ
 الْمَوْتُ: الْمُلْكُ لِلَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، مَلِكِ الْمُلُوكِ، وَجَبَّارِ الْجَبَابِرَةِ. وَكَانَ نَفْسُ
 حَاتِمِهِ: اللَّهُ ثِقَةُ عَبْدِ اللَّهِ.

وَكَانَ مَوْتُهُ بِالْجُدْرِيِّ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةَ سِتِّ
 وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ بِالْأَنْبَارِ الْعَتِيقَةِ، عَنْ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعَ
 سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ عَلَى أَشْهُرِ الْأُقُولِ. وَصَلَّى عَلَيْهِ عَمُّهُ عَيْسَى بْنُ عَلِيٍّ
 وَدُفِنَ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ مِنَ الْأَنْبَارِ.

خِلاَفَةُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ

قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ السَّفَّاحَ مَاتَ وَأَخُوهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بِالْحِجَازِ، فَأَخَذَ الْبَيْعَةَ لَهُ بِالْعِرَاقِ عَمُّهُ عَيْسَى بْنُ عَلِيٍّ، وَبَلَغَهُ خَبْرُ مَوْتِ أَخِيهِ السَّفَّاحِ وَهُوَ رَاجِعٌ بِذَاتِ عِرْقٍ فَعَجَلَ السَّيْرَ، وَكَانَ مَعَهُ أَبُو مُسْلِمٍ الْحُرَّاسِيُّ، فَبَايَعَهُ أَبُو مُسْلِمٍ فِي الطَّرِيقِ وَعَزَّاهُ فِي أَخِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ السَّفَّاحِ، فَبَكَى أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُسْلِمٍ: أَتَبْكِي وَقَدْ جَاءَتْكَ الْخِلاَفَةُ؟! فَأَنَا أَكْفِيكَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَسَرِي عَنِ الْمَنْصُورِ، وَأَمَرَ زِيَادَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَكَّةَ وَالْيَا عَلَيْهِمَا، وَكَانَ السَّفَّاحُ قَدْ عَزَلَهُ عَنْهَا بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَأَقْرَبَ بَقِيَّةِ النُّوَابِ عَلَى أَعْمَاهِمَ حَتَّى انْسَلَحَتْ هَذِهِ السَّنَةُ.

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ قَدِمَ عَلَى السَّفَّاحِ الْأَنْبَارَ، فَأَمَرَهُ عَلَى الصَّائِفَةِ، فَرَكِبَ فِي جُيُوشٍ عَظِيمَةٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بَلَغَهُ مَوْتُ السَّفَّاحِ، فَكَّرَ رَاجِعًا إِلَى حَرَّانَ وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، وَزَعَمَ أَنَّ السَّفَّاحَ كَانَ عَهْدَ إِلَيْهِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الشَّامِ أَنْ يَكُونَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ، فَالْتَمَّتْ عَلَيْهِ جُيُوشٌ عَظِيمَةٌ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا سَنَدُّكُرُهُ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

خُرُوج عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْمَنْصُورِ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٌ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ مِنَ الْحَجِّ دَخَلَ الْكُوفَةَ، فَخَطَبَ بِأَهْلِهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ انْزَحَلَ مِنْهَا إِلَى الْأَنْبَارِ، وَقَدْ أَخَذَتْ لَهُ الْبَيْعَةَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَخُرَّاسَانَ وَسَائِرِ الْبِلَادِ سِوَى الشَّامِ، وَقَدْ ضَبَطَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى بَيْوتَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلَ لِلْمَنْصُورِ حَتَّى قَدِمَ، فَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ، وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَهُوَ بِدُرُوبِ الرُّومِ يُعَلِّمُهُ بِوَفَاةِ السَّفَّاحِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبْرُ نَادَى فِي النَّاسِ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْأَمْرَاءُ وَالنَّاسُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ وَفَاةَ السَّفَّاحِ، ثُمَّ قَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا، فَذَكَرَ أَنَّ السَّفَّاحَ كَانَ عَهْدَ إِلَيْهِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى مَرْوَانَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَشَهِدَ لَهُ بَعْضُ أَمْرَاءِ خُرَّاسَانَ بِذَلِكَ، وَهَضَبُوا إِلَيْهِ فَبَايَعُوهُ، وَرَجَعَ إِلَى حِرَانَ فَتَسَلَّمَ مِنْ نَائِبِ الْمَنْصُورِ بَعْدَ مُحَاصِرَةِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقُتِلَ مُقَاتِلُ الْعَكِيِّ^١ نَائِبُهَا، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَنْصُورَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بَعَثَ إِلَيْهِ أَبَا مُسْلِمٍ الْخُرَّاسَانِيَّ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَمْرَاءِ، وَقَدْ تَحَصَّنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بِحِرَانَ، وَأَرْصَدَ عِنْدَهُ مِمَّا يَنْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ وَالسِّلَاحِ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا. وَسَارَ أَبُو مُسْلِمٍ وَعَلَى مُقَدِّمِيهِ مَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْخَزَاعِيُّ، وَلَمَّا تَحَقَّقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ قُدُومَ أَبِي مُسْلِمٍ

^١ مقاتل بن حكيم العكي: من أهل مرو، كان أميراً على حوران من قبل المنصور في أيام السفاح، فأسره عبد الله بن علي ووجه به إلى دمشق إلى ابن سراقه ليعتقله؛ فلما علم بهرب عبد الله بن علي سأل مقاتلاً أن يكتب له كتاباً، ثم قتله.

إِلَيْهِ حَشِيٍّ مِنْ جَيْشِ خُرَّاسَانَ الَّذِينَ مَعَهُ أَلَّا يُنَاصِحُوهُ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَأَرَادَ قَتْلَ حُمَيْدِ بْنِ قُحْطَبَةَ^١، فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ.

وَرَكِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ، فَنَزَلَ نَصِيبِينَ وَحَدَقَ حَوْلَ عَسْكَرِهِ، وَأَقْبَلَ أَبُو مُسْلِمٍ، فَنَزَلَ نَاحِيَةَ، وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ: إِنِّي لَمْ أُوَمِّرْ بِقِتَالِكَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْيَا عَلَى الشَّامِ فَأَنَا أُرِيدُهَا. فَخَافَ جُنُودَ الشَّامِ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ وَقَالُوا: إِنَّا نَخَافُ عَلَى ذَرَارِيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَنَحْنُ نَذْهَبُ إِلَيْهَا نَمْنَعُهُمْ مِنْهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ: وَيَحْكُمُ! وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَّا لِقِتَالِنَا. فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَرْتَحِلُوا نَحْوَ الشَّامِ، فَتَحَوَّلَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَنَزِلِهِ ذَلِكَ، وَقَصَدَ نَاحِيَةَ الشَّامِ، فَهَضَّ أَبُو مُسْلِمٍ، فَنَزَلَ فِي مَوْضِعِ عَسْكَرِ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَوَّرَ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْمِيَاهِ، وَكَانَ نَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ مَنَزِلًا جَدِيدًا، وَاحْتَجَّ عَبْدُ اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ، فَنَزَلُوا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ أَبُو مُسْلِمٍ فَوَجَدُوهُ مَنَزِلًا رَدِيئًا، ثُمَّ أَنْشَأَ أَبُو مُسْلِمٍ الْقِتَالَ، فَحَارَبَهُمْ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ أَوْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَكَانَ عَلَى حَيْلِ عَبْدِ اللَّهِ أَخُوهُ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَلِيٍّ، وَعَلَى مَيْمَنَتِهِ بَكَّازُ بْنُ مُسْلِمِ الْعَقِيلِيِّ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ حَبِيبُ بْنُ سُؤَيْدِ الْأَسَدِيِّ، وَعَلَى مَيْمَنَةِ أَبِي مُسْلِمِ الْحَسَنِ بْنُ قُحْطَبَةَ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ أَبُو نَصْرِ

^١ حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي (ت ١٥٩ هـ): من القادة العسكريين العباسيين. ولي إمارة الجزيرة ثم إمارة مصر سنة ١٤٣ هـ، ووجه لغزو أرمينية سنة ١٤٨ هـ، ولغزو كابل سنة ١٥٢ هـ، ثم جعل أميراً على خراسان فأقام فيها إلى أن مات .

حَازِمُ بْنُ حُرَيْمَةَ، وَقَدْ جَرَتْ بَيْنَهُمْ وَقَعَاتٌ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَاتٌ فِي أَيَّامِ نَحْسَاتٍ، وَقَدْ كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ إِذَا حَمَلَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

مَنْ كَانَ يَنْوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجْعَ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعَ

وَكَانَ يُعْمَلُ لَهُ عَرِيشٌ، فَيَكُونُ فِيهِ إِذَا التَقَى الْجَيْشَانِ، فَمَا رَأَى فِي جَيْشِهِ مِنْ خَلَلٍ أَرْسَلَ فَأَصْلَحَهُ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ أَوْ الْأَرْبَعَاءِ لِسَبْعِ خَلْوَنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ اتَّقَوْا، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَمَكَرَ بِهِمْ أَبُو مُسْلِمٍ؛ بَعَثَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ قُحْطَبَةَ أَمِيرِ الْمَيْمَنَةِ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَتَحَوَّلَ بِمَنْ مَعَهُ إِلَّا الْقَلِيلَ، إِلَى الْمَيْسَرَةِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْلُ الشَّامِ انْحَاذُوا إِلَى الْمَيْمَنَةِ بِإِزَاءِ الْمَيْسَرَةِ الَّتِي تَعَمَّرَتْ، فَأَرْسَلَ حِينَئِذٍ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَى الْقَلْبِ أَنْ يَحْمِلَ بِمَنْ بَقِيَ فِي الْمَيْمَنَةِ عَلَى مَيْسَرَةِ أَهْلِ الشَّامِ، فَحَطَّمُوهُمْ، فَجَالَ أَهْلُ الْقَلْبِ وَالْمَيْمَنَةِ مِنَ الشَّامِيِّينَ، فَحَمَلَ الْخُرَاسَائِيُّونَ فَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ، وَانْهَزَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بَعْدَ

¹ خازم بن خزيمه بن عبد الله النهشلي الدارمي التميمي (٩٠ - ١٥٣ هـ) أمير وقائد عسكري وسياسي ورجل دولة من أبرز القادة والأمراء في الدولة العباسية في عصر التأسيس، وأحد القادة الذين كان لهم دور كبير وحاسم في الحرب الأموية العباسية (١٢٩ - ١٣٢ هـ) حتى عُد الرجل الثاني في الدولة بعد الخليفة، تولى إمارة عمان في عهد الخليفة أبي العباس السفاح، وإمارة خراسان في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، وخاض الكثير من الحروب والمعارك والحملات العسكرية لصالح الدولة العباسية، وقضى على كثير من حركات الخوارج والثائرين على الخلافة العباسية حتى عرف في بلاط الخلفاء بلقب القائد، وكان على شرطة الخليفة أبي جعفر المنصور وتوفي وهو على شرطته في بغداد عام ١٥٣ هـ وصلى عليه الخليفة ودفن فيها.

تَلُومٍ، وَاحْتَارَ أَبُو مُسْلِمٍ مَا كَانَ فِي مُعَسِكَرِهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ، وَأَمَّنَ أَبُو مُسْلِمٍ بَقِيَّةَ النَّاسِ فَلَمْ يَقْتُلْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَكَتَبَ إِلَى الْمَنْصُورِ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ الْمَنْصُورُ مَوْلَاهُ أَبَا الْحَصِيبِ لِيُحْصِيَ مَا وَجَدُوا فِي مُعَسِكَرِ عَبْدِ اللَّهِ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ، وَاسْتَوْسَقَتِ الْمَمَالِكُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَمَضَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ وَأَخُوهُ عَبْدُ الصَّمَدِ عَلَى وُجُوهِهِمَا، فَلَمَّا مَرَّ بِالرُّصَافَةِ أَقَامَ بِهَا عَبْدُ الصَّمَدِ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو الْحَصِيبِ وَجَدَهُ بِهَا، فَأَخَذَهُ مُقَيَّدًا فِي الْحَدِيدِ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى الْمَنْصُورِ، فَدَفَعَهُ إِلَى عَيْسَى بْنِ مُوسَى، فَاسْتَأْمَنَ لَهُ مِنَ الْمَنْصُورِ، وَقِيلَ: بَلِ اسْتَأْمَنَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ. وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ، فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بِالْبَصْرَةِ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ زَمَانًا مُحْتَفِيًا، ثُمَّ عَلِمَ بِهِ الْمَنْصُورُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَسَجَّنَهُ، فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ تِسْعَ سِنِينَ، ثُمَّ سَقَطَ عَلَيْهِ الْبَيْثُ الَّذِي هُوَ فِيهِ فَمَاتَ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

مَهْلِكُ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ

فِي هَذِهِ السَّنَةِ ذُكِرَ أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ لَمَّا نَفَرَ النَّاسُ مِنَ الْحَجِّجِ سَبَقَ النَّاسَ بِمَرْحَلَةٍ، فَلَمَّا جَاءَهُ خَبْرُ السَّقَّاحِ فِي الطَّرِيقِ، كَتَبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ يُعَرِّبُهُ فِي الْخَلِيفَةِ، وَلَمْ يُهَيِّئْهُ بِالْخِلَافَةِ، وَلَا رَجَعَ إِلَيْهِ، فَغَضِبَ الْمَنْصُورُ مِنْ ذَلِكَ، مَعَ مَا كَانَ مُضْمَرًا لَهُ مِنَ السُّوءِ، فَقَالَ لِأَبِي أَيُّوبَ: اكْتُبْ إِلَيْهِ كِتَابًا

عَلِيًّا. فَلَمَّا بَلَغَهُ الْكِتَابُ بَعَثَ يُهَيِّئُهُ بِالْخِلَافَةِ، وَأَنْقَمَعَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ بَعْضُ الْأَمْراءِ لِأَبِي جَعْفَرٍ: إِنَّا نَرَى مِنَ الْمَصْلَحَةِ أَلَّا تُجَامِعَهُ فِي الطَّرِيقِ؛ فَإِنَّ مَعَهُ مِنَ الْجُنُودِ مَنْ لَا يُخَالِفُهُ وَهُمْ لَهُ أَهْيَبُ، وَلَيْسَ مَعَكَ أَحَدٌ. فَأَخَذَ بِرَأْيِهِ، ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي مُبَايَعَتِهِ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ مَا ذَكَرْنَا، ثُمَّ بَعَثَهُ إِلَى عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ فَكَسَرَهُ، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَدْ بَعَثَ فِي عُيُونِ ذَلِكَ الْحَسَنِ بْنِ قُحْطَبَةَ لِأَبِي أَيُّوبَ كَاتِبَ رَسَائِلِ الْمَنْصُورِ يُشَافِئُهُ وَيُخَبِّرُهُ بِأَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ يُتَمِّمُ فِي أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا جَاءَهُ الْكِتَابُ مِنْهُ يَقْرُؤُهُ ثُمَّ يَلُوي شِدْقِيهِ، وَيَزِمِي بِالْكِتَابِ إِلَى أَبِي نَصْرٍ، وَيَضْحَكُكَانِ اسْتَهْزَاءً، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: إِنَّ تَهْمَةَ أَبِي مُسْلِمٍ عِنْدَنَا أَظْهَرُ مِنْ هَذَا.

وَلَمَّا بَعَثَ أَبُو جَعْفَرٍ مَوْلَاهُ أَبَا الْخَضِيبِ يَقْطِينُ؛ لِيَحْتَاطَ عَلَى مَا أُصِيبَ مِنْ مُعَسْكَرِ عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ وَغَيْرِهَا، غَضِبَ أَبُو مُسْلِمٍ، فَشَتَمَ أَبَا جَعْفَرٍ، وَهَمَّ بِأَبِي الْخَضِيبِ أَنْ يَقْتُلَهُ، حَتَّى كَلَّمَ فِيهِ وَقِيلَ لَهُ: إِنَّمَا هُوَ رَسُولٌ. فَتَرَكَهُ، وَرَجَعَ أَبُو الْخَضِيبِ، فَأَخْبَرَ الْمَنْصُورَ بِمَا كَانَ، وَبِمَا هَمَّ بِهِ أَبُو مُسْلِمٍ مِنْ قَتْلِهِ، فَغَضِبَ الْمَنْصُورُ، وَخَشِيَ أَنْ يَذْهَبَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَى حُرَّاسَانَ فَيَسْئَقَ عَلَيْهِ تَحْصِيلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَعَ يَقْطِينِ: إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ الشَّامَ وَمِصْرَ، وَهُمَا خَيْرٌ مِنْ حُرَّاسَانَ؛ فَأَبَعْتَ إِلَى مِصْرَ مِنْ شِئْتِ، وَأَقِمِ أَنْتَ بِالشَّامِ؛ لِتَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِذَا أَرَادَ لِقَاءَكَ كُنْتُ مِنْهُ قَرِيبًا. فَغَضِبَ أَبُو مُسْلِمٍ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: قَدْ وُلَّيْتَنِي الشَّامَ وَمِصْرَ، وَلي حُرَّاسَانَ! فَإِذْنِ أَذْهَبُ

إِلَيْهَا، وَأَسْتَحْلِفُ عَلَى الشَّامِ وَمِصْرَ. فَكَتَبَ إِلَى الْمَنْصُورِ بِذَلِكَ، فَفَلِقَ الْمَنْصُورُ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا، وَرَجَعَ أَبُو مُسْلِمٍ مِنَ الشَّامِ قَاصِدًا حُرَّاسَانَ، وَهُوَ عَازِمٌ عَلَى مُخَالَفَةِ الْمَنْصُورِ، فَخَرَجَ الْمَنْصُورُ مِنَ الْأَنْبَارِ إِلَى الْمَدَائِنِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ وَهُوَ عَلَى الزَّابِ عَازِمٌ عَلَى الدُّخُولِ إِلَى حُرَّاسَانَ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَدُوٌّ إِلَّا أَمَكَّنَهُ اللَّهُ مِنْهُ، وَقَدْ كُنَّا نَرُوي عَنْ مُلُوكِ آلِ سَاسَانَ أَنَّ أَحُوفَ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ، فَخُجَّ نَافِرُونَ مِنْ قُرْبِكَ، حَرِيصُونَ عَلَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ مَا وَقَّيْتِ، حَرِيثُونَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ مِنْ بَعِيدٍ حَيْثُ تُقَارِبُهَا السَّلَامَةُ، فَإِنْ أَرْضَاكَ ذَلِكَ فَأَنَا كَأَحْسَنِ عَيْدِكَ، وَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُعْطِيَ نَفْسَكَ إِزَادَتَهَا نَقَضْتُ مَا أْبْرَمْتُ مِنْ عَهْدِكَ ضِنًّا بِنَفْسِي.

فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى الْمَنْصُورِ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ: قَدْ فَهَمْتُ كِتَابَكَ، وَلَيْسَتْ صِفَتُكَ صِفَةَ أَوْلِيَاكَ الْوُزَرَاءِ الْعَشِشَةِ مُلُوكُهُمْ، الَّذِينَ يَتَمَنُّونَ اضْطِرَابَ حَبْلِ الدَّوْلَةِ لِكَثْرَةِ جَرَائِمِهِمْ، وَإِنَّمَا رَاحَتُهُمْ فِي انْتِشَارِ نِظَامِ الْجَمَاعَةِ، فَلِمَ سَوَّيْتَ نَفْسَكَ بِهِمْ، وَأَنْتَ فِي طَاعَتِكَ وَمُنَاصَحَتِكَ وَاضْطِلَاعِكَ بِمَا حَمَلْتَ مِنْ أَعْبَاءِ هَذَا الْأَمْرِ عَلَى مَا أَنْتَ بِهِ؟! وَلَيْسَ مَعَ الشَّرِيطَةِ الَّتِي أَوْجَبْتَ مِنْكَ سَمْعٌ وَلَا طَاعَةٌ، وَقَدْ حَمَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى رِسَالَةً لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا إِنْ أَصْعَيْتَ إِلَيْهَا، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَنَزْعَاتِهِ وَبَيْنَكَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَبًا يُفْسِدُ بِهِ نَيْتَكَ أَوْكَدَ عِنْدَهُ وَأَقْرَبَ مِنْ ظَنِّهِ مِنَ الْبَابِ الَّذِي فَتَحَهُ عَلَيْكَ.

وَبَعَثَ الْمَنْصُورُ إِلَيْهِ جَرِيرَ بْنَ يَرِيدَ بْنَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ - وَكَانَ
وَاحِدَ أَهْلِ زَمَانِهِ - فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَمْراءِ، وَقَدْ كَانَ الْمَنْصُورُ قَالَ لَهُ: كَلِّمْ أَبَا
مُسْلِمٍ بِاللِّينِ كَلَامٍ تَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّهُ يُرِيدُ رَفْعَكَ، وَعُلُوَّ قَدْرِكَ، وَالْإِطْلَاقَ
لَكَ. فَإِنْ جَاءَ بِهَذَا فَذَلِكَ، وَإِنْ أَبِي أَنْ يَرْجِعَ فَقُلْ: إِنَّهُ يَقُولُ: هُوَ بَرِيءٌ مِنْ
الْعَبَّاسِ، إِنْ شَقَقْتَ الْعَصَا وَذَهَبْتَ عَلَى وَجْهِكَ هَذَا لِيُدْرِكَكَ بِنَفْسِهِ وَلِيَلِينَنَّ
قِتَالِكَ دُونَ غَيْرِهِ، وَلَوْ حُضَّتِ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ لِحَاضِهِ حَلْفَكَ حَتَّى يُدْرِكَكَ
فَيَقْتُلَكَ أَوْ يَمُوتَ قَبْلَ ذَلِكَ. وَلَا تَقُلْ لَهُ هَذَا حَتَّى تَيَأَسَ مِنْ رُجُوعِهِ بِأَتِي
هِيَ أَحْسَنُ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَمْراءُ الْمَنْصُورِ بِحُلُوانٍ دَخَلُوا عَلَيْهِ وَلَا مَوْهَ فِيمَا
هُوَ فِيهِ مِنْ مُنَابَذَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَغَبُوهُ فِي الرُّجُوعِ إِلَيْهِ، فَشَاوَرَ ذَوِي الرَّأْيِ
مِنْ أَمْرائِهِ، فَكُلُّ نَهَاةٍ عَنِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَأَشَارُوا بِأَنْ يُقِيمَ فِي الرَّيِّ فَتَكُونَ
حُرَّاسَانُ تَحْتَ حُكْمِهِ، وَجُنُودُهُ طَوْعٌ لَهُ، فَإِنْ اسْتَقَامَ لَهُ الْخَلِيفَةُ وَإِلَّا كَانَ فِي
عِزٍّ وَمَنْعَةٍ مِنَ الْجُنْدِ. فَأَرْسَلَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَى أَمْراءِ الْمَنْصُورِ، فَقَالَ لَهُمْ: ارْجِعُوا
إِلَى صَاحِبِكُمْ، فَلَسْتُ أَلْقَاهُ. فَلَمَّا اسْتَيَأَسُوا مِنْهُ قَالُوا لَهُ ذَلِكَ الْكَلَامَ الَّذِي
كَانَ الْمَنْصُورُ أَمَرَهُمْ بِهِ. فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ كَسَرَهُ، وَقَالَ: قُومُوا عَنِّي السَّاعَةَ.

وَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ قَدْ اسْتَحْلَفَ عَلَى حُرَّاسَانَ أَبَا دَاوُدَ خَالِدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، فَكَتَبَ
إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ فِي غَيْبَةِ أَبِي مُسْلِمٍ حِينَ أَتَاهُ: إِنَّ وِلَايَةَ حُرَّاسَانَ لَكَ مَا بَقِيَتْ.
فَكَتَبَ أَبُو دَاوُدَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ حِينَ بَلَغَهُ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُنَابَذَةِ الْخَلِيفَةِ: إِنَّهُ
لَيْسَ لَنَا مُنَابَذَةٌ حُلْفَاءَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْجِعْ إِلَى

إِمَامِكَ سَامِعًا مُطِيعًا. فَزَادَهُ ذَلِكَ كَسْرًا أَيْضًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَبُو مُسْلِمٍ: إِنِّي سَأَبْعَثُ إِلَيْهِ أَبَا إِسْحَاقَ، وَهُوَ مِمَّنْ أَثِقُ بِهِ. فَبَعَثَهُ إِلَيْهِ فَأَكْرَمَهُ، وَوَعَدَهُ بِنِيَابَةِ حُرَّاسَانَ إِنْ هُوَ رَدَّهُ. فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو إِسْحَاقَ قَالَ لَهُ: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: رَأَيْتُهُمْ مُعَظِّمِينَ لَكَ يَعْرِفُونَ قَدْرَكَ. فَعَرَّهُ ذَلِكَ، وَعَزَمَ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَاسْتَشَارَ أَمِيرًا يُقَالُ لَهُ نَيْرُكُ. فَنَهَاهُ، فَصَمَّمَ عَلَى الذَّهَابِ، فَلَمَّا رَأَهُ نَيْرُكُ عَازِمًا عَلَى الذَّهَابِ تَمَثَّلَ نَيْرُكُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَا لِلرِّجَالِ مَعَ الْقَضَاءِ مَحَالَةٌ ذَهَبَ الْقَضَاءُ بِحِيلَةِ الْأَقْوَامِ

ثُمَّ قَالَ لَهُ: احْفَظْ عَنِّي وَاحِدَةً. قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: إِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَاقْتُلْهُ، ثُمَّ بَايِعْ مَنْ شِئْتَ بِالْخِلَافَةِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يُخَالِفُونَكَ. وَكَتَبَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَى الْمَنْصُورِ يُعَلِّمُهُ بِقُدُومِهِ عَلَيْهِ.

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ كَاتِبُ الرَّسَائِلِ: فَدَخَلْتُ عَلَى الْمَنْصُورِ وَهُوَ فِي خِيبَاءِ شَعْرِ بِالرُّومِيَّةِ، جَالِسًا عَلَى مُصَلَّاهُ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ كِتَابٌ، فَأَلْفَاهُ إِلَيَّ، فَإِذَا هُوَ كِتَابُ أَبِي مُسْلِمٍ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ الْخَلِيفَةُ: وَاللَّهِ لَئِنْ مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْهُ لِأَقْتُلَنَّه. قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَبِئْسَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَا يَأْتِينِي نَوْمٌ، وَفَكَرْتُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَقُلْتُ: إِنْ دَخَلَ أَبُو مُسْلِمٍ حَائِفًا رُبَّمَا يَبْدُو أَنَّهُ يَبْدُرُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ، وَالْمَصْلَحَةُ أَنْ يَدْخُلَ أَمِنًا لِيَتِمَّكَنَ مِنْهُ الْخَلِيفَةُ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ طَلَبْتُ رَجُلًا مِنَ الْأَمْراءِ، وَقُلْتُ لَهُ: هَلْ لَكَ أَنْ تَتَوَلَّى مَدِينَةَ كَسْرٍ؛ فَإِنَّهَا مِغَلَّةٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ؟ فَقَالَ: وَمَنْ لِي بِذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ:

فَأَذْهَبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ، فَتَلَقَّهُ فِي الطَّرِيقِ، فَاطْلَبَ مِنْهُ أَنْ يُؤَلِّبَكَ تِلْكَ الْبَلَدَ؛ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُرِيدُ أَنْ يُؤَلِّبَهُ مَا وَرَاءَ بَابِهِ وَيَسْتَرِيحَ لِنَفْسِهِ. وَاسْتَأْذَنْتُ الْمَنْصُورَ لَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ، فَأَذِنَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ: سَلِّمْ عَلَيْهِ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّا بِالْأَشْوَاقِ إِلَيْهِ. فَسَارَ ذَلِكَ الرَّجُلُ - وَهُوَ سَلَمَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ جَابِرٍ - إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ، فَأَخْبَرَهُ بِاشْتِيَاقِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ؛ فَسَرَّهُ ذَلِكَ وَانْشَرَحَ، وَإِنَّمَا هُوَ غُرُورٌ وَمَكْرٌ بِهِ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو مُسْلِمٍ بِذَلِكَ عَجَلَ السَّيْرَ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْمَدَائِنِ أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْقَوَادِ وَالْأَمْرَاءَ أَنْ يَتَلَفَّؤُهُ، وَكَانَ دُحُولُهُ عَلَى الْمَنْصُورِ مِنْ آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَقَدْ أَشَارَ أَبُو أَيُّوبَ عَلَى الْمَنْصُورِ أَنْ يُؤَخَّرَ قَتْلَهُ فِي سَاعَتِهِ هَذِهِ إِلَى الْعَدِ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ.

فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو مُسْلِمٍ عَلَى الْمَنْصُورِ مِنَ الْعَشِيِّ، قَالَ: أَذْهَبَ فَأَرِحَ نَفْسَكَ، وَادْخُلِ الْحَمَّامَ، فَإِذَا كَانَ الْعَدُّ فَائِتِي. فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، وَجَاءَهُ النَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُّ طَلَبَ الْخَلِيفَةُ بَعْضَ الْأَمْرَاءِ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ بَلَائِي عِنْدَكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْتَلَ نَفْسِي لَقَتَلْتُهَا. قَالَ: فَكَيْفَ بِكَ إِذَا أَمَرْتُكَ بِقَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ؟ قَالَ: فَوَجَمَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ: مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ قَوْلَةً ضَعِيفَةً: أَقْتَلُهُ. ثُمَّ احْتَارَ لَهُ مِنْ عِيُونِ الْحَرَسِ أَرْبَعَةً، فَحَرَضَهُمُ الْخَلِيفَةُ عَلَى قَتْلِهِ، وَقَالَ: كُونُوا مِنْ وَرَاءِ الرِّوَاقِ، فَإِذَا صَفَّقْتُ فَأَخْرُجُوا عَلَيْهِ فَاقْتُلُوهُ. ثُمَّ أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ رُسُلًا تَتْرَى؛ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَأَقْبَلَ أَبُو مُسْلِمٍ فَدَخَلَ دَارَ الْخِلَافَةِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى

الْخَلِيفَةَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَعَلَ الْمَنْصُورُ يُعَاتِبُهُ فِي الَّذِي صَنَعَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَيَعْتَذِرُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فِيمَا كَانَ اعْتَمَدَهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَسْرَعُ فِيهَا. ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَفْسِكَ قَدْ طَابَتْ عَلَيَّ. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زَادَنِي هَذَا إِلَّا غَضَبًا عَلَيْكَ. ثُمَّ ضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، فَخَرَجَ عُثْمَانُ وَأَصْحَابُهُ، فَضَرَبُوهُ بِالسُّيُوفِ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَلَقُوهُ فِي عَبَاءَةَ، ثُمَّ أَمَرَ بِالِقَائِهِ فِي دِجْلَةَ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ، وَكَانَ مَقْتَلُهُ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ.

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا عَاتَبَهُ بِهِ الْمَنْصُورُ أَنَّهُ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَيْ مَرَاتٍ تَبْدَأُ بِنَفْسِكَ، وَأَرْسَلْتُ تَخْطُبُ عَمَّتِي أَمِينَةَ، وَتَزْعُمُ أَنَّكَ ابْنُ سُلَيْطِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يُقَالُ هَذَا لِي وَقَدْ سَعَيْتُ فِي أَمْرِكُمْ بِمَا عَلِمْتُهُ كُلُّ أَحَدٍ. فَقَالَ: وَيْلَكَ! لَوْ قَامَتْ فِي ذَلِكَ أُمَّةٌ سَوْدَاءُ لِأُمَّةِ اللَّهِ؛ لِحَدِّنَا وَحَطَّنَا. ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّكَ. فَقَالَ: اسْتَبْقِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَعْدَائِكَ. فَقَالَ: وَأَيُّ عَدُوٍّ لِي أَعْدَى مِنْكَ؟! ثُمَّ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ، كَمَا ذَكَرْنَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الْآنَ صِرْتَ خَلِيفَةً. وَيُقَالُ: إِنَّ الْمَنْصُورَ أَنْشَدَ عِنْدَ ذَلِكَ:

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ

وَذَكَرَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ أَنَّ الْمَنْصُورَ لَمَّا عَزَمَ عَلَى قَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ تَحْيَرَ فِي أَمْرِهِ؛ هَلْ يَسْتَشِيرُ أَحَدًا فِي ذَلِكَ أَوْ يَسْتَبِدُّ هُوَ بِرَأْيِهِ؛ لِئَلَّا يَشِيعَ وَيَنْتَشِرَ، ثُمَّ

إِنَّهُ اسْتَشَارَ وَاحِدًا مِنْ نُصَحَائِهِ فِي قَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُتٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}. فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ أَوْدَعْتَهَا أَذُنًا وَاعِيَةً. ثُمَّ عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ.

تَرْجَمَةُ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَّاسِيِّ

وَهَذِهِ تَرْجَمَةُ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَّاسِيِّ: هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ، أَبُو مُسْلِمٍ صَاحِبُ دَوْلَةٍ - وَيُقَالُ: دَعْوَةٌ - بَنِي الْعَبَّاسِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: أَمِيرُ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبُعْدَادِيُّ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنِ سَنْفِيرُونَ بْنِ أَسْفَنْدِيَارَ، أَبُو مُسْلِمٍ الْمُرُوزِيُّ، صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ.

كَانَ فَاتِكًا، شَجَاعًا، ذَا رَأْيٍ وَعَقْلٍ وَتَدْبِيرٍ وَحَزْمٍ. وَقَتَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ بِالْمَدَائِنِ.

وُلِدَ بِأَصْبَهَانَ، وَنَشَأَ بِالْكُوفَةِ، وَكَانَ أَبُوهُ أَوْصَى إِلَى عَيْسَى بْنِ مُوسَى السَّرَّاجِ، فَحَمَلَهُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، فَلَمَّا بَعَثَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى

^١ إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي القرشي المعروف بإبراهيم الإمام (٨٢ - ١٣١ هـ) ثاني إمام للدعوة العباسية ومظهرها بعد سريتها، وهو أخو الخليفين فيما بعد أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور، عهد إليه والدة الإمام محمد بالإمامة بعده حينما كانت الدعوة العباسية سرية، وبعد تولي إبراهيم الإمامة أرسل الوفود بقيادة أبي مسلم الخراساني ممثلًا عنه إلى خراسان المعقل الهام والأكبر للدعوة، ودعا لحشد الآراء والرّجال على ألا يعرفوا هويته حتى

خُرَاسَانَ قَالَ لَهُ: غَيَّرِ اسْمَكَ وَكُنْيَتَكَ؛ فَتَسَمَّى بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ، وَأَكْتَنَى بِأَبِي مُسْلِمٍ، فَسَارَ إِلَى خُرَاسَانَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ عَشْرَةَ سَنَةً، رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ بِإِكْفٍ^١، وَأَعْطَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ نَفَقَةً مِنْ عِنْدِهِ، فَرَحَلَ إِلَى خُرَاسَانَ وَهُوَ كَذَلِكَ، ثُمَّ آلَ بِهِ الْحَالُ حَتَّى صَارَتْ لَهُ خُرَاسَانُ بِأَرْمَتِهَا وَحَدَافِيرِهَا.

وَفِي مُرُورِهِ إِلَى خُرَاسَانَ عَدَا رَجُلٌ فِي بَعْضِ الْحَنَاتِ عَلَى حِمَارِهِ، فَهَلَبَ ذَنْبُهُ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ أَبُو مُسْلِمٍ وَحَكَمَ عَلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، جَعَلَهُ دَكًّا، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ خَرَابًا لَا يُسْكَنُ.

أَصَابَهُ سِبَاءٌ فِي صِغَرِهِ، وَاشْتَرَاهُ بَعْضُ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِمَامَ اسْتَوْهَبَهُ أَوْ اشْتَرَاهُ، فَانْتَمَى إِلَيْهِ، وَرَوَّجَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى خُرَاسَانَ، بِنْتِ أَبِي النَّجْمِ عِمْرَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الطَّائِيِّ، أَحَدِ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ أَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَوُلِدَ لِأَبِي مُسْلِمٍ بِنْتَانِ: إِحْدَاهُمَا أَسْمَاءُ، أَعْقَبَتْ، وَفَاطِمَةٌ، وَلَمْ تُعْقَبْ.

التَّمَكِينَ وَوُصُولِهِمْ إِلَى أَرْضِ الْسَّوَادِ، وَبَعْدَ أَنْ اسْتَتَبَتِ الْأُمُورَ دَعَا لِلثَّوْرَةِ عَلَى الْأُمُويِّينَ فَبَلَّغَ خَبْرَهُ الْخَلِيفَةُ الْأُمُويُّ مِرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ، فَأَخَذَهُ وَحَبَسَهُ مَدَّةَ بَحْرَانَ ثُمَّ قَتَلَهُ غِيلَةً، فَبِوَيْعِ أَخُوهُ أَبُو الْعَبَّاسِ. وَحِينَئِذٍ بَلَّغَ خَبْرَ مَقْتَلِهِ حَزْنَ عَلَيْهِ بَنُو الْعَبَّاسِ وَقَرَّرَ أَقَارِبُهُ وَعَشِيرَتُهُ لَبَسَ السَّوَادَ حُزْنًا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا لَبَسُوهُ فَصَارَ شِعَارًا لَهُمْ.

^١ بردعة.

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا سَلَفَ مِنَ السِّنِينَ، كَيْفِيَّةَ اسْتِفْلَالِ أَبِي مُسْلِمٍ بِأُمُورِ خُرَاسَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَنَشْرِهِ دَعْوَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ.

وَقَدْ كَانَ ذَا هَيْبَةٍ وَصِرَامَةٍ وَإِقْدَامٍ وَتَسْرِعٍ؛ قَامَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: مَا هَذَا السَّوَادُ الَّذِي أَرَى عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ». وَهَذِهِ ثِيَابُ الْهَيْبَةِ، وَثِيَابُ الدَّوْلَةِ. يَا غُلَامُ، اضْرِبْ عُنُقَهُ.

وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونِ الصَّائِعِ^١ مِنْ أَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ فِي زَمَنِ الدَّعْوَةِ^٢، وَكَانَ يَعِدُّهُ إِذَا ظَهَرَ أَنْ يُقِيمَ الْحُدُودَ وَالْعُدْلَ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ أَبُو مُسْلِمٍ مَا زَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ يُلِحُّ عَلَيْهِ فِي الْقِيَامِ بِمَا وَعَدَهُ بِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُ، فَضْرَبَ عُنُقَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَهُ: هَلَّا كُنْتَ تُنْكِرُ عَلَيَّ نَصْرَ بَنِي سَيَّارٍ وَهُوَ يَعْمَلُ أَوَائِي الْخُمْرِ مِنَ الذَّهَبِ فَيَبْعُثُهَا إِلَى بَنِي أُمَيَّةٍ؟! فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَوْلَيْكَ لَمْ يَعْدُونِي مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَا وَعَدْتَنِي أَنْتَ. وَقَدْ رَأَى بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ لِإِبْرَاهِيمَ مَنَازِلَ عَالِيَةً فِي الْجَنَّةِ؛ بِصَبْرِهِ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

^١ إبراهيم بن ميمون الصائغ المروزي: أحد الرواة وهو صدوق حسن الحديث، أصبهاني انتقل إلى خراسان، وكان إبراهيم فقيهاً فاضلاً من الأمايرين بالمعروف والمواظبين على الورع الموصوف مع الفقه في الدين والعبادة الدائمة، قتله أبو مسلم مظلوماً شهيداً.

^٢ الدعوة لبني العباس.

وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا اعْتَمَدَهُ أَبُو مُسْلِمٍ فِي أَيَّامِ السَّقَّاحِ مِنَ الطَّاعَةِ الْأَكِيدَةِ لَهُ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى أَوَامِرِهِ، وَامْتِنَالِ مَرَايِسِيهِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ الْأَمْرُ إِلَى الْمَنْصُورِ اسْتَحَفَّ بِهِ وَاحْتَقَرَهُ، وَمَعَ هَذَا كَسَرَ عَمَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ حِينَ دَعَا إِلَى نَفْسِهِ بِالشَّامِ، فَاسْتَقْدَمَهَا مِنْهُ وَرَدَّهَا إِلَى حُكْمِ الْمَنْصُورِ، ثُمَّ شَمَحَتْ نَفْسُهُ عَلَى الْمَنْصُورِ، وَهَمَّ بِقَلْعِهِ، فَفَطِنَ لِذَلِكَ الْمَنْصُورُ مَعَ مَا كَانَ مُبْطِنًا لَهُ مِنَ الْبُغْضَةِ، وَقَدْ سَأَلَ أَحَاهُ السَّقَّاحَ غَيْرَ مَرَّةٍ أَنْ يُقْتَلَهُ فَيَصْدِفُ عَنْ ذَلِكَ، وَذَكَرْنَا أَيْضًا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي مُسْلِمٍ وَالْمَنْصُورِ مِنَ الْمُرَاسَلَاتِ وَالْمُكَاتَبَاتِ، حِينَ اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْمَنْصُورُ وَاهْتَمَّهُ بِسُوءِ النِّيَّةِ، وَمَا زَالَ يُرَاسِلُهُ وَيَسْتَدْعِيهِ وَيَحْدَعُهُ وَمُكَايَرُهُ حَتَّى اسْتَحْضَرَهُ فَقَتَلَهُ، كَمَا قَدَّمْنَا بَيَانَهُ.

وَلَمْ يَزَلِ الْمَنْصُورُ يُرَاسِلُهُ تَارَةً بِالرَّغْبَةِ وَتَارَةً بِالرَّهْبَةِ، وَيَسْتَحِفُّ أَحْلَامَ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالرُّسُلِ الَّذِينَ يَبْعَثُ بِهِمْ أَبُو مُسْلِمٍ، حَتَّى حَسَنُوا لَهُ فِي رَأْيِهِ الْقُدُومَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ، سِوَى أَمِيرٍ مَعَهُ يُقَالُ لَهُ نَيْرُكُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُوَافِقْ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو مُسْلِمٍ قَدْ انْصَاعَ مَعَهُمْ قَالَ:

مَا لِلرِّجَالِ مَعَ الْقَضَاءِ مَحَالَّةٌ ذَهَبَ الْقَضَاءُ بِحِيلَةِ الْأَقْوَامِ

وَأَشَارَ عَلَيْهِ، كَمَا تَقَدَّمَ، بِأَنْ يَبْدُرَ إِلَى قَتْلِ الْخَلِيفَةِ إِنْ أَمَكَّنَهُ، فَمَا أَمَكَّنَهُ كَمَا تَقَدَّمَ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبُو مُسْلِمٍ لَمَّا قَدِمَ الْمَدَائِنَ تَلَقَّاهُ الْأَمْرَاءُ عَنْ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ، فَمَا وَصَلَ إِلَّا آخِرَ النَّهَارِ، وَقَدْ أَشَارَ أَبُو أَيُّوبَ كَاتِبُ الرِّسَائِلِ عَلَى الْخَلِيفَةِ إِلَّا يُقْتَلَهُ يَوْمَهُ هَذَا، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ أَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ، وَأَظْهَرَ

احترامه، وقال: أذهب الليلة فأذهب عنك وعشاء السفر، ثم اتيتني من الغد. فلما كان الغد أُرصد له من الأمراء من يقتله، منهم: عثمان بن هبيرة، وشبيب بن واخ، وأرسل إليه رسلاً تترى ليقدّم عليه، ويقال: بل أقام أياماً يظهر له أبو جعفر الإكرام والاحترام، ثم بدا له منه الوحشة، فخاف أبو مسلم، واستشفع بعيسى بن موسى، وقال: إني أخافه على نفسي. فقال: لا بأس عليك، فانطلق فأنا آت وراءك، وأنت في ذمتي حتى آتيك، ولم يكن مع عيسى بن موسى خبر بما يريد به الخليفة؛ فجاء أبو مسلم يستأذن على الخليفة، فقالوا له: اجلس ههنا؛ فإن أمير المؤمنين يتوضأ. فجلس وهو يود أن يطول مجلسه ليحيى عيسى بن موسى فأبطأ، وأذن له الخليفة فدخل عليه، فجعل يعائنه في أشياء صدرت منه، فيعتذر عنها جيداً، حتى قال له: فلم قتلت سليمان بن كثير، وفلاناً وفلاناً؟ قال: لأنهم عصوني وحالفوا أمري. فعضب عند ذلك المنصور، وقال: ويحك! أنت تقتل إذا عصيت، وأنا لا أقتلك وقد عصيتني؟! وصفق بيديه، وكانت الإشارة بينه وبين أولئك المرصدين لقتله، فتبادروا إليه ليقتلوه، فضربه أحداهم فقطع حمائل سيفه، فقال: يا أمير المؤمنين، استبقني لأعدائك. فقال: وأي عدو أعدى لي منك؟ ثم زجرهم المنصور، فقطعوه قطعاً قطعاً، ولقوه في عباءة، ودخل عيسى بن موسى على إثر ذلك، فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا

أَبُو مُسْلِمٍ. فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: أَحْمَدُ اللَّهِ؛ فَإِنَّكَ هَجَمْتَ عَلَيَّ نِعْمَةً، وَلَمْ تَهْجُمْ عَلَيَّ نِقْمَةً. فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو دُلَامَةَ¹:

أَبَا مُسْلِمٍ مَا غَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَةً عَلَى عَبْدِهِ حَتَّى يُغَيِّرَهَا الْعَبْدُ
أَبَا مُسْلِمٍ حَوْفَنِي الْقَتْلَ فَاثْتَحَى عَلَيْكَ بِمَا حَوْفَنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ

وَدَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمَنْصُورَ تَقَدَّمَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ هَيْبِ بْنِ وَاجٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ حَرْبِ بْنِ قَيْسٍ وَآخَرَ مِنَ الْحَرَسِ أَنْ يَكُونُوا قَرِيبًا مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ، وَحَاطَبُهُ وَضَرَبَ بِأُحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى فَلْيَقْتُلُوهُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو مُسْلِمٍ عَلَى الْمَنْصُورِ قَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ السَّيْفَانِ اللَّذَانِ أَصَبْتَهُمَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ؟ فَقَالَ: هَذَا أَحَدُهُمَا. قَالَ: أَرْنِيهِ. فَنَاوَلَهُ السَّيْفَ، فَوَضَعَهُ الْمَنْصُورُ تَحْتَ رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ أَنْ كَتَبْتَ إِلَيَّ أَبِي الْعَبَّاسِ - يَعْنِي السَّفَّاحَ - تَنْهَاهُ عَنِ الْمَوَاتِ، أَرَدْتَ أَنْ تُعَلِّمَنَا الدِّينَ؟! قَالَ: إِنَّنِي ظَنَنْتُ أَنْ أَحْذَهُ لَا يَحِلُّ، فَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُهُ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مَعْدُنُ الْعِلْمِ. قَالَ: فَلِمَ تَقَدَّمْتَ عَلَيَّ فِي طَرِيقِ الْحَجِّ؟ قَالَ: كَرِهْتُ اجْتِمَاعَنَا عَلَى الْمَاءِ، فَيَضُرُّ ذَلِكَ بِالنَّاسِ، فَتَقَدَّمْتُ التَّمَّاسَ الرَّفِيقَ. قَالَ: فَلِمَ

¹ أبو دُلَامَةَ زَنْدُ بْنُ الْجَوْنِ الْأَسَدِي: شَاعِرٌ سَاخِرٌ عَاشَ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، وَكَانَ عَبْدًا لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الرَّقَّةِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَأَعْتَقَهُ فِي مَا بَعْدَ، وَهُوَ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ الْمَعَاصِرِينَ لِخُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ الثَّلَاثَةَ الْأَوَائِلِ وَهُمْ: السَّفَّاحُ وَالْمَنْصُورُ وَالْمَهْدِيُّ، بَلْ يَعْتَبَرُ شَاعِرَهُمْ وَنَدْبَهُمُ الْخَاصَّ، وَكَانَ أَبُو دُلَامَةَ فَكِيهًا مَرَحًا حَسَنَ الْحَدِيثِ مَتَّعَ الرَّوَايَةَ.

لَا رَجَعْتَ إِلَيَّ حِينَ أَتَاكَ خَبْرُ مَوْتِ أَبِي الْعَبَّاسِ؟ قَالَ: كَرِهْتُ التَّضْيِيقَ عَلَى النَّاسِ، وَعَرَفْتُ أَنَّاجْتَمِعَ بِالْكُوفَةِ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنِّي خِلَافٌ. قَالَ: فَجَارِيَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ أَرَدَتْ أَنْ تَتَّخِذَهَا لِنَفْسِكَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي خِفْتُ أَنْ تَضِيعَ فَحَمَلْتُهَا فِي قُبَّةٍ، وَوَكَّلْتُ بِهَا مَنْ يَحْفَظُهَا. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَلَسْتَ الْكَاتِبَ إِلَيَّ تَبْدَأُ بِنَفْسِكَ، وَالْكَاتِبَ إِلَيَّ تَحْطُبُ أُمَيَّةَ بِنْتِ عَلِيٍّ، وَتَزْعُمُ أَنَّ ابْنَ سَلِيطِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ؟! هَذَا كُلُّهُ وَيَدُ الْمَنْصُورِ فِي يَدِهِ يَعْرِكُهَا وَيُقْبِلُهَا وَيَعْتَدِرُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى مُرَاعَمَتِي وَدُخُولِكَ إِلَى خُرَّاسَانَ؟ قَالَ: خِفْتُ أَنْ يَكُونَ دَخَلَكَ مِنِّي شَيْءٌ، فَقُلْتُ: آتِي خُرَّاسَانَ، وَأَكْتُبْ إِلَيْكَ بَعْدَرِي. قَالَ: فَلَمَ قَتَلْتَ سُلَيْمَانَ بْنَ كَثِيرٍ¹ وَكَانَ مِنْ نُقَبَائِنَا وَدُعَاتِنَا قَبْلَكَ؟ قَالَ: أَرَادَ خِلَافِي. فَقَالَ: وَيْحَكَ! وَأَنْتَ أَرَدْتَ خِلَافِي وَعَصَيْتَنِي، قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ. ثُمَّ ضَرَبَهُ بِعَمُودِ الْحَيْمَةِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ أُوَلَيْكَ، فَضَرَبَهُ عُثْمَانُ فَقَطَعَ حَمَائِلَ سَيْفِهِ، وَضَرَبَهُ شَيْبُ فَقَطَعَ رِجْلَهُ، وَاعْتَوَرَهُ بِقَيْتِهِمْ، وَالْمَنْصُورُ يَصِيحُ:

¹ سليمان بن كثير الخزازي: كان نقيباً موالياً لبني العباس في خراسان. عندما تولى أبو مسلم الخراساني إمارة خراسان تسلط على سليمان، وكان أبو مسلم تابعاً له أيام الدعوة لبني العباس. فشكى لأبي جعفر المنصور حين قدم إلى خراسان موفداً من قبل أخيه أبي العباس السفاح، فقام أبو مسلم بضرب عنقه بحجة اتصاله بالعلويين لقلب الحكم، وكان هذا أحد أسباب إقدام المنصور على قتل أبي مسلم.

وَيَحْكُمُ! اضْرِبُوا، فَطَعَ اللَّهُ أَيْدِيَكُمْ. ثُمَّ دَبَّحُوهُ وَقَطَّعُوهُ قِطْعًا قِطْعًا، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي دِجْلَةٍ.

وَيُرَوَى أَنَّ الْمَنْصُورَ لَمَّا قَتَلَ أَبَا مُسْلِمٍ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا مُسْلِمٍ، بَايَعْتَنَا وَبَايَعْنَاكَ، وَعَاهَدْتَنَا وَعَاهَدْنَاكَ، وَوَفَّيْتَ لَنَا وَوَفَّيْنَا لَكَ، وَإِنَّا بَايَعْنَاكَ عَلَى أَلَّا يَخْرُجَ عَلَيْنَا أَحَدٌ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ إِلَّا قَتَلْنَا، فَخَرَجْتَ عَلَيْنَا فَقَتَلْنَاكَ، وَحَكَمْنَا عَلَيْكَ حُكْمَكَ عَلَى نَفْسِكَ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَانِي يَوْمَكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ.

وَقَدْ حَطَبَ الْمَنْصُورُ النَّاسَ بَعْدَ قَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تُنْفِرُوا أَطْرَافَ الرَّعْمَةِ بِقِلَّةِ الشُّكْرِ، فَتَحِلَّ بِكُمْ الرَّقْمَةُ، وَلَا تُسْرِوَا غِشَّ الْأَيْمَةِ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يُسِرُّ مِنْكُمْ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَاتٍ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ، وَطَوَالِعِ نَظْرِهِ، وَإِنَّا لَنْ نَجْهَلَ حُفُوقَكُمْ مَا عَرَفْتُمْ حَقَّنَا، وَلَا نَنْسَى الْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ مَا دَكَّرْتُمْ فَضْلَنَا، وَمَنْ نَارَعَنَا هَذَا الْقَمِيصَ أَوْطَانًا أَمْ رَأْسِهِ حَيَّءَ هَذَا الْغَمْدِ، وَإِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ بَايَعَ عَلَى أَنَّهُ مَنْ نَكَثَ بَيْعَتَنَا وَأَظْهَرَ غِشَّنَا لَنَا فَقَدْ أَبَاحَنَا دَمَهُ، وَنَكَثَ، وَغَدَرَ، وَفَجَرَ، وَكَفَرَ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لِأَنفُسِنَا حُكْمَهُ عَلَى غَيْرِهِ لَنَا، وَإِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ أَحْسَنَ مُبْتَدئًا وَأَسَاءَ مُعَقِّبًا، وَأَخَذَ مِنَ النَّاسِ بِنَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَانَا، وَرَجَحَ قَبِيحَ بَاطِنِهِ عَلَى حُسْنِ ظَاهِرِهِ، وَعَلِمْنَا مِنْ حُبِّهِ سَرِيرَتَهُ وَفَسَادِ نَيْتِهِ مَا لَوْ عَلِمَ اللَّائِمُ لَنَا فِيهِ لَعَدَرْنَا فِي قَتْلِهِ وَعَنَفْنَا فِي إِمِهَالِهِ، وَمَا زَالَ يَنْفُضُ بَيْعَتَهُ وَيَخْفِرُ ذِمَّتَهُ حَتَّى أَحَلَّ لَنَا عُقُوبَتَهُ، وَأَبَاحَنَا دَمَهُ، فَحَكَمْنَا فِيهِ

حُكْمَهُ فِي غَيْرِهِ، وَلَمْ يَمْنَعْنَا الْحَقُّ لَهُ مِنْ إِمْضَاءِ الْحَقِّ فِيهِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ
النَّابِغَةُ الدُّبَيَانِيُّ لِلنُّعْمَانِ - يَعْنِي ابْنَ الْمُنْدَرِ:

فَمَنْ أَطَاعَكَ فَانْفَعَهُ بِطَاعَتِهِ كَمَا أَطَاعَكَ وَادَّلَهُ عَلَى الرَّشْدِ
وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبَهُ مُعَاقِبَةً تَنْهَى الظُّلْمَ وَلَا تَقْعُدُ عَلَى ضَمَدٍ

وَقَدْ سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارِكِ^١ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ: أَكَانَ حَيْرًا أَمْ الْحَجَّاجُ؟ فَقَالَ:
لَا أَقُولُ إِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ كَانَ حَيْرًا مِنْ أَحَدٍ، وَلَكِنْ كَانَ الْحَجَّاجُ شَرًّا مِنْهُ.

وَقَدِ اتَّهَمَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَرَمَوْهُ بِالزُّنْدَقَةِ، وَلَمْ أَرْ فِيهَا ذِكْرَهُ مَا يَدُلُّ
عَلَى ذَلِكَ، بَلْ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يَخَافُ اللَّهَ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَقَدْ ادَّعَى التَّوْبَةَ مِمَّا
كَانَ سَفَكَ مِنَ الدِّمَاءِ فِي إِقَامَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَمْرِهِ.

وَقَدْ رَوَى الْخَطِيبُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ارْتَدَيْتُ الصَّبْرَ، وَاتَّزْتُ الْكِتْمَانَ، وَحَالَفْتُ
الْأَحْزَانَ وَالْأَشْجَانَ، وَسَاحَحْتُ الْمَقَادِيرَ وَالْأَحْكَامَ حَتَّى بَلَغْتُ غَايَةَ هَمِّي،
وَأَدْرَكْتُ نَهَايَةَ بُغْيَتِي. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

قَدْ نَلْتُ بِالْحَرْمِ وَالْكِتْمَانَ مَا عَجَزْتُ عَنْهُ مُلُوكُ بَنِي مَرْوَانَ إِذْ حَشَدُوا
مَا زِلْتُ أَضْرِبُهُمْ بِالسَّيْفِ فَانْتَبَهُوا مِنْ رَفْدَةٍ لَمْ يَنْمَهَا قَبْلَهُمْ أَحَدٌ
طَفِئَتْ أَسْعَى عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ وَالْقَوْمُ فِي مُلْكِهِمْ بِالسَّامِ قَدْ رَفَدُوا

^١ عبد الله بن المبارك المروزي (١١٨ - ١٨١ هـ): عالم وإمام مجاهد مجتهد في شتى العلوم الدينية والدينية.

وَمَنْ رَعَى غَنَمًا فِي أَرْضٍ مَسْبُوعَةٍ وَنَامَ عَنْهَا تَوَلَّى رَعِيهَا الْأَسَدُ
وَقَدْ كَانَ قَتَلَهُ بِالْمَدَائِنِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِسَبْعِ حُلُونَ مِنْ شُعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.
أَعْنِي سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ شَرَعَ فِي تَأْلِيفِ أَصْحَابِ أَبِي مُسْلِمٍ بِالْأَعْطِيَةِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ،
وَاسْتَدْعَى أَبَا إِسْحَاقَ^١، وَكَانَ مِنْ أَعَزِّ أَصْحَابِ أَبِي مُسْلِمٍ عِنْدَهُ، وَكَانَ عَلَى
شُرْطَتِهِ، وَهَمَّ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهِ مَا أَمِنْتُ قَطُّ إِلَّا فِي
هَذَا الْيَوْمِ، وَمَا مِنْ مَرَّةٍ كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا تَحَنَّنْتُ وَلَبِسْتُ أَكْفَانِي. ثُمَّ
كَشَفَ عَنْ ثِيَابِهِ الَّتِي تَلِي جَسَدَهُ فَإِذَا هُوَ مُحَنَّطٌ، وَعَلَيْهِ أَدْرَاعٌ أَكْفَانٍ، فَرَقَّ
لَهُ الْمَنْصُورُ، وَأَطْلَقَهُ.

وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ قَتَلَ فِي حُرُوبِهِ وَمَا كَانَ يَتَعَاطَاهُ لِأَجْلِ دَوْلَةِ بَنِي
الْعَبَّاسِ، سِتِّمِائَةَ أَلْفٍ صَبْرًا^٢. وَقَدْ قَالَ لِلْمَنْصُورِ وَهُوَ يُعَاتِبُهُ عَلَى مَا كَانَ
يَصْنَعُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يُقَالُ لِي مِثْلُ هَذَا بَعْدَ بِلَائِي وَمَا كَانَ مِنِّي.
فَقَالَ: يَا بَنَ الْحَيْثِيَّةِ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ أُمَّةٌ مَكَانَكَ لِأَجْزَأْتُ عَنْكَ، إِنَّمَا عَمِلْتَ
مَا عَمِلْتَ فِي دَوْلَتِنَا وَبِرِحِنَا، لَوْ كَانَ ذَلِكَ إِلَيْكَ لَمَا قَطَعْتَ فِتْيَالًا.

^١ أبو إسحاق رئيس حرس أبي مسلم.

^٢ قتله صبرًا: حبسه حتى مات.

وَلَمَّا قَتَلَهُ الْمَنْصُورُ لُفَّ فِي كِسَاءٍ وَهُوَ مُقَطَّعٌ إِرْبًا إِرْبًا، فَدَخَلَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى الَّذِي كَانَ وَعْدَهُ أَنْ يَلْحَقَهُ لِيَشْفَعَ فِيهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْنَ أَبُو مُسْلِمٍ؟ قَالَ: قَدْ كَانَ هَهُنَا آيَفًا. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ عَرَفْتَ طَاعَتَهُ وَنَصِيحَتَهُ وَرَأْيَ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ فِيهِ! فَقَالَ لَهُ: يَا أَنْوَكُ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ عَدُوًّا أَعْدَى لَكَ مِنْهُ، هَا هُوَ ذَاكَ فِي الْبَسَاطِ. فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: حَلَعَ اللَّهُ قَلْبَكَ! وَهَلْ كَانَ لَكُمْ مُلْكٌ أَوْ سُلْطَانٌ أَوْ أَمْرٌ أَوْ هَيَّيْ مَعَ أَبِي مُسْلِمٍ؟

ثُمَّ اسْتَدْعَى الْمَنْصُورُ بَرْدُوسَ الْأَمْرَاءِ، فَجَعَلَ يَسْتَشِيرُهُمْ فِي قَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِقَتْلِهِ، فَكُلُّهُمْ يُشِيرُ بِقَتْلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا تَكَلَّمَ أَسَرَ كَلَامَهُ لِقَلًّا يُنْقَلُ عَنْهُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ، فَلَمَّا أَطْلَعَهُمُ الْخَلِيفَةُ عَلَى قَتْلِهِ أَفْرَحَهُمْ ذَلِكَ، وَأَظْهَرُوا سُورًا كَثِيرًا، ثُمَّ حَطَبَ الْمَنْصُورُ النَّاسَ عَامَةً بِذَلِكَ كَمَا قَدَّمْنَا.

ثُمَّ كَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى نَائِبِ أَبِي مُسْلِمٍ عَلَى أَمْوَالِهِ وَحَوَاصِلِهِ بِكِتَابٍ عَلَى لِسَانِ أَبِي مُسْلِمٍ، وَحَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ أَبِي مُسْلِمٍ، أَنْ يَقْدَمَ بِجَمِيعِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحَوَاصِلِ وَالْأَمْوَالِ، فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى نَائِبِهِ وَعَلَيْهِ الْخَاتَمُ بِكَمَالِهِ مَطْبُوعًا اسْتَرَابَ فِي الْأَمْرِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ: إِنِّي إِذَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي، فَإِنَّمَا أَحْتَمُ بِنِصْفِ الْفِصِّ عَلَى الْكِتَابِ، فَإِذَا جَاءَكَ الْخَاتَمُ بِكَمَالِهِ فَلَا تَقْبَلْ. فَأَمْتَنَعَ نَائِبُهُ مِنْ قَبُولِ ذَلِكَ الْكِتَابِ وَالْإِنْفِيَادِ لَهُ، فَأَرْسَلَ الْمَنْصُورُ إِلَيْهِ مَنْ قَبَضَهُ لَهُ، وَقَتَلَ ذَلِكَ الرَّجُلَ.

وَكَتَبَ الْمَنْصُورُ إِلَى أَبِي دَاوُدَ خَالِدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ^١ بِإِمْرَةٍ خُرَّاسَانَ كَمَا وَعَدَهُ قَبْلَ ذَلِكَ عِوَضًا عَنْ أَبِي مُسْلِمِ الْخُرَّاسَانِيِّ. وَلِلَّهِ الْأَمْرُ.

ثورة سنباد

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ حَرَجَ سِنْبَادُ^٢ يَطْلُبُ بَدَمَ أَبِي مُسْلِمِ الْخُرَّاسَانِيِّ، وَقَدْ كَانَ سِنْبَادُ هَذَا مَجُوسِيًّا تَعَلَّبَ عَلَى قُومِ مَسْوَءٍ وَأَصْبَهَانَ وَالرَّيِّ، وَتُسَمَّى بِفَيْرُوزَ أَصْبَهَبَدَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ جَيْشًا هُمْ عَشْرَةُ آلَافٍ فَارِسٍ عَلَيْهِمْ جَهُورُ بْنُ مَرَّارِ الْعِجْلِيِّ، فَالْتَقَوْا بَيْنَ هَمْدَانَ وَالرَّيِّ عَلَى طَرْفِ الْمَقَارَةِ، فَهَزَمَ

^١ خالد بن إبراهيم الذهلي (ت ١٤٠ هـ): قائد عسكري خدم في الخلافة العباسية، تولى ولاية خراسان بأمر من الخليفة أبي جعفر المنصور، وذلك على إثر مقتل أبي مسلم الخراساني وبقي يتولى منصب الولاية حتى ثار عليه الجند ليلاً، وهو نازل بباب كشماهن من مدينة مرو، حتى وصلوا إلى المنزل الذي هو فيه، فأشرف أبو داود من الحائط على حرف آجرة خارجة، وجعل ينادي أصحابه ليعرفوا صوته، فانكسرت الآجرة عند الصباح، فوقع على سترة صفة كانت بمقابل السطح فانكسر ظهره، فمات عند صلاة العصر.

^٢ سنباد مجوسي كانت تربطه بأبي مسلم صحبة قديمة وله في عنقه حق صداقة وخدمة سالفتين فأبو مسلم هو الذي قربه ورفاه إلى درجة قائد جيش فما كان من سنباد بعد قتل أبي مسلم إلا أن أعلن تمرده وخروجه وتقدم بجيش من نيسابور إلى الري. وأخذ يدعو مجوس الري وطبرستان لأن نصف أهل قوهستان والعراق كانوا رافضة ومزدكية وأراد أن يظهر الدعوة فعمد أولاً إلى قتل عامل المنصور على الري واستولى على الخزان التي كان وضعها أبو مسلم هناك ولما قوي أمره خرج يطلب دم أبي مسلم مدعياً أنه رسوله إلى أهل العراق وخراسان.

جَهْوَرٌ سِنْبَادٌ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ سِتِّينَ أَلْفًا، وَسَبَى ذَرَارِيَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ، وَقُتِلَ سِنْبَادٌ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَانَتْ أَيَّامُهُ سَبْعِينَ يَوْمًا. وَأَخَذَ مَا كَانَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ أَبِي مُسْلِمٍ الَّتِي كَانَتْ بِالرَّيِّ.

ثورة مُلَبَّد

وَحَرَجَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مُلَبَّدٌ^١. فِي أَلْفٍ مِنَ الْخَوَارِجِ بِالْجَزِيرَةِ، فَجَهَزَ لَهُ الْمَنْصُورُ جُيُوشًا مُتَعَدِّدَةً كَثِيفَةً، فَكُلُّهَا تَنَفَّرَ مِنْ مُلَبَّدٍ، ثُمَّ قَاتَلَهُ حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ نَائِبُ الْجَزِيرَةِ فَهَزَمَهُ مُلَبَّدٌ، وَتَحَصَّنَ مِنْهُ حُمَيْدٌ فِي بَعْضِ الْخُصُونِ، ثُمَّ صَالَحَهُ حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، وَقَبِلَهَا مُلَبَّدٌ، وَأَنْقَلَعَ عَنْهُ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا دَخَلَ فُسْطَنْطِينُ مَلِكُ الرُّومِ مَلْطِيَةَ عَنَوَةَ، فَهَدَمَ سُورَهَا، وَعَقَا عَمَّنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْ مُقَاتِلَيْهَا.

^١ ملبد بن حرملة الشيباني: ثار ناحية الجزيرة ومعه ألف فارس، أرسل له الخليفة أبو جعفر المنصور عدة جيوش فشلت جميعها في إخماد ثورته، فكان أن وجه إليه جيشاً بقيادة خازم بن خزيمه التميمي في ثمانية آلاف فارس، فثبت ملبد لهم حتى كاد يهزمهم، إلى أن تمكنوا من قتله بالنبال، وقُتل جمع كبير من صحبه.

وَفِيهَا غَزَا الصَّائِفَةَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ نَائِبُ مِصْرَ، فَبَنَى مَا كَانَ هَدَمَهُ مَلِكُ الرُّومِ مِنْ سُورِ مَلْطِيَّةَ، وَأَطْلَقَ لِأَخِيهِ عَيْسَى بْنِ عَلِيٍّ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَذَلِكَ أَعْطَى لِابْنِ أَخِيهِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

وَفِيهَا بَايَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ الَّذِي فَتَحَ دِمَشْقَ ثُمَّ كَسَرَهُ أَبُو مُسْلِمٍ كَمَا تَقَدَّمَ وَأَهْزَمَ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَاسْتَجَارَ بِأَخِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ، حَتَّى بَايَعَ لِلْخَلِيفَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَرَجَعَ إِلَى طَاعَتِهِ، وَلَكِنْ حُسِنَ فِي سِجْنِ بَغْدَادَ، كَمَا سَيَأْتِي.

ثورة جهور بن مَرَّارِ الْعِجْلِيِّ

وَفِيهَا خَلَعَ جَهْوَرُ بْنُ مَرَّارِ الْعِجْلِيُّ^١ الْخَلِيفَةَ الْمَنْصُورَ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا كَسَرَ سِنْبَادَ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى حَوَاصِلِهِ وَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ أَمْوَالِ أَبِي مُسْلِمٍ، فَقَوَّيْتُ نَفْسَهُ بِذَلِكَ، وَظَنَّ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى مُنَابَذَةِ الْخَلِيفَةِ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ الْخَزَاعِيَّ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَأَقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا،

^١ جهور بن مَرَّارِ الْعِجْلِيِّ: قائد شجاع موالٍ لبني العباس. أرسله أبو جعفر المنصور لقتال سنباد الجوسي فتغلب عليه في معركة كانت بين همدان والري. لكنه اعتبر ما غنمه في المعركة فيئاً، فوزعه على المقاتلين، ولم يرسل منه شيئاً للخليفة، فطلبه الخليفة، وامتنع جهور عن طاعته، فأرسل إليه الخليفة جيشاً بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي، وأيده بجيش يقوده عمر بن حفص المهلبي، والتقت الجموع بين الري وأصفهان، وكانت الغلبة لجيش الخليفة، فانسحب جهور، واعتصم بأذربيجان، فقتله من بقي معه تخلصاً من الفتنة وأرسلوا رأسه للمنصور.

فَهَزِمَ جَهْوَرًا، وَقُتِلَ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ، وَأُخِذَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ، ثُمَّ لَحِقُوهُ فَقَتَلُوهُ.

وَفِيهَا قُتِلَ الْمُؤَلَّبُ الْحَارِجِيُّ عَلَى يَدَيْ حَازِمِ بْنِ حُزَيْمَةَ فِي ثَمَانِيَةِ آلَافٍ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْمُؤَلَّبِ مَا يَزِيدُ عَلَى الْأَلْفِ، وَأَهْزَمَ بِقَيْتُهُمْ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

خِلاَفَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِيلِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ

وَفِيهَا كَانَتْ خِلاَفَةُ الدَّخِيلِ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْهَشَامِيِّ، كَانَ قَدْ دَخَلَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ فَاجْتَازَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِقَوْمٍ يَقْتَتِلُونَ عَلَى عَصَبِيَّةِ الْيَمَانِيَّةِ وَالْمُضَرِّيَّةِ، فَبَعَثَ مَوْلَاهُ بَدْرًا إِلَيْهِمْ فَاسْتَمَاهُمْ إِلَيْهِ، فَبَايَعُوهُ وَدَخَلَ بِهِمْ، فَفَتَحَ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا، وَأَنْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ نَائِبِهَا يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعِ الْفَهْرِيِّ وَقَتَلَهُ، وَسَكَنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قُرْطُبَةَ، وَاسْتَمَرَ فِي خِلاَفَتِهِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ - إِلَى سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ فَتُوِّبِيَ فِيهَا، وَلَهُ فِي الْمُلْكِ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَأَشْهُرًا.

ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ هِشَامٌ سِتَّ سِنِينَ وَأَشْهُرًا ثُمَّ مَاتَ، فَوَلِيَ وَلَدُهُ الْحَكَمُ بْنُ هِشَامِ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَشْهُرًا، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ سِتًّا وَعِشْرِينَ

سَنَةً، ثُمَّ ابْنُهُ الْمُنْدِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ ابْنُ ابْنِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْدِرِ. وَكَانَتْ أَيَّامُهُ بَعْدَ الثَّلَاثِمِائَةِ بِدَهْرٍ، ثُمَّ زَالَتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ كَمَا سَنَدُكُرُّ.

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّكُمْ أَحْلَامٌ^١

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ تَسَعٌ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا أَكْمَلَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ بِنَاءَ مَلْطِيَّةٍ، ثُمَّ غَزَا الصَّائِفَةَ عَلَى طَرِيقِ الْحَدَثِ، فَوَغَلَ فِي بِلَادِ الرُّومِ، وَغَزَا مَعَهُ أُخْتَاهُ أُمُّ عَيْسَى وَوَلْبَابَةُ ابْنَتَا عَلِيٍّ، وَكَانَتَا نَذْرَتَا إِنْ زَالَ مُلْكُ بَنِي أُمَيَّةَ أَنْ يُجَاهِدَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَفِيهَا كَانَ الْفِدَاءُ الَّذِي حَصَلَ بَيْنَ الْمَنْصُورِ وَمَلِكِ الرُّومِ، فَاسْتَنْقَذَ بَعْضَ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ صَائِفَةٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ، وَذَلِكَ لِاسْتِعْجَالِ الْمَنْصُورِ بِأَمْرِ ابْنَيْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، كَمَا سَنَدُكُرُّ.

سنة الخصب وتوسعة المنصور المسجد الحرام

وَفِيهَا وَسَّعَ الْمَنْصُورُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَكَانَتْ هَذِهِ السَّنَةُ خِصْبَةً، فَكَانَ يُقَالُ هَا: سَنَةُ الْخِصْبِ.

^١ من قصيدة لأبي تمام.

وَفِيهَا عَزَلَ الْمَنْصُورُ عَمَّهُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ عَنِ إِمْرَةِ الْبَصْرَةِ، فَاحْتَفَى عَبْدُ اللَّهِ
بْنُ عَلِيٍّ وَأَصْحَابُهُ حَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَبَعَثَ الْمَنْصُورُ إِلَى نَائِبِهِ عَلَى الْبَصْرَةِ،
وَهُوَ سُفْيَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، يَسْتَحِثُّهُ فِي إِحْضَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَيْهِ، فَبَعَثَهُ فِي
أَصْحَابِهِ، فَقَتَلَ بَعْضَهُمْ، وَسَجَنَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ، وَبَعَثَ بَقِيَّةَ أَصْحَابِهِ إِلَى
أَبِي دَاوُدَ نَائِبِ خُرَاسَانَ، فَقَتَلَهُمْ هُنَاكَ.

وفاة أبي داود نائِبِ خُرَاسَانَ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا نَارَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْجُنْدِ عَلَى أَبِي دَاوُدَ نَائِبِ
خُرَاسَانَ، وَحَاصَرُوا دَارَهُ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ يَسْتَعِيثُ بِجُنْدِهِ لِيَحْضُرُوا
إِلَيْهِ، وَاتَّكَأَ عَلَى آجِرَةٍ فِي الْحَائِطِ، فَانْكَسَرَتْ بِهِ، فَسَقَطَ فَانْكَسَرَ ظَهْرُهُ،
فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَخَلَفَهُ عَلَى خُرَاسَانَ عِصَامُ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ، حَتَّى قَدِمَ
الْأَمِيرُ عَلَيْهَا مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ، وَهُوَ عَبْدُ الْجُبَّارِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَزْدِيُّ، فَتَسَلَّمَ
بِلَادَ خُرَاسَانَ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَمْراءِ بِهَا؛ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى
خِلَافَةِ آلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَحَبَسَ آخَرِينَ، وَأَخَذَ نُوَابَ أَبِي دَاوُدَ بِجَبَايَةِ
الْأَمْوَالِ الْمُنْكَسِرَةِ عِنْدَهُمْ.

وَفِيهَا حَجَّ بِالنَّاسِ الْخَلِيفَةُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ؛ أَحْرَمَ فِي الْحَيْرَةِ، وَرَجَعَ بَعْدَ
انْقِضَاءِ الْحَجِّ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَرَارَهُ وَصَلَّى فِيهِ، ثُمَّ
سَلَكَ الشَّامَ إِلَى الرَّقَّةِ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْهَاشِمِيَّةِ؛ هَاشِمِيَّةَ الْكُوفَةِ.

ثورة الرّاونديّة

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا حَرَجَتْ طَائِفَةٌ يُقَالُ لَهُمْ: الرّاونديّة، عَلَى الْمَنْصُورِ.

أَصْلُهُمْ مِنْ حُرَّاسَانَ، وَهُمْ عَلَى رَأْيِ أَبِي مُسْلِمٍ الْحُرَّاسَانِيِّ، كَانُوا يَقُولُونَ بِالنَّاسِخِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ رُوحَ آدَمَ انْتَقَلَتْ إِلَى عَثْمَانَ بْنِ هَيْكٍ، وَأَنَّ رَهْمَ الَّذِي يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، وَأَنَّ الْهَيْثَمَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَبْرِيْلٌ. قَبَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

فَاتَّوَا يَوْمًا قَصْرَ الْمَنْصُورِ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ وَيَقُولُونَ: هَذَا قَصْرُ رَبِّنَا. فَأَرْسَلَ الْمَنْصُورُ إِلَى رُؤَسَائِهِمْ، فَحَبَسَ مِنْهُمْ مِائَتَيْنِ، فَغَضِبُوا مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: عَلَامَ تَحْبِسُهُمْ؟ ثُمَّ عَمَدُوا إِلَى نَعَشٍ، فَحَمَلُوهُ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَاجْتَمَعُوا حَوْلَهُ، كَأَنَّهُمْ يُشَيِّعُونَ جِنَازَةً، فَاجْتَازُوا بِيَابِ السِّجْنِ، فَأَلْقَوْا النَّعَشَ وَدَخَلُوا السِّجْنَ قَهْرًا، وَاسْتَخْرَجُوا مَنْ فِيهِ مِنْ أَصْحَابِهِمْ، وَقَصَدُوا نَحْوَ الْمَنْصُورِ وَهُمْ فِي سِتِّمِائَةٍ، فَتَنَادَى النَّاسُ، وَغَلِقَتْ أَبْوَابُ الْبَلَدِ، وَحَرَجَ الْمَنْصُورُ مِنَ الْقَصْرِ مَا شِئَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَصْرِ دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا، ثُمَّ جِيءَ بِدَابَّةٍ فَرَكَبَهَا وَقَصَدَ نَحْوَ الرّاونديّة، وَجَاءَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَجَاءَ مَعَهُ بَنُ زَائِدَةَ، فَلَمَّا رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرَجَّلَ وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّةِ الْمَنْصُورِ، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ارْجِعْ وَنَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ. فَأَبَى، وَقَامَ أَهْلُ السُّوقِ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلُوهُمْ، وَجَاءَتِ الْجِيُوشُ فَالْتَفُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَحَصَدُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَلَمْ

يَبْقَ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ، وَجَرَحُوا عُثْمَانَ بْنَ هَيْكٍ بِسَهْمٍ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَمُرَضَّ أَيَّامًا ثُمَّ مَاتَ، فَوَلَّى الصَّلَاةَ عَلَيْهِ الخَلِيفَةُ المَنْصُورُ، وَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى دُفِنَ، وَدَعَا لَهُ، وَوَلَّى أَحَاهُ عَيْسَى بْنُ هَيْكٍ عَلَى الحَرَسِ، وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالْمَدِينَةِ الهَاشِمِيَّةِ مِنَ الكُوفَةِ.

وَلَمَّا فَرَغَ المَنْصُورُ مِنْ قِتَالِ الرَّاؤِنْدِيَّةِ ذَلِكَ اليَوْمِ صَلَّى بِالنَّاسِ الطُّهْرَ فِي آخِرِ وَقْتِهَا، ثُمَّ أَتَى بِالطَّعَامِ فَقَالَ: أَيَنْ مَعُنْ بِنُ زَائِدَةَ؟^١ وَأَمْسَكَ عَنِ الطَّعَامِ حَتَّى جَاءَ مَعُنْ، فَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ، ثُمَّ أَحَدَ فِي شُكْرِهِ لِمَنْ بِحَضْرَتِهِ؛ لِمَا رَأَى مِنْ شَهَامَتِهِ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ مَعُنْ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ جِئْتُ وَإِنِّي لَوَجِلٌّ، فَلَمَّا رَأَيْتُ اسْتِهَانَتَكَ بِهَمْ وَإِقْدَامَكَ عَلَيْهِمْ قَوِي قَلْبِي بِذَلِكَ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَحَدًا يَكُونُ فِي الحَرْبِ هَكَذَا، فَذَلِكَ الَّذِي شَجَعَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَأَمَرَ لَهُ المَنْصُورُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ، وَرَضِيَ عَنْهُ، وَوَلَّاهُ اليَمْنَ، وَكَانَ مَعُنْ بِنُ زَائِدَةَ قَبْلَ

^١ معن بن زائدة الشيباني: كوفي، أصله من هيت، مقاتل في عهد الدولة الأموية، كان من أصحاب أمير العراقيين يزيد بن عمر بن هبيرة، فلما تملك آل العباس جدَّ المنصور في طلبه، وجعل لمن يحمله إليه مالاً. فاضطر لشدة الطلب إلى أن تعرَّض للشمس حتى لوحته وجهه، وحُففت عارضه، ولبس جبّة صوف، وركب جملاً، وخرج متوجّهاً إلى البادية ليقبض بها، فاختمت معن مدة، والطلب عليه حثيث، فلما كان يوم خروج الراوندية والخراسانية على المنصور، وحمي القتال، وحرار المنصور في أمره، ظهر معن، ومقاتل الراوندية فكان النصر على يده، وهو مقنع في الحديد، فقال المنصور: من أنت؟ ويحك، فكشف لثامه، وقال: أنا طلبتك معن. فسرَّ به، وقدمه وعظمه، ثم ولاه اليمن وغيرها.

ذَلِكَ مُحْتَفِيًا؛ لِأَنَّهُ قَاتَلَ الْمُسَوِّدَةَ^١ مَعَ ابْنِ هُبَيْرَةَ، فَلَمْ يَظْهَرْ إِلَّا فِي هَذَا الْيَوْمِ. فَلَمَّا رَأَى الْخَلِيفَةَ صِدْقَهُ فِي قِتَالِهِ رَضِيَ عَنْهُ.

وَيُقَالُ: إِنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ: أَحْطَأْتُ فِي ثَلَاثٍ: قَتَلْتُ أَبَا مُسْلِمٍ وَأَنَا فِي جَمَاعَةٍ قَلِيلَةٍ، وَحِينَ حَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ وَلَوْ اخْتَلَفَ سَيْفَانِ بِالْعِرَاقِ لَذَهَبَتِ الْخِلَافَةُ، وَيَوْمَ الرَّاُونِدِيَّةِ لَوْ أَصَابَنِي سَهْمٌ غَزْبٌ لَذَهَبْتُ ضَيَاعًا. وَهَذَا مِنْ حَزْمِهِ وَصَرَامَتِهِ.

عصيان عبد الجبار بن عبد الرحمن في خراسان

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلى الْمَنْصُورُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا الْمَهْدِيَّ - وَلى عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ - بِبِلَادِ خُرَاسَانَ، وَعَزَلَ عَنْهَا عَبْدَ الْجَبَّارِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^٢، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَتَلَ خَلْقًا مِنْ شَيْعَةِ الْخَلِيفَةِ، فَشَكَاهُ الْمَنْصُورُ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ الْخَوْزَمِيِّ كَاتِبِ الرِّسَائِلِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَكْتُبْ إِلَيْهِ لِيُبْعَثَ جَيْشًا مِنْ خُرَاسَانَ لِعَزْوِ الرُّومِ، فَإِذَا حَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ بَعَثْتَ إِلَيْهِ مَنْ شِئْتَ فَأَخْرِجُوهُ مِنْهَا ذَلِيلًا لَيْسَ عِنْدَهُ كَثِيرٌ أَحَدٍ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ بِذَلِكَ، فَرَدَّ الْجَوَابَ بِأَنَّ بِلَادَ خُرَاسَانَ قَدْ عَاثَتْ بِهَا الْأَنْزَاكُ، وَمَتَى حَرَجَ مِنْهَا جَيْشٌ فَسَدَ أَمْرُهَا. فَقَالَ الْمَنْصُورُ لِأَبِي أَيُّوبَ: مَاذَا تَرَى؟ قَالَ: فَأَكْتُبْ إِلَيْهِ بِأَنَّ بِلَادَ خُرَاسَانَ أَحَقُّ بِالْمَدَدِ مِنْ غَيْرِهَا،

^١ المسودة: العباسيين.

^٢ عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي (ت ١٤٢ هـ) ولاة المنصور إمرة خراسان سنة ١٤٠ هـ.

وَقَدْ جَهَّزْتُ إِلَيْكَ بِالْجُنُودِ، فَأَجَابَ بَأَنَّ بِلَادَ خُرَاسَانَ فِي هَذَا الْعَامِ مُضَيِّقَةٌ
 أَقْوَاهَا، وَمَتَى دَخَلَهَا جَيْشٌ أَفْسَدَهَا. فَقَالَ الْخَلِيفَةُ لِأَبِي أَيُّوبَ: مَا تَقُولُ؟
 فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا رَجُلٌ قَدْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ وَخَلَعَ، فَلَا تُنَاطِرُهُ.
 فَحِينَئِذٍ بَعَثَ الْمَنْصُورُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا الْمَهْدِيَّ لِيُقِيمَ بِالرِّيِّ، وَبَعَثَ الْمَهْدِيَّ حَازِمَ
 بَنِ خُرَيْمَةَ مُقَدِّمَةً بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى عَبْدِ الْجَبَّارِ، فَمَا زَالُوا عَلَيْهِ حَتَّى هَزَمُوا مِنْ مَعَهُ،
 وَأَخَذُوهُ فَأَرْكَبُوهُ بَعِيرًا مُخَوَّلًا وَجْهَهُ إِلَى نَاحِيَةِ ذَنْبِ الْبَعِيرِ، وَسَيَّرُوهُ كَذَلِكَ فِي
 الْبِلَادِ حَتَّى أَقْدَمُوهُ عَلَى الْمَنْصُورِ، وَمَعَهُ ابْنُهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَضَرَبَ
 الْمَنْصُورُ عُنُقَهُ، وَسَيَّرَ ابْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ إِلَى جَزِيرَةِ دَهْلَكَ فِي طَرْفِ
 الْيَمَنِ، فَأَسْرَثَهُمُ الْهِنُودُ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ فَوَدِيَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ.

فَتْحُ طَبْرِسْتَانَ الْأَوَّلِ

وَاسْتَقَرَّ الْمَهْدِيُّ نَائِبًا بِخُرَاسَانَ، وَأَمَرَهُ أَبُوهُ أَنْ يَعْزُوَ طَبْرِسْتَانَ، وَأَنْ يُحَارِبَ
 الْأَصْبَهَبَانَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنُودِ، وَأَمَدَّهُ بِجَيْشٍ عَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ الْعَلَاءِ، وَكَانَ مِنْ
 أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَرْبِ طَبْرِسْتَانَ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ بِشَارُ الشَّاعِرِ:

فَقُلْ لِلْخَلِيفَةِ إِنَّ جِئْتَهُ نَصِيحًا وَلَا خَيْرَ فِي الْمُتَّهَمِ
 إِذَا أَيْقَظْتِكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبَّهَ لَهَا عُمَرًا ثُمَّ تَمَّ
 فَتَى لَا يَنَامُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمِّ

فَلَمَّا تَوَافَقَتِ الْجُيُوشُ عَلَى طَبْرِسْتَانَ، فَتَحُوهَا وَحَصَرُوا الْأَصْبَهَبَدَ حَتَّى الْجُوهُ إِلَى قَلْعَتِهِ، فَصَالِحُهُمْ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الدَّخَائِرِ، وَكَتَبَ الْمَهْدِيُّ إِلَى أَبِيهِ بِذَلِكَ، وَدَخَلَ الْأَصْبَهَبَدُ بِلَادَ الدَّيْلَمِ، فَمَاتَ هُنَاكَ، وَكَسَرُوا أَيْضًا مَلِكَ التُّرْكِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَصْمَعَانُ. وَأَسَرُوا أُمَّا مِنَ الدَّرَارِيِّ، فَهَذَا فَتْحُ طَبْرِسْتَانَ الْأَوَّلِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ فُرِعَ مِنْ بِنَاءِ الْمِصْبِصَةِ عَلَى يَدَيْ جَبْرِئِيلَ بْنِ يَحْيَى الْخُرَّاسَانِيِّ. وَفِيهَا رَابَطَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ بِلَادِ مَلْطِيَّةَ.

وَفِيهَا عَزَلَ زِيَادُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ إِمْرَةِ الْحِجَازِ، وَوَلِيَ الْمَدِينَةَ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ، فَقَدِمَهَا فِي رَجَبٍ، وَوَلِيَ مَكَّةَ وَالطَّائِفَ الْهَيْثَمُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْعَتَكِيُّ.

وَفِيهَا وَوَلِيَ مِصْرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ثُمَّ عَزَلَ، وَوَلِيَ عَلَيْهَا نُوْفَلُ بْنُ الْفُرَاتِ.

عصيان عُيَيْنَةَ بْنِ مُوسَى نَائِبِ السِّنْدِ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثِنْتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا خَلَعَ عُيَيْنَةُ بْنُ مُوسَى بْنِ كَعْبٍ^١ نَائِبُ السِّنْدِ الْخَلِيفَةَ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ الْعَسَاكِرَ صُحْبَةَ عُمَرَ بْنِ حَفْصِ بْنِ

^١ وسبب خلعه أن أباه كان استخلف المسيب بن زهير على الشرط، فلما مات موسى أقام المسيب على ما كان يلي من الشرط وخاف أن يحضر المنصور عيينة فيوليه ما كان إلى أبيه، فكتب إليه

أبي صُفْرَةَ، وولاهُ السِّنْدَ وَالهِندَ، فَحَارِبُهُ عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، وَقَهْرُهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَسَلَّمَهَا مِنْهُ.

وَفِيهَا نَكثَ أَصْبَهَبُدُ طَبْرِسْتَانَ الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ طَائِفَةً مِمَّنْ كَانَ بِطَبْرِسْتَانَ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ الْجِيُوشَ صُحْبَةَ حَازِمِ بْنِ حُرَيْمَةَ، وَرُوحِ بْنِ حَاتِمٍ، وَمَعَهُمْ مَرْزُوقُ أَبُو الْحَصِيبِ، مَوْلَى الْمَنْصُورِ، فَحَاصَرُوهُ مُدَّةً طَوِيلَةً، فَلَمَّا أَعْيَاهُمْ فَتَحَ الْحِصْنَ الَّذِي هُوَ فِيهِ احْتَالُوا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْحَصِيبِ قَالَ لَهُمْ: اضْرِبُونِي وَاحْلِقُوا رَأْسِي وَلِحْيَتِي. فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مُعَاضِبٌ لِلْمُسْلِمِينَ، فَدَخَلَ الْحِصْنَ، فَفَرِحَ بِهِ الْأَصْبَهَبُدُ، وَأَكْرَمَهُ وَقَرَّبَهُ، وَجَعَلَ أَبُو الْحَصِيبِ يُظْهِرُ لَهُ مِنَ النَّصْحِ وَالخِدْمَةِ حَتَّى خَدَعَهُ، وَحَظِي عِنْدَهُ، وَجَعَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ يَتَوَلَّى فَتَحَ الْحِصْنَ وَغَلَقَهُ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ عِنْدَهُ كَاتَبَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّيْلَةَ الْفُلَانِيَّةَ فِي حَرَسِهِ، فَأَقْتَرَبُوا مِنَ الْبَابِ حَتَّى أَفْتَحَهُ لَكُمْ. فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَتَحَ لِلْمُسْلِمِينَ الْبَابَ، وَدَخَلُوا فَفَتَلُوا مَنْ فِيهِ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَسَبَّوْا الدَّرِيَّةَ، وَامْتَصَّ الْأَصْبَهَبُدُ حَاتِمًا مَسْمُومًا فَمَاتَ. فَكَانَ مِمَّنْ أُسِرَ يَوْمَئِذٍ أُمُّ الْمَنْصُورِ ابْنِ الْمَهْدِيِّ، وَأُمُّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ الْمَهْدِيِّ، وَكَانَتَا مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ.

بيت شعر ولم ينسب الكتاب إلى نفسه: (فأرضك أرضك إن تأتنا تم نومة ليس فيها حلم) فخلع الطاعة.

وَفِيهَا بَنَى الْمَنْصُورُ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ فَبَلَّتَهُمُ الَّتِي يُصَلُّونَ عِنْدَهَا بِالْحِمَّانِ، وَوَلَّى
 بِنَاءَهُ سَلْمَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ جَابِرِ نَائِبِ الْفُرَاتِ وَالْأُبَلَّةِ.
 وَصَامَ الْمَنْصُورُ شَهْرَ رَمَضَانَ بِالْبَصْرَةِ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ الْعِيدَ فِي ذَلِكَ الْمُصَلَّى.
 وَفِيهَا عَزَلَ الْمَنْصُورُ نَوْفَلَ بْنَ الْفُرَاتِ عَنْ إِمْرَةِ مِصْرَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا حُمَيْدَ بْنَ
 قَحْطَبَةَ.

وفاة سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ عَمِّ الْخَلِيفَةِ

وَفِيهَا تُوفِّيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَمُّ الْخَلِيفَةِ وَنَائِبُ الْبَصْرَةِ،
 كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ
 سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَحُوهُ عَبْدُ الصَّمَدِ.

وَكَانَ قَدْ شَابَ وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً، وَخَضَبَ لِحِيَّتَهُ مِنَ الشَّيْبِ فِي ذَلِكَ
 السِّنِّ، وَكَانَ كَرِيمًا جَوَادًا مُدَّحًا، كَانَ يَعْتَقُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ
 نَسَمَةٍ، وَبَلَغَتْ صَلَاتُهُ لِبَنِي هَاشِمٍ وَسَائِرِ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ خَمْسَةَ آلَافٍ.
 وَاطَّلَعَ يَوْمًا مِنْ قَصْرِهِ، فَرَأَى نِسْوَةً يَعْزِلْنَ فِي دَارٍ مِنْ دُورِ الْبَصْرَةِ، فَاتَّفَقَ أَنْ
 قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: لَيْتَ الْأَمِيرَ اطَّلَعَ عَلَيْنَا فَأَعْنَانَا عَنِ الْعَزْلِ. فَنَهَضَ فَجَعَلَ
 يَدُورُ فِي قَصْرِهِ، وَيَجْمَعُ مِنْ حُلِيِّ نِسَائِهِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ وَعَبَّرَ ذَلِكَ مَا
 مَلَأَ بِهِ مِنْدَبِلًا، ثُمَّ دَلَّاهُ إِلَيْهِنَّ، وَنَثَرَهُ عَلَيْهِنَّ، فَمَاتَتْ إِحْدَاهُنَّ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ.

وَقَدْ وُلِيَ الْحَجَّ أَيَّامَ السَّفَاحِ، وَوَلِيَ الْبَصْرَةَ لِلْمَنْصُورِ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَهُوَ أَخُو إِسْمَاعِيلَ، وَدَاوُدَ، وَصَالِحٍ، وَعَبْدِ الصَّمَدِ، وَعَبْدِ اللَّهِ وَعَيْسَى، وَمُحَمَّدٍ، وَهُوَ عَمُّ السَّفَاحِ وَالْمَنْصُورِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَاحِ عَنْ أَمْرِ عَمِّهِ الْمَنْصُورِ إِلَى بِلَادِ الدَّيْلَمِ، وَمَعَهُ الْجَيْشُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَوَأَسْطِ وَالْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ.

وَفِيهَا قَدِمَ مُحَمَّدٌ الْمَهْدِيُّ بْنُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ عَلَى أَبِيهِ مِنْ بِلَادِ خُرَّاسَانَ، وَدَخَلَ بِابْنَةِ عَمِّهِ رَيْطَةَ بِنْتِ السَّفَاحِ بِالْحَيْرَةِ.

بداية أمر ابني عبد الله بن حسن

وَتَلَقَّى النَّاسُ أَبَا جَعْفَرَ الْمَنْصُورَ فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِ مَكَّةَ فِي حَجِّهِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، فَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ تَلَقَّاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَجْلَسَهُ الْمَنْصُورُ مَعَهُ عَلَى السِّمَاطِ، ثُمَّ جَعَلَ يُحَادِثُهُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ إِفْبَالًا زَائِدًا بِحَيْثُ اشْتَعَلَ بِذَلِكَ عَنْ عَامَّةِ عَدَائِهِ، وَسَأَلَهُ عَنِ ابْنَيْهِ إِزْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ: لِمَ لَا جَاءَانِي مَعَ النَّاسِ؟ فَحَلَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ أَنْهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ صَارَا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ. وَصَدَقَ فِي ذَلِكَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ كَانَ قَدْ بَايَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ فِي أَوَاخِرِ دَوْلَةِ مَرْوَانَ الْحِمَارِ بِالْخِلَافَةِ، وَخَلَعَ مَرْوَانَ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ بَايَعَهُ عَلَى ذَلِكَ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، وَذَلِكَ قَبْلَ

تحويل الدولة إلى بني العباس، فلما صارت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور خاف محمد بن عبد الله بن الحسن وأخوه إبراهيم منه خوفاً شديداً؛ وذلك لأنه توهم منهما أن يخرجاً عليه، والذي خاف منه وقع فيه، ولما خافاه ذهباً منه هرباً في البلاد الشاسعة، فصارا إلى اليمن، ثم سارا إلى الهند، ثم تحولا إلى المدينة فاختفيا بها، فدل على مكانهما الحسن بن زيد، فهربا إلى موضع آخر، فاستدل عليه الحسن بن زيد، فدل عليهما ثم كذلك، وانتصب أبا عليهما عند المنصور، والعجب أنه من أتبعيهما، واجتهد المنصور بكل طريق على تحصيلهما، فلم يتفق له ذلك إلى الآن، فلما سأل أباهما عنهما حلف أنه لا يدري أين صارا إليه من البلاد، ثم أوحى المنصور على عبد الله في طلب ولدته، فغضب عبد الله من ذلك، وقال: والله لو كانا تحت قدمي ما دلتك عليهما. فغضب المنصور، وأمر بسجنه، وأمر ببيع رقيقه وأمواله، ولبت في السجن ثلاث سنين، وأشاروا على المنصور بحبس بني حسن عن آخرهم فحبسهم، وجد في طلب إبراهيم ومحمد، هذا وهما يخضران الحجاج في غالب السنين، ويكتمان في المدينة في غالب الأوقات، ولا يشعر بهما من ينم عليهما، والله الحمد. والمنصور يعزل نائبا عن المدينة ويولي عليها غيره، ويخرضه على إمساكهما والفحص عنهما، وبذل الأموال في طلبهما، وتعجزه المقادير في ذلك لما يريد الله عز وجل.

وَقَدْ وَاطَأَهُمَا عَلَى أَمْرِهِمَا أَمِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْمَنْصُورِ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْعَسَاكِرِ خَالِدُ بْنُ حَسَّانَ. فَعَزَمُوا فِي بَعْضِ الْحِجَّاتِ عَلَى الْفَتْكِ بِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَنَهَاَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ لِشَرَفِ الْبُقْعَةِ. وَقَدْ اطَّلَعَ الْمَنْصُورُ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلِمَ بِمَا مَالَهُمَا ذَلِكَ الْأَمِيرُ، فَعَذَّبَهُ حَتَّى أَقْرَبَ بِمَا كَانُوا تَمَالَّوْا عَلَيْهِ مِنَ الْفَتْكِ بِهِ. فَقَالَ: وَمَا الَّذِي صَرَفَكُمُ عَنِ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ نَهَانَا عَنْ ذَلِكَ. فَأَمَرَ بِهِ الْخَلِيفَةُ فَعُيِّبَ فِي الْأَرْضِ، فَلَمْ يَظْهَرْ حَتَّى الْآنَ.

وَقَدْ اسْتَشَارَ الْمَنْصُورُ مَنْ يَعْلَمُ مِنْ أُمَرَائِهِ وَوُزَرَائِهِ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ فِي أَمْرِ ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، وَبَعَثَ الْجَوَاسِيسَ وَالْقُصَادَ إِلَيْهِمَا، فَلَمْ يَقْعِ هُمَا عَلَى خَبْرٍ، وَلَا ظَهَرَ لَهُمَا عَلَى عَيْنٍ وَلَا أَثَرٍ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ.

وَقَدْ جَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَ: يَا أُمَّهُ، إِنِّي قَدْ شَقَقْتُ عَلَى أَبِي وَعُمُومَتِي، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَضَعَ يَدِي فِي أَيْدِي هَؤُلَاءِ لِأُرِيحَ أَهْلِي. فَذَهَبَتْ أُمُّهُ إِلَيْهِمْ إِلَى السِّجْنِ، فَعَرَضَتْ عَلَيْهِمْ مَا قَالَ ابْنُهَا، فَقَالُوا: لَا، بَلْ نَصْبِرُ عَلَى أَمْرِهِ، فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَ عَلَى يَدَيْهِ خَيْرًا، وَمَنْ نَصْبِرُ، وَفَرَجْنَا بِيَدِ اللَّهِ. وَتَمَالَّوْا كُلُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ نُقِلُوا مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى حَبْسٍ بِالْعِرَاقِ وَفِي أَرْجُلِهِمُ الْقَيْدُ، وَفِي أَعْنَاقِهِمُ الْأَعْلَالُ. وَكَانَ ابْتِدَاءُ تَقْيِيدِهِمْ مِنَ الرَّبْدَةِ بِأَمْرِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، وَقَدْ أَشْحَصَ مَعَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعُثْمَانِيُّ، وَكَانَ أَخَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ لِأُمِّهِ، وَكَانَتْ ابْنَتُهُ تَحْتَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَدْ حَمَلَتْ قَرِيبًا، فَاسْتَحْضَرَهُ

الْخَلِيفَةُ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ حَلَفْتَ إِنَّكَ لَمْ تَعُشِّنِي، وَهَذِهِ ابْنُتُكَ حَامِلٌ! فَإِنْ كَانَ مِنْ زَوْجِهَا فَقَدْ حَنَنْتَ، وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِهِ فَأَنْتَ دَيْوُثٌ. فَأَجَابَهُ الْعُثْمَانِيُّ بِجَوَابٍ أَحْفَظَهُ بِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَجَرِدَتْ عَنْهُ ثِيَابُهُ، فَإِذَا جِسْمُهُ كَأَنَّهُ الْفِضَّةُ النَّقِيَّةُ، ثُمَّ ضُرِبَ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ مِائَةً وَخَمْسِينَ سَوْطًا، مِنْهَا ثَلَاثُونَ فَوْقَ رَأْسِهِ، أَصَابَ أَحَدَهَا عَيْنَهُ فَسَالَتْ، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى السِّجْنِ وَقَدْ بَقِيَ كَأَنَّهُ عَبْدٌ أَسْوَدٌ مِنْ زُرْقَةِ الضَّرْبِ، وَتَرَكَمُ الدِّمَاءِ فَوْقَ جِلْدِهِ، فَأُجْلِسَ إِلَى جَانِبِ أَخِيهِ لِأُمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، فَاسْتَسْقَى فَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يَسْقِيَهُ حَتَّى سَقَاهُ خُرَاسَانِيُّ مِنْ جُمَّلَةِ الْجَلَاوِزَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِهِمْ، ثُمَّ رَكِبَ الْخَلِيفَةُ فِي هَوْدَجِهِ، وَأَرْكَبُوا أَوْلِيكَ فِي مُحَامِلٍ صَبِيَّةٍ، وَعَلَيْهِمُ الْفِيوُودُ وَالْأَغْلَالُ، فَاجْتَازَ بِهِمُ الْمَنْصُورُ وَهُوَ فِي هَوْدَجِهِ، فَنَادَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ: وَاللَّهِ يَا أَبَا جَعْفَرٍ مَا هَكَذَا صَنَعْنَا بِأَسْرَاكُمُ يَوْمَ بَدْرٍ. فَأَحْسَاهُ الْمَنْصُورُ، وَتَفَلَّ عَلَيْهِ، وَنَفَرَ عَنْهُمْ. وَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْعِرَاقِ حُبِسُوا بِالْهَاشِمِيَّةِ، وَكَانَ فِيهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَسَنِ، وَكَانَ جَمِيلًا يَذْهَبُ النَّاسُ لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ مِنْ حُسْنِهِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الدِّيَابِجُ الْأَصْفَرُ. فَأَحْضَرَهُ الْمَنْصُورُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: أَمَا وَاللَّهِ لِأَقْتُلَنَّكَ قِتْلَةً مَا قُتِلَهَا أَحَدٌ. ثُمَّ أَلْفَاهُ بَيْنَ أَسْطُوَانَتَيْنِ، وَسَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ. وَقَدْ هَلَكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي السِّجْنِ حَتَّى فُرِحَ عَنْهُمْ فِيمَا بَعْدَ عَلَى مَا سَنَدُكُرُهُ.

فَكَانَ فِيمَنْ هَلَكَ فِي السِّجْنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ، وَقَدْ قِيلَ وَهُوَ الْأَطْهَرُ: إِنَّهُ قُتِلَ صَبْرًا. وَأَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَسَنِ، وَقَالَ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ مِنَ الْحَبْسِ، وَقَدْ

كَانُوا فِي سِجْنٍ لَا يَسْمَعُونَ فِيهِ التَّأْذِينَ، وَلَا يَعْرِفُونَ وَقْتِ الصَّلَاةِ إِلَّا بِالتَّلَاوَةِ،
ثُمَّ بَعَثَ أَهْلَ خُرَّاسَانَ يَشْفَعُونَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَايِيِّ، فَأَمَرَ بِهِ،
فَضْرَبَتْ عُنُقُهُ، وَأُرْسِلَ بِرَأْسِهِ إِلَى أَهْلِ خُرَّاسَانَ.

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ الْأُمَوِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
الْمَدَنِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالِدِّيَّاجِ، لِحُسْنِ وَجْهِهِ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ،
رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَخَارِجَةَ بِنِ زَيْدٍ وَطَاوُسٍ وَأَبِي الرَّنَادِ وَالرُّهْرِيِّ وَنَافِعٍ
وغيرِهِمْ، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ، وَوَثَّقَهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ، وَكَانَ أَحَا عَبْدَ اللَّهِ
بِنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ لِأُمِّهِ، وَكَانَتْ ابْنَتُهُ زُفَيْةُ زَوْجَةَ ابْنِ أَخِيهِ إِبرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ، وَبِسَبَبِهَا قَتَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ. وَكَانَ كَرِيمًا جَوَادًا
مُتَدَحًّا.

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: أَنشَدَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عِيَّاشِ السَّعْدِيُّ لِأَبِي وَجْزَةَ السَّعْدِيِّ
يَمْدَحُهُ:

وَجَدْنَا الْمَحْضَ الْأَبْيَضَ مِنْ قُرَيْشٍ	فَتَى بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالرَّسُولِ
أَتَاكَ الْمَجْدُ مِنْ هُنَا وَهَنَا	وَكُنْتَ لَهُ بِمُعْتَلَجِ السُّيُولِ
فَمَا لِلْمَجْدِ دُونَكَ مِنْ مَبِيتٍ	وَمَا لِلْمَجْدِ دُونَكَ مِنْ مَقِيلِ
وَلَا مُمَضًى وَرَاءَكَ تَبْتَعِيهِ	وَمَا هُوَ قَابِلٌ بِكَ مِنْ بَدِيلِ

خروج ابني عبد الله بن حسن

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ حَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، فَمِمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ مَخْرَجُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بِالْمَدِينَةِ وَأَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ بِالْبَصْرَةِ، عَلَى مَا سَنَبَيْتُهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

خُرُوجُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بِالْمَدِينَةِ

أَمَّا مُحَمَّدٌ فَإِنَّهُ حَرَجَ عَلَى إِثْرِ ذَهَابِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ بِنِي حَسَنِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْعِرَاقِ عَلَى الصِّفَةِ وَالتَّعْتِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَسَجَنَهُمْ فِي مَكَانٍ سَاءَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا، لَا يَسْمَعُونَ فِيهِ التَّأْدِينَ وَلَا يَعْرِفُونَ دُحُولَ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ إِلَّا بِالْأَذْكَارِ وَالتَّلَاوَاتِ. وَقَدْ مَاتَ أَكْثَرُ أَكْبَرِهِمْ هُنَالِكَ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ. هَذَا كُلُّهُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ مُحْتَفٍ بِالْمَدِينَةِ، حَتَّى إِنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ اخْتَفَى فِي بَيْتٍ؛ نَزَلَ فِيهَا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى رَأْسِهِ، وَبَاقِيهِ مَغْمُورٌ بِالْمَاءِ، وَقَدْ تَوَاعَدَ هُوَ وَأَخُوهُ وَقَتًا مُعَيَّنًا يَظْهَرَانِ فِيهِ، هَذَا بِالْمَدِينَةِ وَإِبْرَاهِيمُ بِالْبَصْرَةِ، وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يُؤْتَبُونَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي اخْتِفَائِهِ وَعَدَمِ ظُهُورِهِ حَتَّى عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ، وَذَلِكَ لَمَّا أَضْرَّ بِهِ شِدَّةُ الْإِحْتِفَاءِ مِنْ كَثْرَةِ الْحَاحِ رِيَاحِ نَائِبِ الْمَدِينَةِ فِي طَلْبِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، فَلَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ وَضَاقَ الْحَالُ، وَاعَدَّ مُحَمَّدٌ أَصْحَابَهُ عَلَى الظُّهُورِ فِي اللَّيْلَةِ الْفُلَانِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ جَاءَ بَعْضُ الْوُشَاةِ إِلَى مُتَوَلِّي الْمَدِينَةِ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ فَضَاقَ دَرْعًا بِذَلِكَ

وَأَنْزَعَجَ أَنْزَعَاً شَدِيدًا، وَرَكِبَ فِي جَحَافِلٍ، فَطَافَ الْمَدِينَةَ وَحَوْهَا لِيَسْتَعْلِمَ
مَكَانَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، فَأَعْيَاهُ ذَلِكَ، وَقَدَّمَ فِي رُجُوعِهِ عَلَى
دَارِ مَرْوَانَ وَهُمْ بِهَا مُجْتَمِعُونَ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِمْ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعَثَ إِلَى
بَنِي حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَجَمَعَهُمْ وَمَعَهُمْ رُءُوسٌ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ،
فَوَعَّظَهُمْ وَأَنْبَهُهُمْ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَتَطَلَّبُ هَذَا
الرَّجُلَ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، ثُمَّ مَا كَفَاكُمْ كِتْمَانَهُ حَتَّى
بَايَعْتُمُوهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؟ وَاللَّهِ لَا يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَهُ
إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ. فَأَنْكَرَ الَّذِينَ هُمْ هُنَالِكَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ أَوْ شُعُورٌ
بِشَيْءٍ، مِمَّا وَقَعَ مِمَّا يَقُولُهُ، وَقَالُوا: نَحْنُ نَأْتِيكَ بِرِجَالٍ مُتَسَلِّحِينَ يُقَاتِلُونَ دُونَكَ
إِنْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. وَهَضُّوا فَجَاءُوهُ بِجَمَاعَةٍ مُتَسَلِّحِينَ، فَاسْتَأْذَنُوهُ فِي
دُخُولِهِمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَا إِذْنَ لَهُمْ، إِلَيَّ أَحْشَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خَدِيعَةً. فَجَلَسَ
أُولَئِكَ عَلَى الْبَابِ، وَمَكَثَ النَّاسُ جُلُوسًا حَوْلَ الْأَمِيرِ وَهُوَ وَاجِمٌ لَا يَتَكَلَّمُ
إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّى ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ مَا فُجِئَ النَّاسُ إِلَّا وَأَصْحَابُ مُحَمَّدِ
بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ ظَهَرُوا وَأَعْلَنُوا بِالتَّكْبِيرِ، فَانزَعَجَ النَّاسُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَشَارَ
بَعْضُ الْحَاضِرِينَ عَلَى الْأَمِيرِ بِضَرْبِ أَعْنَاقِ بَنِي الْحُسَيْنِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: عَلَامٌ
وَنَحْنُ مُقَرَّرُونَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؟ وَاشْتَعَلَ الْأَمِيرُ عَنْهُمْ بِمَا فَجَأَهُ مِنَ الْأَمْرِ،
فَاعْتَنَمُوا الْعَفْلَةَ، وَهَضُّوا سِرَاعًا فَتَسَوَّرُوا جِدَارَ الدَّارِ، وَأَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ عَلَى
كُنَاسَةِ هُنَالِكَ.

وَأَقْبَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ فَارِسًا، فَأَقْبَلَ بِمَنْ مَعَهُ، فَمَرَّ بِالسَّجْنِ فَأَخْرَجَ مَنْ فِيهِ، وَجَاءَ دَارَ الْإِمَارَةِ، فَحَاصَرَهَا فَأَفْتَتَحَهَا، وَأَمْسَكَ عَلَى رِيَّاحِ بْنِ عُثْمَانَ نَائِبِ الْمَدِينَةِ فَسَجَنَهُ فِي دَارِ مَرْوَانَ، وَسَجَنَ مَعَهُ ابْنَ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِ بَنِي حُسَيْنٍ فِي أَوَّلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَنَجَّوْا وَأُحِيطَ بِهِ، فَأَصْبَحَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ وَقَدْ اسْتَظْهَرَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَدَانَ لَهُ أَهْلُهَا، فَصَلَّى بِالنَّاسِ الصُّبْحَ، وَقَرَأَ فِيهَا: { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } . وَأَسْفَرَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ عَنْ مُسْتَهْلٍ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

وَقَدْ حَطَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَتَكَلَّمَ فِي بَنِي الْعَبَّاسِ، وَذَكَرَ عَنْهُمْ أَشْيَاءَ ذَمَّهْمُ بِهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَدًا مِنْ الْبُلْدَانِ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَهَا، وَأَهْمَمَ قَدْ بَايَعُوهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَبَايَعَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ كُلُّهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ .

وَقَدْ قَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ حِينَ دَعَاهُ إِلَى بَيْعَتِهِ: يَا بْنَ أَحِي إِنَّكَ مَقْتُولٌ . فَارْتَدَعَ بَعْضُ النَّاسِ عَنْهُ، وَاسْتَمَرَّ جُمْهُورُهُمْ مَعَهُ، فَاسْتَنَابَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الرُّبَيْرِ، وَعَلَى قَضَائِهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيِّ، وَعَلَى شُرْطَتِهَا عُثْمَانُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الحُطَّابِ، وَعَلَى دِيْوَانِ الْعَطَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ .

وَتَلَقَّبَ بِالْمَهْدِيِّ؛ طَمَعًا أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَوْعُودَ بِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي سَنُورِدُهَا فِي الْفِتَنِ وَالْمَلَا حِمِّ، فَلَمْ يَكُنْ إِيَّاهُ، وَلَا تَمَّ لَهُ مَا تَمَّنَّاهُ.

وَقَدْ ازْتَحَلَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَيْلَةَ دَخَلَهَا ابْنُ حَسَنِ، فَطَوَى الْمَرَا حِلَ الْبَعِيدَةَ إِلَى الْمَنْصُورِ فِي سَبْعِ لَيَالٍ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ نَائِمًا فِي اللَّيْلِ، فَقَالَ لِلرَّبِيعِ الْحَاجِبِ: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الْخَلِيفَةِ. فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يُوقِظُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ. فَقَالَ: إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ. فَأَحْبَرَ الْخَلِيفَةَ، فَخَرَجَ فَقَالَ: وَيْحَكَ! مَا وَرَاءَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ خَرَجَ ابْنُ حَسَنِ بِالْمَدِينَةِ. فَلَمْ يُظْهِرْ لِذَلِكَ اكْتِرَانًا وَلَا انْزِعَاجًا، بَلْ قَالَ: أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: هَلْكَ وَاللَّهِ، وَأَهْلَكَ مَنْ اتَّبَعَهُ. ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّجُلِ فَسَجِنَ، ثُمَّ جَاءَتِ الْأَحْبَابُ بِذَلِكَ وَتَوَاتَرَتْ، فَأَطْلَقَهُ الْمَنْصُورُ، وَأَطْلَقَ لَهُ عَنْ كُلِّ لَيْلَةٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَأَعْطَاهُ سَبْعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ.

وَلَمَّا تَحَقَّقَ الْمَنْصُورُ الْأَمْرَ مِنْ خُرُوجِهِ ضَاقَ ذَرْعًا بِذَلِكَ.

ثُمَّ أَمَرَ الْخَلِيفَةُ جَمِيعَ رُءُوسِ الْأُمَرَاءِ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى السِّجْنِ، فَيَجْتَمِعُوا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، فَيُخْبِرُوهُ بِمَا وَقَعَ وَبِخُرُوجِ مُحَمَّدٍ، وَيَسْمَعُوا مَا يَقُولُ لَهُمْ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ أَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ ابْنَ سَلَامَةَ فَاعِلًا؟ - يَعْنِي الْمَنْصُورَ - قَالُوا: لَا نَدْرِي. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَتَلَ صَاحِبِكُمْ الْبُخْلَى، يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُنْفِقَ الْأَمْوَالَ، وَيَسْتَحْدِمَ الرِّجَالَ، فَإِنْ ظَهَرَ فَاسْتَرْجَاعُ مَا أَنْفَقَ مِنَ الْأَمْوَالِ عَلَيْهِ سَهْلٌ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِكُمْ شَيْءٌ فِي الْخِزَائِنِ، فَارْجِعُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ.

وَأَشَارَ النَّاسُ عَلَى الْخَلِيفَةِ مِمَّا جَزَّيْتَهُ، وَاسْتَدْعَى عَيْسَى بْنَ مُوسَى، فَدَبَّهٗ إِلَى ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي سَأَكْتُبُ إِلَيْهِ كِتَابًا أَنْذِرُهُ بِهِ قَبْلَ قِتَالِهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.

ثُمَّ قَالَ: فَلَكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ وَذِمَّتُهُ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، لَئِنْ أَقْلَعْتَ وَرَجَعْتَ إِلَى الطَّاعَةِ لِأَوْمَنَّتِكَ وَمَنْ اتَّبَعَكَ، وَلَا عَطِيَّتِكَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَلَا دَعْنَكَ تُقِيمُ فِي أَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ، وَلَا قُضِيَّتَ جَمِيعِ حَوَائِجِكَ. فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ:

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ: { طَسَمَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتَلَّوْا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ }.

ثُمَّ قَالَ: وَإِنِّي أَعْرَضُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَمَانِ مِثْلَ مَا عَرَضْتَ عَلَيَّ، فَأَنَا أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ إِتْمَا وَصَلْتُمْ إِلَيْهِ بِنَا، فَإِنَّ عَلِيًّا كَانَ الْوَصِيَّ، وَكَانَ الْإِمَامَ، فَكَيْفَ وَرَثْتُمْ وَلَايَتَهُ وَوَلَدَهُ أَحْيَاءُ؟ وَنَحْنُ أَشْرَفُ أَهْلِ الْأَرْضِ نَسَبًا، فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ النَّاسِ، وَهُوَ جَدُّنَا، وَجَدَّتْنَا حَدِيجَةُ، وَهِيَ أَفْضَلُ زَوْجَاتِهِ، وَفَاطِمَةُ أُمَّنَا، وَهِيَ أَكْرَمُ بَنَاتِهِ، وَإِنَّ هَاشِمًا وَلَدَ عَلِيًّا مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّ حَسَنًا وَلَدَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَرَّتَيْنِ، وَهُوَ وَأَحْوَاهُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَدَنِي مَرَّتَيْنِ، فَإِنِّي أَوْسَطُ بَنِي هَاشِمٍ نَسَبًا، وَأَصْرَحُهُمْ نَسَبًا، فَأَنَا ابْنُ أَرْفَعِ النَّاسِ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ^١، وَأَحَقُّهُمْ عَذَابًا فِي النَّارِ^٢، فَأَنَا أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنْكَ، وَأَوْفَى بِالْعَهْدِ، فَإِنَّكَ أَعْطَيْتَ ابْنَ هُبَيْرَةَ الْعَهْدَ وَنَكَثْتَهُ، وَكَذَلِكَ بِعَمِّكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، وَبِأَبِي مُسْلِمِ الْخُرَّاسَانِيِّ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ جَوَابَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ طَوِيلٍ، حَاصِلُهُ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كَلَامُكَ، وَقَرَأْتُ كِتَابَكَ، فَإِذَا جَلَّ فَحْرُكَ بِقِرَاةِ النَّسَاءِ لِتَضَلُّ بِهِ الْجُمُوعَ وَالْعَوَعَاءَ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ النَّسَاءَ كَالْعُمُومَةِ وَالْأَبَاءِ، وَلَا كَالْعَصْبَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}. وَكَانَ لَهُ حِينَئِذٍ أَرْبَعَةُ أَعْمَامٍ،

^١ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

^٢ أبو طالب.

فَاسْتَجَابَ لَهُ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا أَبِي^١، وَكَفَرَ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا أَبُوكَ^٢، فَقَطَعَ اللَّهُ وَلَايَتَهُمَا مِنْهُ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَهُمَا إِلَّا وَلَا ذِمَّةً، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي عَدَمِ إِسْلَامِ أَبِي طَالِبٍ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}. وَقَدْ فَخَرَتْ بِهِ؛ لِأَنَّهُ أَحْفُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، وَلَيْسَ فِي الشَّرِّ خِيَارٌ، وَلَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ الْفَخْرُ بِأَهْلِ النَّارِ، وَفَخَرَتْ بَأَنَّ عَلِيًّا وَلَدَهُ هَاشِمٌ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّ حَسَنًا وَلَدَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَرَّتَيْنِ، فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْرُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، إِنَّمَا وَلَدَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَهَاشِمٌ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَقَوْلُكَ: إِنَّكَ لَمْ تَلِدْكَ أُمَّهَاتُ الْأَوْلَادِ؛ فَهَذَا إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَارِيَةَ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ مِنْ أُمِّ وَلَدٍ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَكَذَلِكَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ بْنُ عَلِيٍّ، وَابْنُهُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَدُّهُمَا أُمُّ وَلَدٍ، وَهُمَا خَيْرٌ مِنْكَ، وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّكُمْ بَنُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ}. وَقَدْ جَاءَتِ السُّنَّةُ الَّتِي لَا خِلَافَ فِيهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْجَدَّ أَبَا الْأُمِّ وَالْحَالَ وَالْحَالَةَ لَا يُورَثُونَ، وَلَمْ يَكُنْ لِفَاطِمَةَ مِيرَاثٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَصِّ الْحَدِيثِ^٣، وَقَدْ مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

^١ العباس.

^٢ أبو طالب.

^٣ (لا نُورَثُ مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً) رواه البخاري ومسلم.

وَأَبُوكَ حَاضِرًا^١، فَلَمْ يَأْمُرْهُ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ، بَلْ أَمَرَ غَيْرَهُ^٢، وَلَمَّا تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْدِلِ النَّاسُ بِأَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ؛ ثُمَّ قَدَّمُوا عَلَيْهِ عُثْمَانَ فِي الشُّورَى؛ ثُمَّ وَلَّوْهُ^٣ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ، وَاهْتَمَّهُ بَعْضُهُمْ بِهِ^٤، وَقَاتَلَهُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ^٥، وَامْتَنَعَ سَعْدٌ مِنْ مُبَايَعَتِهِ، ثُمَّ بَايَعَ بَعْدَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُوكَ^٦، وَقَاتَلَ عَلَيْهَا الرِّجَالَ، ثُمَّ اتَّفَقَ عَلَى التَّحْكِيمِ، فَلَمْ يَفِ بِهِ^٧، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى الْحَسَنِ فَبَاعَهَا بِخَرْقٍ وَدِرَاهِمٍ^٨، وَأَقَامَ بِالْحِجَازِ يَأْخُذُ مَالًا مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَسَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، وَتَرَكَ شِيعَتَهُ فِي أَيْدِي مُعَاوِيَةَ، فَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَقَدْ تَرَكْتُمُوهَا وَبِعْتُمُوهَا بِثَمَنِهَا، ثُمَّ خَرَجَ عُمُكَ حُسَيْنٌ عَلَى ابْنِ مَرْجَانَةَ^٩، فَكَانَ النَّاسُ مَعَهُ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَتَوْا بِرَأْسِهِ إِلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجْتُمْ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ، فَقَتَلُوكُمْ

^١ علي.

^٢ أبا بكر.

^٣ ولوا علياً.

^٤ وهو بريء من ذلك.

^٥ قاتلاه متأولين، رحمهم الله جميعاً.

^٦ لم يطلبها بل طلبته.

^٧ رحم الله أبا الحسن أكثر الناس وفاء بعد رسول الله.

^٨ حاشا الحسن ذلك. بل أصلح الله به بين المسلمين في عام الجماعة.

^٩ عبید الله بن زياد قاتل الشهيد الحسين بن علي رضي الله عنهما.

وَصَلَّبُوكُمْ عَلَى جُدُوعِ النَّحْلِ، وَحَرَّفُوكُمْ بِالْبَيْرَانِ، وَحَمَلُوا نِسَاءَكُمْ عَلَى الْإِبِلِ
كَالسَّبَايَا إِلَى الشَّامِ، حَتَّى خَرَجْنَا عَلَيْهِمْ، فَأَخَذْنَا بِثَأْرِكُمْ، وَأَدْرَكْنَا بِدِمَائِكُمْ،
وَأَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وَذَكَرْنَا فَضْلَ سَلْفِكُمْ، فَجَعَلْتَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَيْنَا،
وَظَنَنْتَ أَنَّا إِنَّمَا ذَكَرْنَا فَضْلَهُ تَقْدِيمَةً مِنَّا لَهُ عَلَى حَمْرَةَ وَالْعَبَّاسِ وَجَعْفَرٍ، وَلَيْسَ
الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مَضَوْا وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي الْفِتَنِ، وَسَلِمُوا مِنَ الدُّنْيَا،
وَابْتُلِي بِذَلِكَ أَبُوكَ، وَكَانَتْ بِنُو أُمِّيَّةٍ تَلْعَنُهُ كَمَا تَلْعَنُ الْكُفْرَةَ فِي الصَّلَوَاتِ
الْمَكْتُوبَاتِ، فَذَكَرْنَا فَضْلَهُ وَعَنَّفْنَاكُمْ بِمَا نَالُوا مِنْهُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَكْرَمَتَنَا فِي
الْجَاهِلِيَّةِ سِقَايَةُ الْحَجِيجِ الْأَعْظَمِ، وَخِدْمَةُ زَمْزَمَ، وَحَكَمَ لَنَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْإِسْلَامِ. وَلَمَّا قَحَطَ النَّاسُ زَمَنَ عُمَرَ اسْتَسْقَى بِأَيْنَا
الْعَبَّاسِ، وَتَوَسَّلَ بِهِ إِلَى رَبِّهِ وَأَبُوكَ حَاضِرًا، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ
بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الْعَبَّاسُ؛ فَالْسَّقَايَةُ
سِقَايَتُهُ، وَالْوَرَاثَةُ وَرَاثَتُهُ، وَالْخِلَافَةُ فِي وَوَلَدِهِ، فَلَمْ يَبْقَ شَرَفٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَالْإِسْلَامِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا وَالْعَبَّاسُ وَارثُهُ وَمُورثُهُ^١.

مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ

بَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ فِي عُيُونِ ذَلِكَ رُسُلًا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ يَدْعُوهُمْ
إِلَى بَيْعَتِهِ وَخِلَافَتِهِ، فَأَبَوْا قَبُولَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَقَالُوا: قَدْ ضَجَرْنَا مِنَ الْحُرُوبِ،

^١ هذا التراجع في الكلام بين المنصور ومحمد بن عبد الله، الله أعلم بحقيقته.

وَمِلْنَا مِنَ الْقِتَالِ. وَلَمْ يَكْتَرْتُوا بِأَصْحَابِهِ، فَرَجَعُوا إِلَيْهِ بَعْدَ مَا خَافُوا عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ، وَجَعَلَ يَسْتَمِيلُ رُءُوسَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ
 امْتَنَعَ عَلَيْهِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: كَيْفَ أَبَايَعُكَ وَقَدْ ظَهَرْتَ فِي بَلَدٍ لَيْسَ فِيهِ
 مَالٌ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى اسْتِحْدَامِ الرِّجَالِ؟ وَلَرِمَ مَنْزِلَهُ، فَلَمْ يَخْرُجْ حَتَّى قَتَلَ مُحَمَّدُ
 بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ.

وَبَعَثَ مُحَمَّدٌ الْحَسَنَ بْنَ مُعَاوِيَةَ^١ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا وَنَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ فَوَارِسَ
 وَاسْتَنَابَهُ عَلَى مَكَّةَ إِنَّهُ هُوَ دَخَلَهَا، فَسَارُوا إِلَيْهَا، فَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَهَا قُدُومَهُمْ
 خَرَجُوا إِلَيْهِمْ فِي أُلُوفٍ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، فَقَالَ لَهُمُ الْحَسَنُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: عَلَامَ
 تُقَاتِلُونَ وَقَدْ مَاتَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ؟ فَقَالَ السَّرِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ زَعِيمُ أَهْلِ
 مَكَّةَ: إِنَّ بُرْدَهُ جَاءَنَا مِنْ أَرْبَعِ لَيَالٍ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ، فَأَنَا أَنْتَظِرُ جَوَابَهُ إِلَى
 أَرْبَعٍ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُونَ حَقًّا سَلَّمْتُكُمْ الْبَلَدَ، وَعَلَيَّ مِثْلُكُمْ وَحِيلِكُمْ.
 فَامْتَنَعَ الْحَسَنُ بْنُ مُعَاوِيَةَ مِنَ الْإِنْتِظَارِ وَأَبَى إِلَّا الْمَنَاجِرَةَ، وَحَلَفَ لَا يَبِيتُ
 اللَّيْلَةَ إِلَّا بِمَكَّةَ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ. وَأَرْسَلَ إِلَى السَّرِيِّ^٢ أَنْ ابْرُزْ مِنَ الْحَرَمِ إِلَى الْحِلِّ
 حَتَّى لَا تُرَاقَ الدِّمَاءُ فِي الْحَرَمِ. فَلَمْ يَخْرُجْ، فَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِمْ فَصَاقُوهُمْ، فَحَمَلَ

^١ الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: كان عبد الله بن جعفر يفد على معاوية
 وولد له مولود وهو عند معاوية فطلب معاوية أن يسميه باسمه معاوية. ويقال له عبد الله المعاوية
 تمييزاً له عن جده عبد الله.

^٢ السَّرِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ زَعِيمُ أَهْلِ مَكَّةَ.

عَلَيْهِمُ الْحَسَنُ وَأَصْحَابُهُ حَمَلَةٌ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ نَحْوَ سَبْعَةِ،
وَدَخَلُوا مَكَّةَ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا خَطَبَ الْحَسَنُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّاسَ، وَعَزَّاهُمْ فِي أَبِي
جَعْفَرٍ، وَدَعَا لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ الْمُلَقَّبِ بِالْمَهْدِيِّ.

خُرُوجُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بِالْبَصْرَةِ

وظَهَرَ بِالْبَصْرَةِ أَيْضًا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، وَجَاءَ الْبَرِيدُ إِلَى أَخِيهِ
مُحَمَّدٍ بِذَلِكَ، فَانْتَهَى إِلَيْهِ لَيْلًا، فَاسْتَوْدِنَ لَهُ عَلَيْهِ وَهُوَ بَدَارِ مَرْوَانَ، فَطَرَقَ
بَابَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِحَيْرٍ.
ثُمَّ خَرَجَ فَأَخْبَرَهُ عَنْ أَخِيهِ بِذَلِكَ، فَاسْتَبَشَرَ، وَفَرِحَ كَثِيرًا، وَكَانَ يَقُولُ لِلنَّاسِ
بَعْدَ صَلَاتِي الصُّبْحِ وَالْمَعْرَبِ: ادْعُوا اللَّهَ لِإِخْوَانِكُمْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَلِلْحَسَنِ بْنِ
مُعَاوِيَةَ بِمَكَّةَ، وَاسْتَنْصِرُوهُ عَلَى أَعْدَائِكُمْ.

وَأَمَّا أَبُو جَعْفَرٍ، فَإِنَّهُ جَهَّزَ الْجِيُوشَ إِلَى مُحَمَّدٍ صُحْبَةَ عَيْسَى بْنِ مُوسَى: أَرْبَعَةَ
آلَافٍ فَارِسٍ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمُنتَحِبِينَ، مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّقَّاحِ،
وَحُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ، وَجَعْفَرُ بْنُ حَنْظَلَةَ الْبَهْرَائِيُّ، وَكَانَ الْمَنْصُورُ قَدْ اسْتَشَارَهُ
فِيهِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ادْعُ مَنْ شِئْتَ مِمَّنْ تَتَّقَى بِهِ مِنْ مَوَالِكَ، فَيَنْزِلُ
وَأِدِي الْفَرَى فَيَمْنَعُهُ مِيرَةَ الشَّامِ، فَيَمُوتُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ جُوعًا، فَإِنَّهُ يَبْلَدُ لَيْسَ
فِيهِ مَالٌ وَلَا رِجَالٌ وَلَا كُرَاعٌ وَلَا سِلَاحٌ. وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْخُصَيْنِ
الْعَبْدِيِّ.

وَقَدْ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ لِعِيسَى بْنِ مُوسَى حِينَ وَدَّعَهُ: يَا عِيسَى، إِنِّي
أَبْعُثُكَ إِلَى مَا بَيْنَ جَنْبَيْ هَذَيْنِ، فَإِنْ ظَفَرْتَ بِالرَّجُلِ، فَشِمَّ سَيْفَكَ^١، وَنَادِ فِي
النَّاسِ بِالْأَمَانِ، وَإِنْ تَعَيَّبَ فَضَمَّنْهُمْ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتُوكَ بِهِ، فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ بِمَذَاهِبِهِ.
وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَدْفَعُهَا إِلَيْهِمْ
حُفِيَّةً، يَدْعُوهُمْ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى الطَّاعَةِ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ عِيسَى بْنُ مُوسَى مِنَ
الْمَدِينَةِ بَعَثَهَا مَعَ رَجُلٍ، فَأَحْذَهُ حَرَسُ مُحَمَّدٍ فَوَجَدُوا مَعَهُ تِلْكَ الْكُتُبَ،
فَدَفَعُوهَا إِلَى مُحَمَّدٍ فَاسْتَحْضَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَوْلِيكِهِ، فَعَاقَبَهُمْ ضَرْبًا شَدِيدًا،
وَقُبُودًا ثِقَالًا، وَأَوْدَعَهُمُ السِّجْنَ، ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي الْمَقَامِ
بِالْمَدِينَةِ حَتَّى يَأْتِيَ عِيسَى بْنُ مُوسَى، فَيُحَاصِرُهُمْ بِهَا، أَوْ أَنْ يُخْرَجَ بِمَنْ مَعَهُ
فِيَقَاتِلَ أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَسَارَ بِهِدَا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَسَارَ بِذَلِكَ، ثُمَّ اتَّفَقَ
الرَّأْيُ عَلَى الْمَقَامِ بِالْمَدِينَةِ - لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأَسَّفَ
يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا - وَعَلَى حَفْرِ حُنْدَقٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، كَمَا فَعَلَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، وَحَفَرَ
مَعَ النَّاسِ فِي الْحُنْدَقِ بِيَدِهِ افْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ ظَهَرَ
لَهُمْ لَبَنَةٌ مِنَ الْحُنْدَقِ الَّذِي كَانَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَرِحُوا

^١ شام السيف : أدخله في غمده.

بِذَلِكَ وَاسْتَبَشَرُوا وَكَبَّرُوا وَبَشَّرُوهُ بِالنَّصْرِ. وَكَانَ مُحَمَّدٌ حَاضِرًا عَلَيْهِ فَبَاءُ أَبْيَضُ،
وَفِي وَسَطِهِ مِنْطَقَةٌ، وَكَانَ شَكْلًا ضَحْمًا، أَسْمَرَ عَظِيمَ الْهَامَةِ.

وَلَمَّا نَزَلَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى الْأَعْوَصُ^١، وَاقْتَرَبَ مِنَ الْمَدِينَةِ، صَعِدَ مُحَمَّدٌ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ الْمَنْبَرِ، فَحَطَبَ النَّاسَ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ وَنَدَّاهُمْ إِلَيْهِ -
وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ - فَقَالَ لَهُمْ فِي جُمْلَةٍ مَا قَالَ: إِنِّي جَعَلْتُكُمْ فِي حِلِّ
مِنْ بَيْعَتِي، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُقِيمَ عَلَيْهَا فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتْرَكَهَا فَلْيَفْعَلْ.
فَتَسَلَّلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَوْ أَكْثَرُهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شِرْذِمَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَخَرَجَ أَكْثَرُ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ بِأَهْلِيهِمْ مِنْهَا لِئَلَّا يَشْهَدُوا الْقِتَالَ بِهَا، فَنَزَلُوا الْأَعْرَاضَ وَرُءُوسَ الْجِبَالِ،
وَقَدْ بَعَثَ مُحَمَّدٌ أَبَا الْقَلَمَسِ لِيُرِدَّهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ، فَلَمْ يُمْكِنَهُ ذَلِكَ فِي أَكْثَرِهِمْ،
وَاسْتَمَرُّوا ذَاهِبِينَ. وَقَدْ قَالَ مُحَمَّدٌ لِرَجُلٍ: أَتَأْخُذُ سَيْفًا وَرُمْحًا وَتَرُدُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنْ أُعْطَيْتَنِي رُمْحًا أَطْعَمُهُمْ بِهِ وَهُمْ بِالْأَعْرَاضِ،
وَسَيْفًا أَضْرِبُهُمْ بِهِ وَهُمْ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ فَعَلْتُ. فَسَكَتَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ قَالَ:
وَيْحَكَ! إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَخُرَّاسَانَ قَدْ بَيَّضُوا - يَعْنِي لَبَسُوا الْبَيَاضَ -
مُؤَافِقَةً لِي وَخَلَعُوا السَّوَادَ. فَقَالَ: وَمَا يَنْفَعُنِي أَنْ لَوْ بَقِيَتِ الدُّنْيَا زُنْدَةً بَيَّضَاءَ
وَأَنَا فِي مِثْلِ صُوفَةِ الدَّوَاةِ، وَهَذَا عَيْسَى بْنُ مُوسَى نَازِلٌ بِالْأَعْوَصِ؟!

^١ الأعوص: واد قريب من المدينة.

ثُمَّ جَاءَ عِيسَى بْنُ مُوسَى، فَنَزَلَ بِجَيْشِهِ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ، عَلَى مِيلٍ مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ دَلِيلُهُ ابْنُ الْأَصَمِّ: إِنِّي أَخَشَى إِذَا كَشَفْتُمُوهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى مُعَسَّكَرِهِمْ سَرِيعًا قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَهُمُ الْخَيْلُ. ثُمَّ ارْتَحَلَ بِهِ فَأَنْزَلَهُ الْجُرْفَ عَلَى سِقَايَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ لِصُبْحِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَالَ: إِنَّ الرَّاحِلَ إِذَا هَرَبَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْهَرُولَةِ أَكْثَرَ مِنْ مِيلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَتُدْرِكُهُ الْخَيْلُ.

وَأَرْسَلَ عِيسَى بْنُ مُوسَى خَمْسِمِائَةَ فَارِسٍ فَنَزَلُوا عِنْدَ الشَّجَرَةِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ إِنْ هَرَبَ فَلَيْسَ لَهُ مَلْجَأٌ إِلَّا مَكَّةَ فَأَقْتُلُوهُ وَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا. ثُمَّ أَرْسَلَ عِيسَى إِلَى مُحَمَّدٍ يَدْعُوهُ إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الْمُبَايَعَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَعْطَاهُ الْأَمَانَ لَهُ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ إِنْ هُوَ أَجَابَ إِلَى ذَلِكَ. فَقَالَ مُحَمَّدٌ لِلرُّسُولِ: لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَقَتَلْتِكَ. ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى يَقُولُ لَهُ: إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاحْذَرْ أَنْ تَمْتَنِعَ فَأَقْتُلْتَكَ فَتَكُونَ شَرًّا قَتِيلًا، أَوْ تَقْتُلَنِي فَتَكُونَ قَدْ قَتَلْتَ مَنْ دَعَاكَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ جَعَلَتِ الرُّسُلُ تَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، يَدْعُوهُ فِيهَا عِيسَى بْنُ مُوسَى إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الْجَمَاعَةِ، وَجَعَلَ عِيسَى يَقِفُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ عَلَى الثَّنِيَّةِ عِنْدَ سَلْعٍ؛ فَيُنَادِي: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، إِنَّ دِمَاءَنَا عَلَيْنَا حَرَامٌ، فَمَنْ جَاءَ فَوْقَ تَحْتِ رَأْيِنَا فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ مَسْجِدَ رَسُولِ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ
الْمَدِينَةِ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَلَيْسَ لَنَا فِي قِتَالِكُمْ أَرْبٌ،
وَإِنَّمَا نُرِيدُ مُحَمَّدًا وَحَدَهُ لِنَذْهَبَ بِهِ إِلَى الْخُلَيْفَةِ. فَجَعَلُوا يَسْبُونَهُ وَيَنَالُونَ مِنْ
أَمِهِ، وَيَتَكَلَّمُونَ مَعَهُ بِكَلَامٍ شَنِيعٍ، وَيَخَاطِبُونَهُ مُخَاطَبَةً فَظِيْعَةً، وَقَالُوا: هَذَا ابْنُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَنَا وَنَحْنُ مَعَهُ، وَنُقَاتِلُ دُونَهُ.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ أَتَاهُمْ فِي حَيْلٍ وَرِجَالٍ وَسِلَاحٍ وَرِمَاحٍ لَمْ يُرْ مِثْلَهَا،
فَنَادَاهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرِي أَلَا أَقَاتِلُكَ حَتَّى أَدْعُوكَ إِلَى السَّمْعِ
وَالطَّاعَةِ، فَإِنْ فَعَلْتَ أَمَّنَّاكَ، وَقَضَى دَيْنَكَ، وَأَعْطَاكَ أَمْوَالًا وَأَرْضِي، وَإِنْ
أَبَيْتَ قَاتَلْتُكَ، فَقَدْ دَعَوْتُكَ غَيْرَ مَرَّةٍ. فَنَادَاهُ مُحَمَّدٌ: إِنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ عِنْدِي إِلَّا
الْقِتَالُ. فَشَبَّتِ الْحَرْبُ حِينَهُدِ بَيْنَهُمْ، وَكَانَ جَيْشُ عَيْسَى بْنِ مُوسَى فَوْقَ
الْأَرْبَعَةِ آلَافٍ، عَلَى الْمُقَدِّمَةِ حُمَيْدُ بْنُ فَحْطَبَةَ، وَعَلَى مَيْمَنَتِهِ مُحَمَّدُ ابْنُ
السَّفَّاحِ، وَعَلَى الْمَيْسِرَةِ دَاوُدُ بْنُ كِرَّازٍ، وَعَلَى السَّاقَةِ الْهَيْثَمُ بْنُ شُعْبَةَ، وَمَعَهُمْ
عُدَّةٌ لَمْ يُرْ مِثْلَهَا، وَفَرَّقَ عَيْسَى أَصْحَابَهُ، فِي كُلِّ قُطْرٍ طَائِفَةٌ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ
وَأَصْحَابُهُ عَلَى عِدَّةِ أَهْلِ بَدْرٍ^١، وَاقْتَتَلَ الْفَرِيقَانِ قِتَالًا شَدِيدًا، وَتَرَجَّلَ مُحَمَّدٌ
إِلَى الْأَرْضِ، فَيُقَالُ إِنَّهُ قَتَلَ بِيَدِهِ مِنْ أَوْلِيَاكَ سَبْعِينَ رَجُلًا، وَأَحَاطَ بِهِمْ أَهْلُ
الْعِرَاقِ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، وَافْتَحَمُوا

^١ يعني ثلاثمائة.

عَلَيْهِمُ الْخُنْدَقَ الَّذِي كَانُوا حَقَرُوهُ، وَعَمِلُوا أَبْوَابًا عَلَى قَدْرِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ رَدَمُوهُ بِحَدَائِحِ الْإِبِلِ^١ حَتَّى أَمَكَّهُمْ أَنْ يَجُوزُوهُ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا فِي مَوْضِعٍ مِنْهُ، وَهَذَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمَ يَزَلِ الْقِتَالُ نَاشِبًا بَيْنَهُمْ مِنْ بُكْرَةِ النَّهَارِ حَتَّى صَلَّتِ الْعَصْرُ، فَلَمَّا صَلَّى مُحَمَّدٌ الْعَصْرَ نَزَلَ إِلَى مَسِيلِ الْوَادِي بِسَلْعٍ، فَكَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ، وَعَقَرَ فَرَسَهُ، وَفَعَلَ أَصْحَابُهُ مِثْلَهُ، وَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْقِتَالِ وَحَمِيَتِ الْحَرْبُ حِينَيْدٍ، فَاسْتَظْهَرَ أَهْلُ الْعِرَاقِ، وَرَفَعُوا رَايَةً سُودَاءَ فَوْقَ سَلْعٍ، ثُمَّ دَنَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَخَلُوهَا وَنَصَبُوا رَايَةً سُودَاءَ فَوْقَ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ تَنَادَوْا: دُخِلَتِ الْمَدِينَةُ. وَهَرَبُوا وَبَقِيَ مُحَمَّدٌ فِي شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ. ثُمَّ بَقِيَ وَحْدَهُ وَفِي يَدِهِ سَيْفٌ صَلَتْ يَضْرِبُ بِهِ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ، فَلَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ، وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ فِي يَدِهِ يَوْمَئِذٍ ذُو الْفَقَارِ^٢. ثُمَّ تَكَاثَرَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ تَحْتَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ الْيُمْنَى فَسَقَطَ مُحَمَّدٌ لِرُكْبَتَيْهِ،

١ أحمالها.

٢ ذو الفقار سيف شهير لدى المسلمين، يعتبره الشيعة أول سيف صنّع لعلي بن أبي طالب قبل غزوة بدر بينما يعتبره السنة هدية من النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب. وأصل تسميته من الفقار وهي الحفرة والحزوز. وسمي السيف «ذا الفقار» لذلك. وقد غنمته النبي ﷺ يوم بدر، حيث كان في الأصل لمبته بن الحجاج السهمي، ونقله النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان هذا السيف لا يفارقه ﷺ، وقد دخل به مكة يوم الفتح. وهو الذي رأى فيه الرؤيا في غزوة أحد، وكانت قائمة هذا السيف وبيعته وحلقته وذواته وبكراته ونعله من فضة.

وَجَعَلَ يَحْمِي نَفْسَهُ، وَيَقُولُ: وَيَحْكُمُ ابْنُ نَبِيِّكُمْ مَجْرُوحٌ مَظْلُومٌ. وَجَعَلَ حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ يَقُولُ: وَيَحْكُمُ دَعْوُهُ لَا تَقْتُلُوهُ. فَأَحْجَمَ عَنْهُ النَّاسُ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ، فَاحْتَرَزَ رَأْسَهُ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى عَيْسَى بْنِ مُوسَى، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَانَ حُمَيْدٌ قَدْ حَلَفَ أَنْ يَقْتُلَهُ مَتَى رَأَاهُ، فَمَا أَدْرَكَهُ إِلَّا كَذَلِكَ.

وَكَانَ مَقْتُلُ مُحَمَّدٍ عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ حَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَقَدْ قَالَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى لِأَصْحَابِهِ حِينَ وُضِعَ رَأْسُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ: مَا تَقُولُونَ فِيهِ؟ فَنَالَ مِنْهُ أَقْوَامٌ وَتَكَلَّمُوا فِيهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: كَذَبْتُمْ وَاللَّهِ، لَقَدْ كَانَ صَوَامًا قَوَامًا، وَلِكِنَّهُ خَالَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَشَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، فَقَتَلْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ. فَسَكَتُوا حِينِئذٍ.

وَقَدْ بَلَغَ الْمَنْصُورَ فِي غُبُونِ هَذَا الْأَمْرِ أَنَّ مُحَمَّدًا فَرَّ مِنَ الْحَرْبِ، فَقَالَ: لَا، إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَفِرُّ.

وَبَعَثَ عَيْسَى بِالْبِشَارَةِ إِلَى الْمَنْصُورِ مَعَ الْقَاسِمِ بْنِ الْحَسَنِ، وَبِالرَّأْسِ مَعَ ابْنِ أَبِي الْكَرَامِ، ثُمَّ أَدَانَ فِي دَفْنِ جُثَّةِ مُحَمَّدٍ فَدَفِنَ بِالْبَقِيعِ، وَأَمَرَ بِأَصْحَابِهِ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَهُ فَصَلَبُوا صَفِّينِ ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ طَرَحُوا عَلَى مَقْبَرَةِ الْيَهُودِ عِنْدَ سَلْعٍ، ثُمَّ نَقَلُوا إِلَى خَنْدَقِ هُنَاكَ، وَأَخَذَ أَمْوَالَ بَنِي حَسَنِ كُلِّهَا، فَسَوَّغَهَا لَهُ الْمَنْصُورُ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ رَدَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ.

وَنُودِيَ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِالْأَمَانِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ، وَتَرَفَعَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى إِلَى الْجُرْفِ مِنْ مَطَرٍ أَصَابَ النَّاسَ يَوْمَ قَتْلِ مُحَمَّدٍ، وَجَعَلَ يَنْتَابُ الْمَسْجِدَ مِنَ الْجُرْفِ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ إِلَى الْيَوْمِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا قَاصِدًا مَكَّةَ، وَكَانَ بِهَا الْحَسَنُ بْنُ مُعَاوِيَةَ مِنْ جِهَةِ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ لِيُقَدِّمَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَكَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، تَلَقَّاهُ الْأَحْبَابُ بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ، فَاسْتَمَرَّ فَأَرَا إِلَى الْبَصْرَةَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، الَّذِي كَانَ قَدْ خَرَجَ بِهَا، ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ أَخِيهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى مَا سَنَدُكُرُهُ.

وَلَمَّا جِيءَ الْمَنْصُورُ بِرَأْسِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ فَوْضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، أَمَرَ فَطِيفَ بِهِ فِي طَبَقٍ أَبْيَضٍ، ثُمَّ طِيفَ بِهِ فِي الْأَقَالِيمِ بَعْدَ ذَلِكَ. ثُمَّ شَرَعَ الْمَنْصُورُ فِي اسْتِدْعَاءِ مَنْ خَرَجَ مَعَ مُحَمَّدٍ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَضْرِبُهُ ضَرْبًا مُبْرِحًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْفُو عَنْهُ.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى إِلَى مَكَّةَ اسْتَنَابَ عَلَى الْمَدِينَةِ كَثِيرٌ بَنِي حُصَيْنٍ، فَاسْتَمَرَّ شَهْرًا حَتَّى بَعَثَ الْمَنْصُورُ عَلَى نِيَابَتِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ فَعَاثَ جُنْدَهُ فِي الْمَدِينَةِ فَسَادًا، وَاشْتَرَوْا مِنَ النَّاسِ أَشْيَاءَ لَا يُعْطَوْنَهَا تَمَنَّا، وَإِنْ طُولُوا بِذَلِكَ ضَرَبُوا الْمُطَالِبَ، وَخَوَّفُوهُ بِالْقَتْلِ، فَتَارَ عَلَيْهِمْ طَائِفَةٌ مِنَ السُّودَانِ^١، وَاجْتَمَعُوا وَنَفَخُوا فِي بُوقٍ لَهُمْ، فَاجْتَمَعَ عَلَى صَوْتِهِ كُلُّ أَسْوَدٍ فِي الْمَدِينَةِ وَحَمَلُوا

^١ العبيد والموالي.

عَلَيْهِمْ حَمَلَةً وَاحِدَةً وَهُمْ ذَاهِبُونَ إِلَى الْجُمُعَةِ، لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - وَقِيلَ: لِحَمْسِ بَقِيْنَ مِنْ شَوَّالٍ مِنْهَا - فَقَتَلُوا مِنْهُمْ طَائِفَةً كَثِيرَةً وَهَرَبَ نَائِبُ الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ، وَتَرَكَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ رُؤَسَاءُ السُّودَانَ: وَثِيقٌ، وَيَعْقِلُ، وَرُمَقَةُ، وَحَدِيَا، وَعَنْفُودٌ، وَمِسْعَرٌ وَأَبُو قَيْسٍ، وَأَبُو النَّارِ، فَرَكِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ فِي جُنُودِهِ وَالْتَمَى مَعَ السُّودَانَ فَهَزَمُوهُ، وَمَضَى فَلَحِقُوهُ بِالْبَقِيعِ، فَأَلْقَى لَهُمْ دَرَاهِمَ شَغَلَهُمْ بِهَا، حَتَّى نَجَا بِنَفْسِهِ وَمَنِ اتَّبَعَهُ، فَلَحِقَ بِبَطْنِ نَخْلٍ عَلَى لَيْلَتَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَوَقَعَ السُّودَانُ عَلَى طَعَامٍ لِلْمَنْصُورِ كَانَ مَحْزُونًا فِي دَارِ مَرْوَانَ قَدْ قُدِمَ بِهِ فِي الْبَحْرِ لِأَجْلِ الْجُنْدِ الَّذِينَ بِالْمَدِينَةِ؛ مِنْ دَقِيقٍ وَسَوِيقٍ وَزَيْتٍ وَقَسْبٍ^١، فَاَنْتَهَبُوهُ، وَبَاعُوهُ بِأَرْخَصِ ثَمَنٍ، وَذَهَبَ الْخَبْرُ إِلَى الْمَنْصُورِ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ السُّودَانَ، وَخَافَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ مَعْرَةِ ذَلِكَ، فَاجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَخَطَبَهُمُ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ - وَكَانَ مَسْجُونًا - فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَفِي رِجْلَيْهِ الْقَيْوُدُ، فَحَثَّهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ، وَخَوَّفَهُمْ شَرَّ مَا صَنَعَهُ مَوَالِيَهُمْ، فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَكْفُوا مَوَالِيَهُمْ وَيُفْرِقُوهُمْ وَأَنْ يَذْهَبُوا إِلَى أَمِيرِهِمْ، فَيُرُدُّوهُ إِلَى عَمَلِهِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَسَكَنَ الْأَمْرُ، وَهَدَأَ النَّاسُ، وَأَنْطَفَأَتِ الشُّرُورُ، وَرَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَطَعَ يَدَ وَثِيقٍ وَأَبِي النَّارِ وَيَعْقِلَ وَمِسْعَرَ.

^١ القَسْبُ: التمر اليابس.

خُرُوجُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بِالْبَصْرَةِ

كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ نَزَلَ فِي بَنِي ضُبَيْعَةَ مِنَ الْبَصْرَةِ، فِي دَارِ الْحَارِثِ بْنِ عَيْسَى، وَكَانَ لَا يُرَى بِالنَّهَارِ، وَكَانَ قُدُومُهُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَنْ طَافَ بِإِلَادًا كَثِيرَةً، وَجَرَتْ عَلَيْهِ وَعَلَى أَحِيهِ حُطُوبٌ شَدِيدَةٌ هَائِلَةٌ، وَانْعَقَدَ أَسْبَابُ هَلَاقِهِمَا فِي أَوْقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، ثُمَّ كَانَ آخِرَ مَا اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ بِالْبَصْرَةِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، بَعْدَ مُنْصَرَفِ الْحَجِيجِ.

وَكَانَ يَدْعُو فِي السِّرِّ إِلَى أَخِيهِ، فَلَمَّا قُتِلَ أَخُوهُ أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ إِلَى نَفْسِهِ وَمُخَالَفَةَ الْمَنْصُورِ.

وَلَمَّا دَخَلَ الْبَصْرَةَ أَوَّلَ قُدُومِهِ إِلَيْهَا نَزَلَ عِنْدَ يَحْيَى بْنِ زِيَادِ بْنِ حَسَّانِ النَّبْطِيِّ، وَكَانَ مُخْتَفِيًا عِنْدَهُ هَذِهِ الْمُدَّةَ كُلَّهَا، حَتَّى ظَهَرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَ أَوَّلَ ظُهُورِهِ فِي دَارِ أَبِي فَرْوَةَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ مُمَيْلَةُ بْنُ مُرَّةَ، وَعَعْفُو اللَّهِ بْنُ سُفْيَانَ، وَعَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، وَعَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ الْهُجَيْمِيُّ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ حُضَيْنِ الرَّقَاشِيِّ، وَنَدَبُوا النَّاسَ إِلَيْهِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَتَحَوَّلَ إِلَى دَارِ أَبِي مَرْوَانَ فِي وَسْطِ الْبَصْرَةِ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرَهُ، وَبَايَعَهُ فِتَامٌ مِنَ النَّاسِ، وَتَفَاقَمَ الْخُطْبُ بِهِ، وَبَلَغَ خَبْرُهُ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، فَازْدَادَ عَمًّا إِلَى عَمِّهِ بِأَخِيهِ مُحَمَّدٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ظَهَرَ قَبْلَ مَقْتَلِ أَخِيهِ، كَمَا ذَكَرْنَا، وَإِنَّمَا كَانَ السَّبَبُ فِي تَعْجِيلِهِ الظُّهُورَ بِالْبَصْرَةِ كِتَابُ أَخِيهِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ، فَامْتَثَلَ أَمْرَهُ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، فَانْتَضَمَ أَمْرُهُ بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ نَائِبَهَا لِلْمَنْصُورِ سُفْيَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ

مُأَلِّمًا لِإِبْرَاهِيمَ فِي الْبَاطِنِ وَيُبْلِغُهُ أَحْبَارَهُ، فَلَا يَكْتَرِثُ لَهَا، وَيُكَدِّبُ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ مِنْهَا، وَيَوَدُّ أَنْ لَوْ صَحَّ أَمْرُ إِبْرَاهِيمَ، وَقَدْ أَمَدَّهُ الْمَنْصُورُ بِأَمِيرَيْنِ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ مَعَهُمَا أَلْفَا فَارِسٍ وَرَاجِلٍ، فَأَنْزَلَهُمَا عِنْدَهُ لِيَتَقَوَّى بِهِمَا عَلَى مُحَارَبَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَتَحْوَلَ الْمَنْصُورُ مِنْ بَعْدَادَ - وَكَانَ قَدْ شَرَعَ فِي عِمَارَتِهَا - إِلَى الْكُوفَةِ، وَجَعَلَ كُلَّمَا أَتَاهُمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ، بَعَثَ إِلَيْهِ مَنْ يَفْتُلُهُ فِي اللَّيْلِ فِي مَنْزِلِهِ، وَكَانَ الْفُرَافِصَةُ الْعِجْلِيُّ قَدْ هَمَّ بِالْوُثُوبِ بِالْكَوفَةِ، فَلَمَّ يُمْكِنُهُ ذَلِكَ لِمَكَانِ الْمَنْصُورِ بِهَا، وَجَعَلَ النَّاسَ يَقْصِدُونَ الْبَصْرَةَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِمُبَايَعَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَيَفِدُونَ إِلَيْهَا جَمَاعَاتٍ وَفُرَادَى، وَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَرْصُدُ لَهُمُ الْمَسَالِحَ، فَيَقْتُلُوهُمْ فِي الطَّرِيقَاتِ، وَيَأْتُونَهُ بِرُءُوسِهِمْ فَيَصْلُبُهَا بِالْكَوفَةِ لِيَنْعِظَ بِهَا النَّاسُ، وَأَرْسَلَ الْمَنْصُورُ إِلَى حَرْبِ الرَّاؤِنْدِيِّ^١ - وَكَانَ مُرَابِطًا بِالْجَزِيرَةِ فِي أَلْفِي فَارِسٍ لِقِتَالِ الْخَوَارِجِ - يَسْتَدْعِيهِ إِلَى الْكُوفَةِ، فَأَقْبَلَ بِمَنْ مَعَهُ، فَلَمَّا اجْتَازَ بِيَلَدَةِ بِهَا أَنْصَارُ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالُوا لَهُ: لَا نَدْعَاكَ بِنَجَاتٍ؛ لِأَنَّكَ إِذَا طَلَبَكَ لِيُحَارِبَ إِبْرَاهِيمَ. فَقَالَ: وَيَحْكُمُ! دَعُونِي. فَأَبَوْا؛ فَقَاتَلَهُمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَمْسِمِائَةً، وَأَرْسَلَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْمَنْصُورِ، فَقَالَ: هَذَا أَوَّلُ الْفَتْحِ.

^١ حرب بن عبد الله البلخي الراوندي: من أكابر قواد المنصور العباسي. كان يتولى شرطة بغداد، ثم ولي شرطة الموصل. وسيره المنصور من الموصل لقتال الترك، وكانوا قد دخلوا تفليس، فقاتلهم حرب فقتل في إحدى وقائعه معهم. (والحرية) ببغداد محلة منسوبة إليه.

وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْإِثْنَيْنِ مُسْتَهْلًا رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، حَرَجَ إِبْرَاهِيمُ فِي اللَّيْلِ إِلَى مَقْبَرَةِ بَنِي يَشْكُرَ فِي بَضْعَةَ عَشَرَ فَارِسًا، وَقَدِمَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَبُو حَمَّادِ الْأَبْرَصُ فِي أَلْفِي فَارِسٍ مِدَادًا لِسُفْيَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَأَنْزَلَهُمُ الْأَمِيرُ فِي الْقَصْرِ، وَمَالَ إِبْرَاهِيمُ وَأَصْحَابُهُ وَمَنْ التَفَّ عَلَيْهِ وَصَارَ إِلَيْهِ إِلَى دَوَابِّ أَوْلِيكَ الْعَسْكَرِ وَأَسْلِحَتِهِمْ، فَأَخَذُوهَا جَمِيعًا، فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَا أَصَابَ، وَمَا أَصْبَحَ الصَّبَاحَ إِلَّا وَقَدْ اسْتَظْهَرَ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الصُّبْحِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَالتَفَّتِ الْحَلَائِقُ عَلَيْهِ مَا بَيْنَ نَاطِرٍ وَنَاصِرٍ، وَتَحَصَّنَ سُفْيَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ نَائِبُ الْخَلِيفَةِ بِقَصْرِ الْإِمَارَةِ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ الْجُنُودُ، فَحَاصَرَهُمْ إِبْرَاهِيمُ بِمَنْ مَعَهُ، فَطَلَبَ سُفْيَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْأَمَانَ، فَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ، وَدَخَلَ إِبْرَاهِيمُ قَصْرَ الْإِمَارَةِ، فَبَسِطَتْ لَهُ حَصِيرٌ لِيَجْلِسَ عَلَيْهَا فِي مُقَدِّمِ إِيوَانِ الْقَصْرِ، فَهَبَّتِ الرِّيحُ، فَكَلَبَتْ الْحَصِيرَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، فَتَطَيَّرَ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّا لَا نَتَطَيَّرُ. وَجَلَسَ عَلَى ظَهْرِ الْحَصِيرِ، وَأَمَرَ بِجَبْسِ سُفْيَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مُقَيَّدًا، وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يُبْرِئَ سَاحَتَهُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى مَا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ، فَإِذَا فِيهِ سِتْمَائَةُ أَلْفٍ، وَقِيلَ: أَلْفَا أَلْفٍ. فَقَوِيَ بِذَلِكَ.

وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ جَعْفَرُ وَمُحَمَّدُ ابْنَا سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ، وَهُمَا ابْنَا عَمِّ الْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ، فَرَكَبَا فِي سِتْمَائَةِ فَارِسٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا إِبْرَاهِيمُ الْمَضَاءَ بْنَ الْقَاسِمِ فِي ثَمَانِيَةِ عَشَرَ فَارِسًا وَثَلَاثِينَ رَاجِلًا، فَهَزَمَ بِهِؤْلَاءِ سِتْمَائَةَ فَارِسٍ، وَأَمَّنَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ، وَبَعَثَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِ الْأَهْوَازِ، فَبَايَعُوا لَهُ وَأَطَاعُوهُ، وَأَرْسَلَ إِلَى

نَائِبَهَا مِائَتِي فَارِسٍ عَلَيْهِمُ الْمُغِيرَةُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُصَيْنِ نَائِبُ الْبِلَادِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَهَزَمَهُ الْمُغِيرَةُ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى الْبِلَادِ، وَبَعَثَ إِبْرَاهِيمَ إِلَى بِلَادِ فَارِسٍ فَأَخَذَهَا، وَكَذَلِكَ وَاسِطُ وَالْمَدَائِنُ وَالسَّوَادُ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرَهُ، وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَهُ نَعْيُ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ انْكَسَرَ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ يَوْمَ الْعِيدِ وَهُوَ مَكْسُورٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ فِي وَجْهِهِ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَنَعَى إِلَى النَّاسِ أَحَاهُ مُحَمَّدًا، فَازْدَادَ النَّاسُ حَنَقًا عَلَى الْمَنْصُورِ، وَأَصْبَحَ فَعَسَكَرَ بِالنَّاسِ، وَاسْتَنَابَ عَلَى الْبَصْرَةِ مُمَيْلَةً، وَخَلَفَ ابْنَهُ حَسَنًا مَعَهُ.

وَلَمَّا بَلَغَ الْمَنْصُورَ خَبْرَهُ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ، وَجَعَلَ يَتَأَسَّفُ عَلَى مَا فَرَّقَ مِنْ جُنْدِهِ فِي الْمَمَالِكِ، وَكَانَ قَدْ بَعَثَ مَعَ ابْنِهِ الْمَهْدِيِّ ثَلَاثِينَ أَلْفًا إِلَى الرَّيِّ، وَبَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، وَالْباقُونَ مَعَ عَيْسَى بْنِ مُوسَى بِالْحِجَازِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ فِي مُعَسْكَرِهِ سِوَى أَلْفِي فَارِسٍ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِالنِّيْرَانِ الْكَثِيرَةِ، فَتَوْقَدُ لَيْلًا، فَيَحْسَبُ النَّاطِرُ أَنَّ هُنَاكَ جُنُودًا كَثِيرَةً، ثُمَّ كَتَبَ الْمَنْصُورُ إِلَى عَيْسَى بْنِ مُوسَى وَهُوَ بِالْحِجَازِ بَعْدَ قَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ: إِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَأَقْبِلْ مِنْ فُورِكَ، وَدَعْ كُلَّ مَا أَنْتَ فِيهِ. فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بِالْبَصْرَةِ وَلَا يَهْلُوكَ كَثْرَةُ مَنْ مَعَهُ، فَإِنَّهُمَا جَمَلَا بَنِي هَاشِمِ الْمَقْتُولَانِ جَمِيعًا، فَأَبْسُطْ يَدَكَ، وَثِقْ بِمَا عِنْدَكَ، وَسَتَذْكُرُ مَا أَقُولُ لَكَ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ الْمَنْصُورُ.

وَكَتَبَ الْمَنْصُورُ إِلَى ابْنِهِ الْمَهْدِيِّ أَنْ يُوجِّهَ حَازِمَ بْنَ حُزَيْمَةَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ إِلَى الْأَهْوَازِ، فَذَهَبَ إِلَيْهَا، فَأَخْرَجَ مِنْهَا نَائِبَ إِبْرَاهِيمَ - وَهُوَ الْمُغِيرَةُ - وَأَبَاحَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَرَجَعَ الْمُغِيرَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَكَذَلِكَ بَعَثَ إِلَى كُلِّ كُورَةٍ مِنْ هَذِهِ الْكُورِ الَّتِي خَلَعَتْ يَرُدُّوهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ.

وَلَزِمَ الْمَنْصُورُ مَوْضِعَ مُصَلَّاهُ، فَلَا يَبْرُحُ فِيهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا، فِي بَدَلَةِ ثِيَابٍ عَلَيْهِ قَدْ اتَّسَحَتْ، فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا هُنَاكَ بَضْعًا وَخَمْسِينَ يَوْمًا، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ فِي غُيُوبِ ذَلِكَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ نِسَاءَكَ قَدْ حَبَّتْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِعَيْبَتِكَ عَنْهُنَّ. فَانْتَهَرَ الْقَائِلَ، وَقَالَ: وَيْحَكَ! لَيْسَتْ هَذِهِ أَيَّامَ نِسَاءٍ حَتَّى أَرَى رَأْسَ إِبْرَاهِيمَ بَيْنَ يَدَيَّ أَوْ يُحْمَلَ رَأْسِي إِلَيْهِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: دَخَلْتُ عَلَى الْمَنْصُورِ وَهُوَ مَهْمُومٌ مِنْ كَثْرَةِ مَا وَقَعَ مِنَ الشَّرُورِ وَالْفُتُوقِ وَالْحُرُوقِ وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّبَعَ الْكَلَامَ مِنْ شِدَّةِ كَرْبِهِ وَهَمِّهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ أَمْرٍ مَا يَسُدُّ حَلَلَهُ، وَقَدْ حَرَجَتْ عَنْ يَدِهِ الْبَصْرَةُ وَالْأَهْوَازُ وَأَرْضُ فَارِسَ وَوَأَسِطُ وَالْمَدَائِنُ وَأَرْضُ السَّوَادِ، وَفِي الْكُوفَةِ عِنْدَهُ مِائَةٌ

أَلْفِ سَيْفٍ مُّغَمَّدَةٌ، تَنْتَظِرُ بِهِ صَيْحَةً وَاحِدَةً، فَيَثْبُونَ عَلَيْهِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ
مَعَ ذَلِكَ يَعْزُكُ النَّوَائِبَ وَيَمْرُسُهَا، وَلَمْ تَفْعُدْ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^١:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامَا وَعَلَّمْتُهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا
فَصَيَّرْتُهُ مَلِكًا هُمَامَا

وَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ قَاصِدًا مِّنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ فِي مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ
الْمَنْصُورُ عَيْسَى بْنَ مُوسَى فِي خَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفًا، وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ حُمَيْدُ بْنُ
قَحْطَبَةَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ فَنَزَلَ فِي بَاخْمَرَ فِي جَحَافِلٍ عَظِيمَةٍ،
فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ: إِنَّكَ قَدِ افْتَرَبْتَ مِنَ الْمَنْصُورِ، فَلَوْ أَنَّكَ سِرْتَ إِلَيْهِ
بِطَائِفَةٍ مِّنْ جَيْشِكَ هَذَا لَأَخَذْتَ بِقَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الْجِيُوشِ أَحَدٌ
يُرْدُونَ عَنْهُ. فَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: إِنَّ الْأَوَّلَى أَنْ نُنَاجِزَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بِإِزَائِنَا، ثُمَّ

^١ هو النابغة الذبياني. وقصة هذا المثل هي في عصام بن شهر، حاجبُ النعمان بن المنذر الذي
قال له النابغة الذبياني حين حَجَبَهُ عن عيادة النعمان من قصيدة له: (فإيَّيَّ لَأَلُومُكَ فِي دُخُولِ
... وَلَكِنْ مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ؟)

وكان عصام رجلاً ذكياً مجتهداً يعلم نفسه بنفسه، حتى أصبح الملك النعمان يعتمد عليه ويستشيره
ويثق في رأيه. وهكذا ارتقى عصام حتى صار من أهم رجال القصر، وأصبح في مكانة عالية، وذا
مال كثير، معتمداً في ذلك على جهده، وبدون مساعدة من أحد أو اعتماداً على حسبٍ أو نسب
أو ثروة ورثها. وقد اشتهر عصام وأصبح حديث الناس، وصاروا يضربون به المثل في الاجتهاد
والاعتماد على النفس لبلوغ أعلى المناصب. وسُموا كل من فعل مثله (عصامياً) نسبة إليه! حتى
قال فيه الشاعر الكبير النابغة الذبياني ما قال.

هُوَ فِي قَبْضَتِنَا. فَشَاهُمْ ذَلِكَ عَنِ الرَّأْيِ الْأَوَّلِ، وَلَوْ فَعَلُوهُ لَتَمَّ هُمْ الْأَمْرَ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: خَنْدَقِ حَوْلَ الْجَيْشِ. فَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ هَذَا الْجَيْشَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى خَنْدَقِ حَوْلِهِ. فَتَرَكَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَشَارَ بَعْضُهُمْ بِأَنْ يُبَيِّتَ جَيْشَ عَيْسَى بْنِ مُوسَى، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ. فَتَرَكَهُ، ثُمَّ أَشَارَ آخَرُونَ بِأَنْ يَجْعَلَ جَيْشَهُ كَرَادِيسَ، فَإِنْ غَلِبَ كُرْدُوسٌ ثَبَتَ الْآخَرُ، فَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ الْأَوَّلَى أَنْ تُقَاتِلَ صُفُوفًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}.

وَأَقْبَلَ الْجَيْشَانِ، فَتَصَافُوْا فِي بَاخْمَرَا، وَهِيَ عَلَى سِتَّةِ عَشَرَ فَرَسًا مِنَ الْكُوفَةِ، فَأَقْتَتَلُوا بِهَا قِتَالًا شَدِيدًا، فَانْهَزَمَ حَمِيدُ بْنُ فَحْطَبَةَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُقَدِّمَةِ، فَجَعَلَ عَيْسَى يُنَاشِدُهُمُ اللَّهَ فِي الرَّجُوعِ وَالْكَرَّةِ، فَلَا يَلُوي عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَثَبَتَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى فِي مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ تَنَحَّيْتَ مِنْ مَكَانِكَ هَذَا لِقَلَّ يَخْطَمَكَ جَيْشُ إِبْرَاهِيمَ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرُؤُ مِنْهُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِي أَوْ أُقْتَلَ هَهُنَا.

مقتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن

وَاسْتَمَرَ الْمُنْهَزَمُونَ ذَاهِبِينَ فَاثْتَهَرُوا إِلَى نَهْرٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَلَمْ يُمْكِنْهُمْ حَوْضُهُ فَكَّرُوا رَاجِعِينَ بِأَجْمَعِهِمْ، فَكَانَ أَوَّلَ رَاجِعِ حَمِيدُ بْنُ فَحْطَبَةَ الَّذِي كَانَ أَوَّلَ مَنْ انْهَزَمَ، ثُمَّ اجْتَلَدُوا هُمْ وَأَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ، فَأَقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَقُتِلَ مِنْ كِلَا

الْفَرِيقَيْنِ حَلَقَ كَثِيرٌ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ، وَتَبَتَ هُوَ فِي حَمْسِمَائَةٍ. وَاسْتَظْهَرَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى وَأَصْحَابُهُ، وَقُتِلَ إِبْرَاهِيمُ فِي جُمْلَةٍ مِنْ قُتْلٍ، وَاحْتَلَطَ رَأْسُهُ مَعَ رُؤُوسِ أَصْحَابِهِ، فَجَعَلَ حُمَيْدٌ يَأْتِي بِالرُّؤُوسِ فَيَعْرِضُهَا عَلَى عَيْسَى بْنِ مُوسَى حَتَّى عَرَفُوا رَأْسَ إِبْرَاهِيمَ، فَبَعَثُوهُ مَعَ الْبَشِيرِ إِلَى الْمَنْصُورِ.

وَلَمَّا جِيءَ بِالرَّأْسِ تَمَثَّلَ الْمَنْصُورُ بِنَيْتِ مُعَقَّرِ بْنِ حِمَارٍ الْبَارِقِيِّ:

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْأَيَابِ الْمُسَافِرِ

وَيُقَالُ: إِنَّ الْمَنْصُورَ لَمَّا نَظَرَ إِلَى الرَّأْسِ بَكَى حَتَّى جَعَلَتْ دُمُوعُهُ تَسْقُطُ عَلَى الرَّأْسِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ لِهَذَا كَارِهًا، وَلَكِنَّكَ ابْتُلَيْتَ بِي وَابْتُلَيْتَ بِكَ. ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّأْسِ، فَنُصِبَ لِلنَّاسِ بِالسُّوقِ.

وَذَكَرَ صَالِحُ مَوْلَى الْمَنْصُورِ قَالَ: لَمَّا جِيءَ بِرَأْسِ إِبْرَاهِيمَ جَلَسَ الْمَنْصُورُ مَجْلِسًا عَامًّا، وَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فَيَهْتِفُونَ، وَيَنَالُونَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَيَقْبِحُونَ الْكَلَامَ فِيهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ الْمَنْصُورِ، وَالْمَنْصُورُ وَاجِمٌ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ لَا يَتَكَلَّمُ، حَتَّى دَخَلَ جَعْفَرُ بْنُ حَنْظَلَةَ الْبَهْرَانِيُّ، فَوَقَفَ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ابْنِ عَمِّكَ، وَعَقَرَ لَهُ مَا فَرَطَ مِنْ حَقِّكَ. قَالَ: فَاصْفَرَّ لَوْنُ الْمَنْصُورِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَبَا حَالِدٍ، مَرْحَبًا وَأَهْلًا، هَهُنَا! فَعَلِمَ النَّاسُ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ وَقَعَ مِنْهُ فَجَعَلَ كُلُّ مَنْ جَاءَ يَقُولُ كَمَا قَالَ جَعْفَرُ بْنُ حَنْظَلَةَ.

ترجمة عبد الله بن حسن

فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ
 فَتَابِعِيُّ، رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ - وَهُوَ صَحَابِيُّ جَلِيلٌ - وَعَبْرِهِمْ. وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ: سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ
 وَالذَّرَّازُورِيُّ، وَمَالِكٌ. وَكَانَ مُعَظَّمًا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مُبَجَّلًا، وَكَانَ عَابِدًا كَبِيرَ
 الْقَدْرِ. قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: كَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا. وَفَدَّ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ،
 فَأَكْرَمَهُ، وَوَفَدَ عَلَى السَّقَّاحِ فَعَظَّمَهُ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَلَمَّا وَلِيَ
 الْمَنْصُورُ عَكَسَ هَذَا الْإِكْرَامَ، وَأَخَذَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مُقَيَّدِينَ مَغْلُولِينَ مُهَانِينَ مِنْ
 الْمَدِينَةِ إِلَى الْهَاشِمِيَّةِ، فَأَوْدَعَهُمُ السِّجْنَ الضَّيِّقَ كَمَا قَدَّمْنَا، فَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ
 فِيهِ، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ هَذَا أَوَّلَ مَنْ مَاتَ فِيهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ خُرُوجِ وَلَدِهِ
 مُحَمَّدٍ بِالْمَدِينَةِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ قُتِلَ عَمْدًا. وَقِيلَ: بَلْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ. وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ. وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَ مَاتَ حَمْسًا وَسَبْعِينَ سَنَةً. وَصَلَّى عَلَيْهِ أَحُوهُ الْحَسَنُ
 بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ.

ثُمَّ مَاتَ بَعْدَهُ أَحُوهُ حَسَنٌ، فَصَلَّى عَلَيْهِ أَحُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
 عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَهُ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى حُرَّاسَانَ، كَمَا قَدَّمْنَا.

ترجمة مُحَمَّد بن عَبْدِ اللَّهِ بنِ حَسَنِ

وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَرَوَى عَنْ أَبِيهِ، وَنَافِعٍ، وَعَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي كَيْفِيَّةِ الْهُيُوبِ إِلَى الشُّجُودِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ، وَوَثَّقَهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: لَا يُتَابَعُ عَلَى حَدِيثِهِ. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ أُمَّهُ حَمَلَتْ بِهِ أَرْبَعَ سِنِينَ. وَكَانَ طَوِيلًا سَمِينًا أَسْمَرَ ضَخْمًا، مُفَحَّحًا ذَا هَمَّةٍ سَامِيَّةٍ، وَسَطْوَةٍ عَالِيَةٍ، وَكَانَ مَقْتُلُهُ بِالْمَدِينَةِ فِي مُنْتَصَفِ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَلَهُ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً. وَقَدْ حَمَلَ رَأْسُهُ إِلَى الْمَنْصُورِ، وَطِيفَ بِهِ فِي الْأَقَالِيمِ.

وَأَمَّا أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ ظُهُورُهُ بِالْبَصْرَةِ بَعْدَ ظُهُورِ أَخِيهِ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ وَقَاتُهُ بَعْدَ وَقَاتِهِ فِي ذِي الْفِعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ فِي الْكُتُبِ السَّنَةِ.

اكتمال بناء بغداد

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا تَكَامَلَ بِنَاءُ مَدِينَةِ السَّلَامِ بِغَدَادَ، وَسَكَنَهَا الْمَنْصُورُ بَانِيهَا فِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَ مُقِيمًا قَبْلَ ذَلِكَ بِالْهَاشِمِيَّةِ الْمُتَاخِمَةِ لِلْكَوْفَةِ، وَكَانَ قَدْ شَرَعَ فِي بِنَائِهَا فِي السَّنَةِ الْخَارِجَةِ، وَقِيلَ: فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ كَانَ السَّبَبُ الْبَاعِثَ لَهُ عَلَى بِنَائِهَا أَنَّ الرَّائِدِيَّةَ لَمَّا وَثَبُوا عَلَيْهِ بِالْكُوفَةِ،
وَوَقَى اللَّهُ شَرَّهُمْ، فَقَهَرَهُمْ وَقَتَلَهُمْ، كَمَا تَقَدَّمَ، بَقِيَتْ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ، فَخَشِيَ عَلَى
جُنْدِهِ مِنْهُمْ، فَخَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ يَرْتَادُ لَهُمْ مَوْضِعًا لِبِنَاءِ مَدِينَةٍ، فَسَارَ فِي الْأَرْضِ
حَتَّى بَلَغَ الْجَزِيرَةَ، فَلَمْ يَرَ مَوْضِعًا أَحْسَنَ لِمَوْضِعِ الْمَدِينَةِ مِنْ مَوْضِعِ بَعْدَادَ
الَّذِي هِيَ فِيهِ الْآنَ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُ مَوْضِعٌ يُغْدَى إِلَيْهِ وَيُرَاحُ بِخَيْرَاتٍ مَا حَوْلَهُ فِي
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَهُوَ مُحَصَّنٌ بِدِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَى مَوْضِعِ
الْحَلِيقَةِ إِلَّا عَلَى جِسْرِ، وَقَدْ بَاتَ بِهِ الْمَنْصُورُ قَبْلَ بِنَائِهِ، فَرَأَى الرِّيحَ لَيْلًا
وَنَهَارًا، وَطِيبَ الْهَوَاءِ فِي تِلْكَ الْمَحَلَّةِ، وَقَدْ كَانَ مَوْضِعُهَا قُرَى وَدُيُورَةً^١ لِعِبَادِ
النَّصَارَى وَعَبِيدِهِمْ، فَحِينَئِذٍ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِاخْتِطَاطِهَا، فَسَمَّوْهَا لَهُ بِالرَّمَادِ،
فَمَشَى فِي طُرُقِهَا وَمَسَالِكِهَا، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ سَلَّمَ كُلَّ رُبْعٍ مِنْهَا لِأَمِيرٍ يَقُومُ
عَلَى بِنَائِهِ، وَأَخْضَرَ مِنْ كُلِّ الْبِلَادِ فُعَالًا وَصُنَاعًا وَمُهَنْدِسِينَ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ
أُلُوفٌ مِنْهُمْ، ثُمَّ كَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ لَبْنَةً فِيهَا بِيَدِهِ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. ثُمَّ قَالَ:
ابْنُوا عَلَيَّ بَرَكَةَ اللَّهِ.

وَأَمَرَ بِبِنَائِهَا مَدُورَةً، سُمِّكُ سُورِهَا مِنْ أَسْفَلِهِ خَمْسُونَ ذِرَاعًا، وَمِنْ أَعْلَاهُ عِشْرُونَ
ذِرَاعًا، وَجَعَلَ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ فِي السُّورِ الْبَرَابِيِّ، وَمِثْلَهَا فِي الْجَوَائِي، وَوَلَّيَسَ كُلُّ

^١ جمع دير، وهو خان للنصارى.

وَاحِدٍ تُجَاهَ الْآخَرِ، وَلَكِنْ أَرُورُ عَنِ الَّذِي يُقَابِلُهُ، وَهَذَا سُمِّيَتْ بَعْدَادُ الرَّوْرَاءِ، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَرْوَارِهَا بِسَبَبِ انْحِرَافِ دِجْلَةَ عِنْدَهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَبَنَى قَصْرَ الْإِمَارَةِ فِي وَسْطِ الْبَلَدِ لِيَكُونَ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، وَاخْتَطَّ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ إِلَى جَانِبِ الْقَصْرِ، وَكَانَ الَّذِي وَضَعَ قِبْلَتَهُ الْحُجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ. وَيُقَالُ: إِنَّ فِي قِبْلَتِهِ انْحِرَافًا يَخْتَاجُ الْمُصَلِّي فِيهِ أَنْ يَنْحَرِفَ إِلَى نَاحِيَةِ بَابِ الْبَصْرَةِ. وَذَكَرَ أَنَّ مَسْجِدَ الرُّصَافَةِ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ بُنِيَ قَبْلَ الْقَصْرِ، وَجَامِعَ الْمَدِينَةِ بُنِيَ عَلَى الْقَصْرِ. فَاخْتَلَّتْ قِبْلَتُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وَأَرَادَ الْمَنْصُورُ أَبَا حَنِيفَةَ النُّعْمَانَ بْنَ ثَابِتٍ عَلَى الْقَضَاءِ فَاْمْتَنَعَ، فَحَلَفَ الْمَنْصُورُ أَنْ يَتَوَلَّى لَهُ، وَحَلَفَ أَبُو حَنِيفَةَ أَلَّا يَفْعَلَ، فَوَلَّاهُ الْقِيَامَ بِأَمْرِ الْمَدِينَةِ وَضَرَبَ اللَّيْنَ وَعَدَّه، وَأَخَذَ الرِّجَالَ بِالْعَمَلِ، فَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ الْمُتَوَلَّى لِذَلِكَ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْ اسْتِمَامِ حَائِطِ الْمَدِينَةِ مِمَّا يَلِي الْخُنْدَقَ، وَكَانَ اسْتِمَامُهُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ.

١ أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن مرزبان الكوفي (٨٠ - ١٥٠ هـ): فقيه وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي، يلقب في التراث العربي الإسلامي بـ«الإمام الأعظم»، اشتهر بعلمه الغزير وأخلاقه الحسنة، حتى قال فيه الإمام الشافعي: «من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة». سوف يذكر له ابن كثير ترجمة موسعة

وَذَكَرَ عَنِ اهْتِمَامِ بْنِ عَدِيٍّ أَنَّ الْمَنْصُورَ عَرَضَ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ الْقَضَاءِ وَالْمَظَالِمِ فَاذْمَنَتْ، فَحَلَفَ أَلَّا يُفْلِعَ عَنْهُ حَتَّى يَعْمَلَ، فَأُحْبِرَ بِذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ، فَدَعَا بِقَصَبَةٍ، فَعَدَّ اللَّبْنَ لِئِبْرَ بِذَلِكَ يَمِينَ أَبِي جَعْفَرٍ، وَمَاتَ أَبُو حَنِيفَةَ بِبَعْدَادَ.

وَذَكَرَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ بَرْمَكٍ هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى الْمَنْصُورِ بِبِنَائِهَا، وَأَنَّهُ كَانَ مُسْتَحِثًّا فِيهَا، وَقَدْ شَاوَرَ الْمَنْصُورَ الْأُمَرَاءَ فِي نَقْلِ الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ مِنَ الْمَدَائِنِ إِلَى بَعْدَادَ لِأَجْلِ قَصْرِ الْإِمَارَةِ بِهَا، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهُ آيَةٌ فِي الْعَالَمِ، وَفِيهِ مُصَلَّى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَحَالَفَهُ وَنَقَلَ مِنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا، فَلَمْ يَفِ مَا تَحْصَلُ مِنْهُ بِأَجْرَةٍ مَا يُصْرَفُ فِي حَمَلِهِ، فَتَرَكَهُ، وَنَقَلَ أَبْوَابَ وَسِطَ إِلَى أَبْوَابِ بَعْدَادَ، وَقَدْ كَانَ الْحُجَّاجُ نَقَلَهَا مِنْ مَدِينَةِ هُنَاكَ.

وَقَدْ كَانَتْ الْأَسْوَاقُ قَرِيبًا مِنْ قَصْرِ الْإِمَارَةِ، فَكَانَتْ أَصْوَاتُ الْبَاعَةِ وَهَوَشَاتُ الْأَسْوَاقِ تُسْمَعُ مِنْهُ، فَعَابَ ذَلِكَ بَعْضُ بَطَارِقَةِ النَّصَارَى مِمَّنْ قَدِمَ فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ مِنَ الرُّومِ، فَأَمَرَ الْمَنْصُورُ بِنَقْلِ الْأَسْوَاقِ مِنْ هُنَاكَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ، وَأَمَرَ بِتَوْسِعَةِ الطُّرُقَاتِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، وَمَنْ بَنَى فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ هُدِمَ.

وَذَكَرَ عَنْ عَيْسَى بْنِ الْمَنْصُورِ أَنَّهُ قَالَ: وَجَدْتُ فِي خَزَائِنِ الْمَنْصُورِ فِي الْكُتُبِ أَنَّهُ أَنْفَقَ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ وَمَسْجِدِهَا الْجَامِعِ وَقَصْرِ الذَّهَبِ بِهَا وَالْأَسْوَاقِ وَالْفُضْلَانِ وَالْحُنَادِقِ وَقِبَائِهَا وَأَبْوَابِهَا أَرْبَعَةَ آلَافٍ أَلْفٍ وَثَمَانِمِائَةٍ وَثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ دِرْهَمًا، وَكَانَ أَجْرَةُ الْأُسْتَاذِ مِنَ الْبَنَائِينَ فِيهَا كُلِّ يَوْمٍ قِيرَاطَ فِضَّةٍ، وَأَجْرَةُ الصَّانِعِ مِنَ الْحَبْتَيْنِ إِلَى الثَّلَاثِ.

وَبَنَاهَا مُدَوَّرَةً، وَلَا يُعْرَفُ فِي أَفْطَارِ الدُّنْيَا كُلِّهَا مَدِينَةٌ مُدَوَّرَةٌ سِوَاهَا، وَذَكَرَ
عَنْ بَعْضِ مَشَايخِ بَعْدَادَ أَنَّهُ قَالَ: اتَّسَاعُ بَعْدَادَ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ جَرِيبًا، وَذَلِكَ
يَعْدِلُ مِائَتَيْنِ فِي مِائَتَيْنِ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: بَعْدَادُ مِنَ الصَّرَاةِ إِلَى بَابِ التِّينِ.

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ بَيْنَ كُلِّ بَابَيْنِ مِنْ أَبْوَابِهَا الثَّمَانِيَةَ مِائًا، وَقِيلَ:
أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ. وَذَكَرَ الْخَطِيبُ صِفَةَ قَصْرِ الْإِمَارَةِ، وَأَنَّ فِيهِ الْقُبَّةَ الْخُضْرَاءَ طُولُهَا
ثَمَانُونَ ذِرَاعًا، عَلَى رَأْسِهَا تَمَثُّلُ فَرَسٍ عَلَيْهِ فَارِسٌ فِي يَدِهِ رُمْحٌ يَدُورُ بِهِ، فَإِلَى
أَيِّ جِهَةٍ اسْتَقْبَلَهَا وَاسْتَمَرَّ مُسْتَقْبَلَهَا، عَلِمَ أَنَّ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ قَدْ وَقَعَ حَدَثٌ،
فَيَنْظُرُ فِي أَمْرِ الْخَلِيفَةِ. وَهَذِهِ الْقُبَّةُ عَلَى مَجْلِسٍ فِي صَدْرِ إِيوَانَ الْمَحْكَمَةِ،
وَطُولُهَا ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهَا عِشْرُونَ ذِرَاعًا، وَقَدْ سَقَطَتْ هَذِهِ الْقُبَّةُ فِي لَيْلَةِ
بَرْدٍ وَمَطَرٍ وَرَعْدٍ وَبَرْقٍ، لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سَنَةَ
تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ الْبُعْدَادِيُّ أَنَّكَ كَانَ يُبَاعُ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ بِبَعْدَادَ الْكَبْشُ بِدِرْهَمٍ،
وَالْحُمَّلُ بِأَرْبَعَةِ دَوَانِقَ، وَيُنَادَى عَلَى لَحْمِ الْغَنَمِ كُلِّ سِتِّينَ رِطْلًا بِدِرْهَمٍ، وَلَحْمُ
الْبَقَرِ كُلِّ تِسْعِينَ رِطْلًا بِدِرْهَمٍ، وَالتَّمْرُ كُلُّ سِتِّينَ رِطْلًا بِدِرْهَمٍ، وَالزَّيْتُ كُلُّ
سِتَّةِ عَشَرَ رِطْلًا بِدِرْهَمٍ، وَالسَّمْنُ كُلُّ ثَمَانِيَةِ أَرْطَالٍ بِدِرْهَمٍ، وَالْعَسَلُ كُلُّ عَشْرَةِ
أَرْطَالٍ بِدِرْهَمٍ.

وَهَذَا الْأَمْنِ وَالرُّحْصِ كَثُرَ سَاكِنُوهَا، وَعَظُمَ أَهْلُوهَا، حَتَّى كَانَ الْمَارُ فِيهَا لَا يَكَادُ يَجْتَازُ فِي الْأَسْوَاقِ؛ لِكثَرَةِ أَهْلِهَا. قَالَ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ وَقَدْ رَجَعَ مِنَ السُّوقِ: طَالَمَا طَرَدْتُ حَلْفَ الْأَرَانِبِ فِي هَذَا الْمَكَانِ.

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ، أَنَّ الْمَنْصُورَ جَلَسَ يَوْمًا فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ وَعِنْدَهُ بَعْضُ رُسُلِ الرُّومِ، فَسَمِعَ ضَجَّةً عَظِيمَةً، ثُمَّ أُحْرَى، ثُمَّ أُحْرَى، فَقَالَ لِلرَّبِيعِ الْحَاجِبِ: مَا هَذَا؟ فَكَشَفَ فَإِذَا بَقْرَةٌ قَدْ نَفَرَتْ مِنْ جَارِهَا هَارِبَةً فِي الْأَسْوَاقِ، فَقَالَ الرُّومِيُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ بَنَيْتَ بِنَاءً لَمْ يَبْنِهِ أَحَدٌ قَبْلَكَ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ عُمُودٍ: بُعْدُهُ مِنَ الْمَاءِ، وَقُرْبُ الْأَسْوَاقِ مِنْهُ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ حُضْرَةٌ، وَالْعَيْنُ حُضْرَةٌ تُحِبُّ الْحُضْرَةَ. فَلَمْ يَرْفَعْ بِهَا الْمَنْصُورُ رَأْسًا، ثُمَّ أَمَرَ بِتَغْيِيرِ ذَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَسَاقَ إِلَيْهِ الْمَاءَ، وَبَنَى عِنْدَهُ الْبَسَاتِينَ، وَحَوَّلَ الْأَسْوَاقَ مِنْ ثَمَّ إِلَى الْكَرْنِخِ.

قَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ: كَمُلَ بِنَاءُ بَغْدَادَ فِي سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ حَوَّلَ الْأَسْوَاقَ إِلَى بَابِ الْكَرْنِخِ وَبَابِ الشَّعِيرِ وَبَابِ الْمُحَوَّلِ، وَأَمَرَ بِتَوْسِعَةِ الْأَسْوَاقِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا. وَبَعْدَ شَهْرٍ مِنْ ذَلِكَ شَرَعَ فِي بِنَاءِ قَصْرِهِ الْمُسَمَّى بِالْحُلْدِ، فَكَمُلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ، كَمَا سَيَأْتِي، وَجَعَلَ أَمْرَ ذَلِكَ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: الْوَضَّاحُ، فَبَنَى قَصْرَ الْوَضَّاحِ، وَبَنَى لِلْعَامَّةِ جَامِعًا لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ؛ لَا يَدْخُلُونَ إِلَى جَامِعِ مَدِينَةِ الْمَنْصُورِ.

فَأَمَّا دَارُ الْخِلَافَةِ الَّتِي كَانَتْ بِيَعْدَادَ فَإِنَّهَا كَانَتْ أَوَّلًا لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ^١، فَانْتَقَلَتْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى ابْنَتِهِ بَوْرَانَ الَّتِي كَانَ تَزَوَّجَهَا الْمَأْمُونُ، فَطَلَبَهَا مِنْهَا الْمُعْتَضِدُ - وَقِيلَ: الْمُعْتَمِدُ - فَأَنْعَمَتْ لَهُ بِهَا، وَاسْتَنْظَرْتُهُ أَيَّامًا حَتَّى تَنْتَقِلَ مِنْهَا، ثُمَّ شَرَعَتْ فِي تَرْمِيمِهَا وَتَبْيِضِهَا وَتَحْسِينِهَا، ثُمَّ فَرَشَتْهَا بِأَنْوَاعِ الْفُرْشِ، وَعَلَقَتْ فِيهَا أَنْوَاعَ السُّتُورِ، وَأُزْصَدَتْ فِيهَا مَا يَنْبَغِي لِلْخَلِيفَةِ مِنَ الْجَوَارِي وَالْخُدَمِ، بِأَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ، وَجَعَلَتْ فِي الْحَزَائِنِ مَا يَنْبَغِي مِنْ أَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ وَالْمَاكِلِ، ثُمَّ بَعَثَتْ بِمَقَاتِيحِهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلَهَا وَجَدَ فِيهَا مَا أُزْصَدَتْ بِهَا، فَهَالَهُ ذَلِكَ وَاسْتَعْظَمَهُ، فَكَانَ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ سَكَنَهَا، وَبَنَى عَلَيْهَا سُورًا.

وَأَمَّا التَّنَاجُ فَبَنَاهُ الْمُكْتَفِي عَلَى دِجْلَةَ، وَحَوْلَهُ الْقِبَابُ وَالْمَجَالِسُ وَالْمِيدَانُ وَالثُّرَيَّا وَحَيْرُ الْوُحُوشِ^٢.

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ صِفَةَ دَارِ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي زَمَنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْفُرْشِ وَالسُّتُورِ وَالْخُدَمِ وَالْمَمَالِكِ، وَالْحِشْمَةِ الْبَادِحَةِ، وَأَنَّهُ كَانَ بِهَا أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ طَوَاشِيٍّ، وَسَبْعُمِائَةَ حَاجِبٍ، وَأَمَّا الْمَمَالِكُ فَأُلُوفٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَسَيَّاتِي ذَكَرَ ذَلِكَ مُفْصَلًا فِي مَوْضِعِهِ بَعْدَ سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ.

^١ الحسن بن سهل السرخسي: فارسي المولد من وزراء الخليفة المأمون وولاته وقواده، وأخو الفضل بن سهل المعروف بذي الرياستين وابنته هي بوران زوجة المأمون.

^٢ الحير: الحظيرة.

وَدَكَرَ الْخَطِيبُ دَارَ الْمَلِكِ الَّتِي بِالْمُحَرَّمِ، وَدَكَرَ الْجَوَامِعَ الَّتِي تُقَامُ فِيهَا الْجُمُعَاتُ، وَدَكَرَ الْأَنْهَارَ وَالْجُسُورَ الَّتِي بِهَا، وَمَا كَانَ فِي ذَلِكَ فِي زَمَنِ الْمَنْصُورِ، وَمَا أُحْدِثَ بَعْدَهُ إِلَى زَمَانِهِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ الْمَنْصُورُ سَلْمَ بْنَ قُتَيْبَةَ عَنِ الْبَصْرَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَتَبَ إِلَى سَلْمٍ يَأْمُرُهُ بِهَدْمِ بُيُوتِ الَّذِينَ بَايَعُوا إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، فَتَوَلَّى فِي ذَلِكَ فَعَزَلَهُ، وَبَعَثَ ابْنَ عَمِّهِ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ فَعَاتَ فِيهَا فَسَادًا، وَهَدَمَ دُورًا كَثِيرَةً، وَعَزَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الرَّبِيعِ عَنِ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ، وَعَزَلَ عَنِ مَكَّةَ السَّرِيِّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلَّاهَا عَبْدَ الصَّمَدِ بْنَ عَلِيٍّ.

وَفِيهَا عَزَا الصَّائِفَةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ جَعْفَرُ بْنُ حَنْظَلَةَ الْبَهْرَائِيُّ.

مَهْلِكُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ عَمِّ الْمَنْصُورِ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٌ، وَفِيهَا أَعَارَ إِسْتَرْخَانَ الْخَوَارِزْمِيُّ فِي جَيْشٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ عَلَى نَاحِيَةِ أَرْمِينِيَّةَ، فَدَخَلُوا تَفْلَيْسَ، وَقَتَلُوا حَلْفًا، وَأَسْرُوا كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الدِّمَّةِ، وَمَنْ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ حَرْبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّاَوْنَدِيُّ الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ الْحَرْبِيَّةُ بِبَغْدَادَ، وَكَانَ مُقِيمًا بِالْمَوْصِلِ فِي الْفَيْنِ لِمُقَابَلَةِ الْخَوَارِجِ، فَسَيَّرَهُ الْمَنْصُورُ لِمُسَاعَدَةِ الْمُسْلِمِينَ بِبِلَادِ أَرْمِينِيَّةَ، فَكَانَ فِي جَيْشِ جَبْرِئِيلَ بْنِ يَحْيَى، فَهَزِمَ جَبْرِئِيلُ، وَقُتِلَ حَرْبُ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ مَهْلِكُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ عَمِّ الْمَنْصُورِ، الَّذِي أَخَذَ الشَّامَ، مِنْ أَيْدِي بَنِي أُمَيَّةَ، ثُمَّ كَانَ عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَ السَّقَّاحُ، فَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ أَبَا مُسْلِمٍ الْخُرَّاسِيَّ، فَهَزَمَهُ، وَهَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى عِنْدِ أَحِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بِالْبَصْرَةِ، فَاحْتَفَى عِنْدَهُ مُدَّةً، ثُمَّ ظَهَرَ الْمَنْصُورُ عَلَى أَمْرِهِ، فَاسْتَدْعَاهُ وَسَجَنَهُ، فَلَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْحِجِّ، فَطَلَبَ ابْنَ عَمِّهِ عَيْسَى بْنَ مُوسَى - وَكَانَ وِلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ الْمَنْصُورِ عَنْ وَصِيَّةِ السَّقَّاحِ - وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ عَمَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا عَدُوِّي وَعَدُوُّكَ، فَأَقْتُلْهُ فِي غَيْبَتِي عَنكَ وَلَا تَتَوَانَ. وَسَارَ الْمَنْصُورُ إِلَى الْحِجِّ، وَجَعَلَ يَكْتُبُ إِلَيْهِ مِنَ الطَّرِيقِ يَسْتَحِثُّهُ فِي ذَلِكَ وَيَقُولُ لَهُ: مَاذَا صَنَعْتَ فِيمَا أَوْعَزْتُ إِلَيْكَ فِيهِ؟ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

وَأَمَّا عَيْسَى بْنُ مُوسَى فَإِنَّهُ لَمَّا تَسَلَّمَ عَمَّهُ حَارَّ فِي أَمْرِهِ، وَشَاوَرَ بَعْضَ أَهْلِهِ، فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ مِمَّنْ لَهُ رَأْيٌ أَنَّ الْمُصْلِحَةَ تَقْتَضِي أَلَّا تَقْتُلَهُ وَأَخْفِهِ عِنْدَكَ، وَأَظْهَرِ قَتْلَهُ؛ فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يُطَالِبَكَ بِهِ جَهْرَةً، فَتَقُولَ: قَتَلْتُهُ. فَيَأْمُرُ بِالْقَوْدِ، فَتَدْعِي أَنَّهُ أَمْرُكَ بِقَتْلِهِ فِي السِّرِّ، فَتَعْجِزُ عَنْ إِثْبَاتِ ذَلِكَ فَيَقْتُلُكَ بِهِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْمَنْصُورُ قَتْلَهُ وَقَتْلَكَ لِيَسْتَرِيحَ مِنْكُمْ مَعًا. فَتَبَصَّرَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَخْفَى عَمَّهُ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ قَتَلَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ الْمَنْصُورُ مِنَ الْحِجِّ أَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَيَشْفَعُوا فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، فَجَاءُوا كُلُّهُمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، وَشَفَعُوا فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَالْحُوتَا فِي ذَلِكَ، فَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ، وَاسْتَدْعَى

عِيسَى بْنِ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ شَفَعُوا عَلِيَّ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، وَقَدْ أَجَبْتُهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، فَسَلِّمُهُ إِلَيْهِمْ. فَقَالَ عِيسَى: وَأَيْنَ عَبْدُ اللَّهِ؟ ذَلِكَ قَتَلْتُهُ مُنْذُ أَمَرْتَنِي. فَقَالَ الْمَنْصُورُ: لَمْ أَمُرْكَ بِذَلِكَ. وَجَحَدَ أَنْ يَكُونَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ مِنْهُ أَمْرٌ فِي ذَلِكَ، فَأَحْضَرَ عِيسَى الْكُتُبَ بِاسْتِحْثَائِهِ فِي ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ ذَلِكَ، وَصَمَّمَ عَلَى الْإِنْكَارِ، وَصَمَّمَ عِيسَى بْنُ مُوسَى أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ، فَأَمَرَ الْمَنْصُورُ عِنْدَ ذَلِكَ بِقَتْلِهِ قِصَاصًا بِعَبْدِ اللَّهِ، فَخَرَجَ بِهِ بَنُو هَاشِمٍ لِيَقْتُلُوهُ، فَلَمَّا جَاءُوا بِالسَّيْفِ قَالَ: رُدُّونِي إِلَى الْحَلِيفَةِ. فَرُدُّوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ عَمَّكَ حَاضِرٌ، وَلَمْ أَقْتُلْهُ. فَقَالَ: هَلُمَّ بِهِ. فَأَحْضَرَهُ، فَسَقَطَ فِي يَدِ الْحَلِيفَةِ، وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ فِي دَارٍ جُدْرَانُهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى مِلْحٍ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ أُرْسِلَ عَلَى جُدْرَانِهَا الْمَاءُ، فَسَقَطَ عَلَيْهِ الْبِنَاءُ، فَهَلَكَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

خَلْعُ الْمَنْصُورِ لِعِيسَى بْنِ مُوسَى

ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ خَلَعَ عِيسَى بْنَ مُوسَى عَنَ وِلَايَةِ الْعَهْدِ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِ ابْنَهُ الْمَهْدِيَّ، فَكَانَ يُجْلِسُهُ فَوْقَ عِيسَى عَنَ يَمِينِهِ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى، وَيُهَيِّئُهُ فِي الْإِذْنِ وَالْمَشُورَةِ وَالِدُخُولِ عَلَيْهِ وَالخُرُوجِ مِنْ عِنْدِهِ، بَعْدَ مَا كَانَ حَظِيًّا عِنْدَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَا زَالَ يُفْصِيهِ وَيُبْعِدُهُ وَيَتَهَدَّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ، حَتَّى خَلَعَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ وَبَايَعَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْمَنْصُورِ، وَأَعْطَاهُ الْمَنْصُورُ عَلَى ذَلِكَ نَحْوًا مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَنْصَلَحَ أَمْرُ عِيسَى

بِنِ مُوسَى وَبَيْتِهِ عِنْدَ الْمَنْصُورِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بَعْدَمَا كَانَ قَدْ أَعْرَضَ عَنْهُ، وَكَانَ قَدْ جَرَتْ بَيْنَهُمَا مَكَاتِبَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَمُرَاوَضَاتٌ فِي تَمْهِيدِ الْبَيْعَةِ لِابْنِهِ الْمَهْدِيِّ وَخَلَعَ عَيْسَى نَفْسَهُ، وَأَنَّ الْعَامَّةَ لَا يَعْدِلُونَ بِالْمَهْدِيِّ أَحَدًا، وَكَذَلِكَ الْأُمَرَاءُ وَالْخَوَاصُّ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَجَابَ إِلَى ذَلِكَ مُكْرَهًا، فَعَوَّضَهُ عَنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا، وَسَارَتْ بَيْعَةُ الْمَهْدِيِّ فِي الْأَفَاقِ شَرْفًا وَعَزَبًا، وَبُعْدًا وَقُرْبًا، وَفَرِحَ الْمَنْصُورُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَاسْتَقَرَّتِ الْخِلَافَةُ فِي ذُرِّيَّتِهِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، فَلَمْ يَكُنْ خَلِيفَةً مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَّا مِنْ سُلَالَتِهِ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا بَعَثَ الْمَنْصُورُ حُمَيْدَ بْنَ قَحْطَبَةَ لِعَزْوِ الثُّرُكِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَاثُوا بِلَادِ تَفْلَيْسَ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُمْ أَحَدًا؛ لِأَنَّهُمْ انْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا فُرِغَ مِنْ بِنَاءِ سُورِ بَغْدَادَ وَحَدَقَهَا. وَفِيهَا عَزَا الصَّائِفَةُ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَدَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ وَمَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ قَحْطَبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ، وَمَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فِي الطَّرِيقِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ حَمْسِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَفِيهَا حَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْكُفْرَةِ يُقَالُ لَهُ أُسْتَاذِيسِي، فِي بِلَادِ حُرَّاسَانَ، فَاسْتَحْوَذَ عَلَى أَكْثَرِهَا، وَالتَفَّ مَعَهُ نَحْوُ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُنَالِكَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَهَزَمُوا الْجُيُوشَ الَّتِي

فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، وَسَبَّوْا خُلُقًا، وَاسْتَحْكَمَ الْفَسَادُ بِسَبَبِهِمْ، وَتَفَاقَمَ أَمْرُهُمْ، فَوَجَّهَ الْمَنْصُورُ حَازِمَ بْنَ حُزَيْمَةَ إِلَى ابْنِهِ الْمَهْدِيِّ لِیُوَلِّیْهُ حَرْبَ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَیَضُمَّ إِلَيْهِ مِنَ الْأَجْنَادِ مَا یُقَاوِمُ أَوْلَیْكَ، فَنَهَضَ الْمَهْدِيُّ فِي ذَلِكَ نَهْضَةَ رَجُلٍ هَاشِمِيٍّ، وَجَمَعَ لِحَازِمِ بْنِ حُزَيْمَةَ الْإِمْرَةَ عَلَى تِلْكَ الْجَبُوشِ، وَبَعَثَهُ فِي نَحْوِ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَسَارَ إِلَيْهِمْ، وَمَا زَالَ یُرَاوِعُهُمْ وَیُمَاكِرُهُمْ، وَیَعْمَلُ الْخَدِیْعَةَ حَتَّى فَاجَأَهُمْ بِالْحَرْبِ، وَوَاجَهَهُمْ بِالضَّرْبِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَأَسَرَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَهَرَبَ مَلَکُهُمْ أُسْتَاذِسیسُ، فَتَحَرَّزَ فِي جَبَلٍ، فَجَاءَ حَازِمٌ إِلَى تَحْتِ الْجَبَلِ، وَقَتَلَ أَوْلَیْكَ الْأَسَارَى كُلَّهُمْ؛ ضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ، وَلَمْ یَزَلْ یُحَاصِرُهُ حَتَّى نَزَلَ عَلَى حُكْمِ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ، فَحَكَمَ أَنْ یُقَيَّدَ بِالْحَدِيدِ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَأَنْ یُعْتَقَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَجْنَادِ؛ وَكَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا، فَفَعَلَ حَازِمٌ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَأَطْلَقَ لِکُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْ كَانَ مَعَ أُسْتَاذِسیسَ ثَوْبَیْنِ، وَكَتَبَ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْفَتْحِ إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَكَتَبَ الْمَهْدِيُّ بِذَلِكَ إِلَى أَبِيهِ الْمَنْصُورِ.

وَفِيهَا عَزَلَ الْخَلِیْفَةُ عَنِ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ، وَوَلَّاهَا الْحَسَنَ بْنَ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

وَفَاةُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَذِكْرُ تَرْجَمَتِهِ

وَفِيهَا تُوَفِّيَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ: هُوَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ، وَاسْمُهُ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ التَّمِيمِيِّ، مَوْلَاهُمْ الْكُوفِيُّ، فَقِيهُ الْعِرَاقِ، وَأَحَدُ أَيْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَالسَّادَةُ الْأَعْلَامِ،

وَأَحَدُ أَرْكَانِ الْعُلَمَاءِ، وَأَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ الْمُتَّبَعَةِ، وَهُوَ
 أَقْدَمُهُمْ وَفَاتَهُ؛ لِأَنَّهُ أَدْرَكَ عَصْرَ الصَّحَابَةِ، وَرَأَى أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَغَيْرَهُ. وَذَكَرَ
 بَعْضُهُمْ أَنَّهُ رَوَى عَنْ سَبْعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَهُمْ: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ،
 وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 الْحَارِثِ بْنِ جَزْرِ الزُّبَيْدِيِّ، وَمَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، وَوَائِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ، وَعَائِشَةُ بِنْتُ
 عَجْرَدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: كَانَ ثِقَةً، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ، وَلَمْ يُتَّهَمْ بِالْكَذِبِ،
 وَقَدْ ضَرَبَهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ عَلَى الْقَضَاءِ فَأَبَى أَنْ يَكُونَ قَاضِيًا. وَقَدْ كَانَ يَحْيَى بْنُ
 سَعِيدٍ يَخْتَارُ قَوْلَهُ فِي الْفِتْوَى، وَكَانَ يَحْيَى يَقُولُ: لَا نَكْذِبُ اللَّهَ، مَا سَمِعْنَا
 أَحْسَنَ مِنْ رَأْيِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَخَذَ بِأَكْثَرِ أَقْوَالِهِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي بِأَبِي حَنِيفَةَ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ
 لَكُنْتُ كَسَائِرِ النَّاسِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ عَنْ مَالِكٍ: رَأَيْتُ رَجُلًا لَوْ كَلَّمَكَ فِي هَذِهِ السَّارِيَةِ أَنْ يَجْعَلَهَا
 ذَهَبًا لَقَامَ بِحُجَّتِهِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مَنْ أَرَادَ الْفِقْهَ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ، وَمَنْ أَرَادَ السِّيَرَةَ
 فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَمَنْ أَرَادَ الْحَدِيثَ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى مَالِكٍ،
 وَمَنْ أَرَادَ التَّفْسِيرَ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ الْحَرَمِيُّ: يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَدْعُوا فِي صَلَاتِهِمْ لِأَبِي حَنِيفَةَ؛ لِحِفْظِهِ الْفِقْهَ وَالسُّنَنَ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ أَفْقَهَ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي زَمَانِهِ.

وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: كَانَ صَاحِبَ غَوْصٍ فِي الْمَسَائِلِ.

وَقَالَ مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: كَانَ أَعْلَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ.

وَرَوَى الْخَطِيبُ الْبَعْدَادِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أَسَدِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ كَانَ يُصَلِّي فِي اللَّيْلِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَيَبْكِي حَتَّى يَرِحْمَهُ حَيْرَانُهُ، وَمَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يُصَلِّي الصُّبْحَ بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ، وَأَنَّهُ حَتَمَ الْقُرْآنَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تُؤَيِّ فِيهِ سَبْعَةَ آلَافٍ مَرَّةً، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ حَمْسِينَ وَمِائَةٍ.

وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ، فَتَمَّ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ سَبْعُونَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ بِبَعْدَادٍ سِتِّ مَرَّاتٍ؛ لِكَثْرَةِ الرَّحَامِ، وَقَبْرُهُ هُنَاكَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا عَزَلَ الْخَلِيفَةُ الْمَنْصُورُ عُمَرَ بْنَ حَفْصِ عَنِ السِّنْدِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا هِشَامَ بْنَ عَمْرٍو التَّغْلِبِيَّ، وَكَانَ سَبَبَ عَزَلِهِ عُمَرَ بْنَ حَفْصِ عَنِ السِّنْدِ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ لَمَّا ظَهَرَ كَانَ

بَعَثَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ الْمُلقَّبُ بِالْأَشْتَرِ^١ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ يَهْدِيَتُهُ؛ حُيُولِ عِتَاقٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ بِالسَّنَدِ، فَقَبِلَهَا، فَدَعَوْهُ إِلَى دَعْوَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ فِي السِّرِّ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَبَايَعَ لَهُ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنَ الْأَمْراءِ سِرًّا، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ أَيْضًا، وَلَبِسُوا الْبِياضَ^٢. فَلَمَّا جَاءَ الْخَبْرُ بِمَقْتَلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بِالْمَدِينَةِ أُسْقِطَ فِي يَدِ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ وَأَصْحَابِهِ، وَأَخَذَ فِي الْإِعْتِدَارِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: إِنِّي أَحْشَى عَلَى نَفْسِي. فَقَالَ: إِنِّي سَأَبْعَثُكَ إِلَى مَلِكٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي جِوَارِ أَرْضِنَا، وَإِنَّهُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّهُ مَتَى عَرَفَكَ أَنَّكَ مِنْ سُلَالَتِهِ أَحَبَّكَ. فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَصَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى ذَلِكَ الْمَلِكِ، فَكَانَ عِنْدَهُ آمِنًا، وَصَارَ عَبْدُ اللَّهِ يَرْكَبُ فِي مَوْكِبٍ مِنَ النَّاسِ، وَيَتَصَيَّدُ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْجُنُودِ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ وَوَفَدَ عَلَيْهِ طَوَائِفٌ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ.

وَأَمَّا الْمَنْصُورُ فَإِنَّهُ بَعَثَ يَعْتَبُ عَلَى عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ نَائِبِ السَّنَدِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَمْراءِ: ابْعَثْنِي إِلَيْهِ، وَاجْعَلِ الْقَضِيَّةَ مُسْنَدَةً إِلَيَّ، فَإِنِّي سَأَعْتَدُرُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، فَإِن سَلِمْتُ وَإِلَّا كُنْتُ فِدَاءَكَ وَفِدَاءَ مَنْ عِنْدَكَ مِنَ الْأَمْراءِ. فَأَرْسَلَهُ

^١ عبد الله بن محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المعروف ب(عبد الله الأشتر) وهو أحد أبناء محمد النفس الزكية، وأمه هي أم سلمة بنت محمد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

^٢ كناية عن خلعتهم الخليفة العباسي.

سَفِيرًا فِي الْقُضِيَّةِ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ الْحَلِيفَةِ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ حَفْصِ بَعْزِلِهِ عَنِ السِّنْدِ، وَوَلَّاهُ بِلَادَ إِفْرِيقِيَّةَ عِوَضًا عَنْ أَمِيرِهَا.

وَلَمَّا وَجَّهَ الْمَنْصُورُ هِشَامَ بْنَ عَمْرِو إِلَى السِّنْدِ أَمَرَهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَجَعَلَ يَتَوَالَى فِي ذَلِكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ يَسْتَحْتُهُ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ اتَّفَقَ أَنَّ سَفَنَجًا أَخَا هِشَامِ بْنِ عَمْرِو لَقِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ، فَاقْتَتَلُوا فُقِتِلَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ جَمِيعًا، وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ مَكَانُهُ فِي الْقَتْلِ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. فَكَتَبَ هِشَامُ بْنُ عَمْرِو إِلَى الْمَنْصُورِ يُعَلِّمُهُ بِقَتْلِهِ، فَبَعَثَ يَشْكُرُهُ عَلَى ذَلِكَ وَيَأْمُرُهُ بِقِتَالِ الْمَلِكِ الَّذِي آوَاهُ، وَيُعَلِّمُهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ قَدْ تَسَرَّى بِجَارِيَةِ هُنَالِكَ، وَأَوْلَدَهَا وَلَدًا أَسْمَاهُ مُحَمَّدًا، فَإِذَا ظَفِرْتَ بِالْمَلِكِ فَاحْتَفِظْ بِالْغُلَامِ. فَتَهَضَّ هِشَامُ بْنُ عَمْرِو إِلَى ذَلِكَ الْمَلِكِ، فَقَاتَلَهُ فَعَلَبَهُ وَفَهَرَهُ عَلَى بِلَادِهِ وَأَمْوَالِهِ وَحَوَاصِلِهِ، وَبَعَثَ بِالْفَتْحِ وَالْأَحْمَاسِ وَبِذَلِكَ الْغُلَامِ إِلَى الْمَنْصُورِ، فَفَرِحَ الْمَنْصُورُ بِذَلِكَ، وَبَعَثَ بِذَلِكَ الْغُلَامِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَتَبَ إِلَى نَائِبِهَا يُعَلِّمُهُ بِصِحَّةِ نَسَبِهِ، وَيَأْمُرُهُ بِأَنْ يُلْحِقَهُ بِأَهْلِهِ يَكُونُ عِنْدَهُمْ لِفَلَا يَضِيعَ نَسَبُهُ، فَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْأَشْتَرِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ الْمَهْدِيُّ عَلَى أَبِيهِ مِنْ بِلَادِ خُرَّاسَانَ، فَتَلَقَّاهُ أَبُوهُ وَالْأُمَّرَاءُ وَالْأَكَابِرُ إِلَى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَقَدِمَ نُوَابُ الْبِلَادِ مِنَ الشَّامِ وَعَیْرُهَا لِلِسَّلَامِ عَلَيْهِ وَتَهَنَّتِهِ بِالسَّلَامَةِ وَالنَّصْرِ.

بِنَاءُ الرُّصَافَةِ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ الْمُبَارَكَةِ شَرَعَ الْمَنْصُورُ فِي بِنَاءِ الرُّصَافَةِ لِابْنِهِ الْمَهْدِيِّ بَعْدَ مَقْدَمِهِ مِنْ حُرَّاسَانَ، وَالرُّصَافَةُ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَعْدَادَ، وَجَعَلَ لَهَا سُورًا وَخَنْدَقًا، وَعَمِلَ عِنْدَهَا مَيْدَانًا وَبُسْتَانًا، وَأَجْرَى إِلَيْهَا الْمَاءَ مِنْ نَهْرِ الْمَهْدِيِّ. وَفِيهَا جَدَّدَ الْمَنْصُورُ لِنَفْسِهِ الْبَيْعَةَ، وَلَوْلَدِهِ الْمَهْدِيِّ مِنْ بَعْدِهِ، وَلِعِيسَى بْنِ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِمَا، وَجَاءَ الْأَمْرَاءُ وَالْخَوَاصُّ فَبَايَعُوا وَجَعَلُوا يُقْبَلُونَ يَدَ الْمَنْصُورِ وَيَدَ ابْنِهِ الْمَهْدِيِّ، وَيَلْمَسُونَ يَدَ عِيسَى بْنِ مُوسَى، وَيُشِيرُونَ بِالتَّقْبِيلِ إِلَيْهَا وَلَا يُقْبَلُونَهَا.

وَوَلَّى الْمَنْصُورُ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ سِجِسْتَانَ.

وَعَزَا الصَّائِفَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ.

قَتْلُ الْخَوَارِجِ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ بِسِجِسْتَانَ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا عَزَلَ الْمَنْصُورُ عَنِ امْرَأَةِ مِصْرَ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمٍ، وَوَلَّاهَا مُحَمَّدَ بْنَ سَعِيدٍ، وَبَعَثَ إِلَى نَائِبِ إِفْرِيقِيَّةَ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ عَصَى وَخَالَفَ، فَلَمَّا جِيءَ بِهِ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ. وَعَزَلَ عَنِ الْبَصْرَةِ جَابِرَ بْنَ تَوْبَةَ الْكِلَابِيِّ، وَوَلَّاهَا يَزِيدَ بْنَ مَنْصُورٍ.

وَفِيهَا قَتَلَتِ الْخَوَارِجُ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ بِسِجِسْتَانَ.

قصة جعفر ابن الخليفة المنصور

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا غَضِبَ الْمَنْصُورُ عَلَى كَاتِبِهِ أَبِي أَيُّوبَ الْمُؤَرِّيَّيْنِ وَسَجَنَهُ، وَسَجَنَ أَخَاهُ خَالِدًا وَبَنِي أَخِيهِ الْأَرْبَعَةَ: سَعِيدًا وَمَسْعُودًا وَمُخَلَّدًا وَمُحَمَّدًا، وَطَالَبَهُمْ بِالْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ. وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنٍ شَبِيبَتِهِ قَدْ وَرَدَ الْمَوْصِلَ وَهُوَ فَقِيرٌ لَا شَيْءَ لَهُ، وَلَا مَعَهُ، فَأَجَرَ نَفْسَهُ مِنْ بَعْضِ الْمَلَا حِينَ حَتَّى اكْتَسَبَ شَيْئًا تَزَوَّجَ بِهِ امْرَأَةً، ثُمَّ جَعَلَ يَعِدُّهَا وَيُمْنِيهَا أَنَّهُ مِنْ بَيْتِ سَيِّصِيرٍ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ سَرِيعًا، فَاتَّفَقَ حَبْلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ تَطَلَّبَهُ بَنُو أُمِّيَّةَ، فَهَرَبَ عَنْهَا، وَتَرَكَهَا حَامِلًا، وَوَضَعَ عِنْدَهَا رُقْعَةً فِيهَا نَسَبُهُ؛ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَأَمَرَهَا إِذَا بَلَغَهَا أَمْرُهُ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَإِذَا وُلِدَتْ غُلَامًا أَنْ تُسَمِّيَهُ جَعْفَرًا، فَوُلِدَتْ غُلَامًا فَسَمَّتُهُ جَعْفَرًا، وَنَشَأَ الْغُلَامُ فَتَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ، وَغَوَى الْعَرَبِيَّةَ وَالْأَدَبَ، وَأَتَقَنَ ذَلِكَ إِتْقَانًا جَيِّدًا، ثُمَّ آلَ الْأَمْرُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ، فَسَأَلَتْ عَنِ السِّفَاحِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ صَاحِبَهَا، ثُمَّ قَامَ الْمَنْصُورُ، وَسَافَرَ الْوَلَدَ إِلَى بَعْدَادَ فَاحْتَلَطَ بِكِتَابِ الرِّسَائِلِ، فَأُعْجِبَ بِهِ أَبُو أَيُّوبَ الْمُؤَرِّيَّيْنِ صَاحِبُ دِيْوَانِ الْإِنشَاءِ لِلْمَنْصُورِ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ وَقَدَّمَهُ عَلَى

١ أي المنصور.

٢ هو جعفر الأصغر.

عِيْرِهِ، فَاتَّفَقَ حُضُورُهُ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ، فَجَعَلَ الْخَلِيفَةُ يُلَاحِظُهُ، ثُمَّ بَعَثَ^١ يَوْمًا الْخَادِمَ لِيَأْتِيَهُ بِكَاتِبٍ، فَدَخَلَ وَمَعَهُ ذَلِكَ الْعَلَامُ، فَكَتَبَ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ كِتَابًا، وَجَعَلَ الْخَلِيفَةُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَتَأَمَّلُهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ اسْمِهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ جَعْفَرٌ، فَقَالَ: ابْنُ مَنْ؟ فَسَكَتَ الْعَلَامُ، فَقَالَ: مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ مِنْ خَبْرِي كَيْتَ وَكَيْتَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ الْخَلِيفَةِ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ أُمِّهِ فَأَخْبَرَهُ، وَسَأَلَهُ عَنْ أَحْوَالِ بَلَدِ الْمَوْصِلِ، وَجَعَلَ يُخْبِرُهُ وَالْعَلَامُ يَتَعَجَّبُ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ، فَاحْتَضَنَهُ وَقَالَ: أَنْتَ ابْنِي. ثُمَّ بَعَثَهُ بِعَقْدِ ثَمِيمٍ وَمَالٍ جَزِيلٍ وَكِتَابٍ إِلَى أُمِّهِ يُعَلِّمُهَا بِحَقِيقَةِ حَالِ الرَّوْجِ.

وَحَرَجَ الْعَلَامُ وَمَعَهُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ سِرِّ الْخَلِيفَةِ، فَأَحْزَرَ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ، فَقَالَ: مَا أَبْطَأَ بِكَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ اسْتَكْتَبَنِي فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ. ثُمَّ تَقَاوَلَا، ثُمَّ فَارَقَهُ الْعَلَامُ مُغْضَبًا، وَهَضَّ مِنْ قُورِهِ، فَاسْتَأْجَرَ إِلَى الْمَوْصِلِ لِيُعَلِّمَ أُمَّهُ، وَيَحْمِلَهَا وَأَهْلَهَا إِلَى بَغْدَادَ إِلَى مَكَانٍ مِنْهَا أَمَرَ بِهِ الْخَلِيفَةُ. فَسَارَ مَرَّاحِلَ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْهُ أَبُو أَيُّوبَ، فَقِيلَ: سَافِرٌ. فَظَنَّ أَبُو أَيُّوبَ أَنَّ هَذَا قَدْ أَفْشَى شَيْئًا مِنْ أَسْرَارِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَفَرَّ مِنْهُ، فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِ رَسُولًا وَقَالَ: حَيْثُ وَجَدْتَهُ فَرُدَّهُ عَلَيَّ. فَسَارَ الرَّسُولُ فِي طَلَبِهِ، فَوَجَدَهُ فِي بَعْضِ الْمَنَازِلِ، فَحَنَقَهُ وَأَلْقَاهُ فِي بَيْتٍ، وَأَخَذَ مَا كَانَ مَعَهُ، فَرَجَعَ بِهِ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ، فَلَمَّا وَقَفَ

^١ أي المنصور.

أَبُو أَيُّوبَ عَلَى الْكِتَابِ أَسْقَطَ فِي يَدِهِ، وَنَدِمَ عَلَى بَعْثِهِ خَلْفَهُ، وَانْتَظَرَ الْخَلِيفَةَ عَوْدَ وَلَدِهِ إِلَيْهِ وَاسْتَبْطَأَهُ، فَبَعَثَ مَنْ كَشَفَ خَبْرَهُ، فَإِذَا رَسُولُ أَبِي أَيُّوبَ قَدْ لَحِقَهُ وَقَتَلَهُ، فَحِينَئِذٍ اسْتَحْضَرَ أَبَا أَيُّوبَ، وَالزَّمَهُ بِأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ، وَمَا زَالَ تَحْتَ الْعُقُوبَةِ حَتَّى اسْتَصْفَى جَمِيعَ أَمْوَالِهِ وَحَوَاصِلِهِ، ثُمَّ قَتَلَهُ، وَقَالَ: هَذَا قَتَلَ حَبِيبِي. وَكَانَ الْمَنْصُورُ كُلَّمَا ذَكَرَ وَلَدَهُ حَزَنَ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا.

وَفِيهَا خَرَجَتِ الْخَوَارِجُ مِنَ الصُّفْرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ، فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفًا، مَا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ، وَعَلَيْهِمْ أَبُو حَاتِمِ الْإِبَاضِيُّ، وَأَبُو عَبَّادٍ، وَأَنْضَمَ إِلَيْهِمْ أَبُو قُرَّةَ الصُّفْرِيُّ فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَاتَلُوا نَائِبَ إِفْرِيقِيَّةَ، فَهَزَمُوا جَيْشَهُ وَقَتَلُوهُ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ عُثْمَانَ ابْنِ أَبِي صُفْرَةَ الَّذِي كَانَ نَائِبَ السِّنْدِ، فَعَزَلَهُ الْمَنْصُورُ عَنْهَا بِسَبَبِ مُبَايَعَتِهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، وَوَلَّاهُ هَذِهِ الْبِلَادَ فَقَتَلَتْهُ الْخَوَارِجُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَكْثَرَتِ الْخَوَارِجُ الْفَسَادَ فِي الْبِلَادِ، وَقَتَلُوا الْحَرِيمَ وَالْأَوْلَادَ، وَأَذَوْا عَامَّةَ الْعِبَادِ.

وَفِيهَا أَلَزَمَ الْمَنْصُورُ النَّاسَ بِلِبْسِ قَلَانِسٍ سُودٍ طَوَالٍ، حَتَّى كَانُوا يَسْتَعِينُونَ عَلَى رَفْعِهَا مِنْ دَاخِلِهَا بِالْقَصَبِ^١، فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ الشَّاعِرُ فِي ذَلِكَ:

وَكُنَّا نُرَجِّي مِنْ إِمَامٍ زِيَادَةً فَرَادَ الْإِمَامُ الْمُصْطَفَى فِي الْقَلَانِسِ
تَرَاهَا عَلَى هَامِ الرِّجَالِ كَأَهْمَا دِنَانُ يَهُودٍ جُلِّلَتْ بِالْبِرَانِسِ

^١ يعني بأعواد.

وَفِيهَا غَزَا الصَّائِفَةَ مَعِيُوفُ بْنُ يَحْيَى الْحُجُورِيُّ، فَأَسَرَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الرُّومِ مَا يُنْفَى عَلَى سِتَّةِ آلَافِ أُسِيرٍ، وَغَنِمَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا دَخَلَ الْمَنْصُورُ بِلَادَ الشَّامِ، وَزَارَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَجَهَّزَ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمِ بْنِ خَمْسِينَ أَلْفًا، وَوَلَّاهُ بِلَادَ إِفْرِيقِيَّةَ، وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ، وَأَنْفَقَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَةِ وَسِتِّينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. وَغَزَا الصَّائِفَةَ زُفَرُ بْنُ عَاصِمِ الْهَلَالِيِّ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ خَمْسٌ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمِ بِلَادَ إِفْرِيقِيَّةَ، فَافْتَتَحَهَا عَوْدًا عَلَى بَدْيٍ، وَقَتَلَ مَنْ كَانَ تَعَلَّبَ عَلَيْهَا مِنَ الْخَوَارِجِ، وَقَتَلَ أُمَرَاءَهُمْ، وَأَصْعَرَ كُبْرَاءَهُمْ، وَأَذَلَّ أَشْرَافَهُمْ، وَأَرْعَمَ أَنْفَهُمْ، وَبَدَّدَ آلَافَهُمْ، وَاسْتَبَدَلَ أَهْلَ الْبِلَادِ هُنَاكَ بِالْخَوْفِ سَلَامَةً، وَبِالْإِهَانَةِ كَرَامَةً، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ قَتَلَ مِنْ أُمَرَائِهِمْ أَبُو حَاتِمٍ وَأَبُو عَبَّادِ الْخَارِجِيَّانِ. ثُمَّ لَمَّا اسْتَقَامَتْ لَهُ وَبِهِ الْأُمُورُ فِي الْبُلْدَانِ دَخَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِلَادَ الْقَيْرَوَانَ، فَمَهَّدَهَا وَأَطَدَهَا، وَأَقَرَّ أَهْلَهَا، وَقَرَّرَ أُمُورَهَا، وَأَزَالَ مَخْذُورَهَا.

بِنَاءُ الرَّافِقَةِ الْمَدِينَةِ الْمَشْهُورَةِ

وَفِيهَا أَمَرَ الْمَنْصُورُ وَلَدَهُ الْمَهْدِيَّ بِنَاءِ الرَّافِقَةِ^١ عَلَى مَنَوَالٍ بِنَاءِ بَغْدَادَ، فَفَعَلَ
ذَلِكَ هَذِهِ السَّنَةَ الْمُبَارَكَةَ.

وَفِيهَا أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِنَاءِ سُورٍ، وَعَمَلَ حُنْدَقٍ حَوْلَ الْكُوفَةِ، وَأَخَذَ مَا غَرِمَ
عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِهَا؛ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ ذَوِي الْيَسَارِ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا.
وَكَانَ قَدْ فَرَضَهَا أَوْلًا خَمْسَةَ دَرَاهِمَ، وَجَبِيَتْ أَرْبَعِينَ أَرْبَعِينَ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ
بَعْضُهُمْ:

يَا لِقَوْمِي مَا لَقِينَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

قَسَمَ الْخَمْسَةَ فِينَا وَجَبَانًا الْأَرْبَعِينَ

وَفِيهَا غَزَا الصَّائِفَةَ يَزِيدُ بْنُ أَسَدٍ السُّلَمِيُّ.

وَفِيهَا طَلَبَ مَلِكُ الرُّومِ الصُّلْحَ مِنْ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ عَلَى أَنْ يَحْمَلَ إِلَى
الْمَنْصُورِ الْجَزِيَّةَ.

وَفِيهَا عَزَلَ الْمَنْصُورُ أَخَاهُ الْعَبَّاسَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنِ الْجَزِيَّةِ، وَعَرَّمَهُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً.

^١ الرافقة مدينة مشهورة بالقرب من مدينة الرقة في سورية.

قتل ابن أبي العوجاء الزنديق

وَفِيهَا عَزَلَ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ إِمْرَةِ الْكُوفَةِ، فَقِيلَ: لِأُمُورٍ بَلَغَتْهُ عَنْهُ فِي تَعَاطِي مُنْكَرَاتٍ وَأُمُورٍ لَا تَلِيْقُ بِالْعَمَالِ. وَقِيلَ: لِقْتَلِهِ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ. وَقَدْ كَانَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ هَذَا زَنْدِيقًا، يُقَالُ: إِنَّهُ لَمَّا أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِوَضْعِ أَرْبَعَةِ آلَافِ حَدِيثٍ يُحِلُّ فِيهَا الْحَرَامَ، وَيُحَرِّمُ فِيهَا الْحَالَ، وَيُصَوِّمُ النَّاسَ فِي يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيُفْطِرُهُمْ فِي أَيَّامِ الصِّيَامِ، فَأَرَادَ الْمَنْصُورُ أَنْ يَجْعَلَ قَتْلَهُ لَهُ ذَنْبًا، فَعَزَلَهُ بِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُقَيِّدَهُ مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ عَيْسَى بْنُ عَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا تَعَزِلْهُ بِهَذَا، فَإِنَّهُ إِتَمَّا قَتَلَهُ عَلَى الزُّنْدَقَةِ، وَمَتَّى عَزَلْتَهُ بِهَذَا شَكَرْتَهُ الْعَامَّةُ وَذَمُّوكَ. فَتَرَكَهُ حِينًا، ثُمَّ عَزَلَهُ عَنِ الْكُوفَةِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عَمْرُو بْنُ زُهَيْرٍ.

وَفِيهَا عَزَلَ الْمَنْصُورُ عَنِ الْمَدِينَةِ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عَمَّهُ عَبْدَ الصَّمَدِ بْنَ عَلِيٍّ، وَجَعَلَ مَعَهُ فُلَيْحَ بْنَ سُلَيْمَانَ مُشْرِفًا عَلَيْهِ. وَعَلَى إِمْرَةِ مَكَّةَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى الْكُوفَةِ عَمْرُو بْنُ زُهَيْرٍ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ الْهَيْثَمُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَعَلَى مِصْرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلَى إِفْرِيقِيَّةَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا ظَفَرَ الْهَيْثَمُ بْنُ مُعَاوِيَةَ نَائِبَ الْمَنْصُورِ بِعَمْرُو بْنِ شَدَّادِ الَّذِي كَانَ عَامِلًا لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى فَارِسَ، فَقَتِلَ بِالْبَصْرَةِ؛ قُطِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ، وَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، ثُمَّ صُلِبَ.

وَفِيهَا عَزَلَ الْمَنْصُورُ الْهَيْثَمَ بْنَ مُعَاوِيَةَ عَنِ الْبَصْرَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا قَاضِيَهَا سَوَّارَ
 بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَالصَّلَاةِ، وَجَعَلَ عَلَى شُرْطَتِهَا وَأَحْدَاثِهَا
 سَعِيدَ بْنَ دَعْلَجٍ، وَرَجَعَ الْهَيْثَمُ بْنُ مُعَاوِيَةَ إِلَى بَعْدَادَ، فَمَاتَ فِيهَا فَجَاءَةً فِي
 هَذِهِ السَّنَةِ، وَهُوَ عَلَى بَطْنِ جَارِيَةٍ لَهُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ الْمَنْصُورُ، وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ
 بَنِي هَاشِمٍ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٌ، وَفِيهَا بَنَى الْمَنْصُورُ قَصْرَهُ الْمُسَمَّى بِالْحُلْدِ
 فِي بَعْدَادَ، وَكَانَ الْمُسْتَحِثَّ فِي عِمَارَتِهِ أَبَانُ بْنُ صَدَقَةَ، وَالرَّبِيعُ مَوْلَى الْمَنْصُورِ.
 وَفِيهَا حَوَّلَ الْمَنْصُورُ الْأَسْوَاقَ مِنْ قُرْبِ دَارِ الْإِمَارَةِ إِلَى بَابِ الْكَرْخِ. وَقَدْ
 ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ سَبَبَ ذَلِكَ.
 وَفِيهَا أَمَرَ بِتَوْسِيعَةِ الطَّرِيقَاتِ.

وَفِيهَا أَمَرَ بِعَمَلِ جِسْرِ عِنْدَ بَابِ الشَّعِيرِ.
 وَفِيهَا اسْتَعْرَضَ الْمَنْصُورُ جُنْدَهُ وَهُمْ مُلَبَّسُونَ السِّلَاحَ، وَهُوَ أَيْضًا لِأَبَسِ
 سِلَاحًا عَظِيمًا، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ دِجْلَةَ.

وَفِيهَا عَزَلَ عَنِ السَّنَدِ هِشَامَ بْنَ عَمْرٍو، وَوَلَّى عَلَيْهَا مَعْبَدَ بْنَ الْحَلِيلِ.
 وَفِيهَا عَزَا الصَّائِفَةَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ السُّلَمِيِّ، فَأَوْعَلَ فِي بِلَادِ الرُّومِ، وَبَعَثَ سِنَانًا
 مَوْلَى الْبَطَّالِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَفَتَحَ بَعْضَ الْحُصُونِ وَسَبَى وَعَنَمَ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا تَكَامَلَ بِنَاءُ قَصْرِ الْمَنْصُورِ الْمُسَمَّى بِالْحُلْدِ، وَسَكَنَهُ أَيَّامًا يَسِيرَةً، ثُمَّ مَاتَ وَتَرَكَهُ.

وَفِيهَا مَاتَ طَاغِيَةُ الرُّومِ.

وَفِيهَا وَجَّهَ الْمَنْصُورُ ابْنَهُ الْمَهْدِيَّ إِلَى الرَّقَّةِ، وَأَمَرَهُ بِعَزْلِ مُوسَى بْنِ كَعْبٍ عَنِ الْمَوْصِلِ، وَأَنْ يُوَلِّيَ عَلَيْهَا خَالِدَ بْنَ بَرْمَكٍ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ نُكْتَةِ غَرِيبَةَ اتَّفَقَتْ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَنْصُورَ كَانَ قَدْ تَعَصَّبَ عَلَى خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ، وَالزَّمَهُ بِحِمْلِ ثَلَاثَةِ آلَافٍ أَلْفٍ، فَضَاقَ ذَرْعًا بِذَلِكَ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مَالٌ وَلَا حَالٌ، وَعَجَزَ عَنِ أَكْثَرِ مَا طُلِبَ مِنْهُ، وَقَدْ أَجَلَّهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ لَمْ يَحْمِلْ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ فَدَمُهُ هَدْرٌ، فَجَعَلَ يُرْسِلُ ابْنَهُ يَحْيَى إِلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ يَسْتَقْرِضُ مِنْهُمْ، فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَعْطَاهُ الْمِائَةَ أَلْفٍ، وَمِنْهُمْ أَقَلٌّ وَأَكْثَرٌ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ تِلْكَ الْأَيَّامِ عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ، وَأَنَا مَهْمُومٌ فِي تَحْصِيلِ مَا طُلِبَ مِنَّا وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، إِذْ وَثَبَ إِلَيَّ رَاجِحٌ - يَعْنِي مِنْ أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ عِنْدَ الْجِسْرِ مِنَ الطُّرُقِيَّةِ - فَقَالَ لِي: أَبْشِرْ. فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَتَقَدَّمَ حَتَّى أَحْذَ بِلِجَامِ فَرَسِي، ثُمَّ قَالَ لِي: أَنْتَ مَهْمُومٌ، وَاللَّهِ لِيُقْرِحَنَّ اللَّهُ هَمَّكَ، وَلَتَمَرَّنَّ غَدًا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَاللِّوَاءُ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَإِنْ كَانَ مَا قُلْتُ حَقًّا فَلِي عَلَيْكَ خَمْسَةُ آلَافٍ. فَقُلْتُ: نَعَمْ. وَلَوْ قَالَ: خَمْسُونَ أَلْفًا لَقُلْتُ: نَعَمْ؛ لِيُعِدَّ ذَلِكَ عِنْدِي. قَالَ: وَذَهَبْتُ لِشَأْنِي، وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْنَا مِنَ الْحِمْلِ ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفٍ، فَوَرَدَ الْخَبْرُ إِلَى الْمَنْصُورِ بِاتِّعَاضِ الْمَوْصِلِ وَانْتِشَارِ

الْأَكْرَادِ بِهَا، فَاسْتَشَارَ الْأَمْرَاءَ مَنْ يَصْلُحُ لِلْمَوْصِلِ؟ فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِخَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: وَيْحَكَ! أَوْيَصُلِحُ لِدَلِّكَ بَعْدَمَا فَعَلْنَا بِهِ مَا فَعَلْنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَأَنَا الضَّامِنُ أَنَّهُ يَصْلُحُ هَا. فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ، فَوَلَّاهُ إِيَّاهَا، وَوَضَعَ عَنْهُ بَقِيَّةَ مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَعَقَدَ لَهُ اللِّوَاءَ، وَوَلَّى ابْنَهُ يَحْيَى بْنَ خَالِدِ أَدْرَبِيجَانَ، وَخَرَجَ النَّاسُ فِي خِدْمَتِهِمَا. قَالَ يَحْيَى: فَمَرَرْنَا بِالْجِسْرِ، فَثَارَ إِلَيَّ ذَلِكَ الرَّاجِرُ فَطَالَبَنِي بِمَا وَعَدْتُهُ بِهِ فَأَمَرْتُ لَهُ بِهِ، فَقَبَضَ خَمْسَةَ آلَافٍ.

موت المنصور

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ الْمَنْصُورُ إِلَى الْحَجِّ، فَسَاقَ الْهَدْيَ مَعَهُ، فَلَمَّا جَاوَزَ الْكُوفَةَ بِمَرَّاحِلٍ أَخَذَهُ وَجَعُهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَكَانَ عِنْدَهُ سُوءُ مَزَاجٍ، فَاسْتَدَّ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَرُكُوبِهِ فِي الْهَوَاجِرِ، وَأَخَذَهُ إِسْهَالٌ وَأَفْرَطَ بِهِ، فَقَوِيَ مَرَضُهُ، وَدَخَلَ مَكَّةَ، فَتُوِّفِيَ بِهَا لَيْلَةَ السَّبْتِ لِسِتِّ مَضِيَّينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَصَلِّيَ عَلَيْهِ، وَدُفِنَ بِكَدَاءٍ عِنْدَ ثَنِيَّةِ الْمُعَلَّى الَّتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ، وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً. وَقَدْ كَتَمَ الرَّبِيعُ مَوْتَهُ حَتَّى أَخَذَ الْبَيْعَةَ لِلْمَهْدِيِّ، مِنْ الْقَوَادِ وَرُؤُوسِ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ دُفِنَ. وَكَانَ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَهُوَ الَّذِي أَقَامَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

تَرْجَمَةُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ

وَهَذِهِ تَرْجَمَةُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ. وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْ أَخِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ، اسْمُهَا سَلَامَةٌ.

بُوعِ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَخِيهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَعُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ سَنَةً؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ عَلَى الْمَشْهُورِ فِي صَفَرٍ مِنْهَا بِالْحُمَيْمَةِ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً إِلَّا أَيَّامًا.

وَكَانَ أَسْمَرَ اللَّوْنِ، مَوْفُورَ اللَّيْمَةِ، خَفِيفَ اللَّحْيَةِ، رَحْبَ الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ بَيْنَ الْقَنَا، أَعْيَنَ كَأَنَّ عَيْنَيْهِ لِسَانَانِ نَاطِقَانِ، مُخَالِطُهُ أَجْهَةٌ الْمُلْكِ، وَتَقْبَلُهُ الْقُلُوبُ وَتَتَّبَعُهُ الْعُيُونُ، يُعْرِفُ الشَّرْفُ فِي تَوَاضُعِهِ، وَالْعَتَقُ فِي صُورَتِهِ، وَاللُّبُّ فِي مَشِيَّتِهِ. هَكَذَا وَصَفَهُ بَعْضُ مَنْ رَأَاهُ.

وَقَدْ حَجَّ الْمَنْصُورُ بِالنَّاسِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، أَحْرَمَ مِنَ الْحِيرَةِ، وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ، وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ، وَفِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ، ثُمَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا وَفَاتُهُ. وَبَنَى مَدِينَةَ السَّلَامِ بَغْدَادَ، وَالرَّافِقَةَ، وَقَصَرَ الْخُلْدِ.

وَقَالَ مَالِكٌ: قَالَ لِي الْمَنْصُورُ: مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقُلْتُ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ. فَقَالَ: أَصَبْتُ، وَذَلِكَ رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ الْفَهْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْمَنْصُورَ عَلَى مَنَبَرٍ عَرَفَةَ يَوْمَ عَرَفَةَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا سُلْطَانُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، أَسْوَ سَكُمْ بِتَوْفِيقِهِ وَرُشْدِهِ، وَخَازِنُهُ عَلَى مَالِهِ، أَقْسِمُهُ بِإِزَادَتِهِ، وَأَعْطِيهِ بِإِذْنِهِ، وَقَدْ جَعَلَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ قُفْلًا، إِذَا شَاءَ أَنْ يَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ وَقَسَمَ أَرْزَاقَكُمْ فَتَحَنِي، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُقْفَلَ عَلَيَّ أَقْفَلَنِي، فَارْعُبُوا إِلَى اللَّهِ أَيُّهَا النَّاسُ، وَسَلُّوهُ - فِي هَذَا الْيَوْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي وَهَبَ لَكُمْ فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ مَا أَعْلَمَكُمْ بِهِ فِي كِتَابِهِ، إِذْ يَقُولُ: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } أَنْ يُوقَفَنِي لِلصَّوَابِ، وَيُسَدِّدَنِي لِلرِّشَادِ، وَيُلْهَمَنِي الرَّأْفَةَ بِكُمْ، وَالْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ، وَيَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ، وَقَسَمَ أَرْزَاقَكُمْ بِالْعَدْلِ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَقَدْ حَطَبَ يَوْمًا، فَاعْتَرَضَهُ رَجُلٌ وَهُوَ يُثْنِي عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ادْكُرْ مَنْ أَنْتَ ذَاكِرُهُ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا تَأْتِيهِ وَتَنْدَرُهُ. فَسَكَتَ الْمَنْصُورُ حَتَّى انْتَهَى كَلَامُ الرَّجُلِ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فِيهِ: { وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ }، أَوْ أَنْ أَكُونَ جَبَّارًا عَصِيًّا، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْمَوْعِظَةَ عَلَيْنَا نَزَلَتْ، وَمِنْ عِنْدِنَا بَيِّنَاتٌ. ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَظُنُّكَ فِي مَقَالَتِكَ هَذِهِ تُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: وَعَظَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَغُرَّتْكُمْ هَذَا فَتَفْعَلُوا كَفَعْلِهِ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَاحْتَفِظَ بِهِ، وَعَادَ إِلَى حُطْبَتِهِ فَأَكْمَلَهَا، ثُمَّ قَالَ لِمَنْ هُوَ عِنْدَهُ: اعْرِضْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَإِنْ قَبِلَهَا فَأَعْلِمْنِي، وَإِنْ رَدَّهَا فَأَعْلِمْنِي. فَمَا زَالَ بِهِ الرَّجُلُ الَّذِي هُوَ عِنْدَهُ حَتَّى

أَخَذَ الْمَالَ وَالْجَوَارِي، وَوَلَّاهُ الْحِسْبَةَ وَالْمَطَالِمَ، وَأَدْخَلَهُ عَلَى الْخَلِيفَةِ فِي بَرَّةٍ حَسَنَةٍ، وَثِيَابٍ وَشَارَةَ حَسَنَةٍ، فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ: وَيْحَكَ! إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ مُحِقًّا لَمَا قَبِلْتَ شَيْئًا مِمَّا أَرَى، وَلَكِنْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ عَنْكَ: إِنَّكَ وَعَظْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَرَجْتَ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

وَقَدْ قَالَ الْمَنْصُورُ لِابْنِهِ الْمَهْدِيِّ: إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا التَّقْوَى، وَالسُّلْطَانَ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الطَّاعَةَ، وَالرَّعِيَّةَ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلَ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ، وَأَنْقَصُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونَهُ.

وَقَالَ أَيْضًا: يَا بُنَيَّ، اسْتَدِمِ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ، وَالْقُدْرَةَ بِالْعَفْوِ، وَالطَّاعَةَ بِالتَّأْلِيفِ، وَالتَّصَرُّعَ بِالتَّوَاضُعِ وَالرَّحْمَةَ لِلنَّاسِ، وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَنَصِيْبَكَ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ.

وَحَضَرَ عِنْدَهُ مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ يَوْمًا، وَقَدْ أَمَرَ بِرَجُلٍ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُهُ، وَأَحْضَرَ النَّطْعَ وَالسِّيفَ، فَقَالَ لَهُ مُبَارَكٌ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٌ لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ. فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا». فَأَمَرَ بِالْعَفْوِ عَنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ. ثُمَّ أَخَذَ يُعَدِّدُ عَلَى جُلْسَائِهِ عَظِيمَ جَرَائِمِهِ وَمَا كَانَ صَنَعَهُ.

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: أُتِيَ الْمَنْصُورُ بِرَجُلٍ لِيُعَاقِبَهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الْإِنْتِقَامُ عَدْلٌ، وَالْعَفْوُ فَضْلٌ، وَتُعِيدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِأَوْكَسِ النَّصِيِّينَ، ذُونَ أَنْ يَبْلُغَ أَرْفَعَ الدَّرَجَتَيْنِ. فَعَفَا عَنْهُ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قَالَ الْمَنْصُورُ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ: أَحْمَدُ اللَّهِ يَا أَعْرَابِي الَّذِي رَفَعَ عَنْكُمْ الطَّاعُونَ بِوَلَايَتِنَا. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ عَلَيْنَا حَشْفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ^١: وَلَا يَتَّكُمُ وَالطَّاعُونَ.

وَدَخَلَ بَعْضُ الرُّهَادِ عَلَى الْمَنْصُورِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ بِبَعْضِهَا، وَادْكُرْ لَيْلَةَ تَبَيْتُ فِي الْقَبْرِ لَمْ تَبْتَ قَبْلَهَا لَيْلَةً، وَادْكُرْ لَيْلَةَ تَحَضُّ عَنْ يَوْمٍ لَا لَيْلَةَ بَعْدَهُ. فَأَفْحَمَ الْمَنْصُورَ قَوْلَهُ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ فَقَالَ: لَوْ احْتَجْتُ إِلَى مَالِكَ لَمَا وَعَظْتُكَ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبِيدٍ الْقَدْرِيِّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ، فَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ وَأَدْنَاهُ، وَسَأَلَهُ عَنْ أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ، عِظْنِي. فَقَرَأَ عَلَيْهِ أَوَّلَ سُورَةِ "الْفَجْرِ" إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى {إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ}. فَبَكَى الْمَنْصُورُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى كَانَتْهُ لَمْ يَسْمَعْ بِهَذِهِ الْآيَاتِ قَبْلَ تِلْكَ السَّاعَةِ ثُمَّ قَالَ: زِدْنِي. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ بِبَعْضِهَا، وَإِنْ هَذَا الْأَمْرُ كَانَ

^١ الحشَفُ: أَرْدَأُ التمر، أي أجمَع حشفاً وسوء كيل. وهو مثل يضرب لمن يجمع بين حصلتين مكروهتين.

لِمَنْ قَبْلَكَ، ثُمَّ صَارَ إِلَيْكَ، ثُمَّ هُوَ صَائِرٌ لِمَنْ بَعْدَكَ، وَادْكُرْ لَيْلَةَ تُسْفِرُ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَبَكَى الْمَنْصُورُ أَشَدَّ مِنْ بُكَائِهِ الْأَوَّلِ حَتَّى اخْتَلَفَ جَفْنَاهُ. فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ: رِفْقًا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عَمْرُو: وَمَاذَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَبْكِيَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ الْمَنْصُورُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا. فَقَالَ الْمَنْصُورُ: وَاللَّهِ لَتَأْخُذَهَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا آخُذَهَا. فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ وَهُوَ جَالِسٌ فِي سَوَادِهِ وَسَيْفِهِ، إِلَى جَنْبِ أَبِيهِ: أَيُخْلِيفُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَتُخْلِيفُ أَنْتَ؟! فَالْتَفَتَ إِلَى الْمَنْصُورِ، فَقَالَ: وَمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا ابْنِي مُحَمَّدُ الْمَهْدِيُّ وَوَلِيُّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِي. فَقَالَ: أَسَمَيْتَهُ اسْمًا لَمْ يَسْتَحِقَّهُ بِعَمَلِهِ هَذَا، وَالْبَسْتَهُ لِبُوسًا مَا هُوَ لِبُوسِ الْأَبْرَارِ، وَلَقَدْ مَهَّدْتَ لَهُ أَمْرًا أَمْتَعَ مَا يَكُونُ بِهِ، أَشْغَلَ مَا تَكُونُ عَنْهُ. ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى الْمَهْدِيِّ فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، إِذَا حَلَفَ أَبُوكَ حَلَفَ عَمُّكَ؛ لِأَنَّ أَبَاكَ أَقْدَرُ عَلَى الْكُفَّارَةِ مِنْ عَمِّكَ. ثُمَّ قَالَ الْمَنْصُورُ: يَا أَبَا عُثْمَانَ، هَلْ مِنْ حَاجَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: لَا تَبْعَثْ إِلَيَّ حَتَّى آتِيكَ. فَقَالَ: إِذْنُ وَاللَّهِ لَا نُلْتَقِي. فَقَالَ: عَنْ حَاجَتِي سَأَلْتَنِي. فَوَدَّعَهُ وَانصَرَفَ، فَلَمَّا وُلَّى أَبَدَّهُ بَصْرَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

كُلُّكُمْ يَمْشِي رُوَيْدٌ كُلُّكُمْ يَطْلُبُ صَيْدٌ

غَيْرَ عَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ

وَكَانَ الْمَنْصُورُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ يَتَصَدَّى لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْوَلَايَاتِ وَالْعَزْلِ، وَالنَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ، فَإِذَا صَلَّى الظُّهْرَ دَخَلَ مَنْزِلَهُ،

وَاسْتَرَاحَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَى الْعَصْرِ، فَإِذَا صَلَّاهَا جَلَسَ لِأَهْلِ بَيْتِهِ وَمَصَاحِبِهِمُ الْخَاصَّةِ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ نَظَرَ فِي الْكُتُبِ وَالرِّسَائِلِ الْوَارِدَةَ مِنَ الْأَفَاقِ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ مَنْ يُسَامِرُهُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، ثُمَّ يَقُومُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيَنَامُ فِي فِرَاشِهِ إِلَى الثُّلُثِ الْآخِرِ، فَيَقُومُ إِلَى وَضُوئِهِ وَصَلَاتِهِ حَتَّى يَتَفَجَّرَ الصَّبَاحُ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيَجْلِسُ فِي إِيوَانِهِ.

وَقَدْ وَلَّى بَعْضَ الْعُمَّالِ عَلَى بَلَدٍ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُ قَدْ تَصَدَّى لِلصَّيْدِ، وَأَعَدَّ لِذَلِكَ الْكِلَابَ وَالْبُرَاةَ^١، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ: ثَكَلْتِكَ أُمُّكَ وَعَدِمْتِكَ عَشِيرَتُكَ، وَيَحْكُ! إِنَّا إِنَّمَا اسْتَكْفَيْنَاكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ نَسْتَكْفِكَ أُمُورَ الْوُحُوشِ، فَسَلِّمْ مَا كُنْتَ تَلِي مِنْ عَمَلِنَا إِلَى فُلَانٍ، وَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ مَلُومًا مَدْحُورًا.

وَأْتِي يَوْمًا بِخَارِجِيٍّ قَدْ هَزَمَ جُيُوشَ الْمَنْصُورِ غَيْرَ مَرَّةٍ، فَلَمَّا أَوْقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: وَيَحْكُ! يَا بَنَ الْفَاعِلَةِ، مِثْلُكَ يَهْزِمُ الْجُيُوشَ؟ فَقَالَ الْخَارِجِيُّ: وَيَنُوكَ، سَوْءَةٌ لَكَ! بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَمْسِ السَّيْفُ وَالْقَتْلُ، وَالْيَوْمَ الْقَذْفُ وَالسَّبُّ! وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ أَرَدْتُ عَلَيْكَ وَقَدْ بَيَّسْتُ مِنَ الْحَيَاةِ، فَلَا تَسْتَقْبِلْهَا أَبَدًا؟! قَالَ: فَاسْتَحْيَا مِنْهُ الْمَنْصُورُ وَأَطْلَقَهُ. فَمَا رَأَى لَهُ وَجْهًا إِلَى الْحَوْلِ.

وَقَالَ الْمَنْصُورُ: يَا بُعِيَّ، لَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ الَّذِي غَشِيَهُ حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهِ.

^١ البراة: الصقور، جمع بازي.

وَقَالَ أَيْضًا يَوْمًا لِابْنِهِ الْمَهْدِيِّ: يَا بُنَيَّ، لَا تَجْلِسْ مَجْلِسًا إِلَّا وَعِنْدَكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يُحَدِّثُكَ^١؛ فَإِنَّ الرَّهْرِيَّ قَالَ: عِلْمُ الْحَدِيثِ لَا يُجِبُّهُ إِلَّا ذِكْرَانُ الرَّجَالِ، وَلَا يَكْرَهُهُ إِلَّا مُؤَنَّثُوهُمْ، وَصَدَقَ أَحْوُ زُهْرَةَ.

وَقَدْ كَانَ الْمَنْصُورُ فِي شَيْبَتِهِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ مِنْ مَظَانِّهِ وَالْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ، فَنَالَ مِنْ ذَلِكَ جَانِبًا جَيِّدًا، وَطَرَفًا صَالِحًا، وَقَدْ قِيلَ لَهُ يَوْمًا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ بَقِيَ شَيْءٌ مِنَ اللَّذَاتِ لَمْ تَنْلَهُ؟ قَالَ: لَا، سِوَى شَيْءٍ وَاحِدٍ. قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: قَوْلُ الْمُحَدِّثِ لِلشَّيْخِ: مَنْ ذَكَرْتَ، رَحِمَكَ اللَّهُ؟ فَاجْتَمَعَ وُرَرَاؤُهُ وَكُتَابُهُ، وَجَلَسُوا حَوْلَهُ، وَقَالُوا: لِيُحْمِلَ عَلَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ. فَقَالَ: لَسْتُمْ بِهِمْ، إِنَّمَا هُمْ الدَّنَسَةُ ثِيَابُهُمْ، الْمَشَقَّةُ أَرْجُلُهُمْ، الطَّوِيلَةُ شُعُورُهُمْ، بُرْدُ الْأَفَاقِ^٢، وَنَقَلَهُ الْحَدِيثِ.

وَقَالَ الْمَنْصُورُ يَوْمًا لِلْمَهْدِيِّ: كَمْ عِنْدَكَ رَايَةً؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي. فَقَالَ: هَذَا هُوَ التَّقْصِيرُ، أَنْتَ لِأَمْرِ الْخِلَافَةِ أَشَدُّ تَضْيِيعًا، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا بُنَيَّ. وَقَالَتْ خَالِصَةُ إِحْدَى حَظِيَّاتِ الْمَهْدِيِّ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْمَنْصُورِ وَهُوَ يَشْتَكِي ضِرْسَهُ، وَيَدَاهُ عَلَى صُدْغَيْهِ، فَقَالَ لِي: كَمْ عِنْدَكَ مِنَ الْمَالِ يَا خَالِصَةُ؟ فَقُلْتُ: أَلْفُ دِرْهَمٍ. فَقَالَ: ضَعِي يَدِكَ عَلَى رَأْسِي وَاحْلِفِي. فَقُلْتُ:

^١ يعني يقرأ عليك أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

^٢ بُرْدُ الْأَفَاقِ يعني المسافرون في طلب أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ونقلها.

عِنْدِي عَشْرَةُ آلَافٍ دِينَارٍ. قَالَ: اذْهَبِي فَاحْمِلِيهَا إِلَيَّ. قَالَتْ: فَذَهَبْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي الْمَهْدِيِّ وَهُوَ مَعَ زَوْجَتِهِ الْخَيْرَانِ، فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَكَانِي بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَيْسَ بِهِ وَجَعٌ، وَلَكِنِّي سَأَلْتُهُ بِالْأَمْسِ مَالًا، فَتَمَارَضَ، وَإِنَّهُ لَا يَسْعُكَ إِلَّا مَا أَمَرَكَ بِهِ. فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ خَالِصَةً وَمَعَهَا عَشْرَةُ آلَافٍ دِينَارٍ، فَاسْتَدْعَى بِالْمَهْدِيِّ، فَقَالَ لَهُ: تَشْكُو الْحَاجَةَ وَهَذَا كُلُّهُ عِنْدَ خَالِصَةٍ؟!

وَقَالَ الْمَنْصُورُ لِحَازِنِهِ: إِذَا عَلِمْتَ بِمَجِيءِ الْمَهْدِيِّ فَاتَّبِعِي بِخُلْقَانِ الثِّيَابِ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ. فَجَاءَ بِهَا فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَدَخَلَ الْمَهْدِيُّ وَالْمَنْصُورُ يُقَلِّبُهَا، فَجَعَلَ الْمَهْدِيُّ يَضْحَكُ، فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ، مَنْ لَيْسَ لَهُ حَلْقٌ مَا لَهُ جَدِيدٌ، وَقَدْ حَضَرَ الشِّتَاءُ فَنَحْتَاجُ نَعِيْنَ الْعِيَالِ وَالْوَالِدِ. فَقَالَ الْمَهْدِيُّ: عَلَيَّ كُسُوفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِيَالِهِ. فَقَالَ: دُونَكَ فَافْعَلْ.

وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ اهْتِمَامِهِ، أَنَّ الْمَنْصُورَ أَطْلَقَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ لِبَعْضِ أَعْمَامِهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَفِي هَذَا الْيَوْمِ فَرَّقَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَلَا يُعْلَمُ حَلِيفَةُ فَرَّقَ مِثْلَ هَذَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ.

وَقَرَأَ بَعْضُ الْمُرَّاءِ عِنْدَ الْمَنْصُورِ: {الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الْمَالَ حِصْنٌ لِلْسُلْطَانِ وَدِعَامَةٌ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا وَعَرْضُهُمَا وَزِينَتُهُمَا مَا بَتُّ لَيْلَةً وَاحِدَةً وَأَنَا أُحْرِزُ مِنْهُ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا؛ لِمَا أَجِدُ لِبَدْلِ الْمَالِ مِنَ اللَّدَادَةِ، وَلِمَا أَعْلَمُ فِي إِعْطَائِهِ مِنْ جَزِيلِ الْمُثُوبَةِ.

وَقَرَأَ عِنْدَهُ قَارِئٌ آخَرُ: { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ } فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا أَدَبَنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ!

وَقَالَ الْمَنْصُورُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَادَةُ
النَّاسِ فِي الدُّنْيَا الْأَسْحِيَاءُ، وَفِي الْآخِرَةِ الْأَتْقِيَاءُ.

وَلَمَّا عَزَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْحَجِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ
- دَعَا وَلَدَهُ الْمَهْدِيَّ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ فَأَوْصَاهُ فِي حَاصَّةِ نَفْسِهِ وَفِي أَهْلِ
بَيْتِهِ وَبَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَعَلَّمَهُ كَيْفَ يَفْعَلُ الْأَشْيَاءَ، وَيَسُدُّ الثُّغُورَ بِوَصَايَا
يَطُولُ بَسْطُهَا، وَحَرَجَ عَلَيْهِ أَلَّا يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ خَزَائِنِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَتَحَقَّقَ
وَفَاتَهُ؛ فَإِنَّ بِهَا مِنَ الْأَمْوَالِ مَا يَكْفِي الْمُسْلِمِينَ لَوْ لَمْ يُجِبْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْخَرَاجِ
دِرْهَمٌ عَشْرَ سِنِينَ، وَعَهْدَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ، وَهُوَ ثَلَاثُمِائَةٍ
أَلْفِ دِينَارٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرَ فِضَاءَهَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَاِمْتَلَأَ الْمَهْدِيُّ ذَلِكَ كُلَّهُ.

وَأَحْرَمَ الْمَنْصُورُ بِحَجِّ وَعُمْرَةٍ مِنَ الرُّصَافَةِ، وَسَاقَ بُدْنَهُ، وَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِلَيَّ
وُلِدْتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَقَدْ وَقَعَ لِي أَبِي أَمُوتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي
حَدَانِي عَلَى الْحَجِّ عَامِي هَذَا. وَوَدَّعَهُ وَسَارَ، وَاعْتَرَاهُ مَرَضُ الْمَوْتِ فِي أَثْنَاءِ
الطَّرِيقِ، فَمَا دَخَلَ مَكَّةَ إِلَّا وَهُوَ مُثْقَلٌ.

وَكَانَ آخَرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي لِقَائِكَ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنْ كُنْتُ عَصَيْتُكَ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَقَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ؛ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا. ثُمَّ مَاتَ.

وَكَانَ نَقَشُ خَاتَمِهِ: اللَّهُ ثِقَةٌ عَبْدُ اللَّهِ، وَبِهِ يُؤْمَنُ.

وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَ وَفَاتِهِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً عَلَى الْمَشْهُورِ؛ مِنْهَا ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً فِي الْخِلَافَةِ، وَدُفِنَ بِبَابِ الْمُعَلَّى، رَحِمَهُ اللَّهُ، عِنْدَ بَابِ مَكَّةَ، وَلَا يُعْرَفُ قَبْرُهُ؛ لِأَنَّهُ عُمِّي قَبْرُهُ؛ فَإِنَّ الرَّبِيعَ حَفَرَ مِائَةَ قَبْرِ، وَدَفَنَهُ فِي غَيْرِهَا لِئَلَّا يُعْرَفَ.

أَوْلَادُ الْمَنْصُورِ

مُحَمَّدُ الْمَهْدِيُّ، وَكَانَ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَجَعَفَرُ الْأَكْبَرُ، مَاتَ فِي حَيَاتِهِ، وَأُمُّهُمَا أَرْوَى بِنْتُ مَنْصُورٍ، وَعَيْسَى، وَيَعْقُوبُ، وَسُلَيْمَانُ، وَأُمُّهُمُ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، مِنْ وَلَدِ طَلْحَةَ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ، وَجَعَفَرُ الْأَصْغَرُ مِنْ أُمِّ وَلَدِ كُرْدَيْتَةَ، وَصَالِحُ الْمِسْكِينُ مِنْ أُمِّ وَلَدِ رُومِيَّةَ يُقَالُ هَا قَالِي الْفَرَّاشَةُ. وَالْقَاسِمُ مِنْ أُمِّ وَلَدِ أَبِيضًا. وَالْعَالِيَةُ مِنْ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ.

خِلَافَةُ الْمَهْدِيِّ

لَمَّا مَاتَ أَبُوهُ الْمَنْصُورُ بِمَكَّةَ لَيْسَتْ مَضِيْنٌ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ، أَخَذَتْ لَهُ الْبَيْعَةَ بِمَكَّةَ مِنْ رُؤُوسِ بَنِي هَاشِمٍ وَالْقَوَادِ الَّذِينَ هُمْ

مَعَ الْمَنْصُورِ فِي الْحَجِّ قَبْلَ دَفْنِهِ، وَبُعِثَ بِالْبَيْعَةِ وَالْبُرْدَةِ وَالْقَضِيبِ مَعَ الْبَرِيدِ إِلَى الْمَهْدِيِّ وَهُوَ بِبَغْدَادَ، فَوَصَلَهُ الْبَرِيدُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِلنِّصْفِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، وَأَعْطَاهُ الْكُتُبَ بِالْبَيْعَةِ، وَبَايَعَهُ أَهْلُ مَدِينَةِ السَّلَامِ، وَنَفَذَتِ الْبَيْعَةُ إِلَى سَائِرِ الْأَفَاقِ وَالْأَقَالِيمِ، وَقَدْ كَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٌ، وَاسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَحَلِيفَةُ النَّاسِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ ابْنُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، فَبَعَثَ فِي أَوْلَاهَا الْعَبَّاسَ بْنَ مُحَمَّدٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، وَرَكِبَ مَعَهُمْ مُشِيْعًا هُمْ، فَسَارُوا إِلَيْهَا، فَافْتَتَحُوا مَدِينَةَ عَظِيمَةً لِلرُّومِ وَمَطْمُورَةَ، وَغَنِمُوا غَنَائِمَ كَثِيرَةً، وَرَجَعُوا سَالِمِينَ، لَمْ يُفْقَدَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ.

وَفِيهَا تُوَيِّئُ حَمِيدُ بْنُ قَحْطَبَةَ نَائِبُ حُرَّاسَانَ، فَوَلَّى الْمَهْدِيُّ مَكَانَهُ أَبَا عَوْنٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنَ يَزِيدَ، وَوَلَّى حَمَزَةَ بْنَ مَالِكٍ سِجِسْتَانَ، وَوَلَّى جَبْرِئِيلَ بْنَ يَحْيَى سَمَرْقَنْدًا.

وَفِيهَا بَنَى الْمَهْدِيُّ مَسْجِدَ الرِّصَافَةِ وَخَنَدَقَهَا.

وَفِيهَا جَهَّزَ الْمَهْدِيُّ جَيْشًا كَثِيفًا إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ، فَوَصَلُوا إِلَيْهَا فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا سَنَدُكُرُهُ.

وَفِيهَا تُوَيِّئُ نَائِبُ السِّنْدِ مَعْبُدُ بْنُ الْحَلِيلِ، فَوَلَّى الْمَهْدِيُّ مَكَانَهُ رَوْحَ بْنَ حَاتِمٍ بِمَشُورَةَ وَزِيرَهُ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ.

وَفِيهَا أَطْلَقَ الْمَهْدِيُّ مَنْ كَانَ فِي السُّجُونِ إِلَّا مَنْ كَانَ مَحْبُوسًا عَلَى دَمٍ، أَوْ
مَنْ يَسْعَى فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، أَوْ عِنْدَهُ حَقٌّ لِأَحَدٍ، فَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ أُخْرِجَ
مِنَ الْمُطَبِقِ^١ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ مَوْلَى بَنِي سُلَيْمٍ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِصَيْرُورَةِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى نُصَيْرِ الْخَادِمِ
لِيَحْتَرَزَ عَلَيْهِ.

وَكَانَ الْحَسَنُ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْهَرَبِ مِنَ السِّجْنِ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنْهُ، فَلَمَّا خَرَجَ
يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ مِنَ السِّجْنِ، نَاصَحَ الْخَلِيفَةَ بِمَا كَانَ عَزَمَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ، فَنَقَلَهُ الْخَلِيفَةُ مِنَ السِّجْنِ، وَأَوْدَعَهُ عِنْدَ نُصَيْرِ الْخَادِمِ لِيَحْتَاطَ عَلَيْهِ،
وَحَظِي يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ عِنْدَ الْمَهْدِيِّ حَتَّى صَارَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي اللَّيْلِ بِأَلَا
اسْتِئْذَانٍ، وَجَعَلَهُ الْخَلِيفَةُ عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَوَضَّهَا إِلَيْهِ، وَأَطْلَقَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ
دِرْهَمٍ، وَمَا زَالَ عِنْدَهُ كَذَلِكَ حَتَّى تَمَكَّنَ الْمَهْدِيُّ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ،
فَسَقَطَتْ مَنْزِلَةُ يَعْقُوبَ عِنْدَ الْمَهْدِيِّ. وَقَدْ عَزَلَ الْمَهْدِيُّ نَوَابًا كَثِيرَةً عَنِ
الْبِلَادِ، وَوَلَّى بَدَهُمْ عَلَيْهَا.

^١ سجن المطبق بناه أبو جعفر المنصور في العاصمة الجديدة بغداد في ١٤٦ هـ. ضمن المنشآت
والدور والقصور التي استقدم لها المهندسين من كل مكان لتخطيط بغداد. ورأى أبو جعفر أن تمام
التخطيط للعاصمة الجديدة لا يكون إلا ببناء «سجن» كبير حديث بين السورين فكان «المطبق»
بذلك أول سجن حديث متحضر في الإسلام!

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ الْمَهْدِيُّ بِابْنَةِ عَمِّهِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ،
وَأَعْتَقَ جَارِيَتَهُ الْخَيْرِزَانَ، وَتَزَوَّجَهَا أَيْضًا، وَهِيَ أُمُّ الرَّشِيدِ.
وَفِيهَا وَقَعَ حَرِيقُ عَظِيمٍ فِي السُّفْنِ الَّتِي بَدِجَلَةَ بَعْدَادَ.

خلع المهدي عيسى بن موسى من ولاية العهد

وَلَمَّا وُلِيَ الْمَهْدِيُّ سَأَلَ عَيْسَى بْنَ مُوسَى - وَكَانَ وُلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ الْمَهْدِيِّ -
- أَنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَمْرِ، فَامْتَنَعَ عَلَى الْمَهْدِيِّ، وَسَأَلَ أَنْ يُقِيمَ بِأَرْضِ
الْكُوفَةِ فِي ضَيْعَةٍ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَكَانَ قَدْ اسْتَقَرَّ عَلَى إِمْرَةِ الْكُوفَةِ رَوْحُ بْنُ
حَاتِمٍ، فَكَتَبَ إِلَى الْمَهْدِيِّ: إِنَّ عَيْسَى بْنَ مُوسَى لَا يَأْتِي الْجُمُعَةَ وَلَا الْجَمَاعَةَ
مَعَ النَّاسِ إِلَّا شَهْرَيْنِ مِنَ السَّنَةِ، وَإِنَّهُ إِذَا جَاءَ يَدْخُلُ بَدَوَاتِهِ إِلَى دَاخِلِ بَابِ
الْمَسْجِدِ، فَتَرَوُثُ دَوَابُّهُ حَيْثُ يُصَلِّي النَّاسُ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَهْدِيُّ أَنْ يَعْمَلَ
خَشْبًا عَلَى أَفْوَاهِ السِّكِّكِ؛ حَتَّى لَا يَصِلَ النَّاسُ إِلَى الْجَمَاعِ إِلَّا مُشَاءً، فَعَلِمَ
بِذَلِكَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى، فَاشْتَرَى قَبْلَ الْجُمُعَةِ دَارَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ مِنْ
وَرَثَتِهِ، وَكَانَتْ مُلَاصِقَةً الْمَسْجِدِ، فَكَانَ يَأْتِي إِلَيْهَا مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ، فَإِذَا
كَانَ وَقْتُ الْجُمُعَةِ رَكِبَ جِمَارًا إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَنَزَلَ عَنْهُ، وَشَهِدَ الصَّلَاةَ
مَعَ النَّاسِ، وَأَقَامَ بِالْكَلْبَةِ فِي الْكُوفَةِ بِأَهْلِهِ، ثُمَّ أَلَحَّ الْمَهْدِيُّ عَلَى عَيْسَى بْنِ
مُوسَى فِي أَنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ، وَتَوَعَّدَهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ، وَوَعَدَهُ إِنْ
فَعَلَ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، فَأَعْطَاهُ أَقْطَاعًا عَظِيمَةً، وَجَعَلَ لَهُ مِنَ الْمَالِ عَشْرَةَ

أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَقِيلَ: عِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفٍ. وَبَايَعَ الْمَهْدِيُّ لَوْلَدَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ:
مُوسَى الْهَادِي، ثُمَّ هَارُونَ الرَّشِيدِ، كَمَا سَيَأْتِي.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتِّينَ وَمِائَةً مِنَ الْهِجْرَةِ، وَفِيهَا حَرَجَ رَجُلٌ بِحُرَّاسَانَ عَلَى
الْمَهْدِيِّ مُنْكَرًا عَلَيْهِ أَحْوَالَهُ وَسِيرَتَهُ، يُقَالُ لَهُ يُوسُفُ الْبَرْمِ. وَالتَّفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ
كَثِيرٌ، وَتَفَاقَمَ أَمْرُهُ وَعَظُمَ الْخُطْبُ بِهِ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ مَرْزُوقٍ، فَلَقِيَهُ فَاقْتَتَلَا
حَتَّى تَنَازَلَا وَتَعَانَقَا، فَأَسَرَ يَزِيدُ بْنُ مَرْزُوقٍ يُوسُفَ هَذَا، وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنْ
أَصْحَابِهِ، فَبَعَثَهُ وَبَعَثَهُمْ إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَأُدْخِلُوا عَلَيْهِ وَقَدْ حُمِلُوا عَلَى جِمَالٍ،
مُحَوَّلَةً وَجُوهُهُمْ إِلَى نَاحِيَةِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ هَرِثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ أَنْ يَقْطَعَ
يَدَيْ يُونُسَ وَرِجْلَيْهِ، ثُمَّ نُضِرَبَ عُنُقُهُ وَأَعْنَاقُ مَنْ مَعَهُ، وَصَلَبَهُمْ عَلَى جِسْرِ
دِجْلَةَ الْأَكْبَرِ مِمَّا يَلِي عَسْكَرَ الْمَهْدِيِّ، وَأَطْفَأَ اللَّهُ نَارَهُمْ، وَكَفَى شَرَّهُمْ.

الْبَيْعَةُ لِمُوسَى الْهَادِي وَهَارُونَ الرَّشِيدِ

كَانَ الْخَلِيفَةُ الْمَهْدِيُّ قَدْ أَحَلَّ عَلَى عَيْسَى بْنِ مُوسَى فِي أَنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ عَنْ
وِلَايَةِ الْعَهْدِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ يَمْتَنِعُ، وَهُوَ مُقِيمٌ بِالْكُوفَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَهْدِيُّ
أَحَدَ الْقُوَادِ الْكِبَارِ، وَهُوَ أَبُو هُرَيْرَةَ مُحَمَّدُ بْنُ فَرُوحٍ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ
لِإِحْضَارِهِ إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَصْحِبُوا مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ طَبْلًا، فَإِذَا وَاجَهُوا
الْكُوفَةَ عِنْدَ إِضَاءَةِ الْفَجْرِ ضَرَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِطَبْلِهِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَارْتَحَّتِ
الْكُوفَةُ، وَخَافَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ دَعَاهُ إِلَى حَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ،

فَأَظْهَرَ التَّشْكِي، فَلَمْ يَقْبَلُوا، وَأَخَذُوهُ مَعَهُمْ، فَدَخَلُوا بَعْدَادَ فِي يَوْمِ الْحَمِيسِ لثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ وُجُوهُ بَنِي هَاشِمٍ وَالْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ، وَسَأَلُوهُ فِي ذَلِكَ وَهُوَ يَمْتَنِعُ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِهِ بِالرَّهْبَةِ وَالرَّهْبَةِ حَتَّى أَجَابَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَئِذٍ. وَبُويعَ لَوْلَدِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: مُوسَى وَهَارُونَ الرَّشِيدِ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْحَمِيسِ لثَلَاثِ بَقِيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ، فَجَلَسَ الْمَهْدِيُّ فِي قُبَّةِ عَظِيمَةٍ فِي إِيْوَانَ الْخِلَافَةِ، وَدَخَلَ الْأَمْرَاءُ فَبَايَعُوا، ثُمَّ نَهَضَ الْمَهْدِيُّ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَجَلَسَ ابْنُهُ مُوسَى الْهَادِي تَحْتَهُ، وَقَامَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى عَلَى أَوَّلِ دَرَجَةٍ مِنْهُ، وَخَطَبَ الْمَهْدِيُّ، فَأَعْلَمَهُمْ بِمَا وَقَعَ مِنْ خَلْعِ عَيْسَى بْنِ مُوسَى نَفْسَهُ، وَأَنَّهُ قَدْ حَلَّلَ النَّاسَ مِنَ الْإِيمَانِ الَّتِي لَهُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، وَجَعَلَ ذَلِكَ إِلَى مُوسَى الْهَادِي، فَصَدَّقَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى ذَلِكَ، وَبَايَعَ الْمَهْدِيَّ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ نَهَضَ النَّاسُ فَبَايَعُوا الْخَلِيفَةَ عَلَى حَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ وَأَسْنَاغِهِمْ، وَكَتَبَ عَلَى عَيْسَى بْنِ مُوسَى مَكْتُوبًا مُؤَكَّدًا بِالْإِيمَانِ الْبَالِغَةِ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْأَمْرَاءِ وَالْوُزَرَءِ وَأَعْيَانِ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ. وَفِيهَا وَصَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شِهَابِ الْمَسْمَعِيُّ مَدِينَةَ بَارَبَدَ مِنَ الْهِنْدِ فِي جَحْفَلٍ كَثِيرٍ مَعَهُ، فَحَاصِرُوهَا وَنَصَبُوا عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ، وَرَمَوْهَا بِالنِّقْطِ، فَأَحْرَقُوا مِنْهَا طَائِفَةً، وَهَلَكَ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا، وَفَتَحُوهَا عَنَوَةً وَأَرَادُوا الْإِنْصِرَافَ فَلَمْ يُمَكِّنْهُمْ ذَلِكَ؛ لِإِعْتِلَامِ الْبَحْرِ، فَأَقَامُوا هُنَالِكَ، فَأَصَابَهُمْ دَاءٌ فِي أَفْوَاهِهِمْ يُقَالُ لَهُ حُمَامٌ قُرٌّ؛ فَمَاتَ مِنْهُمْ أَلْفُ نَفْسٍ، مِنْهُمْ الرَّبِيعُ بْنُ صَبِيحٍ، فَلَمَّا أَمَكَّنَهُمْ

الْمَسِيرُ رَكِبُوا فِي الْبَحْرِ، فَهَاجَتْ عَلَيْهِمْ رِيحٌ، فَعَرِقَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ أَيْضًا، وَوَصَلَ
بَقِيَّتُهُمْ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمَعَهُمْ سَبْيٌ كَثِيرٌ، فِيهِمْ بِنْتُ مَلِكِهِمْ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ حَجَّ بِالنَّاسِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيُّ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى بَعْدَادَ
ابْنَهُ مُوسَى الْهَادِي، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ ابْنَهُ هَارُونَ الرَّشِيدَ وَخَلَقًا مِنَ الْأُمَرَاءِ،
مِنْهُمْ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ عَلَى مَنْزِلَتِهِ وَمَكَانَتِهِ.

وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَدْ هَرَبَ مِنَ الْخَادِمِ، فَلَحِقَ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَاسْتَأْمَنَ
لَهُ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ، فَأَحْسَنَ الْمَهْدِيُّ صِلَتَهُ، وَأَجْرَلَ جَائِزَتَهُ، وَفَرَّقَ الْمَهْدِيُّ
فِي أَهْلِ مَكَّةَ مَالًا عَظِيمًا، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ مَعَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِائَةِ
أَلْفِ ثَوْبٍ، وَجَاءَ مِنْ مِصْرَ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَمِنَ الْيَمَنِ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ،
فَأَعْطَاهَا كُلَّهَا فِي أَهْلِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ.

وَشَكَتِ الْحُجْبَةُ إِلَى الْمَهْدِيِّ أَنَّهُمْ يَخَافُونَ عَلَى الْكَعْبَةِ أَنْ تَنْهَدَمَ مِنْ كَثْرَةِ مَا
عَلَيْهَا مِنَ الْكَسَاوِي، فَأَمَرَ بِتَجْرِيدِهَا مِنَ الْكُسُوفَةِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى كَسَاوِي
هَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَجَدَهَا مِنْ دِيبَاجِ ثَخِينٍ، وَبَقِيَّةُ كَسَاوِي الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ
وَبَعْدَهُ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا جَرَّدَهَا طَلَاهَا بِالْخُلُوقِ^١، وَكَسَاهَا كُسُوفَةً
حَسَنَةً، وَيُقَالُ: إِنَّهُ اسْتَفْتَى مَالِكًا^٢ فِي إِعَادَةِ الْكَعْبَةِ إِلَى مَا كَانَ بَنَاهَا ابْنُ

^١ الخلوق: طيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب.

^٢ الإمام مالك بن أنس إمام أرا الهجرة. ستأتي ترجمته عند ذكر وفاته.

الزُّبَيْرِ مِنْ مَوْضِعِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ يَوُدُّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ مَالِكٌ: دَعَهَا عَلَى حَالِهَا؛ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّخِذَهَا الْمُلُوكُ مَلْعَبَةً. فَتَرَكَهَا كَمَا كَانَتْ.

وَحَمَلَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ نَائِبُ الْبَصْرَةِ التَّلْحَ إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ أَوَّلَ حَلِيفَةِ حُجَلٍ لَهُ التَّلْحُ إِلَيْهَا. وَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ وَسَعَّ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ، وَكَانَ فِيهِ مَقْصُورَةٌ، فَأَزَالَهَا. وَأَرَادَ أَنْ يَنْقُصَ مِنَ الْمِنْبَرِ مَا كَانَ زَادَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: إِنَّهُ يَخْشَى أَنْ يَنْكَسِرَ الْحَشْبُ الْعَتِيقُ إِذَا زُعِغَ. فَتَرَكَهُ فَلَمْ يَتَّعِزْضْ لَهُ.

وَتَزَوَّجَ مِنَ الْمَدِينَةِ رُقَيْيَةَ بِنْتَ عَمْرِو الْعُثْمَانِيَّةَ، وَانْتَخَبَ مِنْ أَهْلِهَا مِنَ الْأَنْصَارِ حَمْسِمِائَةً مِنْ أَعْيَانِهَا لِيَكُونُوا حَوْلَهُ حَرَسًا بِالْعِرَاقِ وَأَنْصَارًا لَهُ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ أَرْزَاقًا غَيْرَ أُعْطِيَاتِهِمْ، وَأَقْطَعَهُمْ أَقْطَاعًا مَعْرُوفَةً بِهِمْ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا غَزَا الصَّائِفَةَ ثَمَامَةُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَنَزَلَ دَابِقَ، وَجَاشَتْ الرُّومُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَتِمَّكَنِ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وَفِيهَا أَمَرَ الْمَهْدِيُّ بِحُفْرِ الرِّكَايَا وَعَمَلِ الْمَصَانِعِ وَبِنَاءِ الْقُصُورِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، وَوَلَّى عَلَى ذَلِكَ يَقْطِينَ بْنَ مُوسَى، فَلَمْ يَزَلْ يَعْمَلُ فِي ذَلِكَ إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَةً، حَتَّى صَارَتْ طَرِيقُ الْحِجَازِ مِنْ أَرْفَقِ الطَّرْفَاتِ وَآمَنِيهَا وَأَطْيَبِيهَا.

وَفِيهَا وَسَّعَ الْمَهْدِيُّ جَامِعَ الْبَصْرَةَ مِنْ قِبَلْتِهِ وَعَرَبِهِ.

وَفِيهَا كَتَبَ إِلَى الْأَفَاقِ الْأَتَبَقَى مَقْصُورَةً فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ، وَأَنْ تُقَصَّرَ الْمَنَابِرُ إِلَى مِقْدَارِ مَا كَانَ مِنْبَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففَعَلَ ذَلِكَ فِي الْمَدَائِنِ كُلِّهَا.

وَفِيهَا اتَّضَعَتْ مَنْزِلَةُ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ وَزَيْرِ الْمَهْدِيِّ عِنْدَهُ، وَظَهَرَتْ عِنْدَهُ خِيَانَتُهُ، فَضَمَّ إِلَيْهِ الْمَهْدِيُّ مَنْ يُشْرِفُ عَلَيْهِ، فَكَانَ مِمَّنْ ضَمَّ إِلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيَّةَ، ثُمَّ أَبَعَدَهُ وَأَقْصَاهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْ مُعَسَّكَرِهِ.

وَفِيهَا وَلِيَ الْقِضَاءَ عَافِيَةُ بْنُ يَزِيدَ الْأَزْدِيُّ، فَكَانَ يَحْكُمُ هُوَ وَابْنُ عُلَاثَةَ فِي عَسْكَرِ الْمَهْدِيِّ بِالرِّصَافَةِ.

خروج المُقَنَّع الزنديق

وَفِيهَا حَرَجَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْمُقَنَّعُ، بِخُرَاسَانَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مَرَوَ، وَكَانَ يَقُولُ بِالتَّنَاسُخِ، وَاتَّبَعَهُ عَلَى ضَلَالَتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَجَهَّزَ لَهُ الْمَهْدِيُّ عِدَّةً مِنْ أَمْرَائِهِ، وَأَنْقَدَ إِلَيْهِ جُيُوشًا كَثِيرَةً، مِنْهُمْ مُعَاذُ بْنُ مُسْلِمٍ أَمِيرُ خُرَاسَانَ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِهِمْ مَا سَنَدُكُرُهُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُوسَى الْهَادِي ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدِهِ أَبِيهِ، كَمَا قَدَّمْنَا.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثِنْتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا حَرَجَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ هَاشِمٍ
الْيَشْكُرِيُّ بِأَرْضِ قِنْسَرِينَ، وَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَقَوِيَتْ شَوْكُهُ، فَقَاتَلَهُ خَلْقٌ مِنَ
الْأَمْرَاءِ، وَجَهَّزَ إِلَيْهِ الْمَهْدِيُّ جُيُوشًا، وَأَنْفَقَ فِيهِمْ أَمْوَالًا جَرِيلاً، وَهَزَمَ الْخَارِجِيَّ
الْجُيُوشَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ إِنَّهُ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَفِيهَا غَزَا الصَّائِفَةَ الْحَسَنُ بْنُ قَحْطَبَةَ فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُزْتَرِّقَةِ سِوَى
الْمُطَّوَعَةِ، فَقَهَرَ الرُّومَ، وَحَرَقَ بُلْدَانًا كَثِيرَةً وَخَرَّبَهَا، وَأَسَرَ خَلْقًا مِنَ الذَّرَارِيِّ.
وَكَذَلِكَ غَزَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي أُسَيْدٍ السُّلَمِيُّ بِلَادَ الرُّومِ مِنْ بَابِ قَالِيَقْلَا، فَعَنَمَ
وَسَلِمَ وَسَبَى خَلْقًا كَثِيرًا.

وَفِيهَا حَرَجَتْ طَائِفَةٌ بِبُجْرَجَانَ، فَلَبِسُوا الْحُمْرَةَ؛ وَهَذَا يُقَالُ لَهُمْ: الْمُحْمَرَّةُ. مَعَ
رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الْقَهَّارِ؛ فَعَزَاهُ عُمَرُ بْنُ الْعَلَاءِ مِنْ طَبْرِسْتَانَ، فَقَهَرَ عَبْدُ
الْقَهَّارِ، فَقَتَلَهُ وَأَصْحَابَهُ.

وَفِيهَا أَجْرَى الْمَهْدِيُّ الْأَرْزَاقَ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَالْأَفَاقِ عَلَى الْمُجَدِّمِينَ
وَالْمُحْبَسِينَ، وَهَذِهِ مَثُوبَةٌ عَظِيمَةٌ وَمَكْرُمَةٌ جَسِيمَةٌ.

مقتل المُقَتِّعِ الرَّنْدِيقِ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا حُصِرَ الْمُقَتِّعُ الرَّنْدِيقُ الَّذِي كَانَ
قَدْ نَبَعَ بِبُجْرَاسَانَ وَقَالَ بِالتَّنَاسُخِ، وَاتَّبَعَهُ عَلَى جَهَالَتِهِ وَضَلَالَتِهِ خَلْقٌ مِنَ الطَّعَامِ
وَسُفْهَاءِ الْأَنْبَاءِ، وَالسَّفِيفَةِ مِنَ الْعَوَامِّ، وَمَنْعُوهُ مِنَ الْجُنُودِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ، فَلَمَّا

كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ لَجَأٌ إِلَى قَلْعَةِ كَشٍّ، فَحَاصِرُهُ سَعِيدُ الْحَرِشِيِّ فَأَلْحَ عَلَيْهِ فِي الْحِصَارِ، فَلَمَّا أَحْسَسَ بِالْغَلْبَةِ نَحَسَى سُمَّا وَسَمَّ نِسَاءَهُ، فَمَاتُوا جَمِيعًا، عَلَيْهِمُ لِعَائِنُ اللَّهِ. وَدَخَلَ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيَّ قَلْعَتَهُ، فَاحْتَرَقُوا رَأْسَهُ، وَبَعَثُوا بِهِ إِلَى الْمَهْدِيِّ، وَكَانَ الْمَهْدِيُّ حِينَ جَاءَهُ رَأْسُ الْمُقَنَّعِ بِحَلْبَ.

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: الْمُقَنَّعُ الْخُرَّاسَانِيُّ قِيلَ: اسْمُهُ عَطَاءٌ. وَكَانَ أَوْلًا قَصَّارًا، ثُمَّ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَعْوَرَ قَبِيحَ الْمَنْظَرِ، وَكَانَ يَتَّخِذُ لَهُ وَجْهًا مِنْ ذَهَبٍ، وَاتَّبَعَهُ عَلَى جَهَالَتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْجَهْلَةِ، وَكَانَ يُرِي النَّاسَ قَمَرًا يُرَى مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ يَغِيبُ، فَعَظُمَ اعْتِقَادُهُمْ فِيهِ، وَمَنَعُوهُ بِالسَّلَاحِ، وَكَانَ يَزْعُمُ - لَعْنَةُ اللَّهِ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلوًّا كَبِيرًا - أَنَّ اللَّهَ ظَهَرَ فِي صُورَةِ آدَمَ، وَهَذَا سَجَدَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ فِي نُوحٍ، ثُمَّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدًا وَاحِدًا، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَّاسَانِيِّ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا حَاصِرَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي قَلْعَتِهِ الَّتِي كَانَ جَدَّهَا بِنَاحِيَةِ كَشٍّ مِمَّا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَيُقَالُ لَهَا: سَنَامٌ. سَقَى نِسَاءَهُ وَأَهْلَهُ سُمَّا، وَنَحَسَى هُوَ أَيْضًا مِنْهُ، فَمَاتُوا كُلُّهُمْ - لَعْنَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ - وَاسْتَحْوَذَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى حَوَاصِلِهِ وَأَمْوَالِهِ كُلِّهَا.

وَفِيهَا جَهَّزَ الْمَهْدِيُّ الْبُعُوثَ مِنْ خُرَّاسَانَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ لِعَزْوِ الرُّومِ، وَأَمَرَ عَلَى الْجَمِيعِ وَلَدَهُ هَارُونَ الرَّشِيدَ، وَخَرَجَ مِنْ بَعْدَادَ مُشِيعًا لَهُ، فَسَارَ مَعَهُ مَرَّاحِلَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى بَعْدَادَ وَلَدَهُ مُوسَى الْهَادِي، وَكَانَ فِي هَذَا الْجَيْشِ الْحَسَنُ بْنُ قَحْطَبَةَ، وَالرَّبِيعُ الْحَاجِبُ، وَحَالِدُ بْنُ بَرْمَكٍ، وَهُوَ مِثْلُ الْوَزِيرِ لِلرَّشِيدِ

وَلِيَّ الْعَهْدِ، وَيَحْيَىٰ بَنُ خَالِدٍ، وَهُوَ كَاتِبُهُ وَإِلَيْهِ النَّفَقَاتُ. وَمَا زَالَ الْمَهْدِيُّ مَعَ
 وَلَدِهِ مُشِيْعًا لَهُ حَتَّىٰ بَلَغَ دَرْبَ الرُّومِ عِنْدَ جَيْحَانَ، وَارْتَادَ هُنَاكَ الْمَدِينَةَ
 الْمُسَمَّاةَ بِالْمَهْدِيَّةِ فِي بِلَادِ الرُّومِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الشَّامِ، وَزَارَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ،
 فَسَارَ الرَّشِيدُ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فِي جَحَافِلَ عَظِيمَةٍ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فُتُوحَاتٍ
 كَثِيرَةً، وَعَنِمُوا أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَكَانَ لِخَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ فِي ذَلِكَ أَثَرٌ جَمِيلٌ لَمْ يَكُنْ
 لِعِيزِهِ، وَبَعَثُوا بِالْبِشَارَةِ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ بَرْمَكٍ إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَأَكْرَمَهُ الْمَهْدِيُّ
 وَأَجْرَلَ عَطَاءَهُ.

وَفِيهَا عَزَلَ الْمَهْدِيُّ عَمَّهُ عَبْدَ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ الْجَزِيرَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا زُفَرَ
 بْنَ عَاصِمِ الْهَلَالِيِّ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ.
 وَفِيهَا وَلى الْمَهْدِيُّ وَلَدَهُ هَارُونَ الرَّشِيدَ بِإِلَادِ الْمَغْرِبِ وَأَذْرَبِجَانَ وَأَرْمِينِيَةَ،
 وَجَعَلَ عَلَى رَسَائِلِهِ يَحْيَىٰ بْنَ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ، وَوَلَّى وَعَزَلَ جَمَاعَةً مِنَ النَّوَابِ،
 وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا عَلِيٌّ ابْنُ الْمَهْدِيِّ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَسِتِّينَ وَمِائَةٌ، وَفِيهَا غَزَا عَبْدُ الْكَبِيرِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، بِإِلَادِ الرُّومِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ مِيخَائِيلُ الْبَطْرِيْقُ فِي
 نَحْوِ تِسْعِينَ أَلْفًا، فِيهِمْ طَارَاذُ الْأَرْمَنِئِيِّ الْبَطْرِيْقُ، فَفَشَلَ عَنْهُ عَبْدُ الْكَبِيرِ، وَمَنَعَ
 الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْقِتَالِ، وَأَنْصَرَفَ، فَأَرَادَ الْمَهْدِيُّ ضَرْبَ عُنُقِهِ، فَكَلِمَ فِيهِ،
 فَحَبَسَهُ فِي الْمَطْبِقِ.

وَفِي يَوْمِ الْأُرَيْعَاءِ فِي أَوَاخِرِ ذِي الْقَعْدَةِ أَسَسَ الْمَهْدِيُّ قَصْرًا مِنْ لَبِنٍ بَعِيسَابَادًا، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى الدَّهَابِ إِلَى الْحَجِّ، فَقَلَّ الْمَاءُ، وَأَصَابَهُ حُمَّى، فَرَجَعَ مِنْ أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَعَطِشَ النَّاسُ فِي الرَّجْعَةِ حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ، فَعَضِبَ الْمَهْدِيُّ عَلَى يَقْطِينِ صَاحِبِ الْمَصَانِعِ، وَبَعَثَ مِنْ حَيْثُ رَجَعَ صَالِحَ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ لِيُحْجَّ بِالنَّاسِ، فَحَجَّ بِهِمْ عَامِيذًا.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ حَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا جَهَرَ الْمَهْدِيُّ وَلَدَهُ هَارُونَ الرَّشِيدَ لِعَزْوِ الصَّائِفَةِ، وَأَنْفَذَ مَعَهُ مِنَ الْجِيُوشِ خَمْسَةَ وَتِسْعِينَ أَلْفًا وَسَبْعِمِائَةً وَثَلَاثَةَ وَتِسْعِينَ رَجُلًا، وَكَانَ مَعَهُ مِنَ النَّفَقَةِ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَرْبَعَةٌ وَتِسْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَرْبَعِمِائَةً وَخَمْسُونَ دِينَارًا، وَمِنَ الْفِضَّةِ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَرْبَعِمِائَةَ أَلْفٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَشَرَ أَلْفًا وَثَمَانِمِائَةَ دِرْهَمٍ. فَبَلَغَ بِجُنُودِهِ خَلِيجَ الْبَحْرِ الَّذِي عَلَى الْمُسْتَنْطِيبِيَّةِ، وَصَاحِبِ الرُّومِ يَوْمِيذٍ أُعْسِطَةُ امْرَأَةُ الْيُونِ، وَمَعَهَا ابْنُهَا فِي حِجْرِهَا مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي تُؤَيِّ عِنَهَا، فَطَلَبَتْ الصُّلْحَ مِنَ الرَّشِيدِ عَلَى أَنْ تَدْفَعَ لَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهَا، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا قَتَلَ مِنَ الرُّومِ فِي الْوَقَائِعِ أَرْبَعَةَ وَخَمْسِينَ أَلْفًا، وَأَسَرَ مِنَ الدَّرَارِيِّ خَمْسَةَ أَلْفِ رَأْسٍ وَسِتِّمِائَةً وَثَلَاثَةَ وَأَرْبَعِينَ رَأْسًا، وَقَتَلَ مِنَ الْأَسْرَى أَلْفِي أَسِيرٍ صَبْرًا، وَعَنَمَ مِنَ الدَّوَابِّ بِأَدْوَاتِهَا عِشْرِينَ أَلْفَ فَرَسٍ، وَذَبَحَ مِنَ الْبَقَرِ وَالْعَنَمِ مِائَةَ أَلْفِ رَأْسٍ، وَبِيعَ الْبُرْدُونَ بِدِرْهَمٍ، وَالْبَعْلُ بِأَقْلٍ مِنْ عَشْرَةِ دِرْهَمٍ، وَالذَّرْعُ بِأَقْلٍ مِنْ دِرْهَمٍ، وَعِشْرُونَ سَيْفًا بِدِرْهَمٍ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتٌّ وَسِتِّينَ وَمِائَةً، وَفِي الْمُحَرَّمِ مِنْهَا قَدِمَ الرَّشِيدُ مِنْ بِلَادِ
الرُّومِ، فَدَخَلَ بَعْدَادَ فِي أَهْجَةٍ عَظِيمَةٍ، وَمَعَهُ الرُّومُ يَحْمِلُونَ الْجُرِيَةَ مِنَ الذَّهَبِ
وَعَيْرِهِ.

وَفِيهَا أَخَذَ الْمَهْدِيُّ الْبَيْعَةَ لَوْلَدِهِ هَارُونَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى الْهَادِي، وَلَقَّبَ هَارُونَ
بِالرَّشِيدِ.

سَخَطُ الْمَهْدِيِّ عَلَى يَعْقُوبَ بْنِ دَاوُدَ

وَفِيهَا سَخَطَ الْمَهْدِيُّ عَلَى يَعْقُوبَ بْنِ دَاوُدَ، وَكَانَ قَدْ حَظِيَ عِنْدَهُ حَتَّى
اسْتَوْرَزَهُ، وَارْتَفَعَتْ مَنْزِلَتُهُ فِي الْوِزَارَةِ حَتَّى قُوِّضَ إِلَيْهِ جَمِيعُ أَمْرِ الْخِلَافَةِ، فَلَمْ
تَزَلِ السُّعَاءُ وَالْوُشَاةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلِيفَةِ حَتَّى أُخْرِجُوهُ عَلَيْهِ.

وَقَدْ كَانَ يَعْقُوبُ هَذَا يَعْظُمُ الْمَهْدِيَّ فِي تَعَاطِيهِ شُرْبِ النَّبِيدِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَثْرَةِ
سَمَاعِ الْغِنَاءِ، وَيَلُومُهُ عَلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ: مَا عَلَى هَذَا اسْتَوْرَزْتَنِي، وَلَا عَلَى هَذَا
صَحَبْتُنِي، أَبْعَدَ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يُشْرَبُ عِنْدَكَ النَّبِيدُ
وَيُسْمَعُ السَّمَاعُ بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: فَقَدْ سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ. فَقَالَ: إِنَّ
ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَلَوْ كَانَ هَذَا قُرْبَةً لَكَانَ كُلَّمَا دَاوَمَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ
كَانَ أَفْضَلَ لَهُ.

¹ يعقوب بن داود بن طهمان الكاتب الفارسي الوزير الكبير، الزاهد، الخاشع. كان والده كاتباً
للأمير نصر بن سيار، متولي خراسان.

وَفِيهَا ذَهَبَ الْمَهْدِيُّ إِلَى قَصْرِ الْمُسَمَّى بِقَصْرِ السَّلَامِ بِعَيْسَابَاذَ - بُنِيَ لَهُ
بِالْأَجْرِ بَعْدَ الْقَصْرِ الْأَوَّلِ الَّذِي بَنَاهُ بِاللَّيْنِ - فَسَكَنَهُ وَضَرَبَ هُنَاكَ الدَّرَاهِمَ
وَالدَّنَانِيرَ.

وَفِيهَا أَمَرَ الْمَهْدِيُّ بِإِقَامَةِ الْبَرِيدِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْيَمَنِ، وَمَ يُفْعَلُ هَذَا قَبْلَ
هَذِهِ السَّنَةِ.

وَفِيهَا حَرَجَ مُوسَى الْهَادِي إِلَى جُرْجَانَ، وَقَدْ جَعَلَ عَلَى الْقَضَاءِ أَبَا يُوسُفَ
يَعْقُوبَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَسِتِّينَ وَمِائَةٌ، وَفِيهَا وَجَّهَ الْمَهْدِيُّ ابْنَهُ مُوسَى الْهَادِي
إِلَى جُرْجَانَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ لَمْ يَرِ مِثْلُهُ، وَجَعَلَ عَلَى رَسَائِلِهِ أَبَانَ بْنَ صَدَقَةَ.

وفاة عيسى بن موسى

وَفِيهَا تُوفِّيَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى الَّذِي كَانَ وَليَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ الْمَهْدِيِّ فَخُلِعَ،
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْكُوفَةِ، فَأَشْهَدَ نَائِبُهَا رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ عَلَى وَفَاتِهِ الْقَاضِي وَجَمَاعَةً
مِنَ الْأَعْيَانِ، ثُمَّ دُفِنَ، وَكَانَ قَدْ اِمْتَنَعَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَهْدِيُّ،
فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعْتَفُ أَشَدَّ التَّعْظِيمِ وَأَمَرَ بِمُحَاسَبَتِهِ عَلَى عَمَلِهِ.

وَفِيهَا عَزَلَ الْمَهْدِيُّ أَبَا عُبَيْدِ اللَّهِ مُعَاوِيَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ دِيَوَانِ الرِّسَائِلِ،
وَوَلَّاهُ الرَّبِيعَ بْنَ يُونُسَ الْحَاجِبَ، فَاسْتَخْلَفَ فِيهِ سَعِيدَ بْنَ وَاقِدٍ، وَكَانَ أَبُو
عُبَيْدِ اللَّهِ يَدْخُلُ عَلَى مَرْتَبَتِهِ.

وَفِيهَا وَقَعَ وَبَاءٌ شَدِيدٌ وَسُعَالٌ كَثِيرٌ يَبْعَدَادَ وَالْبَصْرَةَ وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فَكَانَتْ كَاللَّيْلِ حَتَّى تَعَالَى التَّهَارُ، وَكَانَ ذَلِكَ لِلَّيَالِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

وَفِيهَا تَتَبَعَ الْمَهْدِيُّ جَمَاعَةً مِنَ الزَّنَادِقَةِ فِي سَائِرِ الْأَفَاقِ، فَاسْتَحْضَرَهُمْ وَقَتَلَهُمْ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَانَ الْمُتَوَلَّى أَمْرَ الزَّنَادِقَةِ عُمَرَ الْكَلَوَائِظِيَّ.

وَفِيهَا أَمَرَ الْمَهْدِيُّ بِزِيَادَةِ كَبِيرَةٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ دُورٌ كَثِيرٌ، وَوَلَّى ذَلِكَ يَقْطِينَ بْنَ مُوسَى الْمُوَكَّلَ بِأَمْرِ الْحَرَمَيْنِ وَمَصَالِحِهِمَا، فَلَمْ يَزَلْ فِي عِمَارَةِ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ الْمَهْدِيُّ كَمَا سَيَأْتِي، وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ صَائِفَةٌ؛ لِلْهُدْنَةِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا، فِي رَمَضَانَ مِنْهَا، نَقَضَتِ الرُّومُ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الصُّلْحِ الَّذِي عَقَدَهُ هُمْ هَارُونَ الرَّشِيدُ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ الْمَهْدِيِّ، وَلَمْ يَسْتَمِرُّوا عَلَى الصُّلْحِ إِلَّا ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا، فَبَعَثَ نَائِبُ الْجَزِيرَةِ حَيَلًا إِلَى الرُّومِ، فَقَتَلُوا وَأَسْرُوا وَعَنَمُوا وَسَلَّمُوا.

وَفِيهَا اتَّخَذَ الْمَهْدِيُّ دَوَابِينَ الْأَزْمَةَ^١، وَلَمْ يَكُنْ بَنُو أُمِّيَّةَ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ.

^١ كان ديوان الأزمة - واجدها الزمام - من أهم دواوين الدولة، ويُشبه ديوان المحاسبة اليوم، وكانت مهمته صاحب هذا الديوان جمع ضرائب بلاد العراق؛ أغنى أقاليم الدولة العباسية، وتقديم حساب الضرائب في الأقاليم الأخرى. ومن اختصاصاته أيضًا جمع الضرائب النوعية المسماة بالمعادن، وكانت تُجمع لرجل يضبطها بزمام يكون له على كل ديوان، وقد جمعها عمر بن بزيع.

وفاة المهدي

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ وَسِتِّينَ وَمِائَةً، وَفِي الْمُحَرَّمِ مِنْهَا تُوفِّيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 الْمَهْدِيُّ ابْنُ الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: مَاسَبَدَانُ.
 بِالْحُمَّى، وَقِيلَ: مَسْمُومًا. وَقِيلَ: بِعُضَّةِ فَرَسٍ، فَمَاتَ. كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ.
 وَهَذِهِ تَرْجُمَتُهُ:

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
 الْهَاشِمِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا لُقِبَ بِالْمَهْدِيِّ طَمَعًا أَنْ
 يَكُونَ هُوَ الْمَوْعُودَ بِهِ فِي الْأَحَادِيثِ، فَلَمْ يَكُنْ بِهِ، وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي الْإِسْمِ؛
 لِأَنَّهُ لَمْ يُشَبِّهْهُ فِي الْفِعْلِ، ذَاكَ يَأْتِي آخِرَ الزَّمَانِ وَعِنْدَ فَسَادِهِ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ
 عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ فِي أَيَّامِهِ يَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 بِدِمَشْقَ. كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثِ الْفِتَنِ وَالْمَلَا حِمٍ وَذِكْرُ الْمَهْدِيِّ
 وَنُزُولِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِهِ التَّيَقُّنُ.

وَأُمُّهُ أُمُّ مُوسَى بِنْتُ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيرِيِّ.

وَكَانَ مَوْلِدُ الْمَهْدِيِّ فِي سَنَةِ سِتِّ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً، بِالْحَمِيمَةِ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ،
 وَاسْتُخْلِفَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً، وَعُمُرُهُ إِذْ
 ذَاكَ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَتُوفِّيَ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، عَنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ

سَنَةً، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ عَشْرَ سِنِينَ وَشَهْرًا وَبَعْضَ شَهْرٍ، وَكَانَ أَسْمَرَ طَوِيلًا، جَعَدَ الشَّعْرَ، عَلَى إِحْدَى عَيْنَيْهِ نُكْتَةٌ بَيَاضًا.

قَالَ الرَّبِيعُ الْحَاجِبُ: رَأَيْتُ الْمَهْدِيَّ يُصَلِّي فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ فِي بَهْوٍ لَهُ، عَلَيْهِ ثِيَابٌ حِسَانٌ، فَمَا أَدْرِي هُوَ أَحْسَنُ أَمِ الْقَمَرُ، أَمْ بَهْوُهُ، أَمْ ثِيَابُهُ. فَقَرَأَ: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ }. ثُمَّ أَمَرَنِي فَأَحْضَرْتُ رَجُلًا مِنْ قَرَابَتِهِ كَانَ مَسْجُونًا، فَأَطْلَقَهُ.

وَلَمَّا جَاءَهُ خَبْرُ مَوْتِ أَبِيهِ بِمَكَّةَ، وَهُوَ بِبَغْدَادَ مَعَ مَنَارَةَ الْبَرْبَرِيِّ مَوْلَاهُ، فِي السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَكَانَ وِلَى الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ، كَتَمَ الْأَمْرَ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ نُودِيَ فِي النَّاسِ يَوْمَ الْحَمِيسِ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فَقَامَ فِيهِمْ حَطِييًّا، فَأَعْلَمَهُمْ بِمَوْتِ أَبِيهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُعِيَ فَأَجَابَ، وَقَدْ قُلِدْتُ بَعْدَهُ جَسِيمًا، فَعِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى خِلَافَةِ الْمُسْلِمِينَ. وَبَايَعَهُ النَّاسُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَئِذٍ.

وَقَدْ قَالَ الْمَهْدِيُّ يَوْمًا فِي حُطْبَتِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَسْرُوا مِثْلَمَا تُعْلِنُونَ مِنْ طَاعَتِنَا هَتِكُمْ الْعَاقِبَةَ، وَتَحْمَدُوا الْعَاقِبَةَ، وَاحْفِضُوا جَنَاحَ الطَّاعَةِ لِمَنْ نَشَرَ مِعْدَلَتَهُ فِيكُمْ، وَطَوَى ثَوْبَ الْإِصْرِ عَنْكُمْ، وَأَهَالَ عَلَيْكُمْ السَّلَامَةَ وَلَيْنَ الْمَعِيشَةَ مِنْ حَيْثُ أَرَاهُ اللَّهُ، مُقَدِّمًا ذَلِكَ فِعْلَ مَنْ تَقَدَّمَهُ، وَاللَّهِ لِأَفْئِينَ عُمْرِي بَيْنَ عُمُوبَتِكُمْ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْكُمْ. فَأَشْرَقَتْ وَجُوهُ النَّاسِ مِنْ حُسْنِ كَلَامِهِ.

ثُمَّ اسْتَحْرَجَ الْمَهْدِيُّ حَوَاصِلَ أَبِيهِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الَّتِي كَانَتْ لَا تُحَدُّ وَلَا تُوصَفُ كَثْرَةً، فَفَرَّقَهَا فِي النَّاسِ، وَلَمْ يُعْطِ أَهْلَهُ وَمَوَالِيَهُ مِنْهَا، بَلْ أَجْرَى لَهُمْ أَرْزَاقًا بِحَسَبِ كِفَايَتِهِمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، لِكُلِّ وَاحِدٍ حَمْسُمِائَةٍ فِي الشَّهْرِ غَيْرِ الْأَعْطِيَّاتِ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ الْمَنْصُورُ حَرِيصًا عَلَى تَوْفِيرِ بَيْتِ الْمَالِ، وَإِنَّمَا كَانَ يُنْفِقُ فِي السَّنَةِ أَلْفِي دِرْهَمٍ مِنْ مَالِ الشَّرَاةِ، وَأَمَرَ الْمَهْدِيُّ بِنَاءِ مَسْجِدِ الرُّصَافَةِ وَعَمَلَ حُنْدَقٍ وَسُورٍ حَوْلَهَا، وَبَنَى مُدُنًا قَدْ ذَكَرْنَاهَا فِيمَا تَقَدَّمَ.

وَقَدْ ذُكِرَ لَهُ عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَاضِي أَنَّهُ لَا يَرَى الصَّلَاةَ حُلْفَةً، فَأَحْضَرَهُ إِلَيْهِ فَتَكَلَّمَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ فِي كَلَامٍ: يَا بَنَ الرَّانِيَّةِ. فَقَالَ: مَهْ مَهْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَقَدْ كَانَتْ صَوَامَةً قَوَامَةً. فَقَالَ لَهُ: يَا زَنْدِيقُ لَأُقْتَلَنَّكَ. فَضَحِكَ شَرِيكَ، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لِلزَّنَادِقَةِ عِلْمَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا؛ شُرْبُهُمُ الْفَهَوَاتِ^١، وَإِتِّخَاذُهُمُ الْقَيْنَاتِ. فَأَطْرَقَ الْمَهْدِيُّ، وَخَرَجَ شَرِيكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.

وَذَكَرُوا أَنَّهُ هَاجَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فِي زَمَنِ الْمَهْدِيِّ فَدَخَلَ الْمَهْدِيُّ بَيْتًا فِي دَارِهِ، فَأَلْزَقَ حَدَّهُ بِالْثُرَابِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَنَا الْمَطْلُوبُ بِهَذِهِ الْجِنَايَةِ دُونَ النَّاسِ فَهَآنَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ، اللَّهُمَّ لَا تُشِمْتَ بِي الْأَعْدَاءَ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ. فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى انْجَلَتْ.

^١ الخمر.

وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَوْمًا وَمَعَهُ نَعْلٌ، فَقَالَ: هَذِهِ نَعْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَهْدَيْتُهَا لَكَ. فَقَالَ: هَاتِهَا. فَتَنَاوَلَهُ إِيَّاهَا، فَقَبَّلَهَا وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ. فَلَمَّا انصَرَفَ الرَّجُلُ قَالَ الْمَهْدِيُّ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرِ هَذِهِ النَّعْلَ، فَضَلًّا عَنْ أَنْ يَلْبَسَهَا، وَلَكِنْ لَوْ رَدَدْتُهُ لَدَهَبَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: أَعْطَيْتُهُ نَعْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّهَا عَلَيَّ؛ فَيُصَدِّقُهُ أَكْثَرُ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْعَامَّةَ تَمِيلُ إِلَى أَمْثَالِهَا، وَمِنْ شَأْنِهِمْ نَصْرُ الضَّعِيفِ عَلَى الْقَوِيِّ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا، فَاشْتَرَيْنَا لِسَانَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَرَأَيْنَا هَذَا أَرْجَحَ وَأَنْجَحَ.

وَاشْتَهَرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْحَمَامَ وَالسِّبَاقَ بَيْنَهَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ، فِيهِمْ غِيَاثُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «لَا سَبَقَ إِلَّا فِي حُفِّ أَوْ نَصْلِ أَوْ حَافِرٍ». وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ: "أَوْ جَنَاحٍ". فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ. وَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى قَفَاكَ قَفَا كَذَابٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ أَمَرَ بِالْحَمَامِ فُدْبِحَ، وَلَمْ يَذْكُرْ غِيَاثًا بَعْدَهَا.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْمَهْدِيِّ، فَحَدَّثْتُهُ بِأَحَادِيثَ، فَكَتَبَهَا عَنِّي ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ بُيُوتَ نِسَائِهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ غَيْظًا، فَقُلْتُ: مَا لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْحَيْزُرَانِ، فَقَامَتْ إِلَيَّ، وَمَزَّقَتْ ثَوْبِي، وَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا. وَإِنِّي وَاللَّهِ يَا وَاقِدِيُّ إِنَّمَا اشْتَرَيْتُهَا مِنْ نَحَّاسٍ، وَقَدْ نَالَتُ عِنْدِي مَا نَالَتُ، وَقَدْ بَايَعْتُ لَوْلَدَيْهَا بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِي. فَقُلْتُ: يَا

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُمْ يَغْلِبُنَ الْكِرَامَ وَيَغْلِبُهُنَّ اللَّقَامُ». وَقَالَ «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي». وَقَالَ «خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ ضَلَعِ أَعْوَجٍ إِنْ قَوْمَتُهُ كَسَرْتَهُ». وَحَدَّثْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ بِكُلِّ مَا حَضَرَنِي، فَأَمَرَ لِي بِالْفَيْ دِينَارٍ، فَلَمَّا وَافَيْتِ الْمَنْزِلَ إِذَا رَسُولُ الْخَيْزُرَانِ قَدْ لَحِقَنِي بِالْفَيْ دِينَارٍ إِلَّا عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ، وَإِذَا مَعَهُ أَثْوَابٌ أُحْرُ، وَبَعَثَتْ تَتَشَكَّرُ لِي وَتُنَبِّئِي عَلَيَّ مَعْرُوفًا.

وَدَكَرُوا أَنَّ الْمَهْدِيَّ كَانَ قَدْ أَهْدَرَ دَمَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَجَعَلَ لِمَنْ جَاءَ بِهِ مِائَةَ أَلْفٍ، فَدَخَلَ الرَّجُلُ بَعْدَادَ مُتَنَكِّرًا، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا فِي بَعْضِ أَرْقَةِ بَعْدَادَ إِذْ لَقِيَهُ رَجُلٌ، فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ وَنَادَى: هَذَا طَلَبُهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَجَعَلَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفِلَتْ مِنْهُ فَلَا يَقْدِرُ، فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ إِذَا أَمِيرٌ فِي مَوْكِبِهِ قَدْ أَقْبَلَ وَإِذَا هُوَ مَعْنُ بِنُ زَائِدَةَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ، حَائِفٌ مُسْتَحِيرٌ. فَقَالَ: وَيْحَكَ! مَا لَكَ وَلَهُ؟ فَقَالَ هَذَا طَلَبُهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، جَعَلَ لِمَنْ جَاءَ بِهِ مِائَةَ أَلْفٍ. قَالَ مَعْنُ: وَيْحَكَ! أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنِّي قَدْ أَجْرْتُهُ؟ أَرْسَلُهُ مِنْ يَدِكَ. ثُمَّ أَمَرَ بَعْضَ غِلْمَانِهِ فَتَرَجَّلَ وَأَرْكَبَهُ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَأَنْطَلَقَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى بَابِ الْخُلَيْفَةِ فَأَتَى إِلَيْهِ الْخَبِيرَ، فَبَلَغَ الْمَهْدِيَّ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَعْنُ بِنُ زَائِدَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدِّ الْمَهْدِيُّ. وَقَالَ: يَا مَعْنُ، أَبْلَغَ مِنْ أَمْرِكَ أَنْ تُجِيرَ عَلَيَّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَنَعَمْ أَيْضًا. قَالَ: نَعَمْ، قَدْ قَتَلْتُ فِي دَوْلَتِكُمْ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مُصَلِّ، أَفَلَا يُجَارُ لِي رَجُلٌ وَاحِدٌ؟! فَاطَّرَقَ الْمَهْدِيُّ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ

إِلَيْهِ وَقَالَ: قَدْ أَجْرْنَا مَنْ أَجْرْتَ يَا مَعْنُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الرَّجُلَ ضَعِيفٌ. فَأَمَرَ لَهُ الْمَهْدِيُّ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا. فَقَالَ: إِنَّ جَرِيْمَتَهُ عَظِيْمَةٌ، وَإِنَّ جَوَائِزَ الْخُلَفَاءِ عَلَى قَدْرِ ذُنُوبِ الرَّعِيَّةِ. فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَحَمَلَتْ بَيْنَ يَدَيْ مَعْنٍ إِلَى الرَّجُلِ، فَقَالَ لَهُ مَعْنُ: ادْعُ لِلْخَلِيفَةِ وَأَصْلِحْ بَيْنَكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَقَدِمَ الْمَهْدِيُّ مَرَّةً الْبَصْرَةَ، فَخَرَجَ لِيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مُرْ هُوَلَاءِ فَلَيْنَتَظِرُونِي حَتَّى أَتَوْضَأَ، فَأَمَرَهُمُ الْمَهْدِيُّ بِانْتِظَارِهِ، وَوَقَفَ الْمَهْدِيُّ فِي الْمِحْرَابِ حَتَّى قِيلَ لَهُ: هَذَا الْأَعْرَابِيُّ قَدْ جَاءَ، فَكَبَّرَ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ سَمَاحَةِ أَحْلَاقِهِ.

وَقَدِمَ أَعْرَابِيٌّ وَمَعَهُ كِتَابٌ مَخْتُومٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْنَ الرَّجُلُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الرَّبِيعُ؟ فَدَلَّوْهُ عَلَى الرَّبِيعِ الْحَاجِبِ، فَأَخَذَ الْكِتَابَ وَجَاءَ بِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَوْقَفَ الْأَعْرَابِيَّ، وَفَتَحَ الْكِتَابَ، فَإِذَا هُوَ قِطْعَةٌ أَدِيمٌ، فِيهَا كِتَابَةٌ ضَعِيفَةٌ، وَالْأَعْرَابِيُّ يَزْعُمُ أَنَّ هَذَا حِطُّ الْخَلِيفَةِ، فَتَبَسَّمَ الْمَهْدِيُّ وَقَالَ: صَدَقَ الْأَعْرَابِيُّ هَذَا حِطِّي، إِلَيَّ خَرَجْتُ يَوْمًا إِلَى الصَّيْدِ، فَضَعْتُ مِنَ الْجَيْشِ، وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ، فَتَعَوَّذْتُ بِتَعَوُّذِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَزُفِعَ لِي نَارٌ مِنْ بَعْدِ، فَفَصَدْتُهَا فَإِذَا هُوَ الشَّيْخُ وَامْرَأَتُهُ فِي خِבَاءٍ يُوقِدَانِ نَارًا، فَسَلَّمْتُ، فَزِدَّ السَّلَامَ، وَفَرَشَ لِي كِسَاءً، وَسَقَانِي مِنْ مَدَقَّةٍ مِنْ لَبَنٍ مَشُوبٍ بِمَاءٍ، فَمَا شَرِبْتُ شَيْئًا إِلَّا وَهِيَ أَطْيَبُ مِنْهُ، وَنَمْتُ نَوْمَةً عَلَى تِلْكَ الْعِبَاءَةِ مَا أَذْكَرُ أَيْ نَمْتُ نَوْمَةً أَحْلَى مِنْهَا. فَفَاقَ إِلَى شَوْيْهَةٍ لَهُ فَذَبَحَهَا، فَسَمِعْتُ امْرَأَتَهُ

تَقُولُ لَهُ: عَمَدَتِ إِلَى مَعِيشَتِكَ وَمَعِيشَةَ أَوْلَادِكَ فَذَبَحْتَهَا؟! أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ وَعِيَالِكَ. فَمَا التَّفَتَ إِلَيْهَا، وَاسْتَيْقَظْتُ مِنَ النَّوْمِ فَاسْتَوَيْتُ مِنْ تِلْكَ الشُّوْبَةِ، وَقُلْتُ لَهُ: أَعِنْدَكَ شَيْءٌ أَكْتُبُ لَكَ فِيهِ كِتَابًا؟ فَأَتَانِي بِهِدِي الرُّقْعَةَ مِنَ الْأَدِيمِ فَكَتَبْتُ لَهُ بِعُودٍ مِنْ ذَلِكَ الرَّمَادِ خَمْسِمِائَةَ أَلْفٍ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ خَمْسِينَ أَلْفًا، وَاللَّهِ لَأَنْفَذْتُهَا لَهُ كُلَّهَا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِ الْمَالِ سِوَاهَا. فَقَبَّضَهَا الْأَعْرَابِيُّ، وَاسْتَمَرَ مُقِيمًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَهُوَ فِي طَرِيقِ الْحَاجِّ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَنْبَارِ فَجَعَلَ يُقْرِئُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَعُرِفَ بِمَنْزِلِ مُضَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ.

وَعَنْ سَوَّارٍ - صَاحِبِ رَحْبَةِ سَوَّارٍ - قَالَ: انصرفتُ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ الْمَهْدِيِّ، فَجِئْتُ مَنْزِلِي فَوَضِعَ لِي الْعَدَاءُ، فَلَمْ تُقْبَلْ نَفْسِي عَلَيْهِ، فَدَحَلْتُ حَلْوَتِي لِأَنَامَ فِي الْقَائِلَةِ، فَلَمْ يَأْخُذْنِي نَوْمٌ، فَاسْتَدْعَيْتُ بَعْضَ حَطَايَايَ لِأَتَلَّهُ بِهَا، فَلَمْ يَقِرَّ لِي قَرَارٌ، فَنَهَضْتُ فَحَرَجْتُ مِنَ الْمَنْزِلِ، وَرَكِبْتُ بَعْلَتِي، فَمَا جَاوَزْتُ الدَّارَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِينِي رَجُلٌ وَمَعَهُ أَلْفَا دِرْهَمٍ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مِنْ مُلْكِكَ الْجَدِيدِ. فَاسْتَصْحَبْتُهُ مَعِي، وَسَرْتُ فِي أَرْقَةِ بَعْدَادَ أَتَشَاغَلُ بِمَا أَنَا فِيهِ مِنَ الضَّجْرِ، فَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ عِنْدَ مَسْجِدٍ فِي بَعْضِ الْحَارَاتِ، فَنَزَلْتُ لِأُصَلِّيَ فِيهِ، فَلَمَّا فَضِئْتُ الصَّلَاةَ إِذَا بِرَجُلٍ أَعْمَى قَدْ أَخَذَ بِثِيَابِي فَقَالَ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. فَقُلْتُ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرٌ، وَلَكِنِّي لَمَّا شَمَمْتُ رَائِحَةَ طَبِيكَ ظَنَنْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الرِّعْمَةِ وَالرَّوَّةِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ

أُفْضِي بِحَاجَتِي إِلَيْكَ. فُئِلْتُ: وَمَا هِيَ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْقَصْرَ الَّذِي تُجَاهَ الْمَسْجِدِ كَانَ لِأَبِي، فَسَافَرَ مِنْهُ إِلَى حُرَّاسَانَ، وَبَاعَهُ وَأَخَذَنِي مَعَهُ وَأَنَا صَغِيرٌ، فَافْتَرَقْنَا هُنَاكَ، وَأَصَابَنِي الضَّرُّ، فَرَجَعْنَا إِلَى بَعْدَادَ، فَجِئْتُ إِلَى صَاحِبِ هَذَا الْقَصْرِ أَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئًا أَتَبَلَّغُ بِهِ لِعَلِّي أَجْتَمِعَ بِسَوَّارٍ، فَإِنَّهُ كَانَ صَاحِبًا لِأَبِي، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ سَعَةٌ يَجُودُ مِنْهَا عَلَيَّ. فُئِلْتُ: وَمَنْ أَبُوكَ؟ فَذَكَرَ رَجُلًا كَانَ أَصْحَبَ النَّاسِ إِلَيَّ، فُئِلْتُ: إِنِّي أَنَا سَوَّارٌ صَاحِبُ أَبِيكَ، وَقَدْ مَنَعَنِي اللَّهُ فِي يَوْمِكَ هَذَا النَّوْمَ وَالْقَرَارَ وَالْأَكْلَ وَالرَّاحَةَ، حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنْ مَنْزِلِي لِأَجْتَمِعَ بِكَ، وَأَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَمَرْتُ وَكَيْلِي، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأَلْفَيْنِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ، وَقُلْتُ: إِذَا كَانَ الْعَدُوُّ فَاتَ مَنْزِلِي فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا. وَرَكِبْتُ فَجِئْتُ دَارَ الْخِلَافَةِ وَقُلْتُ: مَا أُتِحَفَ الْمَهْدِيِّ اللَّيْلَةَ فِي السَّمْرِ بِأَعْرَبٍ مِنْ هَذَا. فَلَمَّا قَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ تَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَ لِلأَعْمَى بِالْفَيْ دِينَارٍ، وَقَالَ لِي: عَلَيْكَ دَيْنٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: كَمْ؟ قُلْتُ: خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ. فَسَكَتَ وَحَادَثَنِي سَاعَةً، فَلَمَّا قُئِمْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، فَوَصَلْتُ الْمَنْزِلَ إِذَا الْحَمَّالُونَ قَدْ سَبَقُونِي إِلَى الْمَنْزِلِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَلْفِي دِينَارٍ لِلأَعْمَى، فَانْتَظَرْتُ الأَعْمَى أَنْ يَجِيءَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَتَأَخَّرَ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ جَلَسْتُ إِلَى الْمَهْدِيِّ فَقَالَ: قَدْ فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكَ، فَوَجَدْتُكَ إِذَا قَضَيْتَ دَيْنَكَ لَمْ يَبْقَ مَعَكَ شَيْءٌ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ جَاءَنِي

الْمَكْفُوفُ فَقُلْتُ: قَدْ رَزَقَ اللَّهُ بِسَبَبِكَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْأَلْفِي دِينَارٍ
الَّتِي مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ، وَزِدْتُهُ أَلْفِي دِينَارٍ مِنْ مَالِي أَيْضًا.

وَوَفَّقَتِ امْرَأَةٌ لِلْمَهْدِيِّ فَقَالَتْ: يَا عَصْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ، أَقْضِ حَاجَتِي. فَقَالَ
الْمَهْدِيُّ: مَا سَمِعْتُهَا مِنْ غَيْرِهَا، أَقْضُوا حَاجَتَهَا وَأَعْطُوهَا عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ.
وَدَخَلَ ابْنُ الْحَيَّاطِ عَلَى الْمَهْدِيِّ، وَامْتَدَحَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ،
فَقَرَّقَهَا ابْنُ الْحَيَّاطِ، وَأَنْشَأَ يَثُورًا:

أَخَذْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْعَنَى وَمَ أَدْرِي أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُوو الْعَنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَبَدَّدْتُ مَا عِنْدِي

قَالَ: فَنَمَى ذَلِكَ إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَأَعْطَاهُ بَدَلَ كُلِّ دِرْهَمٍ دِينَارًا.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ تِسْعِ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ -
وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً عَلَى الْمَشْهُورِ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ عَشْرَ سِنِينَ
وَشَهْرًا وَكُسُورًا.

خِلَافَةُ مُوسَى الْهَادِي ابْنِ الْمَهْدِيِّ

تُوُوِّيَ أَبُوهُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ أَوَّلِ سَنَةِ تِسْعِ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، وَكَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ
بَعْدِ أَبِيهِ، لَكِنْ كَانَ أَبُوهُ قَدْ عَزَمَ عَلَى تَقْدِيمِ أَخِيهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ عَلَيْهِ فِي وِلَايَةِ
الْعَهْدِ، فَلَمْ يَنْفِقْ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ أَبُوهُ بِمَسَبَدَانَ فِي شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَكَانَ
الْهَادِي إِذْ ذَاكَ بِبُرْجَانَ، فَهَمَّ بَعْضُ الدَّوَلَةِ، مِنْهُمْ الرَّبِيعُ الْحَاجِبُ وَطَائِفَةٌ مِنْ

الْفُؤَادِ عَلَى تَقْدِيمِ الرَّشِيدِ عَلَيْهِ وَالْمُبَايَعَةِ لَهُ، وَكَانَ حَاضِرًا بِبَغْدَادَ، وَعَزَمُوا عَلَى النَّفَقَةِ فِي الْجُنْدِ لِذَلِكَ تَنْفِيذًا لِمَا رَامَهُ الْمَهْدِيُّ مِنْ ذَلِكَ؛ فَاسْرَعَ الْهَادِي السَّيْرَ مِنْ جُرْجَانَ إِلَى بَغْدَادَ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبْرُ، فَسَاقَ مِنْهَا إِلَيْهَا فِي عِشْرِينَ يَوْمًا فَدَخَلَ بَغْدَادَ وَقَامَ فِي النَّاسِ حَظِيبًا، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنْهُمْ فَبَايَعُوهُ، وَتَغَيَّبَ الرَّيِّعُ الْحَاجِبُ، فَتَطَلَّبَهُ الْهَادِي حَتَّى حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَعَفَا عَنْهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَأَقْرَهُ عَلَى وَظِيفَةِ الْحُجُوبِيَّةِ، وَزَادَهُ الْوِزَارَةَ وَوَلَايَاتٍ أُخَرَ.

وَشَرَعَ الْهَادِي فِي تَطَلُّبِ الرِّئَازِقَةِ مِنَ الْأَفَاقِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ طَائِفَةً كَثِيرَةً، وَافْتَدَى فِي ذَلِكَ بِأَبِيهِ، وَقَدْ كَانَ مُوسَى الْهَادِي مِنْ أَفْكَهِ النَّاسِ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْخُلُوةِ، فَإِذَا جَلَسَ فِي مَقَامِ الْخِلَافَةِ لَا يَسْتَطِيعُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ؛ لِمَا يَعْلُوهُ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالرِّيَاسَةِ، وَكَانَ شَابًّا حَسَنًا وَقُورًا مَهِيْبًا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ - خَرَجَ بِالْمَدِينَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَصْبَحَ يَوْمًا وَقَدْ لَبَسَ الْبِيَاضَ^١، وَجَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَجَاءَ النَّاسُ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمَّا رَأَوْهُ وَلَوْا رَاجِعِينَ، وَالثَّفَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ، فَبَايَعُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرِّضَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ. وَكَانَ سَبَبَ خُرُوجِهِ أَنْ مُتَوَلَّيَهَا خَرَجَ مِنْهَا إِلَى بَغْدَادَ لِتَلْقَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَمَّتَتْهُ بِالْوِلَايَةِ،

^١ علامة على خروجه على العباسيين.

وَتَعَزِيَّتِهِ فِي أَبِيهِ الْمَهْدِيِّ، فَجَرَتْ أُمُورٌ اقْتَضَتْ أَنْ حَرَجَ حُسَيْنٌ هَذَا، وَالتَّفَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ، وَجَعَلُوا مَأْوَاهُمْ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، وَلَمْ يُجِبْهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَجَعَلُوا يَدْعُونَ عَلَيْهِ لِامْتِنَانِهِمْ الْمَسْجِدَ، حَتَّى ذُكِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُقَدِّرُونَ فِي جَنَابَاتِ الْمَسْجِدِ، وَقَدْ اقْتَتَلُوا مَعَ الْمُسَوِّدَةِ ١ مَرَّاتٍ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَقُتِلَ مِنْهُمْ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى زَمَنِ الْحَجِّ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْهَادِي جَيْشًا، فَقَاتَلُوهُ بَعْدَ فَرَاغِ النَّاسِ مِنَ الْمَوْسِمِ، فَقَتَلُوهُ وَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَاهْتَزَمَ بَقِيَّتُهُمْ، وَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَدَرٍ، فَكَانَ مُدَّةَ خُرُوجِهِ إِلَى أَنْ قُتِلَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

وَقَدْ كَانَ كَرِيمًا مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ؛ دَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْمَهْدِيِّ، فَأَطْلَقَ لَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَفَرَّقَهَا فِي أَهْلِهِ وَأَصْدِقَائِهِ مِنْ أَهْلِ بَعْدَادَ وَالْكُوفَةِ، وَمَا حَرَجَ مِنْهَا وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ، إِنَّمَا عَلَيْهِ فَرْوَةٌ لَيْسَ دُونَهَا قَمِيصٌ.

وفاة الهادي

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَفِيهَا عَزَمَ الْهَادِي عَلَى خَلْعِ أَخِيهِ هَارُونَ مِنَ الْخِلَافَةِ، وَوَلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ وَمُبَايَعَةِ ابْنِهِ جَعْفَرِ ابْنِ الْهَادِي، فَانْقَادَ هَارُونٌ لَذَلِكَ، وَلَمْ يُظْهِرِ الْمُنَارَعَةَ بَلِ الْمُطَاوَعَةَ، وَاسْتَدْعَى الْهَادِي جَمَاعَةً مِنَ الْأَمْرَاءِ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَبَتْ ذَلِكَ أُمُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

١ أتباع العباسيين.

الْحَيْرَانَ، وَكَانَتْ أُمَيْلَ إِلَى ابْنِهَا هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَكَانَ الْهَادِي قَدْ مَنَعَهَا التَّصَرُّفَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَمْلَكَةِ، بَعْدَ مَا كَانَتْ قَدْ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ وَلَايَتِهِ، وَانْقَلَبَتِ الدُّوْلُ إِلَى بَاهِهَا، وَالْأَمْرَاءُ إِلَى جَانِبِهَا، فَحَلَفَ الْهَادِي لِعَبْنِ عَادٍ أَمِيرٍ يَلُودُ بِبَاهِهَا لِيَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، وَلَا يَقْبَلَ لَهَا شَفَاعَةً أَبَدًا، فَاْمْتَنَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ، وَحَلَفَتْ لَا تُكَلِّمُهُ أَبَدًا، وَانْتَقَلَتْ عَنْهُ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ، وَأَلْحَ هُوَ عَلَى أَخِيهِ هَارُونَ فِي الْخَلْعِ، وَبَعَثَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ - وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ هُمْ فِي صَفِّ الرَّشِيدِ - فَقَالَ لَهُ: مَاذَا تَرَى فِيمَا أُرِيدُ مَنْ خَلَعَ الرَّشِيدِ، وَتَوَلَّيْتَ ابْنِي جَعْفَرَ؟ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أَحْشَى أَنْ هُوَ الْإِيمَانُ عَلَى النَّاسِ، وَلَكِنْ مِنَ الْمَصْلَحَةِ أَنْ تَجْعَلَ جَعْفَرَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ هَارُونَ، وَأَيْضًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي أَحْشَى أَلَّا يُجِيبَ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَى الْبَيْعَةِ لَجَعْفَرَ وَهُوَ دُونَ الْبُلُوغِ، فَيَتَفَقَمَ الْأَمْرُ وَتُخْتَلَفَ النَّاسُ فَيَنَالَهَا بَعْضُ أَهْلِكَ، لَا هَذَا وَلَا هَذَا. فَأَطْرَقَ مَلِيًّا - وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلًا - ثُمَّ أَمَرَ بِسَجْنِهِ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ.

وَجَاءَ يَوْمًا إِلَيْهِ أَخُوهُ هَارُونَ الرَّشِيدِ، فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِهِ بَعِيدًا عَنْهُ، فَجَعَلَ الْهَادِي يَنْظُرُ إِلَيْهِ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: يَا هَارُونُ، أَتَطْمَعُ أَنْ تَكُونَ رُؤِيَا الْمَهْدِيِّ حَقًّا؟ فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ، وَوَاللَّهِ لَعِنَ كَانَ ذَلِكَ لِأَصِلَنَّ مَنْ قَطَعْتَ، وَلَأَنْصِفَنَّ مَنْ ظَلَمْتَ، وَلَا زَوْجَنَّ بَيْتِكَ مِنْ بَنَاتِي. فَقَالَ: ذَاكَ الظُّنُّ بِكَ. فَقَامَ إِلَيْهِ هَارُونُ لِيُقْبَلَ يَدَهُ، فَحَلَفَ الْهَادِي لِيَجْلِسَنَّ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَجَلَسَ مَعَهُ، ثُمَّ أَمَرَ

لَهُ بِالْفِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَنْ يَدْخُلَ الْخَزَائِنَ فَيَأْخُذَ مِنْهَا مَا أَرَادَ، وَإِذَا جَاءَ الْخُرَاجُ فَلْيُدْفَعْ إِلَيْهِ نِصْفَهُ. فَفَعَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَرَضِيَ الْهَادِي عَنِ الرَّشِيدِ. ثُمَّ سَافَرَ إِلَى حَدِيثَةِ الْمُوصِلِ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَادَ مِنْهَا، فَمَاتَ بَعِيسَابَادَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِلنِّصْفِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ. وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَةً وَشَهْرًا وَثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا. وَكَانَ طَوِيلًا جَمِيلًا أَبْيَضَ بِشَفْتِهِ الْعُلْيَا تَقْلُصٌ.

وَقَدْ تُوُوِيَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ خَلِيفَةً، وَهُوَ الْهَادِي، وَوَلِيَ خَلِيفَةً، وَهُوَ الرَّشِيدُ، وَوُلِدَ خَلِيفَةً، وَهُوَ الْمَأْمُونُ ابْنُ الرَّشِيدِ.

وَهَذَا ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ تَرْجَمَةِ الْهَادِي: هُوَ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَبُو مُحَمَّدِ الْهَادِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ابْنُ الْمَهْدِيِّ ابْنِ الْمَنْصُورِ. وَوَلِيَ الْخِلَافَةَ - كَمَا ذَكَرْنَا - فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ. وَكَانَتْ وَقَاتُهُ فِي النِّصْفِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ أَوْ الْآخِرِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً. وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ أَحَدٌ قَبْلَهُ فِي سِنِّهِ. وَكَانَ حَسَنًا جَمِيلًا طَوِيلًا أَبْيَضَ، فِي شَفْتِهِ الْعُلْيَا تَقْلُصٌ، وَكَانَ قَوِيَّ الْبَاسِ يَتَّبِعُ عَلَى الدَّابَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعَانٌ، وَكَانَ أَبُوهُ يُسَمِّيهِ رِيحَانِي.

وَذَكَرَ عَيْسَى بْنُ دَآبٍ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ الْهَادِي، إِذْ جِيءَ بِطَسْتٍ فِيهِ رَأْسَا جَارِيَتَيْنِ، لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهُمَا، وَلَا مِثْلَ شُعُورِهِمَا، وَفِي شُعُورِهِمَا اللَّالِئُ وَالْجَوَاهِرُ مُنْضَدَّةٌ، وَلَا مِثْلَ طِيبِ رِيحِهِمَا، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا شَأْنُ هَاتَيْنِ؟ قُلْنَا:

لَا. فَقَالَ: إِنَّهُ ذُكِرَ لِي عَنْهُمَا أَنَّهُمَا يَزْتَكِيَانِ الْفَاحِشَةَ، فَأَمَرْتُ الْخَادِمَ، فَرَصَدَهُمَا ثُمَّ جَاءَنِي فَقَالَ: إِنَّهُمَا مُجْتَمِعَتَانِ. فَحَنَنْتُ فَوَجَدْتُهُمَا فِي لِحَافٍ وَاحِدٍ وَهُمَا عَلَى الْفَاحِشَةِ، فَأَمَرْتُ بِحِزِّ رِقَابِهِمَا. ثُمَّ أَمَرَ بِرُفْعِ رُءُوسِهِمَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَرَجَعَ إِلَى حَدِيثِهِ الْأَوَّلِ، كَأَن لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا. وَكَانَ شَهْمًا حَبِيرًا بِالْمُلْكِ كَرِيمًا. وَمِنْ كَلَامِهِ: مَا أَصْلِحَ الْمُلْكَ بِمِثْلِ تَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ لِلْجَانِي، وَالْعَفْوِ عَنِ الزَّلَّاتِ الْقَرِيبَةِ، لِيَقْلَّ الطَّمَعُ عَنِ الْمُلْكِ.

وَعَضِبَ يَوْمًا مِنْ رَجُلٍ، فَاسْتَرْضِي عَنْهُ فَرَضِي، فَشَرَعَ الرَّجُلُ يَعْتَدِرُ، فَقَالَ الْهَادِي: إِنَّ الرِّضَا قَدْ كَفَاكَ مُؤْنَةَ الْإِعْتِدَارِ.

وَعَزَى الْهَادِي رَجُلًا فِي وَلَدٍ لَهُ تُوَيِّي: فَقَالَ لَهُ: أَسْرَكَ وَهُوَ عَدُوٌّ وَفِتْنَةٌ، وَأَحْرَنْكَ وَهُوَ صَلَاةٌ وَرَحْمَةٌ.

وَرَوَى الرَّبِيزِيُّ بَنُ بَكَارٍ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ أَنْشَدَ الْهَادِي قَصِيدَةً لَهُ، مِنْهَا:

تَشَابَهَ يَوْمًا بِأُسُهُ وَنَوَالُهُ فَمَا أَحَدٌ يَدْرِي لِأَيِّهِمَا الْفَضْلُ

فَقَالَ لَهُ الْهَادِي: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مُعَجَّلَةً أَوْ مِائَةٌ أَلْفٍ تَدُورُ فِي الدَّوَابِّ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ أَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَكُونُ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مُعَجَّلَةً وَمِائَةٌ أَلْفٍ تَدُورُ بِالْدَّوَابِّ. فَقَالَ الْهَادِي: أَوْ أَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ: نُعَجِّلُ الْجَمِيعَ لَكَ. فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا مُعَجَّلَةً.

وَقَالَ الْمُطَّلِبُ بْنُ عُكَّاشَةَ الْمُرِّيُّ: قَدِمْنَا عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْهَادِي شُهُودًا عَلَى رَجُلٍ مَنَّا سَتَمَ فُرَيْشًا، وَتَخَطَّى إِلَى ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسَ لَنَا مَجْلِسًا أَحْضَرَ فِيهِ فُقَهَاءَ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَمَنْ كَانَ بِالْحَضْرَةِ عَلَى بَابِهِ، وَأَحْضَرَ الرَّجُلَ وَأَحْضَرْنَا، فَشَهِدْنَا عَلَيْهِ بِمَا سَمِعْنَا مِنْهُ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ الْهَادِي، ثُمَّ نَكَّسَ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي الْمَهْدِيِّ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ الْمَنْصُورِ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَنْ أَرَادَ هَوَانَ فُرَيْشٍ أَهَانَهُ اللَّهُ، وَأَنْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ لَمْ تَرْضَ بِأَنْ أَرَدْتَ ذَلِكَ مِنْ فُرَيْشٍ حَتَّى تَخَطَيْتَ إِلَى ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! اضْرِبُوا عُنُقَهُ. فَمَا بَرِحْنَا حَتَّى قُتِلَ.

تُوُفِّيَ الْهَادِي فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَخُوهُ هَارُونُ وَلِيُّ الْعَهْدِ، وَدُفِنَ فِي قَصْرِ بِنَاةٍ وَسَمَّاهُ الْأَبْيَضَ بِعَيْسَابَادَ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادَ. وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ تِسْعَةٌ: سَبْعَةٌ ذُكُورٌ وَابْنَتَانِ، فَالذُّكُورُ: جَعْفَرٌ - وَهُوَ الَّذِي كَانَ قَدْ رَشَحَهُ لِلْخِلَافَةِ - وَعَبَّاسٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَإِسْحَاقُ وَإِسْمَاعِيلُ وَسُلَيْمَانُ وَمُوسَى الْأَعْمَى الَّذِي وُلِدَ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَسُمِّيَ بِاسْمِ أَبِيهِ، وَالْبِنْتَانِ هُمَا أُمُّ عَيْسَى الَّتِي تَزَوَّجَهَا الْمَأْمُونُ، وَالْأُخْرَى أُمُّ الْعَبَّاسِ تُلُقَّبُ نُوتَةَ.

خِلاَفَةُ هَارُونَ الرَّشِيدِ

بُيْعَ لَهُ بِالْخِلاَفَةِ لَيْلَةَ مَاتَ أَحُوهُ الْهَادِي، وَذَلِكَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِلنِّصْفِ مِنْ رِبْعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ، وَكَانَ عُمُرُ الرَّشِيدِ يَوْمَئِذٍ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَبَعَثَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَزْمَكٍ، فَأَخْرَجَهُ مِنَ السِّجْنِ، وَقَدْ كَانَ الْهَادِي عَزَمَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَلَى قَتْلِهِ وَقَتْلِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، فَأَخْرَجَهُ الرَّشِيدُ، وَكَانَ ابْنُهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَوَلَاهُ حِينئِذٍ الْوِزَارَةَ، وَوَلَّى يُوسُفَ بْنَ الْقَاسِمِ بْنِ صُبَيْحٍ كِتَابَةَ الْإِنشَاءِ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي قَامَ حَطِيبًا بَيْنَ يَدَيْهِ حِينَ أُخِذَتِ الْبَيْعَةُ لَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ بِعَيْسَابَادَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمَّا مَاتَ الْهَادِي فِي اللَّيْلِ جَاءَ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ بْنِ بَزْمَكٍ إِلَى الرَّشِيدِ فَوَجَدَهُ نَائِمًا، فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: كَمْ تُرَوِّعُنِي، وَلَوْ سَمِعَ بِهَذَا الْكَلَامِ هَذَا الرَّجُلُ لَكَانَ ذَلِكَ أَكْبَرَ ذُنُوبِي عِنْدَهُ. فَقَالَ لَهُ يَحْيَى: قَدْ مَاتَ الرَّجُلُ. فَجَلَسَ هَارُونُ فَقَالَ: أَشِرُّ عَلَيَّ. فَجَعَلَ يَذْكُرُ لَهُ وَلَايَاتِ الْأَقَالِيمِ لِرِجَالٍ يُسَمِّيهِمْ، فَيُوَلِّيهِمُ الرَّشِيدُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: أَبَشِّرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: فَقَدْ وُلِدَ لَكَ السَّاعَةَ عُلَامٌ. فَقَالَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ، وَهُوَ الْمَأْمُونُ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَصَلَّى عَلَى أَخِيهِ الْهَادِي، وَدَفَنَهُ بِعَيْسَابَادَ، وَحَلَفَ لَا يُصَلِّي الظُّهْرَ إِلَّا بِبَعْدَادَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْجِنَازَةِ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِ أَبِي عِصْمَةَ الْقَائِدِ، لِأَنَّهُ كَانَ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ الْهَادِي فَرَّاحُوا هَارُونَ عَلَى جِسْرِ، فَقَالَ أَبُو عِصْمَةَ: قِفْ حَتَّى يَجُوزَ وَلِيُّ الْعَهْدِ. فَقَالَ الرَّشِيدُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأَمِيرِ. فَجَازَ جَعْفَرٌ وَوَقَفَ الرَّشِيدُ، فَلَمَّا وَلِيَ أَمَرَ بِقَتْلِ أَبِي عِصْمَةَ.

ثُمَّ سَارَ إِلَى بَعْدَادَ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى جِسْرِ بَعْدَادَ اسْتَدْعَى بِالْعَوَاصِمِينَ فَقَالَ:
إِنِّي سَقَطَ مِنِّي هَهُنَا خَاتَمٌ، كَانَ وَالِدِي الْمَهْدِيُّ قَدِ اشْتَرَاهُ لِي بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَلَمَّا
كَانَ مِنْ أَيَّامِ بَعَثَ وَرَائِي الْهَادِي يَطْلُبُهُ، فَأَلْفَيْتُهُ إِلَى الرَّسُولِ، فَسَقَطَ هَهُنَا.
فَعَاصُوا وَرَاءَهُ فَوَجَدُوهُ، فَسَرَّ بِهِ الرَّشِيدُ سُورًا كَثِيرًا.

وَلَمَّا وُلِيَ الرَّشِيدُ يَحْيَى بْنَ خَالِدِ الْوَزَارَةَ قَالَ لَهُ: قَدْ فَوَّضْتُ إِلَيْكَ أَمْرَ الرَّعِيَّةِ،
وَخَلَعْتُ ذَلِكَ مِنْ عُنُقِي، وَجَعَلْتُهُ فِي عُنُقِكَ، فَوَلِّ مَنْ رَأَيْتَ، وَاعْزِلْ مَنْ
رَأَيْتَ.

وَكَانَتِ الْخَيْرَانُ هِيَ الْمَشَاوِرَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، لَا يَقْطَعُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ أَمْرًا
حَتَّى يُشَاوِرَهَا فِيمَا يُبْرِمُهُ وَيُجِلُّهُ وَيُبْضِيهِ وَيُحْكِمُهُ.

وَفِيهَا أَمْرَ الرَّشِيدِ بِسَهْمِ ذِي الْقُرْبَى أَنْ يُقَسِّمَ فِي بَنِي هَاشِمٍ عَلَى السَّوَاءِ.
وَفِيهَا تَتَّبَعُ الرَّشِيدُ خَلْقًا مِنَ الزَّنَادِقَةِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ طَائِفَةً كَثِيرَةً.
وَفِيهَا خَرَجَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ الْبَيْتِ.

وَفِيهَا وُلِدَ الْأَمِينُ مُحَمَّدُ ابْنُ الرَّشِيدِ مِنْ زُبَيْدَةَ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسِتِّ عَشْرَةَ
لَيْلَةً حَلَّتْ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

وَفِيهَا كَمُلَ بِنَاءُ مَدِينَةِ طَرْسُوسَ عَلَى يَدَيْ فَرَجِ الْخَادِمِ التُّرْكِيِّ، وَنَزَلَهَا النَّاسُ.
وَفِيهَا حَجَّ بِالنَّاسِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونُ الرَّشِيدِ، وَأَعْطَى أَهْلَ الْحَرَمَيْنِ أَمْوَالًا
كَثِيرَةً، وَيُقَالُ: إِنَّهُ غَزَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا.

وَعَزَا الصَّائِفَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا أَضَافَ الرَّشِيدُ الْخَتَمَ إِلَى يَمِينِي
بْنِ خَالِدٍ مَعَ الْوِزَارَةِ.

وَفِيهَا قَتَلَ الرَّشِيدُ أَبَا هُرَيْرَةَ مُحَمَّدَ بْنَ فُرُوحٍ نَائِبَ الْجَزِيرَةِ صَبْرًا فِي قَصْرِ الْخَلْدِ
بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَفِيهَا حَرَجَ الْفَضْلُ بْنُ سَعِيدِ الْحُرُورِيِّ فَقُتِلَ.

وَفِيهَا قَدِمَ رُوْحُ بْنُ حَاتِمٍ إِفْرِيقِيَّةً. وَحَرَجَتْ أُمُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَيْزُرَانُ إِلَى مَكَّةَ،
فَأَقَامَتْ بِهَا حَتَّى شَهِدَتْ الْحَجَّ، وَكَانَ الَّذِي حَجَّ بِالنَّاسِ عَمُّ الْخُلَفَاءِ عَبْدِ
الصَّمَدِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَكْرَمَهُ، وَتَقَبَّلَ مِنْهُ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا وَضَعَ الرَّشِيدُ عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ
الْعُسْرَ الَّذِي كَانَ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ بَعْدَ النَّصْفِ.

وَفِيهَا حَرَجَ الرَّشِيدُ مِنْ بَعْدَادَ يَرْتَادُ لَهُ مَوْضِعًا يَسْكُنُهُ غَيْرَهَا، فَلَمْ يَبْرَحْ إِلَّا أَنْ
تَشَوَّشَ فِيهَا ثُمَّ رَجَعَ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا تُوفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بِالْبَصْرَةِ،
فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِالْإِحْتِيَاظِ عَلَى حَوَاصِلِهِ الَّتِي تَصْلُحُ لِلْخُلَفَاءِ، فَوَجَدُوا مِنْ ذَلِكَ
شَيْئًا كَثِيرًا، فَقَبَضُوهُ: مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَمْتِعَةِ الَّتِي يُسْتَعَانُ بِهَا عَلَى الْحَرْبِ
وَعَلَى تَقْوِي الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعُدَدِ وَالْبِرْكِ وَعَظِيمِ ذَلِكَ.

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَأُمُّهُ أُمُّ حَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَكَانَ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ وَشُجْعَانِهِمْ. جَمَعَ لَهُ الْمَنْصُورُ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَرَوَّجَهُ الْمَهْدِيُّ ابْنَتَهُ الْعَبَّاسَةَ، وَكَانَ لَهُ مِنْ الْأَمْوَالِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ دَخَلُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفٍ. وَكَانَ لَهُ حَاتَمٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ لَمْ يَرِ مِثْلَهُ.

وَقَدْ وَفَدَ عَلَى الرَّشِيدِ، فَهَنَّاهُ بِالْخِلَافَةِ، فَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ، وَزَادَهُ فِي عَمَلِهِ شَيْئًا كَثِيرًا. وَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ حَرَجَ مَعَهُ الرَّشِيدُ يُشَبِّعُهُ إِلَى كَلْوَادَى.

تُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَقَدْ أَرْسَلَ الرَّشِيدُ مَنْ اضْطَمَى مِنْ مَالِهِ الصَّامِتِ، فَوَجَدَ لَهُ مِنَ الذَّهَبِ ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَمِنْ الدَّرَاهِمِ سِتِّينَ أَلْفَ أَلْفٍ، حَارِجًا عَنِ الْأَمْلَاقِ وَالْجَوَاهِرِ.

وفاة الخيزان

وَفِيهَا تُوفِّيَتِ الْخَيْزِرَانُ جَارِيَةُ الْمَهْدِيِّ وَأُمُّ أَمِيرِي الْمُؤْمِنِينَ الْهَادِي وَالرَّشِيدِ، اشْتَرَاهَا الْمَهْدِيُّ وَحَضَيْتْ عِنْدَهُ، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، وَوَلَدَتْ لَهُ خَلِيفَتَيْنِ:

مُوسَى الْهَادِي وَالرَّشِيدَ، وَلَمْ يَتَّفِقْ هَذَا لِعَيْبِهَا مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا لِوِلَادَةِ بِنْتِ الْعَبَّاسِ الْعَبْسِيَّةِ، زَوْجَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَهِيَ أُمُّ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ. وَإِلَّا لِشَاهِ

فَرِنْدَ بِنْتِ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجِرْدَ، وَوَلَدَتْ لِمَوْلَاهَا الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ،
يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمَ، وَكِلَاهُمَا وَوَلِيَّ الْخِلَافَةِ.

وَلَمَّا عُرِضَتْ عَلَى الْمَهْدِيِّ لِيَشْتَرِيَهَا أَعْجَبْتُهُ إِلَّا دِقَّةَ سَاقَيْهَا، فَقَالَ لَهَا: يَا
جَارِيَّةُ، إِنَّكَ لَعَلَى غَايَةِ الْمُنَى لَوْلَا حُمُوشَةٌ فِي سَاقَيْكَ. فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِمَا لَا تَرَاهُمَا. فَاسْتَحْسَنَ جَوَابَهَا وَاشْتَرَاهَا،
وَحَظِيَّتْ عِنْدَهُ.

وَقَدْ اشْتَرَتْ الدَّارَ الْمَشْهُورَةَ بِهَا بِمَكَّةَ الْمَعْرُوفَةَ بِدَارِ الْخَيْزُرَانِ، فَزَادَتْهَا فِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

وَكَانَ مُغْلٌ ضِيَاعَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفَ أَلْفٍ وَسِتِّينَ أَلْفًا.

وَاتَّفَقَ مَوْتُهَا بِبَعْدَادَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِثَلَاثِ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ
السَّنَةِ، فَخَرَجَ ابْنُهَا الرَّشِيدُ فِي جِنَازَتِهَا وَهُوَ حَامِلٌ سَرِيرَهَا يُحْبُ فِي الطِّينِ،
فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَقْبَرَةِ أُتِيَ بِمَاءٍ، فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ وَلَبَسَ حُفًّا، وَصَلَّى عَلَيْهَا،
وَنَزَلَ فِي لِحْدِهَا، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْقَبْرِ أُتِيَ بِسَرِيرٍ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَاسْتَدْعَى
بِالْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَوَلَّاهُ الْخَاتَمَ وَالنَّفَقَاتِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا وَقَعَتْ عَصِيْبَةُ بِالشَّامِ وَخَبِيْطُ بَيْنَ
أَهْلِهَا.

وَفِيهَا اسْتَقْفَى الرَّشِيدُ يُوسُفَ ابْنَ الْقَاضِي أَبِي يُوسُفَ وَأَبُوهُ حَيٌّ.

وَفِيهَا غَزَا الصَّائِفَةَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ، فَدَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ.

وَفِيهَا حَجَّ بِالنَّاسِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ مَكَّةَ بَلَغَهُ أَنَّ بِهَا وَبَاءً، فَلَمْ يَدْخُلْ مَكَّةَ حَتَّى كَانَ وَقْتُ الْوُفُوفِ فَوَقَّفَ، ثُمَّ جَاءَ الْمُزْدَلِفَةَ، ثُمَّ مِيَّ، ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ، فَطَافَ وَسَعَى، وَارْتَحَلَ، وَلَمْ يَنْزِلْ بِهَا.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا أَخَذَ الرَّشِيدُ الْبَيْعَةَ بِوَلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لَوْلَدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ زُبَيْدَةَ، وَسَمَّاهُ الْأَمِينَ، وَعُمُرُهُ إِذْ ذَلِكَ خَمْسُ سِنِينَ، وَقَدْ كَانَ الرَّشِيدُ يَتَوَسَّمُ النَّجَابَةَ وَالرَّجَاحَةَ فِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَأْمُونِ، وَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّ فِيهِ حَزْمَ الْمَنْصُورِ، وَنُسْكَ الْمَهْدِيِّ، وَعِزَّةَ نَفْسِ الْهَادِي، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ الرَّابِعَةَ مِيَّ لَقُلْتُ، وَإِنِّي لَأُقَدِّمُ مُحَمَّدًا ابْنَ زُبَيْدَةَ عَلَيْهِ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مُتَّبِعٌ هَوَاهُ، وَلَكِنْ لَا أَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَعَزَا الصَّائِفَةَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ. وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ. وَفِيهَا سَارَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ إِلَى الدَّيْلَمِ، وَتَحَرَّكَ هُنَالِكَ.

ظُهُورُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا كَانَ ظُهُورُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِلَادِ الدَّيْلَمِ، وَاتَّبَعَهُ حَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمُّ غَفِيرٌ، وَقَوِيَتْ شَوْكُهُ، وَارْتَحَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْكُورِ وَالْأَمْصَارِ، فَانزَعَجَ لِذَلِكَ الرَّشِيدُ، وَقَلِقَ مِنْ أَمْرِهِ، فَندَبَ إِلَيْهِ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ فِي

حَمْسِينَ أَلْفًا، وَوَلَاهُ كُورَ الْجَبَلِ وَالرِّيِّ وَجُرْجَانَ وَطَبْرِسْتَانَ وَفُومَسَ وَالرُّوْيَانَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَسَارَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ فِي أُهْمَةٍ عَظِيمَةٍ، وَكُتِبَ الرَّشِيدُ تَلْحُفُهُ مَعَ الْبُرْدِ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، وَأَنْوَاعُ التُّحْفِ وَالْبُرِّ، وَكَاتَبَ الْفَضْلُ صَاحِبَ الدَّيْلَمِ، وَوَعَدَهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ إِنْ هُوَ سَهَّلَ خُرُوجَ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، وَكُتِبَ الْفَضْلُ إِلَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَعِدُهُ وَيُمْنِيهِ وَيُؤَمِّلُهُ وَيُرْجِيهِ وَيَبْسُطُ أَمَلَهُ، إِنْ هُوَ خَرَجَ إِلَيْهِ أَنْ يُقِيمَ لَهُ الْعُدْرَةَ عِنْدَ الرَّشِيدِ، فَاْمْتَنَعَ يَحْيَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَكْتُبَ لَهُ الرَّشِيدُ كِتَابَ أَمَانٍ بِيَدِهِ، فَكُتِبَ الْفَضْلُ إِلَى الرَّشِيدِ بِذَلِكَ، فَفَرِحَ الرَّشِيدُ، وَوَقَعَ مِنْهُ مَوْقِعًا عَظِيمًا، وَكُتِبَ الْأَمَانُ بِيَدِهِ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْقُضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ وَمَشِيخَةَ بَنِي هَاشِمٍ، مِنْهُمْ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَلِيٍّ، وَبَعَثَ الْأَمَانَ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ جَوَائِزَ وَتُحَفًا كَثِيرَةً، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى الْفَضْلِ بَعَثَهَا بِكَمَالِهَا إِلَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَخَرَجَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَسَارَ بِهِ الْفَضْلُ، فَدَخَلَ بِهِ بَعْدَادَ وَتَلَقَّاهُ الرَّشِيدُ، وَأَكْرَمَهُ وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءَ، وَخَدَمَهُ أَلْ بَرْمَكِ خِدْمَةً عَظِيمَةً، بِحَيْثُ إِنَّ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ كَانَ يَتَوَلَّى خِدْمَتَهُ بِنَفْسِهِ، وَعَظَّمَ الْفَضْلُ عِنْدَ الرَّشِيدِ بِهَذِهِ الْفِعْلَةَ؛ حَيْثُ سَعَى فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَالْقَاطِمِيِّينَ. ثُمَّ إِنَّ الرَّشِيدَ تَنَكَّرَ لِيَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، وَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ سَجَنَهُ، ثُمَّ اسْتَحْضَرَهُ الرَّشِيدُ وَعِنْدَهُ الْقَاضِيَانِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ وَأَبُو الْبَحْتَرِيِّ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَاتٌ مِنَ الْأَهْلِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَحْضَرَ الْأَمَانَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ، فَسَأَلَ الرَّشِيدُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ عَنْ هَذَا الْأَمَانِ أَصَحِيحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ،

فَتَعَيَّظَ الرَّشِيدُ عَلَيْهِ. وَقَالَ أَبُو الْبَحْتَرِيِّ: لَيْسَ هَذَا بِصَحِيحٍ، فَاحْكُمْ فِيهِ بِمَا شِئْتَ. وَمَزَّقَ الْأَمَانَ، وَبَصَقَ فِيهِ أَبُو الْبَحْتَرِيُّ، وَأَقْبَلَ الرَّشِيدُ عَلَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: هِيه هِيه. وَهُوَ يَتَبَسَّمُ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، وَقَالَ إِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّا سَمَمْنَاكَ. فَقَالَ لَهُ يَحْيَى: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لَنَا قَرَابَةً وَرَحِمًا وَحَقًّا، فَعَلَامَ تُعَذِّبُنِي وَتَحْسِبُنِي؟ فَفَرَّقَ لَهُ الرَّشِيدُ، ثُمَّ إِنَّ الرَّشِيدَ أَطْلَقَ يَحْيَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، وَأَطْلَقَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَيُقَالُ: إِذَا حَبَسَهُ بَعْضَ يَوْمٍ. وَكَانَ جُمْلَةُ مَا وَصَلَهُ مِنَ الْمَالِ مِنَ الرَّشِيدِ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ شَهْرًا وَاحِدًا، ثُمَّ مَاتَ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

فِتْنَةُ النَّزَارِيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ بِالشَّامِ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِالشَّامِ بَيْنَ النَّزَارِيَّةِ - وَهُمْ قَيْسٌ - وَالْيَمَانِيَّةِ، وَهَذَا كَانَ أَوَّلَ بَدْوَ أَمْرِ الْعَشِيرَتَيْنِ بِحُجْرَانَ، وَهُمْ قَيْسٌ وَبَنُوهُنَّ، أَعَادُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي هَذَا الْأَوَانِ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ.

وَكَانَ عَلَى نِيَابَةِ الشَّامِ كُلِّهَا مِنْ جِهَةِ الرَّشِيدِ ابْنُ عَمِّهِ مُوسَى بْنُ عَيْسَى، وَقِيلَ: عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَلِيٍّ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَكَانَ عَلَى نِيَابَةِ دِمَشْقَ بِخُصُوصِهَا سِنْدِيُّ بْنُ شَاهَكَ أَحَدُ مَوَالِي أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، وَقَدْ هَدَمَ سُورَ دِمَشْقَ حِينَ هَاجَتْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَتَعَلَّبَ عَلَيْهَا أَبُو الْهَيْدَامِ الْمُرِّيُّ رَأْسُ الْقَيْسِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ سِنْدِيُّ هَذَا دَمِيمٌ

الْخَلْقِ. قَالَ الْخَافِظُ: وَكَانَ لَا يُحِلُّفُ الْمُكَارِيَّ وَلَا الْمَلَّاحَ وَلَا الْخَائِكَ، يَقُولُ:
الْقَوْلُ قَوْلُهُمْ. وَيَسْتَخِيرُ اللَّهَ فِي الْجَمَالِ وَمُعَلِّمِ الْكُتَّابِ. وَقَدْ تُوفِّيَ سِنْدِي سَنَةَ
أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ.

فَلَمَّا تَفَاقَمَ الْأَمْرُ بَعَثَ الرَّشِيدُ مِنْ جِهَتِهِ مُوسَى بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، وَمَعَهُ
جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَادِ وَرُءُوسِ الْكُتَّابِ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ النَّاسِ، وَهَدَّاتِ الْفِتْنَةَ،
وَاسْتَقَامَ أَمْرُ الشَّامِ، وَحَمَلُوا جَمَاعَاتٍ مِنْ رُءُوسِ الْفِتْنَةِ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ، فَرَدَّ
الرَّشِيدُ أَمْرَهُمْ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، فَعَفَا عَنْهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ.

وَفِيهَا عَزَلَ الرَّشِيدُ الْغَطْرِيفَ بْنَ عَطَاءٍ عَنْ خُرَّاسَانَ، وَوَلَّاهَا حَمَزَةَ بْنَ مَالِكِ
بْنَ الْهَيْثَمِ الْخُزَاعِيِّ الْمَلَقَبَ بِالْعُرُوسِ.

وَفِيهَا وَلى الرَّشِيدُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ نِيَابَةَ مِصْرَ، فَاسْتَنَابَ
جَعْفَرٌ عَلَيْهَا عُمَرَ بْنَ مِهْرَانَ، وَكَانَ شَنِيعَ الشَّكْلِ، وَزِيَّ الْخَلْقِ، بَيْنَ الْكِنْبَةِ^١،
أَحْوَلُ، وَمَا كَانَ سَبَبَ وِلَايَةِ الرَّشِيدِ إِيَّاهُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ إِلَّا أَنَّ نَائِبَهَا مُوسَى
بْنَ عَيْسَى كَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى خَلْعِ الرَّشِيدِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَعَزِّلَنَّهُ وَلَاؤِلَيْنَ عَلَيْهَا
أَحْسَ النَّاسِ. فَاسْتَدْعَى عُمَرَ بْنَ مِهْرَانَ هَذَا، وَوَلَّاهُ عَلَيْهَا نِيَابَةَ عَنْ جَعْفَرَ
بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ، فَسَارَ إِلَيْهَا عُمَرُ بْنُ مِهْرَانَ عَلَى بَغْلٍ وَغَلَامُهُ أَبُو
دُرَّةَ عَلَى بَغْلٍ آخَرَ، فَدَخَلَهَا كَذَلِكَ، فَأَنْتَهَى إِلَى مَجْلِسِ نَائِبِهَا مُوسَى بْنِ

١ الكنبه: غلظ في الكف.

عيسى، فجلس في أحرىات الناس، فلما انقضت الناس أقبل عليه موسى بن عيسى وهو لا يعرف من هو، فقال: ألك حاجة يا شيخ؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير. ثم قام بالكتب، فدفعها إليه، فلما قرأها قال: أنت عمر بن مهران؟ قال: نعم. قال: لعن الله فرعون حين قال: {أليس لي ملك مصر}. ثم سلم إليه العمل، وارتحل عنها، وأقبل عمر بن مهران على عمه، فكان لا يقبل شيئاً من الهدايا إلا ما كان ذهباً أو فضةً أو قماشاً، ويكتب على ذلك اسم مهيدي، ثم إنه طالب بالخراج وألح عليهم في ذلك، فشرع بعضهم في مطالته، فأقسم لا يماطله أحد فيقبض منه شيئاً، وإنما يبعثه إلى بغداد ويرزق خراجه بها، ويأتي بورقة القبض، وفعل ذلك ببعض الناس فتأدب بقيتهم، ثم جباهم القسط الثاني، فلما كان الثالث عجز كثير منهم عن الأداء، فجعل يستحضر ما كانوا أهدوا إليه؛ فإن كان نقداً آذاه عنهم، وإن كان برّاً باعه واعتد به عنهم، وقال: إني إنما ادخرت هذا لكم إلى وقت حاجتكم. ثم أكمل استخراج جميع الخراج بديار مصر، ولم يفعل ذلك أحد قبله، ثم انصرف عنها؛ لأنه كان قد شرط على الرشيد أنه إذا مهد البلاد وجى الخراج، فذاك إذنه في الانصراف. ولم يكن معه بالديار المصرية سوى مولاة أبي ذرّة وهو حاجبه، وهو منفذ أموره.

وعز الصائفة في هذه السنة عبد الرحمن بن عبد الملك، ففتح حصناً.

وحجّت زبيدة زوجة الخليفة في هذه السنة، ومعها أحوها.

وَكَانَ أَمِيرَ الْحَجِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ عَمَّ الرَّشِيدِ.
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا عَزَلَ الرَّشِيدُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى الْبَرْمَكِيَّ
 عَنْ مِصْرَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا إِسْحَاقَ بْنَ سُلَيْمَانَ، وَعَزَلَ حَمْرَةَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ
 حُرَّاسَانَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا الْفُضْلَ بْنَ يَحْيَى الْبَرْمَكِيَّ مُضَافًا إِلَى مَا كَانَ بِيَدِهِ مِنَ
 الْأَعْمَالِ بِالرِّيِّ وَسِجِسْتَانَ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَأَصَابَ النَّاسَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَظُلْمَةٌ فِي أَوَاخِرِ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَذَلِكَ
 فِي أَوَاخِرِ صَفَرٍ مِنْهَا.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَازُونُ الرَّشِيدِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا وَثَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْخُوْفِيَّةِ مِنْ قَيْسِ
 وَقُضَاعَةَ بِعَامِلِ مِصْرَ إِسْحَاقَ بْنَ سُلَيْمَانَ، فَقَاتَلُوهُ وَجَرَّتْ بِهَا فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ،
 فَبَعَثَ الرَّشِيدُ هَرْتَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ نَائِبَ فِلَسْطِينَ فِي حَلْقٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ مَدَدًا
 لِإِسْحَاقَ بْنَ سُلَيْمَانَ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى أَدْعَعُوا بِالطَّاعَةِ، وَأَدَّوْا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ
 الْحَرَجِ وَالْوَطَائِفِ، وَاسْتَمَرَّ هَرْتَمَةُ نَائِبًا عَلَى مِصْرَ نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ عِوَضًا عَنْ
 إِسْحَاقَ بْنَ سُلَيْمَانَ، ثُمَّ عَزَلَهُ عَنْهَا، وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ صَالِحٍ.

وَفِيهَا وَثَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ، فَقَاتَلُوا الْفُضْلَ بْنَ رُوحِ بْنِ حَاتِمٍ، وَأَخْرَجُوا
 مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ آلِ الْمُهَلَّبِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الرَّشِيدُ هَرْتَمَةَ، فَرَجَعُوا إِلَى الطَّاعَةِ
 عَلَى يَدَيْهِ.

وَفِيهَا فَوْضَ الرَّشِيدُ أُمُورَ الْخِلَافَةِ كُلَّهَا إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ.
وَفِيهَا حَرَجَ الْوَلِيدُ بْنُ طَرِيفٍ بِالْجَزِيرَةِ، وَحَكَمَ بِهَا وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا، ثُمَّ
مَضَى مِنْهَا إِلَى أَرْمِينِيَّةَ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا سَنَدُكُرُهُ.

وَفِيهَا سَارَ الْفُضْلُ بْنُ يَحْيَى إِلَى خُرَاسَانَ، فَأَحْسَنَ السِّيَرَةَ بِهَا، وَبَنَى فِيهَا الرُّيْطَ
وَالْمَسَاجِدَ، وَغَزَا مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَاتَّخَذَ بِهَا جُنْدًا مِنَ الْعَجَمِ سَمَّاهُمْ الْعَبَّاسِيَّةَ،
وَجَعَلَ وَلَاءَهُمْ لَهُمْ وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ، وَبَعَثَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ
أَلْفًا إِلَى بَغْدَادَ فَكَانُوا يُعْرَفُونَ بِهَا بِالْكَرْمِينِيَّةِ^١.

وَقَدْ اتَّفَقَ لِلْفُضْلِ بْنِ يَحْيَى فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى خُرَاسَانَ أَشْيَاءُ غَرِيبَةٌ، وَفَتَحَ
بِلَادًا كَثِيرَةً، مِنْهَا كَابُلُ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَقَهَرَ مَلِكَ التُّرِكِ هُنَاكَ وَكَانَ مُمْتَنِعًا،
وَأَطْلَقَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، ثُمَّ قَفَلَ رَاجِعًا إِلَى بَغْدَادَ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهَا حَرَجَ الرَّشِيدُ
وَوُجُوهُ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ الشُّعْرَاءُ وَالْحُطْبَاءُ وَأَكَابِرُ النَّاسِ، فَجَعَلَ يُطْلِقُ
الْأَلْفَ أَلْفٍ، وَالْخَمْسِمِائَةَ أَلْفٍ وَنَحْوَهَا، فَصَرَفَ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي ذَلِكَ شَيْئًا
كَثِيرًا لَا يُمْكِنُ حَصْرُهُ إِلَّا بِكُلْفَةٍ عَظِيمَةٍ.

وَغَزَا الصَّائِفَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُعَاوِيَةَ بْنَ زُفَرَ بْنِ عَاصِمٍ، وَغَزَا الشَّتَاتِيَّةَ سَلِيمَانَ
بْنَ رَاشِدٍ.

^١ لعلها نسبة إلى مدينة كرمينية، وهي بين سمرقند وبخارى.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا كَانَ قُدُومُ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى مِنْ حُرَّاسَانَ، وَقَدْ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا عَمْرُو بْنُ شَرْحِبِيلٍ، فَوَلَّى الرَّشِيدُ عَلَيْهَا مَنْصُورَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مَنْصُورِ الْحِمَيْرِيِّ.

وَفِيهَا عَزَلَ الرَّشِيدُ مُحَمَّدَ بْنَ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ عَنِ الْحَجَبَةِ، وَرَدَّهَا إِلَى الْفَضْلِ بْنِ رَبِيعٍ.

وَفِيهَا حَرَجَ بِحُرَّاسَانَ حَمْرَةُ بْنُ أَتْرَكَ السَّجِسْتَانِيَّ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا سَيَأْتِي طَرْفٌ مِنْ ذِكْرِهِ.

وَفِيهَا رَجَعَ الْوَلِيدُ بْنُ طَرِيفِ السَّارِيِّ إِلَى الْجَزِيرَةِ، وَاسْتَدَّتْ شَوْكُتُهُ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ يَزِيدَ بْنَ مَرْزِدِ الشَّيْبَانِيَّ، فَرَاوَعَهُ حَتَّى قَتَلَهُ، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ.

وَفِيهَا حَرَجَ الرَّشِيدُ مِنْ بَعْدَادَ مُعْتَمِرًا شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمَّا قَضَى عُمْرَتَهُ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَمَشَى مِنْ مَكَّةَ إِلَى مِئَى، ثُمَّ إِلَى عَرَفَاتٍ، وَشَهِدَ الْمَشَاهِدَ وَالْمَشَاعِرَ كُلَّهَا مَاشِيًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعْدَادَ عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ.

وفاة الإمام مالك بن أنس

وَفِيهَا تُوفِّيَ الْإِمَامُ مَالِكُ أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ الْمُتَّبَعَةِ. وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غَيْمَانَ

بْنِ حُثَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، وَهُوَ ذُو أَصْبَحِ الْحِمَيْرِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَدِينِيُّ،
إِمَامٌ دَارِ الْهَجْرَةِ فِي زَمَانِهِ.

رَوَى عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ، وَحَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ الْأَيْمَةِ، مِنْهُمْ:
السُّفْيَانَانِ، وَشُعْبَةُ، وَابْنُ الْمُبَارِكِ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَابْنُ مَهْدِيٍّ، وَابْنُ جُرَيْجٍ،
وَاللَيْثُ وَالشَّافِعِيُّ، وَالزُّهْرِيُّ شَيْخُهُ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْأَنْصَارِيِّ، وَهُوَ شَيْخُهُ،
وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْقَطَّانُ، وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى الْأَنْدَلُسِيُّ، وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى النَّيْسَابُورِيُّ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: أَصْحُ الْأَسَانِيدِ: مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ.

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَا كَانَ أَشَدَّ انْتِقَادَهُ لِلرِّجَالِ!

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: كُلُّ مَنْ رَوَى عَنْهُ مَالِكٌ فَهُوَ ثِقَةٌ، إِلَّا أَبَا أُمِيَّةَ.

وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ: هُوَ أَثْبَتُ أَصْحَابِ نَافِعٍ وَالزُّهْرِيِّ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: إِذَا جَاءَ الْحَدِيثُ فَمَالِكُ النَّجْمُ.

وَقَالَ أَيْضًا: مَنْ أَرَادَ الْحَدِيثَ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى مَالِكِ.

وَمَنَاقِبُهُ وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ، وَتَنَاءُ الْأَيْمَةِ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ فِي هَذَا الْمَكَانِ.

قَالَ أَبُو مُصْعَبٍ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: مَا أَفْتَيْتُ حَتَّى شَهِدَ لِي سَبْعُونَ أُنْبِيَّ
أَهْلًا لِذَلِكَ.

وَكَانَ إِذَا أَرَادَ التَّحْدِيثَ تَنْظَفَ وَتَطَيَّبَ، وَلَبَسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ، وَكَانَ يَلْبَسُ حَسَنًا. وَكَانَ نَفْسُ حَاتِمِهِ: حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَكَانَ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلَهُ يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَكَانَ مَنْزِلُهُ مَبْسُوطًا بِأَنْوَاعِ الْفُرُشِ. وَمِنْ وَقْتِ خُرُوجِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ لَزِمَ مَالِكُ بَيْتَهُ، فَلَمْ يَكُنْ يَتَرَدَّدُ إِلَى أَحَدٍ لَا لِعَزَائٍ وَلَا لِهِنَاءٍ، حَتَّى قِيلَ: وَلَا يَخْرُجُ إِلَى جَمَاعَةٍ وَلَا جُمُعَةٍ. وَيَقُولُ: مَا كُلُّ مَا يُعْلَمُ يُقَالُ، وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يُقَدِّرُ عَلَى الْإِعْتِدَارِ. وَلَمَّا احْتَضَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ. ثُمَّ قُبِضَ فِي لَيْلَةِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ مِنْ صَفَرٍ، مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَلَهُ خَمْسٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: بَلَغَ تِسْعِينَ سَنَةً. وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَوَايَةً: «يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ». ثُمَّ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَهُوَ حَدِيثُ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَكَذَا قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا هَاجَتِ الْفِتْنَةُ بِالشَّامِ بَيْنَ النَّزَارِيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ، فَانْتَزَعَجَ الرَّشِيدُ لِذَلِكَ، فَانْدَبَ جَعْفَرًا الْبَرْمَكِيَّ إِلَى الشَّامِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْجُنُودِ، فَدَخَلَ الشَّامَ، فَانْقَادَ النَّاسُ لَهُ، وَلَمْ يَدْعُ جَعْفَرٌ بِالشَّامِ فَرَسًا وَلَا سَيْفًا وَلَا رُحْمًا إِلَّا اسْتَلَبَهُ مِنَ النَّاسِ. وَأَطْفَأَ اللَّهُ بِهِ نَارَ تِلْكَ الْفِتْنَةِ.

ثُمَّ كَرَّ جَعْفَرٌ رَاجِعًا إِلَى بَعْدَادَ بَعْدَمَا اسْتَحْلَفَ عَلَى الشَّامِ عَيْسَى ابْنَ الْعَكْبِيِّ،
وَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الرَّشِيدِ أَكْرَمَهُ وَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ، وَشَرَعَ جَعْفَرٌ يَدْكُرُ كَثْرَةَ وَحْشَتِهِ لَهُ
فِي الشَّامِ، وَيَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي مَنَّ عَلَيْهِ بِرُجُوعِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُؤْيَيْهِ وَجَهَّهُ.
وَفِيهَا وَلَّى الرَّشِيدُ جَعْفَرًا حُرَّاسَانَ وَسِجِسْتَانَ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى ذَلِكَ مُحَمَّدَ بْنَ
الْحَسَنِ بْنِ قَحْطَبَةَ، ثُمَّ عَزَلَ الرَّشِيدُ جَعْفَرًا عَنِ حُرَّاسَانَ بَعْدَ عِشْرِينَ لَيْلَةً.

وَفِيهَا هَدَمَ الرَّشِيدُ سُورَ الْمَوْصِلِ؛ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْخَوَارِجِ هُنَاكَ، وَجَعَلَ الرَّشِيدُ
جَعْفَرًا عَلَى الْحَرَسِ، وَنَزَلَ الرَّشِيدُ الرَّقَّةَ وَاسْتَوَظَنَهَا، وَاسْتَنَابَ عَلَى بَعْدَادَ ابْنَهُ
الْأَمِينَ مُحَمَّدًا، وَوَلَّاهُ الْعِرَاقِينَ، وَعَزَلَ هَرْمَةَ بْنَ أَعْيَنَ عَنِ إِفْرِيقِيَّةَ وَاسْتَدْعَاهُ إِلَى
بَعْدَادَ فَاسْتَنَابَهُ جَعْفَرٌ عَلَى الْحَرَسِ.

وَفِيهَا كَانَتْ بِمِصْرَ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ سَقَطَ مِنْهَا رَأْسُ مَنَارَةِ الْإِسْكَانَدَرِيَّةِ.
وَفِيهَا خَرَجَ بِالْجَزِيرَةِ حُرَّاشَةُ الشَّيْبَانِيُّ، فَقَتَلَهُ مُسْلِمُ بْنُ بَكَّارِ بْنِ مُسْلِمِ الْعُمَيْلِيِّ.
وَفِيهَا ظَهَرَتْ طَائِفَةٌ بِبُجْرَجَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْمُحْمِرَةُ. لَبِسُوا الْحُمْرَةَ، وَاتَّبَعُوا رَجُلًا
يُقَالُ لَهُ عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ الْعَمْرَكِيِّ. وَكَانَ يُنْسَبُ إِلَى الزَّنْدَقَةِ، فَبَعَثَ الرَّشِيدُ
يَأْمُرُ بِقَتْلِهِ، فَقُتِلَ بِمَرُو، وَأَطْفَأَ اللَّهُ نَارَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

وَفِيهَا غَزَا الصَّائِفَةَ مُعَاوِيَةَ بْنَ زُفَرَ بْنِ عَاصِمِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا غَزَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونُ الرَّشِيدُ
بِلَادَ الرُّومِ، فَافْتَتَحَ حِصْنًا يُقَالُ لَهُ: الصَّفِّصَافُ.

وَفِيهَا عَزَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ بِلَادِ الرُّومِ، فَبَلَغَ أَنْقَرَةَ وَافْتَتَحَ مَطْمُورَةَ.
وَفِيهَا تَغَلَّبَتِ الْمُحَمَّرَةُ عَلَى جُرْجَانَ.

وَفِيهَا أَمَرَ الرَّشِيدُ أَنْ يُكْتَبَ فِي صُدُورِ الرِّسَائِلِ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَفِيهَا حَجَّ بِالنَّاسِ الرَّشِيدُ وَتَعَجَّلَ فِي النَّفْرِ، وَسَأَلَهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ أَنْ يُعْفِيَهُ
مِنَ الْوِلَايَةِ، فَأَعْفَاهُ وَأَقَامَ يَحْيَى بِمَكَّةَ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثِنْتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا أَحَذَ الرَّشِيدُ لَوْلَدِهِ عَبْدَ اللَّهِ الْمَأْمُونِ
الْبَيْعَةَ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ أَخِيهِ مُحَمَّدِ ابْنِ زُبَيْدَةَ الْأَمِينِ، وَذَلِكَ بِالرَّقَّةِ بَعْدَ
مَرْجِعِهِ مِنَ الْحَجِّ، وَضَمَّ ابْنَهُ الْمَأْمُونُ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ
إِلَى بَغْدَادَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الرَّشِيدِ خَدَمَةً لَهُ، وَوَلَاهُ خُرَاسَانَ وَمَا يَتَّصِلُ
بِهَا، وَسَمَّاهُ الْمَأْمُونُ.

وَفِيهَا رَجَعَ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ مِنْ مُجَاوَرَتِهِ بِمَكَّةَ إِلَى بَغْدَادَ.

وَفِيهَا عَزَا الصَّائِفَةُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ، فَبَلَغَ مَدِينَةَ أَصْحَابِ
الْكَهْفِ.

وَفِيهَا سَمَلَتِ الرُّومُ عَيْنِي مَلِكِهِمْ فُسْطَنْطِينَ بْنِ الْيُونِ، وَمَلَكَوْا عَلَيْهِمْ أُمَّهُ رِيَّ،
وَتَلَقَّبُ أَعْسَطَةَ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٌ، وَفِيهَا حَرَجَتِ الْخَزْرُ عَلَى النَّاسِ مِنْ ثُلْمَةٍ أَرْمِينِيَّةٍ، فَعَاثُوا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ فَسَادًا، وَسَبَّوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلَ الدِّمَةِ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ، وَقَتَلُوا بَشَرًا كَثِيرًا، وَأَهْرَمَ نَائِبُ أَرْمِينِيَّةَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، فَأَرْسَلَ الرَّشِيدُ إِلَيْهِمْ حُرْمَةَ بْنَ خَازِمٍ، وَيَزِيدَ بْنَ مَزِيدٍ، فِي جُيُوشٍ كَثِيفَةٍ، إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ فَأَصْلَحُوا مَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ.

وفاة موسى الكاظم

وَفِيهَا تُؤَيَّبُ مِنَ الْأَعْيَانِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَبُو الْحَسَنِ الْهَاشِمِيُّ، وَيُقَالُ لَهُ: الْكَاطِمُ. وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ أَوْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَالْمُرُوءَةِ، إِذَا بَلَغَهُ عَنْ أَحَدٍ أَنَّهُ يُؤْذِيهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ بِالثُّحَفِ وَالذَّهَبِ، وُلِدَ لَهُ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ أَرْبَعُونَ نَسَمَةً. وَأَهْدَى لَهُ مَرَّةً عَبْدٌ عَصِيدَةً فَاشْتَرَاهُ وَاشْتَرَى الْمَرْزَعَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَأَعْتَقَهُ، وَوَهَبَهَا لَهُ.

وَقَدْ اسْتَدْعَاهُ الْمَهْدِيُّ إِلَى بَعْدَادَ فَحَبَسَهُ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي رَأَى الْمَهْدِيُّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ }. فَاسْتَيْقَظَ مَدْعُورًا، وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ السِّجْنِ لَيْلًا، فَاجْلَسَهُ مَعَهُ، وَعَانَقَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ أَلَّا يُخْرِجَ عَلَيْهِ، وَلَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلَادِهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا هَذَا مِنْ شَأْنِي. فَقَالَ:

صَدَقَتْ. وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ، وَأَمَرَ بِهِ فَرُدَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَا أَصْبَحَ الصَّبَاحَ إِلَّا وَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ، فَلَمْ يَزَلْ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى كَانَتْ خِلَافَةُ الرَّشِيدِ فَحَجَّ، فَلَمَّا دَخَلَ لِيَسَلِّمَ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، فَقَالَ الرَّشِيدُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا ابْنَ عَمِّ. فَقَالَ مُوسَى: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَةَ^١. فَقَالَ الرَّشِيدُ: هَذَا هُوَ الْفَخْرُ يَا أَبَا الْحَسَنِ. ثُمَّ لَمْ يَزَلْ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ حَتَّى اسْتَدْعَاهُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ، وَسَجَنَهُ فَأَطَالَ سِجْنَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُوسَى رِسَالَةً يَقُولُ فِيهَا: أَمَّا بَعْدُ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ لَنْ يَنْقُضِيَ عَنِّي يَوْمَ مَنَ الْبَلَاءِ إِلَّا أَنْقَضَى عَنْكَ يَوْمَ مَنَ الرَّحَاءِ، حَتَّى يُفْضِيَ بِنَا ذَلِكَ إِلَى يَوْمٍ يَحْسُرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ.

تُوُفِّيَ لِحَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بِبَغْدَادَ، وَقَبْرُهُ هُنَاكَ مَشْهُورٌ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٌ، وَفِيهَا رَجَعَ الرَّشِيدُ مِنَ الرَّقَّةِ إِلَى بَغْدَادَ، فَأَخَذَ النَّاسَ بِأَدَاءِ بَقَايَا الْحَرَاجِ الَّتِي عَلَيْهِمْ، وَوَلَّى رَجُلًا يَضْرِبُ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ وَيَجْبِسُ، وَوَلَّى عَلَى أَطْرَافِ الْبِلَادِ، وَعَزَلَ وَقَطَعَ وَوَصَلَ.

وَحَرَجَ بِالْجَزِيرَةِ أَبُو عَمْرٍو الشَّارِي، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ مَنْ قَتَلَهُ بِشَهْرُزُورَ.

^١ لأنه من نسل رسول الله.

وفاة أحمد ابن أمير المؤمنين الرشيد

وَمَنْ تُؤَيِّ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ: أَحْمَدُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ، كَانَ زَاهِدًا عَابِدًا قَدْ تَنَسَّكَ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ، يَعْمَلُ فِي الطِّينِ، وَلَيْسَ يَمْلِكُ إِلَّا مَرًّا وَزَنْبِيلاً - أَيْ مَجْرَفَةً وَقَفَّةً - وَكَانَ أُجْرَتُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ دِرْهَمًا وَدَانِقًا، وَكَانَ لَا يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَوْمِ السَّبْتِ فَقَطْ، ثُمَّ يُقْبَلُ عَلَى الْعِبَادَةِ بَقِيَّةَ أَيَّامِ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ مِنْ زُبَيْدَةَ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مِنْ امْرَأَةٍ غَيْرِهَا كَانَ الرَّشِيدُ قَدْ أَحَبَّهَا فَتَزَوَّجَهَا سِرًّا، فَحَمَلَتْ مِنْهُ بِهَذَا الْغُلَامِ ثُمَّ أَحْدَرَهَا إِلَى الْبَصْرَةِ وَأَعْطَاهَا خَاتَمًا مِنْ يَاقُوتِ أَحْمَرٍ، وَأَشْيَاءَ مَعَهَا نَفِيسَةً، وَأَمَرَهَا إِذَا أَفْضَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةَ أَنْ تَأْتِيَهُ. فَلَمَّا صَارَتِ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ لَمْ تَأْتِهِ وَلَا وَلَدُهَا، وَبَلَغَهُ أَهْمًا مَاتَا، وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَكَانَ هَذَا الشَّابُّ يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ، وَيَأْكُلُ مِنْ كِدِّهَا، فَاتَّفَقَ مَرَضُهُ فِي دَارٍ مِنْ كَانٍ يَسْتَعْمِلُهُ فِي الطِّينِ، فَمَرَضَهُ عِنْدَهُ، فَلَمَّا اخْتَضِرَ أَحْرَجَ الْخَاتَمَ، وَقَالَ لِصَاحِبِ الْمَنْزِلِ: اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى الرَّشِيدِ، وَقُلْ لَهُ: صَاحِبُ هَذَا الْخَاتَمِ يَقُولُ لَكَ: إِيَّاكَ أَنْ تَمُوتَ فِي سَكْرَتِكَ هَذِهِ فَتَنْدَمَ، فَلَمَّا مَاتَ وَدَفَنَهُ وَطَلَبَ الْحُضُورَ بَيْنَ يَدَيْ الْحَلِيفَةِ، فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ قُلْتُ: هَذَا الْخَاتَمُ دَفَعَهُ إِلَيَّ رَجُلٌ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ لَكَ كَلَامًا. فَلَمَّا نَظَرَ عَرَفَهُ فَقَالَ: وَيْحَكَ! وَأَيْنَ صَاحِبِ الْخَاتَمِ؟ فَقُلْتُ: مَاتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ يَقُولُ لَكَ: احْدَرِ أَنْ تَمُوتَ فِي سَكْرَتِكَ فَتَنْدَمَ. فَقَامَ الرَّشِيدُ فَضَرَبَ بِنَفْسِهِ الْبَسَاطَ وَجَعَلَ يَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَيَقُولُ: وَاللَّهِ

لَقَدْ نَصَحْتَنِي يَا بُيَّيَّ. ثُمَّ قَالَ: أَتَعْرِفُ قَبْرَهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: إِذَا كَانَ الْعَشِيُّ فَاثْنَيْتِي. فَاثْنَيْتُهُ، فَذَهَبَ إِلَى قَبْرِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي عِنْدَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ أَمَرَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ بَعَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَكَتَبَ لَهُ وَلِعِيَالِهِ رِزْقًا.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا قَتَلَ أَهْلُ طَبْرِسْتَانَ مُتَوَلِّيَهُمْ مَهْرَوَيْهِ الرَّازِيَّ، فَوَلَّى الرَّشِيدُ عَلَيْهِمْ مَكَانَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ الْحَرِشِيِّ.

وَفِيهَا قَتَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَبْنَاوِيُّ أَبَانَ بْنَ قَحْطَبَةَ الْخَارِجِيَّ بِمَرْجِ الْقَلْعَةِ.

وَفِيهَا عَاثَ حَمْرَةَ الشَّارِي بِبَادَغِيسٍ مِنْ حُرَّاسَانَ، فَنَهَضَ عَيْسَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَيْسَى إِلَى عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ جَيْشِ حَمْرَةَ، وَقَتَلَهُمْ، وَسَارَ وَرَاءَ جَيْشِ حَمْرَةَ إِلَى كَابُلٍ وَزَائِلِسْتَانَ.

وَفِيهَا حَرَجَ أَبُو الْخَصِيبِ فَتَغَلَّبَ عَلَى أَبِيوَرْدَ وَطُوسَ وَنَيْسَابُورَ، وَحَاصَرَ مَرَوَ وَقَوِيَّ أَمْرَهُ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا حَرَجَ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ مِنْ مَرَوَ لِحَرْبِ أَبِي الْخَصِيبِ إِلَى نَسَا، فَقَاتَلَهُ بِهَا، وَسَبَى نِسَاءَهُ وَذَرَارِيَّتَهُ، وَاسْتَقَامَتْ حُرَّاسَانُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونُ الرَّشِيدُ، وَمَعَهُ ابْنَاهُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ وَعَبْدُ اللَّهِ الْمَأْمُونُ، فَبَلَغَ جُمْلَتُهُ مَا أُعْطِيَ لِأَهْلِ الْحَرَمَيْنِ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ وَخَمْسِينَ

أَلَفَ دِينَارٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُعْطِي، ثُمَّ يَذْهَبُ النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى وَلَدِهِ الْأَمِينِ
فَيُعْطِي، ثُمَّ يَذْهَبُونَ إِلَى وَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَأْمُونِ فَيُعْطِي.

وَكَانَ إِلَى الْأَمِينِ وَوَلَايَةُ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَإِلَى الْمَأْمُونِ مِنْ هَمْدَانَ إِلَى بِلَادِ
الْمَشْرِقِ. ثُمَّ بَايَعَ الرَّشِيدُ لَوْلَدِهِ الْقَاسِمِ مِنْ بَعْدِ أَحْوَيْهِ، وَلَقَّبَهُ الْمُؤْتَمَنَ، وَوَلَّاهُ
الْحَزْرَةَ وَالنُّعُورَ وَالْعَوَاصِمَ، وَكَانَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ ابْنَهُ الْقَاسِمَ هَذَا كَانَ
فِي حِجْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ، فَلَمَّا بَايَعَ الرَّشِيدُ لَوْلَدِيهِ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ
كَتَبَ إِلَيْهِ:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي لَوْ كَانَ نَجْمًا كَانَ سَعْدًا
اعْقِدْ لِقَاسِمِ بَيْعَةَ وَاقْدَحْ لَهُ فِي الْمُلْكِ زَنْدًا
اللَّهُ فَرْدٌ وَاحِدٌ فَاجْعَلْ وِلَاةَ الْعَهْدِ فَرْدًا

فَفَعَلَ الرَّشِيدُ ذَلِكَ، وَقَدْ حَمِدَهُ قَوْمٌ عَلَى ذَلِكَ، وَذَمَّهُ آخَرُونَ، وَلَمْ يَنْتَظِمِ
لِلْقَاسِمِ هَذَا أَمْرٌ، بَلِ احْتَرَمْتُهُ الْأَقْدَارُ عَنْ بُلُوغِ الْأَوْطَارِ.

وَلَمَّا قَضَى الرَّشِيدُ حَاجَتَهُ وَمَنَاسِكَهُ أَحْضَرَ مِنْ مَعَهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْوُزَرَءِ،
وَأَحْضَرَ وَلِيِّ الْعَهْدِ: مُحَمَّدًا الْأَمِينِ وَعَبْدَ اللَّهِ الْمَأْمُونِ، وَأَشْهَدَ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا
السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِأَخِيهِ، وَالْأُيُنَازِعَهُ مَا وَوَلَّاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَكَتَبَ بِمَضْمُونِ
ذَلِكَ صَحِيفَةً، وَكَتَبَ فِيهَا الْأَمْرَاءَ وَالْوُزَرَءَ حُطُوطَهُمْ بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهَا بِذَلِكَ،

وَأَرَادَ الرَّشِيدُ أَنْ يُعَلِّقَهَا فِي الْكَعْبَةِ فَسَقَطَتْ، فَقِيلَ: هَذَا الْأَمْرُ سَرِيعٌ انْتِقَاضُهُ.
وَكَذَا وَقَعَ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ.

نكبة البرامكة

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٌ، وَفِيهَا كَانَ مَقْتَلُ الرَّشِيدِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى
بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ، وَدَمَارُ دِيَارِهِمْ وَأَنْدِثَارُ آثَارِهِمْ، وَذَهَابُ صِبْغَارِهِمْ وَكِبَارِهِمْ،
وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي سَبَبِ ذَلِكَ^١، فَمِمَّا قِيلَ:

إِنَّ الرَّشِيدَ كَانَ قَدْ سَلَّمَ يَحْيَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ إِلَى جَعْفَرِ الْبَرْمَكِيِّ فَسَجَنَهُ
عِنْدَهُ، فَمَا زَالَ يَحْيَى يَتَرَفَّقُ لَهُ حَتَّى أَطْلَقَهُ جَعْفَرٌ، فَنَمَّ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى
جَعْفَرٍ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: وَيْلَكَ لَا تَدْخُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ جَعْفَرٍ فَلَعَلَّهُ

^١ نجحت الدسائس والوشايات في إيغار صدر الرشيد على البرامكة، وذلك بتصويره بمظهر العاجز
أمام استبداد البرامكة بالأمر دونه، والمبالغة في إظهار ما بلغه هؤلاء من الجرأة على الخليفة،
وتحكيمهم في أمور الدولة؛ حتى قرر الرشيد التخلص من البرامكة ووضع حد لنفوذهم. ولم يكن
ذلك بالأمر الهين أو المهمة السهلة؛ فقد تغلغل البرامكة في كل أمور الدولة، وصار لهم كثير من
الأنصار والأعوان، فاتبع الرشيد سياسة الكتمان، واستخدم عنصر المفاجأة؛ حتى يلحق بهم الضربة
القاضية. وفي ليلة السبت (أول صفر ١٨٧ هـ)، أمر رجاله بالقبض على البرامكة جميعاً، وأعلن
ألا أمان لمن آواهم، وأخذ أموالهم وصادر دورهم وضياعهم. وفي ساعات قليلة انتهت أسطورة
البرامكة وزالت دولتهم، وتبددت سطوة تلك الأسرة التي انتهت إليها مقاليد الحكم وأمور الخلافة
لفترة طويلة من الزمان، تلك النهاية المأساوية التي اصطُح على تسميتها في التاريخ بـ«نكبة
البرامكة».

أَطْلَقَهُ عَنْ أَمْرِي وَأَنَا لَا أَشْعُرُ. ثُمَّ سَأَلَ الرَّشِيدُ جَعْفَرًا عَنْ ذَلِكَ فَصَدَقَهُ الْحَالَ، فَتَعَيَّظَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ وَحَلَفَ لَيَقْتُلَنَّهُ وَكَرِهَ الْبِرَامِكَةَ وَمَقَتَهُمْ وَقَالَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، بَعْدَ مَا كَانُوا أَحْطَى النَّاسِ عِنْدَهُ وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ.

وَكَانَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ وَالْفَضْلُ أُمُّهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الرَّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا وَكَثُرَ الْمَالُ بِسَبَبِ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ لَمْ يَحْضُلْ لِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَلَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأَكَابِرِ وَالرُّؤَسَاءِ، بَحِثُ إِنَّ جَعْفَرًا بَنَى دَارًا عَرِمَ عَلَيْهَا عَشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ مَا نَقَمَهُ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ. وَيُقَالُ: إِنَّ الرَّشِيدَ كَانَ لَا يَكَادُ يَمُرُّ بِبَلَدٍ وَلَا إِقْلِيمٍ فَيَسْأَلُ عَنْ قَرْيَةٍ أَوْ مَرْعَةٍ أَوْ بُسْتَانٍ إِلَّا قِيلَ: هَذَا لِجَعْفَرٍ.

وَقِيلَ: إِنَّ الْبِرَامِكَةَ كَانُوا يُرِيدُونَ إِبْطَالَ خِلَافَةِ الرَّشِيدِ وَإِظْهَارَ الزُّنْدَقَةِ.

وَقِيلَ: بِسَبَبِ الْعَبَّاسَةِ^١. وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ ابْنُ جَرِيرٍ قَدْ ذَكَرَهُ.

^١ هناك العديد من الخرافات والأساطير حول عَبَّاسَةَ أخت الرشيد مثل أنها تزوجت جعفر بن يحيى اليزمكي بسبب اهتمام الخليفة الرشيد بمجالسة الاثنين والسَّمَّاحِ باجتماعهما فكان الزَّوْجِ هو الحِلَّ الأمثل بشرط عدم رؤيتهما لبعض خارج مجلسه وألا يتعدى الزواج الحديث والنَّظَرِ حتى يحلَّ له، وقد شاع أنهما التقيا سراً رغم ذلك وأنجبت طفلين توأمين فلمَّا علم الرَّشِيدُ قتل البرامكة واستحلَّ أموالهم، وإن كان الأمر لم يثبت تاريخياً وأنها قد تكون أسطورة شائعة مشوِّهة للخليفة هارون الرشيد

وَقَدْ كَانَ جَعْفَرٌ يَدْخُلُ عَلَى الرَّشِيدِ بَعِيرٍ إِذِنْ حَتَّى كَانَ رُبَّمَا دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْفِرَاشِ مَعَ حَطَايَاهُ، وَهَذِهِ وَجَاهَةٌ عَظِيمَةٌ وَمَنْزِلَةٌ عَالِيَةٌ، وَكَانَ مِنْ أَحْطَى الْعُشْرَاءِ عَلَى الشَّرَابِ - فَإِنَّ الرَّشِيدَ كَانَ يَسْتَعْمِلُ فِي أَوَاخِرِ مُلْكِهِ الْمُسْكِرَ، وَكَانَتْهُ الْمُخْتَلَفُ فِيهِ - وَكَانَ أَحَبَّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ أُخْتُهُ الْعَبَّاسَةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ، وَكَانَ يُحْضِرُهَا مَعَهُ، وَجَعْفَرُ الْبَرْمَكِيُّ حَاضِرٌ أَيْضًا، فَزَوَّجَهُ بِهَا لِيَجِلَّ لَهُ النَّظَرُ إِلَيْهَا، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَلَّا يَطَّأَهَا، فَكَانَ الرَّشِيدُ رُبَّمَا قَامَ وَتَرَكْتُهُمَا وَهُمَا ثَمْلَانِ مِنَ الشَّرَابِ^١، فَرُبَّمَا وَقَعَهَا جَعْفَرٌ فَاتَّفَقَ حَمَلُهَا مِنْهُ فَوَلَدَتْ وَلَدًا، وَبَعَثْتُهُ مَعَ بَعْضِ جَوَارِيهَا إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ يُرَبِّي بِهَا.

وَذَكَرَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ فِي "الْوَفَايَاتِ" صِفَةً أُخْرَى فِي مَقْتَلِ جَعْفَرٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا زَوَّجَ الرَّشِيدُ جَعْفَرًا مِنَ الْعَبَّاسَةِ أَحَبَّتْهُ حُبًّا شَدِيدًا، فَرَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَمْتَنَعَ أَشَدَّ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ حَشِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَاحْتَالَتْ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تُهْدِي إِلَيْهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةَ جَارِيَةٍ حَسَنَاءَ بَكْرًا فَقَالَتْ لِأُمِّهِ: أَدْخِلِينِي عَلَيْهِ فِي صِفَةِ جَارِيَةٍ مِنْ تِلْكَ الْجَوَارِي فَهَابَتْ مِنْ تِلْكَ، فَتَهَدَّدَتْهَا حَتَّى فَعَلَتْ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَكَانَ لَا يَتَحَقَّقُ وَجْهَهَا مِنْ مَهَابَةِ الرَّشِيدِ، فَوَاقَعَهَا فَقَالَتْ لَهُ: كَيْفَ رَأَيْتَ حَدِيعةَ بَنَاتِ الْمُلُوكِ. فَقَالَ: وَمَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْعَبَّاسَةُ.

للنيل منه أو محاولة الطعن ببني هاشم على خلفيّة انتقامه من البرامكة. وقد استغل هذه الشائعة في العصر الحديث الخواجة جورج زيدان ونفخ فيها وألّف روايته الخبيثة (العباسة أخت الرشيد).

^١ عجباً للطبري وابن كثير كيف يروج عندهما هذا.

وَحَمَلَتْ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ لَهَا: بَعِثْنِي وَاللَّهِ بِرَخِيسٍ. ثُمَّ إِنَّ وَالِدَهُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ جَعَلَ يُضَيِّقُ عَلَى عِيَالِ الرَّشِيدِ فِي النَّقْفَةِ، حَتَّى شَكَّنَهُ إِلَى الرَّشِيدِ زُبَيْدَةً مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَفْشَتْ لَهُ سِرَّ الْعَبَّاسَةِ، فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا، وَلَمَّا أَحْبَرْتُهُ أَنَّ الْوَلَدَ قَدْ أَرْسَلَتْ بِهِ إِلَى مَكَّةَ حَجَّ عَامَهُ ذَلِكَ حَتَّى تَحَقَّقَ الْأَمْرَ.

وَيُقَالُ: إِنَّ بَعْضَ الْجَوَارِي نَمَّتْ عَلَيْهَا إِلَى الرَّشِيدِ، وَأَحْبَرْتُهُ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ، وَأَنَّ الْوَلَدَ بِمَكَّةَ، وَعِنْدَهُ جَوَارٍ وَمَعَهُ أَمْوَالٌ وَحُلِيِّ كَثِيرٌ، فَلَمَّ يُصَدِّقْ حَتَّى حَجَّ فِي السَّنَةِ الْحَالِيَةِ، فَكَشَفَ عَنِ الْحَالِ، فَإِذَا هُوَ كَمَا ذَكَرْتَ تِلْكَ الْجَارِيَةَ.

وَقَدْ حَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ الْوَزِيرِ، وَقَدْ اسْتَشَعَرَ الْعُضْبَ مِنَ الرَّشِيدِ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَدْعُو عِنْدَ الْكَعْبَةِ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ عَنِّي سَلْبُ مَالِي وَوُلْدِي وَأَهْلِي فَافْعَلْ ذَلِكَ بِي، وَأَبْقِ عَلَيَّ مِنْهُمْ الْفَضْلَ. ثُمَّ حَرَجَ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ رَجَعَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ وَالْفَضْلُ مَعَهُمْ، فَإِنِّي رَاضٍ بِرِضَاكَ عَنِّي وَلَا تَسْتَنْ مِنْهُمْ أَحَدًا.

فَلَمَّا قَفَلَ الرَّشِيدُ مِنَ الْحَجِّ صَارَ إِلَى الْحِيرَةِ، ثُمَّ رَكِبَ فِي السُّفْنِ إِلَى الْعُمَرِ مِنْ أَرْضِ الْأَنْبَارِ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ سَلَخَ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَغْنَى سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ أَرْسَلَ مَسْرُورًا الْحَادِمَ، وَمَعَهُ حَمَّادُ بْنُ سَالِمٍ أَبُو عِصْمَةَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْجُنْدِ؛ فَطَافُوا بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى لَيْلًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَسْرُورُ الْحَادِمِ، وَعِنْدَهُ بُحْتِشَوْعُ الْمُتَطَبِّبِ، وَأَبُو زَكَارٍ الْأَعْمَى الْمُعَيِّي الْكَلُودَانِيُّ، وَهُوَ فِي أَمْرِهِ، وَأَبُو زَكَارٍ يُعْنِيهِ:

فَلَا تَبْعُدْ فَكُلُّ فِتَى سَيِّئَاتِي عَلَيْهِ الْمَوْتُ يَطْرُقُ أَوْ يُعَادِي

فَقَالَ الْخَادِمُ لَهُ: يَا أَبَا الْفَضْلِ، هَذَا الْمَوْتُ قَدْ طَرَفَكَ، أَحَبُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَقَامَ إِلَيْهِ، فَقَبَّلَ قَدَمَيْهِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ، أَنْ يَدْخُلَ إِلَى أَهْلِهِ، فَيُوصِي إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَمَّا الدُّخُولُ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، فَأَوْصَى جَعْفَرَ وَأَعْتَقَ جَمَاعَةً مِنْ مَمَالِكِهِ، وَجَاءَتْ رُسُلُ الرَّشِيدِ تَسْتَحِثُّ الْخَادِمَ، فَأَخْرَجَهُ إِخْرَاجًا عَنِهَا يُفُودُهُ، حَتَّى أَتَى الْمَنْزِلَ الَّذِي كَانَ فِيهِ الرَّشِيدُ فَحَبَسَهُ وَقَيَّدَهُ بِقَيْدِ حِمَارٍ، وَأَعْلَمَ الرَّشِيدَ بِمَا كَانَ فَعَلَّ، فَأَمَرَهُ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، فَجَاءَ إِلَى جَعْفَرَ فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِرَأْسِكَ، فَقَالَ: يَا أَبَا هَاشِمٍ، لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَكَرَانُ، فَإِذَا صَحَا عَاتَبَكَ عَلَى ذَلِكَ، فَعَاوِدُهُ. فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَعَلَّكَ مَشْغُولٌ. فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا مَاصَّ بَطْرِ أُمِّهِ! ائْتِنِي بِرَأْسِهِ. فَكَرَّرَ عَلَيْهِ جَعْفَرَ الْمَعَاوَدَةَ، فَقَالَ لَهُ: بَرِئْتُ مِنَ الْمَهْدِيِّ لَعْنُ لَمْ تَأْتِنِي بِرَأْسِهِ لِأَبْعَثَنَّ مَنْ يَأْتِنِي بِرَأْسِكَ وَرَأْسِهِ. فَرَجَعَ إِلَى جَعْفَرَ، فَحَزَّ رَأْسَهُ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ، فَأَلْفَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَرْسَلَ الرَّشِيدُ مِنْ لَيْلَتِهِ الْبُرْدَ فِي الْإِحْتِيَاظِ عَلَى الْبَرَامِكَةِ جَمِيعِهِمْ يَبْعُدَادَ وَغَيْرَهَا، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِسَبِيلٍ، فَأَخَذُوا كُلَّهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَحَبَسَ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ فِي مَنْزِلِهِ، وَحَبَسَ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى فِي مَنْزِلِ آخَرَ، وَأَخَذَ جَمِيعَ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَالْمَوَالِي، وَالْحَشَمِ، وَالْخُدَمِ، وَاحْتَبَطَ عَلَى أَمْلَاقِهِمْ، وَبَعَثَ الرَّشِيدُ بِرَأْسِ جَعْفَرَ وَجُثَّتِهِ، ثُمَّ قُطِعَتْ بَاطِنَيْنِ، فَنُصِبَ الرَّأْسُ عِنْدَ الْجِسْرِ الْأَعْلَى، وَشُقُّ الْجُثَّةُ عِنْدَ الْجِسْرِ الْأَسْفَلِ، وَشَقُّهَا الْآخَرُ

عِنْدَ الْجِسْرِ الْأَخْرِ، ثُمَّ أُحْرِقَتْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَتُودِي فِي بَعْدَادَ أَنْ لَا أَمَانَ
لِلْبَرَامِكَةِ وَلَا لِمَنْ آوَاهُمْ، إِلَّا مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، فَإِنَّهُ اسْتَتْنَاهُ مِنْ بَيْنِ
الْبَرَامِكَةِ لِنُصْحِهِ لِلْخَلِيفَةِ.

وَأَبِي الرَّشِيدُ بِأَنْسِ بْنِ أَبِي شَيْخٍ^٢ - وَكَانَ يُتَّهَمُ بِالرِّدْقَةِ، وَكَانَ مُصَاحِبًا لْجَعْفَرِ
الْبَرْمَكِيِّ - وَذَلِكَ لَيْلَةً قُتِلَ جَعْفَرٌ، فَدَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ كَلَامٌ، فَأَخْرَجَ الرَّشِيدُ
سَيْفًا مِنْ تَحْتِ فِرَاشِهِ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ بِهِ، وَجَعَلَ يَتَمَثَّلُ بَيْتٍ قِيلَ فِي
أَنْسٍ قَبْلَ ذَلِكَ:

^١ محمد بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي: أحد وزراء وقادة الدولة
العباسية في عهد هارون الرشيد. أبوه هو الوزير يحيى البرمكي، وأخواه هما الوزيران جعفر البرمكي
والفضل البرمكي. وصف إبراهيم الموصلي أبناء يحيى البرمكي بقوله: «أما الفضل فيرضيك بفعله،
وأما جعفر فيرضيك بقوله، وأما محمد فيفعل حسب ما يجد، وأما موسى فيفعل ما لا يجد». ولم
يقدر لمحمد أن يلعب دورًا مهمًا في الحياة السياسية إبان وزارة البرامكة. وبعد نكبة البرامكة ظل
يحيى بن خالد وابنه الفضل محبوبين حتى ماتا بالرقعة، حيث مات يحيى في شهر محرم سنة ١٩٠ هـ
فجأة من غير علة، وصلى عليه ابنه الفضل ودفن في شاطئ الفرات. أما الفضل فقد مات في
شهر محرم سنة ١٩٣ هـ قبل وفاة الرشيد بخمسة أشهر، وهو ابن خمس وأربعين سنة، وصلى عليه
إخوانه في القصر الذي كانوا فيه قبل إخراجه. أما بالنسبة لمحمد فقد التحق بالمأمون وظل أحد
قاداته حتى وفاته.

^٢ كان من البلغاء الفضلاء، ومن كلامه: لم يجتمع ضعفاء إلا قُؤوا حتى يمتنعوا ولم يفترق أقوياء إلا
ضعفوا حتى يخضعوا. وكان أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة.

تَلَمَّظَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنْسٍ فَالسَّيْفُ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ
فَضْرِبَتْ عُنُقَ أَنْسٍ، فَسَبَقَ السَّيْفُ الدَّمَ، فَقَالَ الرَّشِيدُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
مُصْعَبٍ^١. فَقَالَ النَّاسُ: إِنَّ السَّيْفَ كَانَ سَيْفَ الرَّبِيعِ بْنِ الْعَوَامِ. وَشُحِنَتْ
السُّجُونُ بِالْبِرَامِكَةِ، وَاسْتَلَيْتْ أَمْوَالَهُمْ كُلُّهَا.

وَقَدْ كَانَ الرَّشِيدُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَتَلَ فِي آخِرِهِ جَعْفَرًا، هُوَ وَإِيَّاهُ رَاكِبَيْنِ فِي
الصَّيْدِ، وَقَدْ حَلَا بِهِ دُونَ وِلَاةِ الْعُهُودِ، وَطَيَّبَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالْغَالِيَةِ^٢ بِيَدِهِ،
وَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْمَغْرِبِ وَوَدَّعَهُ الرَّشِيدُ، ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةٌ
حَلَوْتِي بِالنِّسَاءِ مَا فَارَقْتُكَ، فَادْهَبْ إِلَى مَنْزِلِكَ وَاشْرَبْ وَاطْرَبْ لِتَكُونَ عَلَيَّ
مِثْلَ حَالِي. فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَشْتَهِي ذَلِكَ إِلَّا مَعَكَ. فَانصَرَفَ
عَنْهُ جَعْفَرٌ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ بَعْضُهُ حَتَّى أَوْقَعَ بِهِ مِنَ الْبَأْسِ
وَالنَّكَالِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ السَّبْتِ آخِرَ لَيْلَةٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَكَانَ
عُمُرُ جَعْفَرٍ إِذْ ذَاكَ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

^١ يقال: إن عبد الله بن مصعب هو الذي أخبر الرشيد أنه على الزندقة فقتله لذلك. وهو: عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ ثَابِتِ الْأَسَدِيِّ الرَّبِيعِيُّ ابْنِ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ الْعَوَامِ، كَانَ جَمِيلًا،
سَرِيًّا، مُحْتَشِمًا، فَصِيحًا، مُفَوِّهًا، وَافِرَ الْجَلَالَةِ، مُحْمُودَ الْوِلَايَةِ، كَانَ يُجِبُهُ الْمُهْدِيُّ، وَيَحْتَرِمُهُ. جَمَعَ لَهُ
الرَّشِيدُ مَعَ الْيَمَنِ امْرَأَةَ الْمَدِينَةِ. عَاشَ سَبْعِينَ سَنَةً، وَتُوِّجَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ.

^٢ الْغَالِيَةُ: أَخْلَاطٌ مِنَ الطَّيِّبِ كَالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ.

وَلَمَّا جَاءَ الْخَبْرُ إِلَى أَبِيهِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ بِمَقْتَلِهِ قَالَ: قَتَلَ اللَّهُ ابْنَهُ. وَلَمَّا قِيلَ لَهُ: قَدْ حُرِّبَتْ دَارُكَ. قَالَ: حَرَّبَ اللَّهُ دُورَهُ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمَّا نَظَرَ إِلَى دَارِهِ وَقَدْ هَتَكَتْ سُتُورَهَا، وَاسْتَبِيحَتْ فُصُورَهَا، وَانْتَهَبَ مَا فِيهَا، قَالَ: هَكَذَا تَقُومُ السَّاعَةُ.

وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ يُعْزِيهِ فِيَمَا وَقَعَ، فَكَتَبَ جَوَابَ التَّعْزِيَةِ: أَنَا بِقَضَاءِ اللَّهِ رَاضٍ، وَبِالْخِيَارِ عَامِمٌ، وَلَا يُؤَاخِذُ اللَّهُ الْعِبَادَ إِلَّا بِدُنُوبِهِمْ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ، وَمَا يَعْمُرُ اللَّهُ أَكْثَرَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَدَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجُوزِيِّ فِي كِتَابِهِ "الْمُنْتَظَم" أَنَّ جَعْفَرَ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا: فَنَقَنَةٌ. مُعَيَّنَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهَا فِي الدُّنْيَا نَظِيرٌ، كَانَ مُشْتَرَاهَا عَلَيْهِ بِمَنْ مَعَهَا مِنَ الْجَوَارِي مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، فَطَلَبَهَا مِنْهُ الرَّشِيدُ، فَاْمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا قَتَلَهُ الرَّشِيدُ اصْطَفَى تِلْكَ الْجَارِيَةَ، فَأَحْضَرَهَا لَيْلَةً فِي مَجْلِسِ شَرَابِهِ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ جُلَسَائِهِ وَسُمَّارِهِ وَأَحْبَابِهِ، فَأَمَرَ مَنْ مَعَهَا أَنْ يُعْنِينَ، فَاَنْدَفَعَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَعْنِي، حَتَّى انْتَهَتْ النَّوْبَةُ إِلَى فَنَقَنَةَ، فَأَمَرَهَا بِالْغِنَاءِ، فَأَسْبَلَتْ دَمْعَهَا وَقَالَتْ: أَمَّا بَعْدَ السَّادَةِ فَلَا. فَغَضِبَ الرَّشِيدُ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَأَمَرَ بَعْضَ الْحَاضِرِينَ أَنْ يَأْخُذَهَا إِلَيْهِ فَقَدْ وَهَبَهَا لَهُ، ثُمَّ لَمَّا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ قَالَ لَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ: لَا تَطَّأَهَا. فَفَهِمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ كَسْرَهَا. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْضَرَهَا، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهَا وَأَمَرَهَا بِالْغِنَاءِ، فَاْمْتَنَعَتْ وَأَرْسَلَتْ دُمُوعَهَا وَقَالَتْ: أَمَّا بَعْدَ السَّادَةِ فَلَا. فَغَضِبَ الرَّشِيدُ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ، وَقَالَ:

النَّبْطُ وَالسَّيْفُ. وَجَاءَ السَّيْفُ، فَوَقَفَ عَلَى رَأْسِهَا، وَقَالَ لَهُ: إِذَا أَمْرُكَ ثَلَاثًا وَعَقَدْتُ أَصَابِعِي ثَلَاثًا فَاضْرِبْ. ثُمَّ قَالَ لَهَا: عَيِّي. فَبَكَتْ وَقَالَتْ: أَمَّا بَعْدَ السَّادَةِ فَلَا. فَعَقَدَ أُصْبَعَهُ الْخِنْصَرَ، ثُمَّ أَمَرَهَا الثَّانِيَةَ فَاَمْتَنَعَتْ، فَعَقَدَ اثْنَتَيْنِ، فَارْتَعَدَ الْحَاضِرُونَ، وَأَشْفَقُوا غَايَةَ الْإِشْفَاقِ، وَأَقْبَلُوا عَلَيْهَا يَسْأَلُونَهَا أَلَّا تَقْتُلَ نَفْسَهَا، وَأَنْ يُجِيبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يُرِيدُ مِنْهَا. ثُمَّ أَمَرَهَا الثَّلَاثَةَ، فَأَنْدَفَعَتْ تَعْيِي:

لَمَّا رَأَيْتِ الدِّيَارَ قَدْ دَرَسَتْ أَيَقْنْتُ أَنَّ النَّعِيمَ لَمْ يَعُدْ

قَالَ: فَوَتَّبِ إِلَيْهَا الرَّشِيدُ، وَأَخَذَ الْعُودَ مِنْ يَدِهَا، وَأَقْبَلَ يَضْرِبُ بِهِ وَجْهَهَا، وَرَأْسَهَا حَتَّى تَكْسِرَ، وَأَقْبَلَتِ الدِّمَاءَ، وَتَطَايَرْنَا مِنْ حَوْلِهَا، وَحَمَلَتِ الْجَارِيَةَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَمَاتَتْ بَعْدَ ثَلَاثٍ.

وَرُوِيَ أَنَّ الرَّشِيدَ كَانَ يَقُولُ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَعْرَانِي بِالْبِرَامِكَةِ، فَمَا وَجَدْتُ بَعْدَهُمْ لَذَّةً وَلَا رَاحَةً وَلَا رَحَاءً، وَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَبِي شُوْطِرْتُ نِصْفَ عُمْرِي وَمُلْكِي وَأَبِي تَرَكَتُهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ.

وَحَكَى ابْنُ خَلِّكَانَ أَنَّ جَعْفَرًا اشْتَرَى جَارِيَةً مِنْ رَجُلٍ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَلْتَمَعَتْ إِلَى بَائِعِهَا وَقَالَتْ لَهُ: اذْكُرِ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَلَّا تَأْكُلَ مِنْ

ثَمَنِي شَيْئًا^١. فَبَكَى سَيِّدَهَا وَقَالَ: اشْهَدُوا أَنَّهَا حُرَّةٌ، وَأَيُّ قَدْ تَزَوَّجْتُهَا. فَقَالَ جَعْفَرٌ: اشْهَدُوا أَنَّ الثَّمَنَ لَهُ أَيْضًا.

وَكَتَبَ جَعْفَرٌ إِلَى نَائِبٍ لَهُ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ كَثُرَ شَاكُوكَ، وَقَلَّ شَاكِرُوكَ، فَأَمَّا أَنْ تَعْدِلَ وَإِمَّا أَنْ تَعْتَرَلَ.

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا وَقَعَ مِنْهُ مِنَ التَّلَطُّفِ فِي إِزَالَةِ هَمِّ الرَّشِيدِ وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ مُنَجِّمٌ يَهُودِيٌّ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَمُوتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَحَمَلَ الرَّشِيدُ هَمًّا عَظِيمًا، فَدَخَلَ جَعْفَرٌ فَسَأَلَ: مَا الْخَبْرُ؟ فَأَخْبَرَ بِقَوْلِ الْيَهُودِيِّ لِلْخَلِيفَةِ: أَنَّهُ سَيَمُوتُ مِنْ عَامِهِ هَذَا، فَاسْتَدْعَى جَعْفَرٌ الْيَهُودِيَّ، فَقَالَ لَهُ: كَمْ وَجَدْتَ بَقِيَّ لَكَ مِنَ الْعُمْرِ؟ فَذَكَرَ مُدَّةً طَوِيلَةً، فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّشِيدِ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْتُلْهُ حَتَّى تَعْلَمَ كَذِبَهُ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ مَوْتِكَ، كَمَا عَلِمْتَ كَذِبَهُ فِيمَا أَخْبَرَ عَنْ عُمُرِهِ. فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِالْيَهُودِيِّ فَقُتِلَ، وَسَرِيَ عَنِ الرَّشِيدِ هَمُّهُ الَّذِي كَانَ يَجِدُهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَبَعْدَ مَقْتَلِ الْبِرَامِكَةِ قَتَلَ الرَّشِيدُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَثْمَانَ بْنِ نَهْيِكٍ^٢، وَذَلِكَ أَنَّهُ حَزَنَ عَلَى مَقْتَلِ الْبِرَامِكَةِ، وَلَا سِيَّمَا عَلَى جَعْفَرٍ، وَكَانَ يُكْتَبُ الْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ

^١ يعني أنهما كانا تعاهدا ألا يبيعهما.

^٢ إبراهيم بن عثمان بن نهيك: أمير وقائد كبير كان مقرباً من الرشيد ومن البرامكة لكون أبيه عثمان بن نهيك أحد أركان السياسة في العصر العباسي أثناء مرحلة التأسيس، إذ كان مع أبي مسلم

خَرَجَ مِنْ حَيِّزِ الْبُكَاءِ إِلَى حَيِّزِ الْإِنْتِصَارِ لَهُمْ وَالْأَخَذِ بِثَأْرِهِمْ، وَكَانَ إِذَا شَرِبَ فِي مَنْزِلِهِ يَقُولُ لِحَارِيَّتِهِ: ائْتِينِي بِسِنْفِي. فَيَسْأَلُهُ ثُمَّ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّ قَاتِلَهُ. فَأَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ، فَحَشِيَ ابْنَهُ عُثْمَانَ أَنْ يَطَّلِعَ الْخَلِيفَةُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَيَهْلِكُهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَرَأَى أَنَّ أَبَاهُ لَا يَنْزِعُ عَنْ هَذَا، فَذَهَبَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ فَأَعْلَمَهُ، فَأَحْبَرَ الْفَضْلُ الْخَلِيفَةَ، فَاسْتَدْعَى بِهِ، فَاسْتَحْبَرَهُ فَأَحْبَرَهُ فَقَالَ: مَنْ يَشْهَدُ مَعَكَ؟ قَالَ: فَلَانُ الْحَادِمِ. فَجَاءَ بِهِ فَأَحْبَرَهُ، فَقَالَ الرَّشِيدُ: لَا يَحِلُّ لِي قَتْلُ أَمِيرٍ كَبِيرٍ بِمُجَرَّدِ قَوْلِ غُلَامٍ وَحَصِيٍّ، لَعَلَّهُمَا قَدْ تَوَاصَيَا عَلَى ذَلِكَ. فَأَحْضَرَهُ الرَّشِيدُ مَعَهُ عَلَى الشَّرَابِ، ثُمَّ حَلَا بِهِ فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ يَا إِبْرَاهِيمَ، إِنَّ عِنْدِي سِرًّا أَحَبُّ أَنْ أُطْلِعَكَ عَلَيْهِ، قَدْ أَقْلَقَنِي فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ إِنِّي نَدِمْتُ عَلَى قَتْلِ الْبِرَامِكَةِ وَوَدِدْتُ أَنْيَّ قَدْ خَرَجْتُ مِنْ نِصْفِ مُلْكِي وَنُقِصْتُ نِصْفَ عُمْرِي وَمَا أَكُنُّ فَعَلْتُ بِهِمْ مَا فَعَلْتُ، فَإِنِّي لَمْ أَجِدْ بَعْدَهُمْ لَدَّةً وَلَا رَاحَةً، فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ - يَعْنِي جَعْفَرًا، وَبَكِي - وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي، لَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي قَتْلِهِ. فَقَالَ لَهُ: قُمْ، لَعَنَكَ اللَّهُ. ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. وَسَلَّمَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ.

الخراساني في حروبه ضد الدولة الأموية، ثم ولاء الخليفة أبو جعفر المنصور على شرطته، وكان ممن قتل أبا مسلم الخراساني لما غضب عليه الخليفة المنصور.

١ استدعى عثمان بن إبراهيم ليشهد على أبيه فشهد!

القبض على عبد الملك بن صالح

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَضِبَ الرَّشِيدُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ^١ بِسَبَبِ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ الْخِلَافَةَ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ بِسَبَبِهِ أَيْضًا عَلَى الْبَرَامِكَةَ الَّذِينَ هُمْ فِي الْخُبُوسِ، وَسَجَنَهُ، فَلَمْ يَزَلْ فِي السِّجْنِ حَتَّى تُوِيَ الرَّشِيدُ فَأُخْرِجَهُ الْأَمِينُ، وَعَقَدَ لَهُ عَلَى نِيَابَةِ الشَّامِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ثَارَتْ الْعَصِيَّةُ أَيْضًا بِالشَّامِ بَيْنَ الْمُضَرِّيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الرَّشِيدُ مُحَمَّدَ بْنَ مَنْصُورِ بْنِ زِيَادٍ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ. وَفِيهَا كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِالْمِصْبِصَةِ^٢، فَاهْتَدَمَ بَعْضُ سُورِهَا، وَنَضَبَ مَاؤُهُمْ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ.

وَفِيهَا بَعَثَ الرَّشِيدُ وَلَدَهُ الْقَاسِمَ عَلَى الصَّائِفَةِ، وَجَعَلَهُ قُرْبَانًا وَوَسِيلَةً، وَوَلَّاهُ الْعَوَاصِمَ، فَسَارَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، فَحَاصَرَهُمْ حَتَّى افْتَدَوْا مِنْهُ بِخَلْقٍ مِنَ الْأَسَارَى يُطْلِقُوهُمْ وَيَرْجِعُ عَنْهُمْ، فَفَعَلَ ذَلِكَ.

^١ عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس: من أمراء بني العباس، ولي المدينة وغزو الصوائف للرشيد ثم ولي الشام والجزيرة للأمين. كان عبد الملك فصيحاً بليغاً شريف الأخلاق مهيباً شجاعاً سائساً بلغ الرشيد أنه يريد الوثوب على الخلافة، فخافه على ملكه، وأمر بحبسه، ثم ظهرت له براءته، فأطلقه وأنعم عليه.

^٢ المصيصبة كانت مدينة تاريخية في قيليقيا تقع أطلالها بالقرب من مدينة أضنة بتركيا حالياً.

وَفِيهَا نَفَضَتِ الرُّومُ الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي كَانَ عَقْدَهُ الرَّشِيدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِيِّ مَلِكَةِ الرُّومِ الْمَلْقَبَةِ أُعْسَطَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّومَ عَزَلُوهَا عَنْهُمْ، وَمَلَكَوا عَلَيْهِمُ النَّفْقُورَ، وَكَانَ شُجَاعًا، يُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ سُلَالَةِ آلِ جَفْنَةَ^١، وَإِنَّهُ قَبْلَ الْمَلِكِ كَانَ يَلِي دِيوَانَ الْحَرَاجِ، وَمَلَكَوا نَفْقُورَ هَذَا عَلَيْهِمْ، فَخَلَعُوا رَبِيَّ وَسَمَلُوا عَيْنَيْهَا، فَكَتَبَ إِلَى الرَّشِيدِ: مِنْ نَفْقُورِ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى هَارُونَ مَلِكِ الْعَرَبِ، أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَلِكَةَ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ أَقَامَتِكَ مُقَامَ الرَّخِ، وَأَقَامَتْ نَفْسَهَا مُقَامَ الْبَيْدِقِ، فَحَمَلَتْ إِلَيْكَ مِنْ أَمْوَالِهَا مَا كُنْتَ حَقِيقًا بِحَمْلِ أَمْثَالِهِ إِلَيْهَا، وَلَكِنَّ ذَلِكَ مِنْ ضَعْفِ النِّسَاءِ وَحُمُقِهِنَّ، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَارْذُدْ مَا حَصَلَ لَكَ مِنْ أَمْوَالِهَا، وَافْتَدِ نَفْسَكَ، وَإِلَّا فَالْسَيْفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ. فَلَمَّا قَرَأَ الرَّشِيدُ الْكِتَابَ اسْتَفَزَّهُ الْعُضْبُ، حَتَّى لَمْ يُمْكِنَ أَحَدًا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ دُونَ أَنْ يُخَاطِبَهُ، وَتَفَرَّقَ جُلَسَاؤُهُ حَوْفًا مِنْهُ، وَاسْتَدْعَى بِدَوَاةٍ وَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِ الْكِتَابِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نَفْقُورِ كَلْبِ الرُّومِ، قَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ يَا بَنَى الْكَافِرَةِ، وَالْجَوَابُ مَا تَرَاهُ دُونَ مَا تَسْمَعُهُ، وَالسَّلَامُ.

^١ آل جفنة: الغساسنة، أصلهم قبائل عربية من اليمن هاجروا واستقروا في الشام.

ثُمَّ شَخَّصَ مِنْ يَوْمِهِ حَتَّى أَقَامَ بِيَابِ هَرْقَلَةَ، فَفَتَحَهَا وَاصْطَفَى ابْنَةَ مَلِكِهَا،
وَعَنِمَ مِنَ الْأَمْوَالِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَحَرَّبَ وَأَحْرَقَ وَاصْطَلَمَ^١، فَطَلَبَ نَقْفُورُ مِنْهُ
الْمُوَادَعَةَ عَلَى حَرَاكِ يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَأَجَابَهُ الرَّشِيدُ إِلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا
رَجَعَ مِنْ غَزْوَتِهِ وَصَارَ بِالرَّقَّةِ، نَقَضَ الْكَافِرُ الْعَهْدَ، وَخَانَ الْمِيثَاقَ، وَكَانَ الْبَرْدُ
قَدِ اشْتَدَّ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى إِخْبَارِ الرَّشِيدِ بِذَلِكَ؛ لِخَوْفِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَعَلَيْهِ، حَتَّى يَنْفَصِلَ الشِّتَاءُ.

ترجمة جعفر بن يحيى

جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكِ أَبُو الْفَضْلِ الْبَرْمَكِيُّ الْوَزِيرُ ابْنُ الْوَزِيرِ، وَقَدْ
وَلَاهُ الرَّشِيدُ الشَّامَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَذَكَرَ ابْنُ عَسَاكِرَ أَنَّ الرَّشِيدَ بَعَثَهُ إِلَى
دِمَشْقَ لَمَّا ثَارَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْعَشِيرَتَيْنِ بِحُورَانَ بَيْنَ قَيْسٍ وَبَعْنٍ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ
مَا أَنْشَأُوهُ فِي الْإِسْلَامِ، كَانَ حَامِدًا فَأَنَارُوهُ فِي هَذَا الْأَوَانِ، فَلَمَّا قَدِمَ جَعْفَرُ
بِحَيْشِهِ حَمَدَتِ الشُّرُورُ وَظَهَرَ الشُّرُورُ.

وَكَانَتْ لَهُ فَصَاحَةٌ وَبِلَاغَةٌ وَكَرَمٌ زَائِدٌ، كَانَ أَبُوهُ قَدْ ضَمَّهُ إِلَى الْقَاضِي أَبِي
يُوسُفَ، فَتَفَقَّهُ عَلَيْهِ، وَصَارَ لَهُ اخْتِصَاصٌ بِالرَّشِيدِ، وَقَدْ وَقَعَ لَيْلَةً بِحَضْرَةِ
الرَّشِيدِ زِيَادَةً عَلَى أَلْفِ تَوْقِيعٍ فَلَمْ يُخْرَجِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا عَنْ مُوجِبِ الْفِقْهِ.

^١ اصطلم: استأصل وأباد.

قَالَ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ الْجَاحِظُ: قَالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى لِلرَّشِيدِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ لِي أَبِي يَحْيَى: إِذَا أَقْبَلْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَأَعْطِ؛ فَإِنَّهَا لَا تَقْنَى، وَإِذَا أَدْبَرْتَ عَنْكَ فَأَعْطِ؛ فَإِنَّهَا لَا تَبْقَى.

وَقَدْ كَانَ جَعْفَرٌ مِنْ عُلُوِّ الْقَدْرِ وَنَفَازِ الْأَمْرِ وَعِظَمِ الْمَحَلِّ وَجَلَالَةِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ الرَّشِيدِ بِحَالَةٍ انْفَرَدَ بِهَا، وَلَمْ يُشَارِكْ فِيهَا، وَكَانَ سَمَحَ الْأَخْلَاقِ، طَلَقَ الْوَجْهَ، ظَاهِرَ الْبَشْرِ. فَأَمَّا جُودُهُ وَسَخَاؤُهُ وَبَذْلُهُ وَعَطَاؤُهُ فَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُدَكَّرَ وَأَبَيُّ مَنْ أَنْ يَظْهَرَ، وَكَانَ أَيْضًا مِنْ ذَوِي الْفَصَاحَةِ الْمَدْكُورِينَ وَالبَلَاغَةِ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ، عَنْ مُهَدَّبِ حَاجِبِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ، صَاحِبِ قَطِيعَةِ الْعَبَّاسِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ، أَنَّهُ أَصَابَتْهُ ضَائِقَةٌ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ الْمُطَالِبُونَ، وَعِنْدَهُ سَقَطٌ فِيهِ جَوْهَرٌ شَرَاؤُهُ عَلَيْهِ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَحَمَلَهُ إِلَى جَعْفَرٍ لِيَبِيعَهُ مِنْهُ، فَاشْتَرَاهُ بِثَمَنِهِ وَوَزَنَ لَهُ أَلْفَ أَلْفٍ، وَقَبَضَ مِنْهُ السَّقَطَ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ إِذَا السَّقَطُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ عَدَا إِلَيْهِ لِيَشْكُرَهُ، فَوَجَدَهُ مَعَ أَخِيهِ الْفَضْلِ عَلَى بَابِ الرَّشِيدِ يَسْتَأْذِنَانِ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: إِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ أَمْرَكَ لِلْفَضْلِ، وَقَدْ أَمَرَ لَكَ بِأَلْفِ أَلْفٍ، وَمَا أَظْنَهَا إِلَّا قَدْ سَبَقَتْكَ إِلَى أَهْلِكَ، وَسَأُفَاوِضُ فِيكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَلَمَّا دَخَلَ ذَكَرَ أَمْرَهُ وَمَا لِحِقَهُ مِنَ الدُّيُونِ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.

وَكَانَ جَعْفَرٌ لَيْلَةً فِي سَمَرِهِ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَتْ الْخُنْفَسَاءُ، حَتَّى رَكِبَتْ ثِيَابَ الرَّجُلِ، فَأَلْفَاها عَنْهُ جَعْفَرٌ. وَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّ مَنْ قَصَدَتْهُ الْخُنْفَسَاءُ يُبَشِّرُ بِمَالٍ يُصِيبُهُ. فَأَمَرَ لَهُ جَعْفَرٌ بِالْفِ دِينَارٍ. ثُمَّ عَادَتْ الْخُنْفَسَاءُ، فَرَجَعَتْ إِلَى الرَّجُلِ، فَأَمَرَ لَهُ بِالْفِ دِينَارٍ أُخْرَى.

وَحَجَّ مَرَّةً مَعَ الرَّشِيدِ، فَلَمَّا كَانُوا بِالْمَدِينَةِ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: انْظُرْ جَارِيَةً اشْتَرَيْهَا تَكُونُ فَائِقَةً فِي جَمَاهَا وَغِنَائِهَا وَدَكَائِهَا. فَفَتَشَرَ الرَّجُلُ فَوَجَدَ جَارِيَةً عَلَى النَّعْتِ، فَطَلَبَ سَيِّدَهَا فِيهَا مَا لَا كَثِيرًا عَلَى أَنْ يَرَاهَا جَعْفَرٌ، فَذَهَبَ جَعْفَرٌ إِلَى مَنْزِلِ سَيِّدَهَا، فَلَمَّا رَأَاهَا أُعْجِبَ بِهَا، فَلَمَّا غَنَّتْهُ أَعْجَبَتْهُ أَكْثَرَ، فَسَاوَمَ صَاحِبَتَهَا فِيهَا، وَقَالَ: قَدْ أَحْضَرْنَا مَا لَا فَإِنْ أَعْجَبَكَ وَإِلَّا زِدْنَاكَ. فَقَالَ لَهَا سَيِّدَهَا: إِنِّي كُنْتُ فِي نِعْمَةٍ، وَكُنْتُ عِنْدِي فِي غَايَةِ السُّرُورِ وَالسَّعَةِ، وَإِنَّهُ قَدْ انْقَبَضَ عَلَيَّ حَالِي، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَيْبِعَكَ لِهَذَا الْمَلِكِ، لِتَكُونِي عِنْدَهُ كَمَا كُنْتُ عِنْدِي. فَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي، وَاللَّهِ لَوْ مَلَكَتُ مِنْكَ مَا مَلَكَتُ مِنِّي لَمْ أَبِيعَكَ بِالْدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَأَيْنَ مَا كُنْتُ عَاهَدْتَنِي إِلَّا تَبِيعَنِي، وَلَا تَأْكُلْ ثَمَنِي؟! فَقَالَ سَيِّدَهَا لِحُجْرَةٍ وَأَصْحَابِهِ: أَشْهَدُكُمْ أَنَّهَا حُرَّةٌ لِرُوحِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَبِي قَدْ تَزَوَّجْتُهَا. فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ تَهَضَّ جَعْفَرٌ، وَقَامَ أَصْحَابُهُ، وَأَمَرُوا الْحَمَالَ أَنْ يَحْمِلَ الدَّرَاهِمَ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: وَاللَّهِ لَا تَتَّبِعْنِي. وَقَالَ لِلرَّجُلِ: قَدْ مَلَكَتْكَهَا. فَأَنْفَقَهَا عَلَى أَهْلِكَ. وَذَهَبَ وَتَرَكَهُ.

هَذَا وَقَدْ كَانَ يُبَحَّلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَخِيهِ الْفَضْلِ، إِلَّا أَنَّ الْفَضْلَ كَانَ أَكْثَرَ مِنْهُ مَالًا.

وَقَدْ كَانَ مَقْتَلُ جَعْفَرٍ فِي لَيْلَةِ السَّبْتِ مُسْتَهْلًا صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَكَانَ عُمُرُهُ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَكَانَ لَهُمْ فِي الْوِزَارَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقَدْ دَخَلَتْ عِبَادَةُ أُمِّ جَعْفَرٍ عَلَى أَنْاسٍ فِي يَوْمِ عِيدِ أَضْحَى تَسْتَمْنِحُ مِنْهُمْ جِلْدَ شَاةٍ تَتَدَفَّقُ بِهِ، وَسَأَلُوهَا عَنْ أَمْرِهَا. فَقَالَتْ: أَذْكَرُ أَصْبَحْتُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ وَإِنَّ عَلَى رَأْسِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَصِيفَةٍ، وَإِنِّي لَأَقُولُ: إِنَّ ابْنِي جَعْفَرًا عَاقٌ بِي. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا غَزَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَبْرِيلَ الصَّائِفَةَ، فَدَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ مِنْ دَرْبِ الصَّفْصَافِ، فَحَرَجَ النَّقْفُورُ لِلِقَائِهِ، فَجَرِحَ النَّقْفُورُ ثَلَاثَ جِرَاحَاتٍ، وَانْهَزَمَ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، وَغَنِمُوا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ دَابَّةً.

وَفِيهَا رَابَطَ الْقَاسِمُ ابْنُ الرَّشِيدِ بِمَرْجِ دَابِقٍ.

وَفِيهَا حَجَّ بِالنَّاسِ الرَّشِيدُ، وَكَانَتْ آخِرَ حَجَّاتِهِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ حِينَ رَأَى الرَّشِيدَ مُنْصَرِّفًا مِنَ الْحَجِّ، وَقَدِ اجْتَازَ بِالْكُوفَةِ: لَا يُحُجُّ الرَّشِيدُ بَعْدَهَا، وَلَا يُحُجُّ بَعْدَهُ خَلِيفَةٌ أَبَدًا.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا رَجَعَ الرَّشِيدُ مِنَ الْحَجِّ، وَسَارَ إِلَى الرَّيِّ، فَوَلَّى وَعَزَلَ وَقَطَعَ وَوَصَلَ، وَرَدَّ عَلِيَّ بْنَ عِيْسَى إِلَى وِلَايَةِ خُرَّاسَانَ،

وَجَاءَهُ نُؤَابُ تِلْكَ الْبُلْدَانِ بِالْهَدَايَا وَالتُّحْفِ مِنْ سَائِرِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ فَأَذْرَكَهُ عَيْدُ الْأَضْحَى بِقَصْرِ اللُّصُوصِ^١، فَضَحَّى عِنْدَهُ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ لِثَلَاثِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَمَّا اجْتَاَزَ بِالْحِيسْرِ أَمَرَ بِجُنَّةِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ، فَأُحْرِقَتْ، وَكَانَتْ مَصْلُوبَةً مُنْذُ قَتْلِهِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، ثُمَّ انْجَحَلَ الرَّشِيدُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الرَّقَّةِ وَهُوَ مُتَأَسِّفٌ عَلَى بَغْدَادَ وَطَبِيبَهَا، وَإِنَّمَا مُرَادُهُ بِمَقَامِهِ بِالرَّقَّةِ رَدُّعُ الْمُفْسِدِينَ بِهَا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ فَادَى الرَّشِيدُ الْأَسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِيَلَادِ الرُّومِ، فَيَقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ بِهَا أَسِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَفِيهَا رَابَطُ الْقَاسِمِ ابْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِمَرْجٍ دَائِقٍ مُحَاصِرًا الرُّومَ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعِينَ وَمِائَةً مِنَ الْهَجْرَةِ، وَفِيهَا حَلَعَ رَافِعُ بْنُ لَيْثِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ نَائِبُ سَمَرْقَنْدِ الطَّاعَةِ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، وَتَابَعَهُ أَهْلُ بَلَدِهِ وَطَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ، فَسَارَ إِلَيْهِ نَائِبُ خُرَاسَانَ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى، فَهَزَمَهُ رَافِعٌ وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ بِهِ.

وَفِيهَا سَارَ هَارُونَ الرَّشِيدُ لِعَزْوِ بِلَادِ الرُّومِ لِعِشْرِ بَقِيْنَ مِنْ رَجَبٍ، وَقَدْ لَبَسَ عَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوَّةً، فَقَالَ فِيهَا أَبُو الْمُعَلَّى الْكِلَابِيُّ:

وَمَنْ يَطْلُبُ لِقَاءَكَ أَوْ يُرِدُهُ فَبِالْحَرَمَيْنِ أَوْ أَقْصَى الثُّغُورِ

^١ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَن جَيْشاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَزَلُوا بِهِ، فَسَرَقَتْ دَوَابَّهُمْ.

فَفِي أَرْضِ الْعُدُوِّ عَلَى طِمْرٍ وَفِي أَرْضِ التَّرَفِّهِ فَوْقَ كُورٍ
 ثُمَّ وَصَلَ إِلَى الطُّوَانَةِ^١، فَعَسَكَرَ بِهَا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ نَقْمُورُ بِالطَّاعَةِ، وَحَمَلَ الْخُرَاجَ
 وَالْجُزْيَةَ حَتَّى عَنَ رَأْسِهِ وَرَأْسِ وَلَدِهِ، وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ - فِي كُلِّ سَنَةٍ - خَمْسِينَ
 أَلْفَ دِينَارٍ، وَبَعَثَ يَطْلُبُ مِنَ الرَّشِيدِ جَارِيَةً قَدْ أَسْرَوْهَا، كَانَتْ ابْنَةَ مَلِكِ
 هِرْقَلَةَ، وَكَانَ قَدْ خَطَبَهَا عَلَى وَلَدِهِ، فَبَعَثَ بِهَا الرَّشِيدُ مَعَ هَدَايَا وَتُحْفٍ،
 وَطِيبٍ بَعَثَ بِطَلْبِهِ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ أَنْ يَحْمِلَ فِي كُلِّ سَنَةٍ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفِ
 دِينَارٍ، وَأَلَّا يُعَمَّرَ هِرْقَلَةَ. ثُمَّ انصَرَفَ الرَّشِيدُ رَاجِعًا، وَاسْتَنَابَ عَلَى الْعَزْوِ عَقَبَةَ
 بَنِ جَعْفَرٍ.

وَنَقَضَ أَهْلُ فُبْرَسَ الْعَهْدَ، فَغَزَاهُمْ مَعْيُوفُ بُنِ يَحْيَى، فَسَبَى أَهْلَهَا، وَقَتَلَ مِنْهُمْ
 خَلْقًا كَثِيرًا، وَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ مَنْ قَتَلَهُ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا خَرَجَ رَجُلٌ بِسَوَادِ الْعِرَاقِ يُقَالُ
 لَهُ ثُرْوَانُ بُنِ سَيْفٍ، وَجَعَلَ يَتَنَقَّلُ فِيهَا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ
 طَوْقَ بَنِ مَالِكٍ فَهَزَمَهُ، وَجَرَحَ ثُرْوَانُ وَقُتِلَ عَامَهُ أَصْحَابِهِ، وَكُتِبَ بِالْفَتْحِ إِلَى
 الرَّشِيدِ.

^١ طوانة مدينة قديمة تقع في منطقة الأناضول في إقليم كبادوكيا وتمثل اليوم مدينة كمرحصار في محافظة نيدا، في وسط الأناضول في تركيا.

وَفِيهَا حَرَجَ بِالشَّامِ أَبُو النِّدَاءِ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ، وَاسْتَنَابَهُ عَلَى الشَّامِ.

وَفِيهَا وَقَعَ التَّلُجُ بِبَغْدَادَ.

وَفِيهَا غَزَا بِلَادَ الرُّومِ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَبِيرِيُّ، فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، فَأَخَذَتْ عَلَيْهِ الرُّومُ الْمَضِيقَ فَقَتَلُوهُ فِي خَمْسِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ طَرَسُوسَ؛ فَأَهْزَمَ الْبَاقُونَ، وَوَلَّى الرَّشِيدُ غَزَا الصَّائِقَةَ هَرَثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ، وَصَمَّ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، فِيهِمْ مَسْرُورُ الْخَادِمِ، وَإِلَيْهِ التَّفَقَّاتُ.

وَخَرَجَ الرَّشِيدُ إِلَى الْحَدَثِ؛ لِيَكُونَ قَرِيبًا مِنْهُمْ، وَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِهَدْمِ الْكَنَائِسِ بِالثُّغُورِ، وَالزَّمَ أَهْلَ الدِّمَّةِ بِتَمْيِيزِ لِبَاسِهِمْ وَهَيْئَاتِهِمْ فِي بَغْدَادَ وَعَظِيرَهَا مِنَ الْبِلَادِ. وَفِيهَا عَزَلَ الرَّشِيدُ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ وَوَلَّاهَا هَرَثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ.

وَفِيهَا فَتَحَ الرَّشِيدُ هِرَقْلَةَ فِي شَوَّالٍ، وَخَرَّبَهَا وَسَبَى أَهْلَهَا، وَبَثَّ الْجِيُوشَ وَالسَّرَايَا بِأَرْضِ الرُّومِ، وَخَرَجَتْ الرُّومُ إِلَى عَيْنِ زَرْبَى، وَالْكَنِيسَةَ السَّوْدَاءِ. وَكَانَ خَرَجُ هِرَقْلَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ مُرْتَزِقٍ^١. وَوَلَّى مُحَمَّدُ بْنُ مَعْيُوفٍ سَوَاحِلَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ، وَدَخَلَ جَزِيرَةَ قُبْرُصَ، فَسَبَى أَهْلَهَا وَحَمَلَهُمْ حَتَّى بَاعَهُمْ بِالرَّافِقَةِ، فَبَلَغَ ثَمَنُ الْأُسُفِّ أَلْفِي دِينَارٍ، بَاعَهُمْ أَبُو الْبَحْرِيِّ الْقَاضِي.

^١ في نسخة الشاملة: مرفوق. وهو خطأ من النسخ. والتصويب من ابن جرير في تاريخه.

وَفِيهَا أَسْلَمَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ عَلَى يَدَيْ الْمَأْمُونِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا دَخَلَ هَرَمَةُ بْنُ أَعْيَنَ إِلَى خُرَاسَانَ نَائِبًا عَلَيْهَا، وَقَبِضَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى، فَأَخَذَ أَمْوَالَهُ وَحَوَاصِلَهُ، وَأَرْكَبَهُ عَلَى رَاحِلَةٍ، وَنَادَى عَلَيْهِ بِبِلَادِ خُرَاسَانَ، وَكَتَبَ إِلَى الرَّشِيدِ بِذَلِكَ، فَشَكَرَهُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى الرَّشِيدِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَحُجِسَ بِدَارِهِ بِبَعْدَادَ.

وَفِيهَا وَلى الرَّشِيدُ ثَابِتَ بْنَ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ نِيَابَةَ الثُّغُورِ فَدَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ، وَفَتَحَ مَطْمُورَةَ.

وَفِيهَا كَانَ الْفِدَاءُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ عَلَى يَدَيْ ثَابِتِ بْنِ نَصْرِ.

وَفِيهَا حَرَجَتْ الْحَرَمِيَّةُ بِالْجَبَلِ وَبِلَادِ أَدْرَبِجَانَ، فَوَجَّهَ الرَّشِيدُ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَالِكِ بْنِ الْهَيْثَمِ الْخُزَاعِيَّ، فِي عَشْرَةِ آلَافِ فَارِسٍ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا،

¹ الفضل بن سهل السرخسي (١٥٤ - ٢٠٢ هـ): أبو العباس السرخسي الفضل بن سهل بن زاذنا نفروخ، الملقب بذي الرياستين، سليل ملوك الخوس، وهو أخو الحسن بن سهل. من قرية من السيب الأعلى تُعرف بصابر نيتا قرب سرخس. أسلم الفضل بن سهل على يدي المأمون ونال برة وإحسانه ووزقاً جارياً مع الحشم، ولم يزل ملازماً الفضل بن جعفر حتى أصيب البرامكة، فلزم المأمون وصار وزيره. ولما ثبت أمر المأمون بعد مقتل علي ابن ماهان قائد جيش الخليفة الأمين وهزيمة جيشه، واستُخلف رَفَعَ منزلة الفضل بن سهل الناصح له بمنزلة الأمين، وفوَّضَ له أموره كلها وسماه ذا الرياستين لتدبير أمر السيف والقلم، وولى أخاه الحسن بن سهل ديوان الخراج. وكان الفضل يتشيع، وكانت فيه فضائل مميزة، وكان خبيراً بعلم النجامة مصيباً في أحكامه فيه. وكان له نظر وأقوال مأثورة تنم على عقل راجح.

وَأَسَرَ وَسَى ذَرَارِيَهُمْ، وَقَدِمَ بِهِمْ بَعْدَادَ، فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِقَتْلِ الرَّجَالِ مِنْهُمْ،
وَبِالذُّرِّيَّةِ فَيَبِيعُوا بِهَا، وَكَانَ قَدْ غَزَاهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ حُرَيْمَةُ بْنُ حَازِمٍ.

وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا قَدِمَ الرَّشِيدُ مِنَ الرَّقَّةِ إِلَى بَعْدَادَ فِي السُّنَنِ، وَقَدْ اسْتَحْلَفَ
عَلَى الرَّقَّةِ ابْنَهُ الْقَاسِمَ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ حُرَيْمَةُ بْنُ حَازِمٍ، وَمِنْ نِيَّةِ الرَّشِيدِ الذَّهَابُ
إِلَى حُرَّاسَانَ لِغَزْوِ رَافِعِ بْنِ لَيْثٍ؛ الَّذِي كَانَ قَدْ حَلَعَ الطَّاعَةَ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى
بِلَادٍ كَثِيرَةٍ مِنْ بِلَادِ سَمَرْقَنْدَ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ خَرَجَ الرَّشِيدُ فِي شَعْبَانَ قَاصِدًا حُرَّاسَانَ
وَاسْتَحْلَفَ عَلَى بَعْدَادَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ، وَسَأَلَ الْمَأْمُونَ مِنْ أَبِيهِ أَنْ يُخْرِجَ
مَعَهُ حَوْفًا مِنْ غَدْرِ أَخِيهِ الْأَمِينَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَسَارَ مَعَهُ. وَقَدْ شَكَا الرَّشِيدُ فِي
أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ إِلَى بَعْضِ أَمْرَائِهِ جَفَاءَ بَيْنِهِ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ وُلَاةَ الْعَهْدِ مِنْ
بَعْدِهِ، وَأَرَاهُ ذَاءً فِي جَسَدِهِ، وَقَالَ: إِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَمِينَ وَالْمَأْمُونَ وَالْقَاسِمِ
عِنْدِي عَيْنًا عَلَيَّ، وَهُمْ يَعُدُّونَ أَنْفَاسِي، وَيَتَمَنَّوْنَ انْقِضَاءَ أَيَّامِي، وَذَلِكَ شَرُّ
لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. فَدَعَا لَهُ ذَلِكَ الْأَمِيرُ، ثُمَّ أَمَرَهُ الرَّشِيدُ بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى
عَمَلِهِ وَوَدَّعَهُ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ.

وَفِيهَا تَحَرَّكَ تَرْوَانُ الْحُرُورِيُّ، وَقَتَلَ عَامِلَ السُّلْطَانِ بِطَفِّ الْبَصْرَةِ.
وَفِيهَا قَتَلَ الرَّشِيدُ الْهَيْصَمَ الْيَمَانِيًّا^١.

^١ الهيصم بن عبد المجيد الهمداني اليماني: ثار ضد حماد البربري عامل الرشيد على اليمن بعدما
جار على أهل اليمن وغلظ عليهم.

وَمَاتَ عَيْسَى بْنُ جَعْفَرٍ وَهُوَ يُرِيدُ اللَّحَاقَ بِالرَّشِيدِ.

وفاة هارون الرشيد

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا وَافَى الرَّشِيدُ جُرْجَانَ وَأَنْتَهَتْ إِلَيْهِ خَزَائِنُ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى تُحْمَلُ عَلَى أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ بَعِيرٍ، وَذَلِكَ فِي صَفَرٍ مِنْهَا، ثُمَّ تَحَوَّلَ مِنْهَا إِلَى طُوسَ وَهُوَ عَلِيلٌ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ فِيهَا.

وَفِيهَا تَوَافَعَ هَرْمُذَةُ نَائِبُ الْعِرَاقِ هُوَ وَرَافِعُ بْنُ اللَّيْثِ، فَكَسَرَهُ هَرْمُذَةُ، وَأَفْتَتَحَ بُخَارَى، وَأَسَرَ أَخَاهُ بَشِيرَ بْنَ اللَّيْثِ، فَبَعَثَهُ إِلَى الرَّشِيدِ، وَهُوَ بِطُوسَ مُثْقَلٌ عَنِ السَّيْرِ، فَلَمَّا أَوْقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ شَرَعَ يَتَرَفَّقُ لَهُ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ، بَلْ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي إِلَّا أَنْ أُحْرِكَ شَقِيًّا بِمِثْلِكَ لَقَتَلْتُكَ. ثُمَّ دَعَا بِقَصَابٍ، فَجَزَّأَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عُضْوًا، ثُمَّ رَفَعَ الرَّشِيدُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْ رَافِعٍ كَمَا مَكَّنَهُ مِنْ أَخِيهِ بَشِيرٍ.

ذِكْرُ وِفَاةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ

كَانَ قَدْ رَأَى، وَهُوَ بِالرَّقَّةِ رُؤْيَا أَفْرَعْتَهُ، وَعَمَّهُ ذَلِكَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ بْنُ بَحْتِيشُوعَ، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ كَأَنَّ كَفًّا فِيهَا تُرْبَةٌ حَمْرَاءُ حَرَجَتْ مِنْ تَحْتِ سَرِيرِي هَذَا، وَقَائِلًا يَقُولُ هَذِهِ تُرْبَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَهَوَّنَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ أَمْرَهَا، وَقَالَ: هَذِهِ مِنْ أَضْعَاثِ الْأَحْلَامِ، وَمِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، فَتَنَاسَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَلَمَّا سَارَ يُرِيدُ حُرَّاسَانَ وَمَرَّ بِطُوسَ،

واعتقلته العلة بها، ذكر رؤياه التي كان رأى؛ فهاله ذلك، وانزعج جداً، فدخل الناس عليه، فقال جبريل: ويحك؟ أما تذكر ما قصصته عليك من الرؤيا؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، فكان ماذا؟ فدعا مسروراً الخادم، وقال: اتيني بشيء من ثربة هذه الأرض. فجاءه بثربة حمراء في يده، فلما رآها قال: والله هذه الكف التي رأيت، والثربة التي كانت فيها. قال جبريل: فوالله ما أتت عليه ثلاث حتى تُوفي رحمه الله.

وقد أمر بحفر قبره قبل موته في الدار التي كان فيها، وهي دار حميد بن أبي غانم الطائي، فجعل ينظر إلى قبره، وهو يقول: ابن آدم تصير إلى هذا! ثم أمر بثراء فقرءوا في القبر القرآن حتى حتموه، وهو في محقة على شفير القبر، ولما حضرته الوفاة احتبى بملاءة وجلس يُقاسي سكرات الموت، فقال له بعض من حضره: يا أمير المؤمنين، لو اضطجعت كان أهون عليك. فضحك ضحك صحيح، ثم قال: أما سمعت قول الشاعر:

وَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ يَزِيدُهُمْ شِمَاسًا وَصَبْرًا شِدَّةَ الْحَدَثَانِ

وكانت وفاته ليلة السبت، وقيل: ليلة الأحد. مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، عن خمس وأربعين سنة. فكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة.

تَرْجَمَةُ هَارُونَ الرَّشِيدِ

وَهَذِهِ تَرْجَمَتُهُ: هُوَ هَارُونُ الرَّشِيدِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنُ الْمَهْدِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَنْصُورِ أَبِي جَعْفَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ، أَبُو مُحَمَّدٍ، وَيُقَالُ: أَبُو جَعْفَرٍ. وَأُمُّهُ الْخَيْرَانُ أُمُّ وَلَدٍ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي شَوَّالِ سَنَةِ سِتِّ، وَبُوعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ مُوسَى الْهَادِي فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ، بَعْدَ مِنْ أَبِيهِ الْمَهْدِيِّ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَكَانَ الرَّشِيدُ أَبْيَضَ طَوِيلًا سَمِينًا جَمِيلًا.

وَقَدْ عَزَا الصَّائِمَةَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ مَرَارًا، وَعَقَدَ الْهَدَنَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ، بَعْدَ مُحَاصَرَتِهِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَقَدْ لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ جَهْدًا جَهِيدًا، وَخَوْفًا شَدِيدًا، وَكَانَ الصُّلْحُ مَعَ امْرَأَةِ الْيُونِ، وَهِيَ الْمُلْقَبَةُ بِأَعْسَطَةَ، عَلَى حَمَلٍ كَثِيرٍ تَبَدَّلُهُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ عَامٍ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ كَمَا تَقَدَّمَ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي حَدَا أَبَاهُ عَلَى أَنْ بَايَعَ لَهُ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ بَعْدَ أَخِيهِ مُوسَى الْهَادِي، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتِّ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ. ثُمَّ لَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَخِيهِ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ، كَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ سِيرَةً، وَأَكْثَرِهِمْ غَزْوًا وَحَجًّا بِنَفْسِهِ، وَهَذَا قَالَ فِيهِ أَبُو السَّعْلِيِّ:

وَمَنْ يَطْلُبُ لِقَاءَكَ أَوْ يُرِدُهُ
فَبِالْحَرَمَيْنِ أَوْ أَقْصَى الثُّغُورِ

فَفِي أَرْضِ الْعُدُوِّ عَلَى طِمْرٍ وَفِي أَرْضِ الْبَنِيَّةِ فَوْقَ كُورٍ
وَمَا حَارَ الثُّغُورَ سِوَاكَ خَلْقٌ مِنْ الْمُسْتَخْلَفِينَ عَلَى الْأُمُورِ

وَكَانَ يَتَصَدَّقُ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، وَإِذَا حَجَّ أَحَجَّ مَعَهُ مِائَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَبْنَائِهِمْ، وَإِذَا لَمْ يَحْجَّ أَحَجَّ ثَلَاثِمِائَةً بِالنَّفَقَةِ السَّابِعَةِ، وَالْكَسُوفَةِ الثَّامَّةِ، وَكَانَ يُحِبُّ التَّشْبُهَ بِجَدِّهِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ إِلَّا فِي الْعَطَاءِ، فَإِنَّهُ كَانَ سَرِيعَ الْعَطَاءِ جَزِيلَهُ، وَكَانَ يُحِبُّ الْفُقَهَاءَ، وَالشُّعْرَاءَ، وَيُعْطِيهِمْ كَثِيرًا، وَلَا يَضِيعُ لَدَيْهِ بُرٌّ وَلَا مَعْرُوفٌ، وَكَانَ نَفْسُ خَاتَمِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ رَكْعَةٍ تَطَوُّعًا، إِلَى أَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا، إِلَّا أَنْ تَعَرَّضَ لَهُ عِلَّةٌ.

وَكَانَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ الْمَدِينِيُّ هُوَ الَّذِي يُضْحِكُهُ، وَكَانَ عِنْدَهُ فَضِيلَةٌ بِأَحْبَارِ الْحِجَازِ، وَغَيْرِهَا، وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ أَنْزَلَهُ فِي قَصْرِهِ، وَخَلَطَهُ بِأَهْلِهِ. نَبَّهَهُ الرَّشِيدُ يَوْمًا إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ فَقَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ أَدْرَكَ الرَّشِيدَ، وَهُوَ يَقْرَأُ { وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي } فَقَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ: لَا أَدْرِي وَاللَّهِ. فَضَحِكَ الرَّشِيدُ، وَقَطَعَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَيْحَكَ! اجْتَنِبِ الصَّلَاةَ وَالْقُرْآنَ، وَلَكَ مَا عَدَا ذَلِكَ.

وَقَدْ شَرِبَ الرَّشِيدُ يَوْمًا دَوَاءً فَسَأَلَهُ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ أَنْ يَلِي الْحِجَابَةَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَمَهْمَا حَصَلَ لَهُ فَهُوَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَوَلَّاهُ الْحِجَابَةَ، فَجَاءَتِ الرُّسُلُ بِالْهَدَايَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ عِنْدِ زَيْدَةَ، وَالْبَرَامِكَةَ، وَكِبَارِ الْأَمْرَاءِ، فَكَانَ حَاصِلُهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَمَّا تَحْصَلُ،

فَأَحْبَرَهُ، قَالَ: فَأَيْنَ نَصِيْبِي؟ قَالَ: مَعْرُوفٌ. قَالَ: قَدْ صَالِحْتُكَ عَلَيْهِ بِعَشْرَةِ آلَافِ تُفَاحَةٍ.

وَقَدْ اسْتَدْعَى إِلَيْهِ أَبَا مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرَ مُحَمَّدَ بْنَ حَازِمٍ^١ لِيَسْمَعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ، قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: مَا ذَكَرْتُ عِنْدَهُ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا قَالَ: صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِي. وَإِذَا سَمِعَ حَدِيثًا فِيهِ مَوْعِظَةٌ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ الثَّرَى. وَأَكَلْتُ عِنْدَهُ يَوْمًا ثُمَّ قُمْتُ لِأَغْسِلَ يَدِي فَصَبَّ الْمَاءَ عَلَيَّ، وَأَنَا لَا أَرَاهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُعَاوِيَةَ، أَتَدْرِي مَنْ يَصُبُّ عَلَيْكَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: أَنَا. فَدَعَا لَهُ أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ تَعْظِيمَ الْعِلْمِ. وَقَدْ حَدَّثَنِي أَبُو مُعَاوِيَةَ يَوْمًا عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِحَدِيثٍ: «اِخْتَجَّ آدَمُ، وَمُوسَى»، فَقَالَ عَمَّ الرَّشِيدُ: أَيْنَ التَّقِيَا يَا أَبَا مُعَاوِيَةَ؟ فَغَضِبَ الرَّشِيدُ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَتَعْتَرِضُ عَلَى الْحَدِيثِ؟! عَلَيَّ بِالنَّطْعِ، وَالسَّيْفِ. فَأَحْضَرَ ذَلِكَ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ يَشْفَعُونَ فِيهِ، فَقَالَ الرَّشِيدُ: هَذِهِ زَنْدَقَةٌ. ثُمَّ أَمَرَ بِسَجْنِهِ، وَقَالَ: لَا يَخْرُجُ حَتَّى يُخْبِرَنِي مَنْ أَلْقَى إِلَيْهِ هَذَا. فَأَقْسَمَ بِالْإِيمَانِ الْمُعَلَّطَةِ مَا قَالَ لَهُ أَحَدٌ وَإِنَّمَا كَانَتْ بَادِرَةً مِنِّي، فَأَطْلَقَهُ.

^١ أبو معاوية محمد بن حازم السعدي الكوفي الضرير (١١٣ - ١٩٤ هـ): أحد الأعلام، من أئمة الحديث الثقات، وهو حافظ حجة، عمي بصره وهو ابن أربع سنين، فأقاموا عليه مأمناً، لزم الأعمش عشرين سنة وكان أحفظ الناس لحديثه. توفي سنة أربع وتسعين ومائة.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: دَخَلْتُ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مَضْرُوبُ الْعُنُقِ،
وَالسِّيَافُ يَمْسُحُ سَيْفَهُ فِي قَفَا الرَّجُلِ الْمَقْتُولِ، فَقَالَ هَارُونَ: قَتَلْتَهُ لِأَنَّهُ قَالَ:
الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ. فَقَتَلْتُهُ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، انظُرْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَبَا بَكْرٍ،
وَعُمَرَ، وَيُقَدِّمُوهُمَا فَأَكْرَمَهُمْ يَعَزُّ سُلْطَانُكَ. فَقَالَ الرَّشِيدُ: أَوْلَسْتُ كَذَلِكَ؟!
أَنَا وَاللَّهِ كَذَلِكَ أَحِبُّهُمَا، وَأَحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُمَا، وَأَعَاقِبُ مَنْ يُبْغِضُهُمَا.

وَقَالَ لَهُ ابْنُ السَّمَاكِ^١ أَوْ غَيْرُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ أَحَدًا مِنْ
هَؤُلَاءِ فَوْقَكَ، فَاجْتَهِدْ أَلَّا يَكُونَ فِيهِمْ أَحَدٌ أَطْوَعَ إِلَى اللَّهِ مِنْكَ. فَقَالَ: لَئِنْ
كُنْتُ أَقْصَرْتُ فِي الْكَلَامِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ فِي الْمَوْعِظَةِ.

وَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ السَّمَاكِ يَوْمًا فَاسْتَسْقَى الرَّشِيدُ، فَأُتِيَ بِقُلَّةٍ فِيهَا مَاءٌ مُبَرَّدٌ،
فَقَالَ لِابْنِ السَّمَاكِ: عِظْنِي. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِكُمْ كُنْتُ مُشْتَرِيًا هَذِهِ
الشَّرْبَةَ لَوْ مُنَعْتَهَا؟ فَقَالَ: بِنِصْفِ مُلْكِي. فَقَالَ: اشْرَبْ هَنِيئًا. فَلَمَّا شَرِبَ
قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ مُنِعْتَ خُرُوجَهَا مِنْ بَدَنِكَ، بِكُمْ كُنْتُ تَشْتَرِي ذَلِكَ؟ قَالَ:

^١ أبو العباس محمد بن صبيح العجلي الكوفي المعروف بـ (ابن السماك الواعظ): فقيه وزاهد وواعظ،
ولد في الكوفة وسكن بغداد لفترة، ثم رجع إلى الكوفة ومات فيها، وجاء لقبه (السَّمَاكِ) من بيع
السَّمَكِ وصيده، وعُرف بالزهد والورع، وفصاحة اللسان. دخل على الرشيد فوعظه وخوَّفه.

بِمُلْكِي كَلِّهِ. فَقَالَ: إِنَّ مُلْكًَا قِيمَتُهُ شَرِبَةُ مَاءٍ لِحَلِيقِ أَلَا يُتَنَافَسَ فِيهِ. فَبَكَى هَارُونَ.

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ، وَهُوَ يُقَلِّمُ أَطْفَارَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَخَذُ الْأَطْفَارِ يَوْمَ الْحَمِيسِ مِنَ السَّنَةِ، وَبَلَّغَنِي أَنَّ أَخَذَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَنْفِي الْفَقْرَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ تَحْشَى الْفَقْرَ؟! فَقَالَ: يَا أَصْمَعِيُّ، وَهَلْ أَحَدٌ أَحْشَى لِلْفَقْرِ مِنِّي؟

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدَّبِيِّ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ الرَّشِيدِ فَدَعَا طَبَّاحَهُ، فَقَالَ: أَعِنْدَكَ فِي الطَّعَامِ لَحْمٌ جَزُورٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَلَوَانُ مِنْهُ. فَقَالَ: أَحْضِرْهُ مَعَ الطَّعَامِ، فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَخَذَ لُقْمَةً مِنْهُ، فَوَضَعَهَا فِي فِيهِ، فَضَحِكَ جَعْفَرُ الْبَرْمَكِيُّ، فَتَرَكَ الرَّشِيدُ مَضْغَ اللَّقْمَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ذَكَرْتُ كَلَامًا دَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ جَارِيَتِي الْبَارِحَةِ. فَقَالَ: بِحَقِّي عَلَيْكَ لَمَّا أَخْبَرْتَنِي بِهِ. قَالَ: حَتَّى تَأْكُلَ هَذِهِ اللَّقْمَةَ، فَأَلْقَاهَا مِنْ فِيهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَتُحْبِرْتَنِي. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِكُمْ تَقُولُ إِنَّ هَذَا الطَّعَامَ مِنْ لَحْمِ الْجَزُورِ يُقَوِّمُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: بَارِبَعَةَ دَرَاهِمٍ. قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ بَارِبَعِمَائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ. قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّكَ طَلَبْتَ مِنْ طَبَّاحِكَ هَذَا لَحْمَ جَزُورٍ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ فَلَمْ يُوجَدْ عِنْدَهُ، فَقُلْتُ: لَا يَخْلُونَنَّ الْمَطْبُخُ مِنْ لَحْمِ جَزُورٍ، فَنَحْنُ نَنْحَرُ كُلَّ يَوْمٍ جَزُورًا؛ لِأَنَّ لَا نَشْتَرِي لَحْمَ الْجَزُورِ مِنَ السُّوقِ، فَصُرِفَ فِي لَحْمِ الْجَزُورِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ أَرْبَعِمَائَةَ

أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَمَ يَطْلُبُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَحْمَ الْجُزُورِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ، قَالَ جَعْفَرٌ: فَضَحِكْتُ؛ لِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا نَالَهُ مِنْ ذَلِكَ هَذِهِ اللَّقْمَةُ، فَهِيَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ. قَالَ: فَبَكَى الرَّشِيدُ بُكَاءً شَدِيدًا، وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يُوَجِّحُهَا، وَيَقُولُ: هَلَكْتُ وَاللَّهِ يَا هَارُونَ. وَأَمَرَ بِرَفْعِ السَّمَاطِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمَ يَزُلُ يَبْكِي حَتَّى آذَنَهُ الْمُؤَدِّثُونَ بِصَلَاةِ الظُّهْرِ، فَخَرَجَ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، ثُمَّ رَجَعَ يَبْكِي، وَقَدْ أَمَرَ بِالْفِي أَلْفٍ تُصْرَفُ إِلَى فُقَرَاءِ الْحَرَمَيْنِ، فِي كُلِّ حَرَمٍ أَلْفٍ أَلْفِ صَدَقَةٍ، وَأَمَرَ بِالْفِي أَلْفٍ يَتَصَدَّقُ بِهَا فِي جَانِبِي بَغْدَادَ؛ الْغُرِّيِّ، وَالشَّرْقِيِّ، وَبِأَلْفِ أَلْفٍ يَتَصَدَّقُ بِهَا عَلَى فُقَرَاءِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ. ثُمَّ خَرَجَ لِصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ رَجَعَ يَبْكِي حَتَّى صَلَّى الْمَغْرِبَ، ثُمَّ رَجَعَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي^١، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَاكِيًا فِي هَذَا الْيَوْمِ؟ فَذَكَرَ أَمْرَهُ، وَمَا صَرَفَ مِنَ الْمَالِ الْجَزِيلِ لِأَجْلِ شَهْوَتِهِ، وَإِنَّمَا نَالَهُ مِنْهَا لُقْمَةً، فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ لَجَعْفَرٍ: هَلْ كَانَ مَا يَذْبَحُونَهُ مِنَ الْجُزُورِ يَفْسَدُ، أَوْ يَأْكُلُهُ النَّاسُ؟ قَالَ: بَلْ يَأْكُلُهُ النَّاسُ. فَقَالَ: أَبَشِّرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِثَوَابِ اللَّهِ فِيمَا صَرَفْتَهُ مِنَ الْمَالِ الَّذِي أَكَلَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ، وَمَا يَسْرُهُ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَمَا رَزَقَكَ اللَّهُ مِنْ حَشِيَّتِهِ وَخَوْفِهِ فِي هَذَا

^١ أبو يوسف (١١٣ - ١٨٢ هـ) يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المشهور بأبي يوسف وهو من تلاميذ الإمام أبي حنيفة النعمان، وأخذ الحديث، وتولى القضاء، ومنح لقب قاضي القضاة، توفي في عصر هارون الرشيد سنة ١٨٢ هـ.

الْيَوْمِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ} فَأَمَرَ لَهُ الرَّشِيدُ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ اسْتَدْعَى بِطَعَامٍ، فَأَكَلَ مِنْهُ فَكَانَ عَدَاؤُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَشَاءً.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْجَاحِظُ: اجْتَمَعَ لِلرَّشِيدِ مِنَ الْجِدِّ وَالْهَزْلِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لِعَيْرِهِ، كَانَ أَبُو يُوسُفَ قَاضِيَهُ، وَالْبَرَامِكَةُ وَرِزَاءُهُ، وَحَاجِبُهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ أُنْبِيَهُ النَّاسِ، وَأَشَدُّهُمْ تَعَاظُمًا، وَنَدِيمُهُ عَمُّ أَبِيهِ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ صَاحِبُ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَشَاعِرُهُ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ^١، وَمُعَنِّيهِ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ^٢ وَاحِدُ عَصْرِهِ فِي صِنَاعَتِهِ، وَضَارِبُهُ زَلْزَلٌ، وَزَامِرُهُ بَرُصُومًا، وَرَوْحَتُهُ أُمُّ جَعْفَرٍ يَعْنِي زُبَيْدَةَ، وَكَانَتْ أَرْغَبَ النَّاسِ فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَأَسْرَعَهُمْ إِلَى كُلِّ بَرٍّ وَمَعْرُوفٍ، أَدْحَلَتِ الْمَاءَ الْحَرَمَ بَعْدَ امْتِنَاعِهِ مِنْ ذَلِكَ، إِلَى أَشْيَاءَ مِنَ الْمَعْرُوفِ.

^١ مروان بن أبي حفصة الأموي (١٠٥ - ١٨٢ هـ): شاعر عالي الطبقة، من شعراء صدر الإسلام، يكنى أبا السيمط. وأدرك العصرين الأموي والعباسي، مدح الخلفاء والأمراء، وسائر شعره سائر لحسنه وفحولته، وقد دفع ثمن تعصبه للعباسيين حياته، إذ اغتاله بعض المتطرفين من الشيعة العلويين ببغداد. ولقد كان بخيلاً مقترًا على نفسه، له حكايات في البخل.

^٢ إبراهيم الموصلي (١٢٥ - ٢١٣ هـ): أحد أشهر المغنين في العصر العباسي. فارسي الأصل ولد بالكوفة، و توفي أبوه وعمره ثلاث سنين، ولقب الموصلي لإقامته في الموصل تربي عند بني تميم والتحق بالكتاب فلم يتعلم شيئاً بسبب شغفه وحبه للغناء ولهذا السبب لقي محاربة من أسرته.

وَرَوَى الْخَطِيبُ الْبُعْدَادِيُّ أَنَّ الرَّشِيدَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّا مِنْ قَوْمٍ عَظُمَتْ رِزِيَّتُهُمْ، وَحَسُنَتْ بَقِيَّتُهُمْ، وَرَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَقِيَتْ فِيْنَا خِلَافَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَبَيْنَمَا الرَّشِيدُ يَطُوفُ يَوْمًا بِالْبَيْتِ إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكَلِّمَكَ بِكَلَامٍ فِيهِ غِلْظَةٌ. فَقَالَ: لَا، وَلَا نَعِمْتُ عَيْنٌ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ إِلَى مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي فَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا.

وَعَنْ شُعَيْبِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: رَأَيْتُ الرَّشِيدَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: قَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَخَوَّفْتَنِي، وَقَالَتْ: إِنَّهُ الْآنَ يَضْرِبُ عُنُقَكَ. فَقُلْتُ: لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ. فَنَادَيْتُهُ: فَقُلْتُ: يَا هَارُونَ، قَدْ أَتَعَبْتَ الْأُمَّةَ، وَالْبَهَائِمَ. فَقَالَ: حُدُوهُ. فَأُدْحِلْتُ عَلَيْهِ، وَفِي يَدِهِ لَتٌّْ مِنْ حَدِيدٍ يَلْعَبُ بِهِ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ، فَقَالَ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ: ثَكَلْتِكَ أُمَّكَ، مِمَّنِ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: مِنَ الْأَبْنَاءِ. فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ دَعَوْتَنِي بِاسْمِي؟ قَالَ: فَحَطَرَ بِيَالِي شَيْءٌ لَمْ يَحْطُرْ بِيَالِي قَبْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا أَدْعُو اللَّهَ بِاسْمِهِ، يَا اللَّهُ، يَا رَحْمَنُ، أَفَلَا أَدْعُوكَ بِاسْمِكَ؟! وَهَذَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ دَعَا أَحَبَّ خَلْقِهِ إِلَيْهِ بِاسْمِهِ: مُحَمَّدًا، وَكَيْتَى أْبَعْضَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، فَقَالَ { تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ } فَقَالَ الرَّشِيدُ: أَخْرِجُوهُ أَخْرِجُوهُ.

وَقَالَ لَهُ ابْنُ السَّمَاكِ يَوْمًا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ تَمُوتُ وَحَدَاكَ، وَتُقْبَرُ وَحَدَاكَ، فَاحْذَرِ الْمَقَامَ بَيْنَ يَدَيْ الْجَبَّارِ، وَالْوُقُوفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حِينَ

يُؤْخَذُ بِالْكَظْمِ، وَتَزِلُّ الْقَدَمُ، وَيَقَعُ النَّدَمُ، فَلَا تَوْبَةَ تُنَالُ، وَلَا عَشْرَةَ تُقَالُ، وَلَا يُقْبَلُ فِدَاءٌ بِمَالٍ. فَجَعَلَ الرَّشِيدُ يَبْكِي حَتَّى عَلَا صَوْتُهُ، فَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لَهُ: يَا بَنَ السَّمَاءِ! لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّيْلَةَ. فَقَامَ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، وَهُوَ يَبْكِي.

وَقَالَ لَهُ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ فِي جُمْلَةٍ مَوْعِظَتِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ: يَا صَبِيحَ الْوَجْهِ، إِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى { وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } قَالَ: حَدَّثْنَا لَيْثٌ، عَنْ مُجَاهِدٍ: الْوُصَلَاتُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا. فَبَكَى حَتَّى جَعَلَ يَشْهَقُ.

وَقَالَ الْأَصَمِيُّ: اسْتَدْعَانِي الرَّشِيدُ يَوْمًا، وَقَدْ زَحْرَفَ مَنَازِلَهُ، وَأَكْثَرَ الطَّعَامَ، وَالشَّرَابَ، وَاللَّدَاتِ فِيهَا، ثُمَّ اسْتَدْعَى أَبَا الْعَتَاهِيَةَ، فَقَالَ لَهُ: صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ، وَالنَّعِيمِ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْفُصُورِ
يَسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اسْتَهَيْدَ تَ لَدَى الرِّوَاكِ وَفِي الْبُكُورِ
فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَعَّقَعَتْ عَنْ ضَيْقِ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي عُرُورِ

فَبَكَى الرَّشِيدُ بُكَاءً شَدِيدًا. فَقَالَ الْفُضَلُ بْنُ يَحْيَى: دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِتَسْرَهُ فَأَحْزَنْتَهُ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: دَعُهُ؛ فَإِنَّهُ رَأَانَا فِي عَمَى فِكْرِهِ أَنْ يَرِيدَنَا عَمَى.

وَمِنْ وَجْهِ آخَرَ أَنَّ الرَّشِيدَ قَالَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ: عِظْنِي بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَأَوْجِزْ.
فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لَا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ وَلَوْ تَمَنَعْتَ بِالْحُجَابِ وَالْحَرَسِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ سِهَامَ الْمَوْتِ قَاصِدَةٌ لِكُلِّ مُدْرِعٍ مِنْهَا وَمُتْرَسِ
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ
فَحَرَّ الرَّشِيدُ مَعْشِيًا عَلَيْهِ^١.

وَفَضَائِلُهُ، وَمَكَارِمُهُ، وَمَآثِرُهُ، وَأَشْعَارُهُ كَثِيرَةٌ، قَدْ أوردَ الأئمةُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا
كَثِيرًا، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ أَعْوَدًا صَالِحًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَقَدْ كَانَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ يَقُولُ: لَيْسَ أَحَدٌ أَعَزَّ عَلَيْنَا مِنْ مَوْتِ هَارُونَ
الرَّشِيدِ، وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمُرِهِ مِنْ عُمُرِي. قَالُوا: فَلَمَّا مَاتَ الرَّشِيدُ،
وَطَهَّرَتْ تِلْكَ الْفِتْنُ وَالْإِخْتِلَافَاتُ، وَالْقَوْلُ بِحُلُقِ الْقُرْآنِ^٢، عَرَفْنَا مَا كَانَ يَحْمِلُ
الْفُضَيْلَ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا رَأَهُ فِي مَنَامِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَفِيهِ تُرْبَةٌ حَمْرَاءُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: هَذِهِ تُرْبَةُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَانَتْ بِطُوسَ.

^١ الترجمة التي ساقها ابن كثير لهارون الرشيد طويلة اكتفيت منها بما سبق.

^٢ ظهر القول بحلق القرآن في عصر المأمون.

وَقَدَّمْنَا أَنَّهُ أَمَرَ بِحُفْرِ قَبْرِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَأَمَرَ بِقِرَاءَةِ حَتْمَةٍ فِيهِ، وَأَنَّهُ حُمِلَ حَتَّى نَظَرَ
إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَقُولُ: إِلَى هَهُنَا تَصِيرُ يَا بَنَ آدَمَ! وَيَبْكِي، وَأَمَرَ أَنْ يُوسَّعَ عِنْدَ
صَدْرِهِ، وَأَنْ يُمَدَّ مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ { مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيهِ هَلَكَ
عَنِّي سُلْطَانِيهِ } وَيَبْكِي.

وَيُقَالُ: إِنَّ آخَرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ حِينَ اخْتَضَرَ: اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِالْإِحْسَانِ، وَاغْفِرْ لَنَا
الْإِسَاءَةَ، يَا مَنْ لَا يَمُوتُ، ارْحَمْ مَنْ يَمُوتُ.

وَكَانَ مَرَضُهُ بِالذَّمِّ، وَقِيلَ: بِالسُّلِّ. وَكَانَ جِبْرِيلُ بْنُ بَحْتِشُوعَ يَكْتُمُهُ مَا بِهِ مِنْ
الْعِلَّةِ، فَأَمَرَ الرَّشِيدُ رَجُلًا أَنْ يَأْخُذَ مَاءَهُ فِي قَارُورَةٍ، وَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى جِبْرِيلَ
فَيَرِيئُهُ إِيَّاهُ، عَلَى أَنَّهُ لِمَرِيضٍ عِنْدَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ: هَذَا مِثْلُ مَاءِ
ذَلِكَ الرَّجُلِ. فَفَهُمَ صَاحِبُ الْقَارُورَةِ مَنْ عَنَى بِهِ، فَقَالَ لَهُ: بِاللَّهِ عَلَيْكَ أَحْبِرْنِي
عَنْ حَالِ صَاحِبِ هَذَا الْمَاءِ؛ فَإِنَّ لِي عَلَيْهِ مَالًا، فَإِنْ كَانَ بِهِ رَجَاءٌ، وَإِلَّا
أَخَذْتُهُ مِنْهُ. فَقَالَ: أَذْهَبَ فَتَخَلَّصَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَعِيشُ إِلَّا أَيَّامًا. فَلَمَّا جَاءَ،
وَأَحْبَرَ الرَّشِيدَ، بَعَثَ إِلَى جِبْرِيلَ فَتَغَيَّبَ حَتَّى مَاتَ الرَّشِيدُ.

مَاتَ بِطُوسَ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَلَاثِ حُلُوفٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثِ وَتِسْعِينَ
وَمِائَةٍ. وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً. وَمُدَّةُ وِلَايَتِهِ لِلْخِلَافَةِ ثَلَاثِ
وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَشَهْرٌ، وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ صَالِحٌ، وَدُفِنَ
بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى طُوسَ يُقَالُ لَهَا سَنَابَادُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَسَاحَهُ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ.

وَقَدْ حَلَفَ الرَّشِيدُ مِنَ الْمِيرَاثِ مَا لَمْ يُخْلِفْهُ أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ، مِنَ الْجَوَاهِرِ،
وَالْأَثَاثِ، وَالْأَمْتَعَةِ سِوَى الصِّيَاعِ، وَالذُّورِ مَا قِيمَتُهُ مِائَةٌ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ،
وَحَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَكَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ لِمَصَالِحِ
النَّاسِ تِسْعُمِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ، وَنَيْفٍ.

ذِكْرُ زَوْجَاتِهِ، وَبَنِيهِ، وَبَنَاتِهِ

تَزَوَّجَ أُمَّ جَعْفَرٍ زُبَيْدَةَ؛ بِنْتَ عَمِّهِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، فِي سَنَةِ حَمْسٍ
وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ الْمَهْدِيِّ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ، وَمَاتَتْ فِي سَنَةِ
سِتِّ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ كَمَا سَيَأْتِي. وَتَزَوَّجَ أُمَّةَ الْعَزِيزِ أُمَّمٌ وَلَدَتْ لِأَخِيهِ مُوسَى
الْهَادِي فَوَلَدَتْ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الرَّشِيدِ. وَتَزَوَّجَ أُمَّ مُحَمَّدٍ بِنْتَ صَالِحِ الْمِسْكِينِ،
وَالْعَبَّاسَةَ بِنْتَ عَمِّهِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، فزَفَّتَا إِلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ سَنَةَ سَبْعٍ
وَتَمَانِينَ وَمِائَةٍ بِالرَّقَّةِ. وَتَزَوَّجَ عَزِيزَةَ بِنْتَ الْعَطْرِيفِ، وَهِيَ بِنْتُ حَالِهِ أَخِي أُمِّهِ
الْحَيْزُرَانَ، وَتَزَوَّجَ ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ
عَقَّانَ الْعُثْمَانِيَّةَ، وَيُقَالُ لَهَا: الْجُرَشِيَّةُ. لِأَنَّهَا وُلِدَتْ بِجُرَشَ بِالْيَمَنِ. وَتُوِّفِيَ الرَّشِيدُ
عَنْ أَرْبَعِ حَرَائِرَ: زُبَيْدَةَ، وَعَبَّاسَةَ، وَابْنَةَ صَالِحِ، وَالْعُثْمَانِيَّةَ هَذِهِ. وَأَمَّا الْحُطَايَا
مِنَ الْجَوَارِي فَكَثِيرٌ جِدًّا حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ فِي دَارِهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ
جَارِيَّةً.

وَأَمَّا أَوْلَادُهُ الذُّكُورُ فَمُحَمَّدُ الْأَمِينُ بْنُ زُبَيْدَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ الْمَأْمُونُ مِنْ جَارِيَةِ اسْمِهَا مَرَّاجِلُ، وَمُحَمَّدُ أَبُو إِسْحَاقَ الْمُعْتَصِمُ مِنْ أُمِّ وَلَدٍ يُقَالُ لَهَا: مَارِدَةٌ، وَالْقَاسِمُ الْمُؤْتَمَنُ مِنْ جَارِيَةٍ يُقَالُ لَهَا: قَصْفُ. وَعَلِيٌّ أُمُّهُ أَمَةُ الْعَزِيزِ، وَصَالِحُ مِنْ جَارِيَةٍ اسْمُهَا رَثْمٌ، وَمُحَمَّدُ أَبُو يَعْقُوبَ، وَمُحَمَّدُ أَبُو عَيْسَى، وَمُحَمَّدُ أَبُو الْعَبَّاسِ، وَمُحَمَّدُ أَبُو عَلِيٍّ، كُلُّ هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِ.

وَمِنَ الْإِنَاثِ سَكِينَةُ مِنْ قَصْفٍ، وَأُمُّ حَبِيبٍ مِنْ مَارِدَةَ، وَأَرْوَى، وَأُمُّ الْحَسَنِ، وَأُمُّ مُحَمَّدٍ حَمْدُونَةَ، وَفَاطِمَةُ، وَأُمُّهَا غُصَصُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَحَدِيحَةُ، وَأُمُّ الْقَاسِمِ، وَرَمْلَةُ، وَأُمُّ عَلِيٍّ، وَأُمُّ الْعَالِيَةِ، وَرَبِطَةُ، كُلُّهُنَّ مِنْ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِ.

خِلاَفَةُ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ

لَمَّا تُوفِّيَ الرَّشِيدُ بِطُوسَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ كَتَبَ صَالِحُ بْنُ الرَّشِيدِ إِلَى أَخِيهِ، وَلِيِّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّشِيدِ الْمُلَقَّبِ بِالْأَمِينِ، وَهُوَ ابْنُ زُبَيْدَةَ، يُعَلِّمُهُ بِنِعْدَادِ بَوَاقَةِ أَبِيهِ، وَيُعَزِّبُهُ فِيهِ، فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ صُحْبَةَ رَجَاءِ الْحَادِمِ، وَمَعَهُ الْحَاتِمُ، وَالْقَضِيبُ وَالْبُرْدَةُ يَوْمَ الْحَمِيسِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ فَركبَ الْأَمِينُ مِنْ قَصْرِهِ بِالْحُلَيْدِ إِلَى قَصْرِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ قَصْرُ الذَّهَبِ عَلَى شَطْرِ بَغْدَادَ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ النَّصْفِ مِنْ جُمَادَى، فَصَلَّى بِالنَّاسِ ثُمَّ صَعَدَ الْمَنْبَرِ، فَحَطَبَهُمْ، وَعَزَّاهُمْ فِي الرَّشِيدِ، وَبَسَطَ آمَالَ النَّاسِ، وَوَعَدَهُمُ الْخَيْرَ، فَبَايَعَهُ

الْحَوَاصُّ مِنْ قَوْمِهِ، وَوُجُوهُ الْأَمْرَاءِ، وَأَمَرَ بِصَرْفِ أُعْطِيَاتِ الْجُنْدِ عَن سَنَتَيْنِ،
ثُمَّ نَزَلَ وَأَمَرَ عَمَّهُ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْعَةَ لَهُ مِنْ بَقِيَّةِ النَّاسِ،
فَلَمَّا انْتَضَمَ أَمْرُ الْأَمِينِ بِبَغْدَادَ، وَاسْتَقَامَ حَالُهُ فِيهَا حَسَدَهُ أَحْوَهُ الْمَأْمُونُ وَوَقَعَ
الْحِلْفُ بَيْنَهُمَا عَلَى مَا سَنَدَكُرُهُ.

الْحِلْفُ بَيْنَ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ

وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا كَانَ قَدْ وَصَلَ إِلَى أَوَّلِ بِلَادِ حُرَّاسَانَ
وَهَبَ جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْحَوَاصِلِ، وَالذَّوَابِ، وَالسِّلَاحِ لَوْلَدِهِ الْمَأْمُونِ
وَجَدَّ لَهُ الْبَيْعَةَ، وَكَانَ الْأَمِينُ قَدْ بَعَثَ بَكْرَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ بِكُتُبٍ فِي خَفِيَّةٍ
لِيُوصِلَهَا إِلَى الْأَمْرَاءِ إِذَا مَاتَ الرَّشِيدُ، فَلَمَّا تُوِّجِيَ الرَّشِيدُ نَفَذَتِ الْكُتُبُ إِلَى
الْأَمْرَاءِ، وَإِلَى صَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ، وَفِيهَا كِتَابٌ إِلَى الْمَأْمُونِ يَأْمُرُهُ بِالسَّمْعِ
وَالطَّاعَةِ، فَأَخَذَ صَالِحُ الْبَيْعَةَ مِنَ النَّاسِ لِلْأَمِينِ، وَارْتَحَلَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ
الْحَاجِبُ بِالْجَيْشِ إِلَى بَغْدَادَ وَقَدْ بَقِيَ فِي نُفُوسِهِمْ تَخَرُّجٌ مِنَ الْبَيْعَةِ الَّتِي أَخَذَتْ
مِنْهُمْ لِلْمَأْمُونِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمُ الْمَأْمُونُ يَدْعُوهُمْ إِلَى بَيْعَتِهِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، فَوَقَعَتْ
الْوَحْشَةُ بَيْنَ الْأَخْوَيْنِ، وَلَكِنْ تَحَوَّلَ عَامَّةُ الْجَيْشِ إِلَى الْأَمِينِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ
الْمَأْمُونُ إِلَى أَخِيهِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالتَّعْظِيمِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ مِنْ هَدَايَا حُرَّاسَانَ
وَمُخَفَهَا، مِنَ الذَّوَابِ، وَالْمِسْكِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهُوَ نَائِبٌ عَلَيْهَا، وَقَدْ أَمَرَ

الْأَمِينُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ السَّبْتِ بَعْدَ أَخْذِ الْبَيْعَةِ لَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَيْنَ مَيْدَانَيْنِ
لِلصَّوَالِحَةِ^١.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَعْبَانَ مِنْهَا قَدِمَتْ زُبَيْدَةُ مِنَ الرَّقَّةِ بِالْحَزَائِنِ، وَمَا كَانَ
عِنْدَهَا مِنَ التُّحَفِ وَالثِّيَابِ، فَتَلَقَّاهَا ابْنُهَا الْأَمِينُ إِلَى الْأَنْبَارِ وَمَعَهُ وَجْهُ
النَّاسِ.

وَأَقَرَّ الْأَمِينُ أَخَاهُ الْمَأْمُونُ عَلَى مَا تَحْتَّ يَدِهِ مِنْ حُرَّاسَانَ وَالرَّيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ،
وَأَقَرَّ أَخَاهُ الْقَاسِمَ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَالثُّغُورِ، وَأَقَرَّ عُمَالَ أَبِيهِ عَلَى الْبِلَادِ إِلَّا الْقَلِيلَ
مِنْهُمْ.

وَمَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ نِفْصُورُ مَلِكِ الرُّومِ، قَتَلَهُ الْبُرْجَانُ، وَكَانَ مُلْكُهُ سَبْعَ سِنِينَ،
وَأَقَامَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ إِسْتَبْرَاقُ شَهْرَيْنِ فَمَاتَ، فَمَلَكَهُمْ مِيخَائِيلُ زَوْجُ أُخْتِ نِفْصُورَ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ.

وَفِيهَا تَوَاقَعَ هَرْتَمَةُ بْنُ أَعْيَنَ نَائِبُ حُرَّاسَانَ وَرَافِعُ بْنُ اللَّيْثِ، فَاسْتَجَاشَ رَافِعُ
بِالْثُّرُكِ، ثُمَّ هَرَبُوا وَبَقِيَ رَافِعُ وَحْدَهُ فَضَعُفَ أَمْرُهُ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً، وَفِيهَا خَلَعَ أَهْلُ حِمَصَ نَائِبَهُمْ، فَعَزَلَهُ
عَنْهُمْ الْأَمِينُ، وَوَلَّى عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعِيدِ الْحَرَشِيِّ، فَقَتَلَ طَائِفَةً مِنْ

وُجُوهَهَا، وَحَرَّقَ نَوَاحِيهَا بِالنَّارِ، فَسَأَلُوهُ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ، ثُمَّ هَاجُوا، فَضَرَبَ
أَعْنَاقَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَيْضًا.

وَفِيهَا عَزَلَ الْأَمِينُ أَخَاهُ الْقَاسِمَ عَنِ الْجَزِيرَةِ وَالثُّعُورِ، وَوَلَّى عَلَى ذَلِكَ خُرَيْمَةَ بْنَ
خَازِمٍ، وَأَمَرَ أَخَاهُ بِالْمَقَامِ عِنْدَهُ بِبَغْدَادَ.

وَفِيهَا أَمَرَ الْأَمِينُ بِالدُّعَاءِ لَوْلَدِهِ مُوسَى عَلَى الْمَنَابِرِ فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ،
وَبِالْإِمْرَةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَسَمَّاهُ النَّاطِقَ بِالْحَقِّ، ثُمَّ يُدْعَى بَعْدَهُ لِلْمَأْمُونِ، ثُمَّ لِلْقَاسِمِ،
وَمِنْ نِيَّةِ الْأَمِينِ الْوَفَاءُ لِأَخَوَيْهِ بِمَا شَرَطَ هُمَا، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ
حَتَّى غَيَّرَ بَيْتَهُ فِي أَخَوَيْهِ، وَحَسَّنَ لَهُ حَلْعَ الْمَأْمُونِ وَالْقَاسِمِ، وَصَعَّرَ عِنْدَهُ شَأْنَ
الْمَأْمُونِ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ حَوْفُهُ مِنَ الْمَأْمُونِ إِنْ أَفْضَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ يَوْمًا
مِنَ الدَّهْرِ، فَيَسْعَى فِي حُلْعِهِ، وَزَوَالَ الْوِلَايَةِ عَنْهُ، فَوَافَقَهُ الْأَمِينُ عَلَى ذَلِكَ،
وَأَمَرَ بِالدُّعَاءِ لَوْلَدِهِ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ بِوِلَايَةِ عَهْدِهِ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا.
فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَأْمُونُ قَطَعَ الْبَرِيدَ عَنْهُ، وَتَرَكَ ضَرْبَ اسْمِهِ عَلَى السِّكَّةِ
وَالطُّرُزِ، وَتَنَكَّرَ لِأَخِيهِ الْأَمِينِ.

وَبَعَثَ رَافِعُ بْنُ اللَّيْثِ^١ إِلَى الْمَأْمُونِ يَسْأَلُ مِنْهُ الْأَمَانَ فَأَمَّتَهُ، فَسَارَ إِلَيْهِ بِمَنْ
مَعَهُ، فَأَكْرَمَهُ الْمَأْمُونُ وَعَظَّمَهُ، وَجَاءَ هَرَمَةُ عَلَى إِثْرِهِ فَتَلَقَّاهُ الْمَأْمُونُ وَوُجُوهُ

^١ رافع بن الليث بن نصر بن سيار: ثائر، من بيت إمارة ورياسة. كان مقيماً فيما وراء النهر،
بسمرقند، وناب فيها أيام الرشيد العباسي، وعزل وحبس بسبب امرأة، وهرب من الحبس، فقتل

النَّاسِ، وَوَلَاهُ الْحَرَسَ، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَمِينَ أَنَّ الْجُنُودَ قَدِ اتَّفَقَتْ عَلَى أَخِيهِ الْمَأْمُونِ سَاءَهُ ذَلِكَ وَأَنْكَرَهُ، وَكَتَبَ إِلَى الْمَأْمُونِ كِتَابًا وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رُسُلًا ثَلَاثَةً مِنْ أَكْبَارِ الْأَمْرَاءِ، يَسْأَلُهُ أَنْ يُجِيبَهُ إِلَى تَقْدِيمِ وَلَدِهِ مُوسَى عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ قَدْ سَمَّاهُ النَّاطِقَ بِالْحَقِّ، فَأَظْهَرَ الْمَأْمُونُ الْإِمْتِنَاعَ، وَشَرَعُوا فِي مُطَابَعَتِهِ، وَمُلَائِنَتِهِ، وَأَنْ يُجِيبَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَأَبَى كُلَّ الْإِبَاءِ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيسَى: فَقَدْ خَلَعَ أَبِي نَفْسَهُ فَمَاذَا كَانَ؟ فَقَالَ: إِنَّ أَبَاكَ كَانَ أَمْرًا مُكْرَهًا، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْمَأْمُونُ يَعِدُّ الْعَبَّاسَ وَمُجِيبَهُ حَتَّى بَايَعَهُ بِالْخِلَافَةِ، ثُمَّ لَمَّا رَجَعَ إِلَى بَعْدَادَ كَانَ يُرْسِلُهُ بِمَا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ يَبْعُدَادَ وَيُنَاصِحُهُ، وَلَمَّا رَجَعَ الرُّسُلُ إِلَى الْأَمِينَ أَخْبَرُوهُ بِمَا كَانَ مِنْ جَوَابِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَمَّمَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى الْأَمِينَ فِي خَلْعِ الْمَأْمُونِ فَخَلَعَهُ، وَأَمَرَ بِالِدُعَاءِ لَوْلَدِهِ فِي الْعِرَاقِ كُلِّهِ وَبِلَادِ الْحِجَازِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَسَمَّاهُ النَّاطِقَ بِالْحَقِّ، وَجَعَلُوا مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي الْمَأْمُونِ وَيَذْكُرُ مَسَاوِيَهُ، وَبَعَثُوا إِلَى مَكَّةَ فَأَخَذُوا الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَهُ الرَّشِيدُ، وَأَوْدَعَهُ فِي الْكَعْبَةِ، فَمَرَّقَهُ الْأَمِينَ، وَأَكْتَدُوا الْبَيْعَةَ لِلنَّاطِقِ بِالْحَقِّ مُوسَى بْنِ الْأَمِينَ عَلَى مَا يَلِيهِ أَبُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَجَرَتْ بَيْنَ الْأَمِينَ وَالْمَأْمُونِ مُمَكَّاتِبَاتٌ وَرُسُلٌ يَطُولُ بَسْطُهَا، ثُمَّ آَلَ الْحَالُ إِلَى أَنْ احْتَفَظَ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى بِلَادِهِ وَحَصَّنَهَا وَهَيَأَ الْجِيُوشَ وَالْجُنُودَ وَتَأَلَّفَ الرَّعَايَا.

العامل على سمرقند، واستولى عليها سنة ١٩٠ هـ وخلع طاعة الرشيد، ودعا إلى نفسه. وسار إليه نائب خراسان علي بن عيسى، فظفر رافع.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَدَّتِ الرُّومُ عَلَى مَلَائِكِهِمْ مِيحَائِيلَ فَرَامُوا حَلْعَهُ وَقَتَلَهُ فَتَرَكَ
الْمُلْكَ وَتَرَهَّبَ، وَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ لِيُونَ.

بديعة الحرب بين الأمين والمأمون

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ حَمْسٌ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً، فَفِي صَفَرٍ مِنْهَا أَمَرَ الْأَمِينُ الْأَ تَتَعَامَلُوا
بِالدَّرَاهِمِ وَالِدَّنَانِيرِ الَّتِي عَلَيْهَا اسْمُ الْمَأْمُونِ، وَهِيَ أَنْ يُدْعَى لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ،
وَأَنْ يُقْتَصَرَ عَلَى الدُّعَاءِ لَهُ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لَوْلَدِهِ النَّاطِقِ بِالْحَقِّ.
وَفِيهَا تَسَمَّى الْمَأْمُونُ بِإِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَفِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْهَا عَقَدَ الْأَمِينُ لِعَلِيِّ بْنِ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ الْإِمَارَةَ عَلَى
الْجَبَلِ، وَهَمْدَانَ، وَأَصْبَهَانَ وَقُمَّ، وَتِلْكَ الْبِلَادِ، وَأَمَرَهُ بِحَرْبِ الْمَأْمُونِ وَجَهَّزَ مَعَهُ
جَيْشًا كَثِيرًا، وَأَنْفَقَ فِيهِمْ نَفَقَاتٍ عَظِيمَةً، وَأَعْطَاهُ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَلَوْلَدِهِ
حَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَلْفِي سَيْفٍ مُحَلَّى، وَسِتَّةَ أَلْفِ ثَوْبٍ لِلْخَلْعِ.

وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ مِنْ بَغْدَادَ فِي أَرْبَعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَمَعَهُ قَيْدٌ
مِنْ فِضَّةٍ؛ لِيَأْتِيَ بِالْمَأْمُونِ فِيهِ. وَخَرَجَ الْأَمِينُ مَعَهُ مُشْتَبِعًا، فَسَارَ حَتَّى وَصَلَ
إِلَى الرَّيِّ فَتَلَقَّاهُ الْأَمِيرُ طَاهِرٌ^١ فِي أَرْبَعَةِ أَلْفٍ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ أُمُورٌ آلَ الْحَالِ

^١ طاهر بن الحسين بن زريق ماهان الخزاعي ولد سنة ١٥٩هـ وهو أشهر قائد في قوات الخليفة العباسي المأمون وكان يعرف بذي اليمينين. وقد سيّره لمحاربة أخيه الأمين من خراسان لما خلع بيعته، فتقدم طاهر إلى بغداد بعد كسر جيش الخليفة بالري وأخذ ما في طريقه من البلاد وحاصر

فِيهَا إِلَى أَنْ افْتَتَلُوا، فُقْتِلَ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى، وَأُهْزِمَ أَصْحَابُهُ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ وَجُثَّتْهُ إِلَى الْأَمِيرِ طَاهِرٍ، فَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى وَزِيرِ الْمَأْمُونِ ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ^١. وَكَانَ الَّذِي قَتَلَ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ طَاهِرُ الصَّغِيرِ؛ فَسُمِّيَ ذَا الْيَمِينِ لِأَنَّهُ أَخَذَ السَّيْفَ بِيَدَيْهِ الثَّنَتَيْنِ، فَذَبَحَ بِهِ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ الْمَأْمُونُ وَذَوُوهُ.

وَأَنْتَهَى الْحَرْبُ إِلَى الْأَمِينِ وَهُوَ يَصِيدُ السَّمَكَ مِنْ دِجْلَةَ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، دَعَنِي مِنْ هَذَا؛ فَإِنَّ كَوْنَنَا قَدْ صَادَ سَمَكَتَيْنِ، وَلَمْ أَصِدْ بَعْدُ شَيْئًا. وَأَرْجَفَ النَّاسُ بِعِدَادٍ، وَخَافُوا غَائِلَةَ هَذَا الْأَمْرِ، وَنَدِمَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ نَكْثِ الْعَهْدِ، وَحَلَعَ أَخِيهِ الْمَأْمُونِ وَمَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الْقَطِيعِ. وَكَانَ رُجُوعُ الْحَرْبِ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ فِي شَوَالٍ مِنْهَا.

ثُمَّ جَهَّزَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَبَلَةَ الْأَبْنَاوِيُّ فِي عِشْرِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ إِلَى هَمْدَانَ لِيُقَاتِلُوا طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْعَبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخُرَّاسَانِيَّةِ، فَلَمَّا افْتَرَبُوا مِنْهُمْ تَوَاجَهُوا، فَتَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَكَثُرَتِ الْقَتْلَى بَيْنَهُمْ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ أُهْزِمَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبَلَةَ فَلَجُّوا إِلَى هَمْدَانَ، فَحَاصَرَهُمْ بِهَا طَاهِرٌ

بغداد وقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ وحمل رأسه إلى خراسان وعقد للمأمون على الخلافة فكان المأمون يرعاه لمناصحته وخدمته. وقد قام المأمون بتوليته على خراسان سنة ٢٠٥ هـ وأسس هناك الدولة الطاهرية وتوفي في ٢٠٧ هـ.

^١ الفُضْلُ بْنُ سَهْلٍ.

حَتَّى اضْطَرَّهُمْ إِلَى أَنْ دَعَوْا إِلَى الصُّلْحِ، فَصَالَحَهُمْ وَأَمَّنَهُمْ وَوَفَّى لَهُمْ، وَأَنْصَرَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَبَلَةَ عَلَى أَنْ يَكُونَ رَاجِعاً إِلَى بَغْدَادَ، ثُمَّ عَدَرُوا بِأَصْحَابِ طَاهِرٍ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ وَهُمْ غَافِلُونَ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا، وَصَبَرَ لَهُمْ أَوْلِيكَ، ثُمَّ نَهَضُوا إِلَيْهِمْ فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوا أَمِيرَهُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جَبَلَةَ، وَفَرَّ أَصْحَابُهُ خَائِبِينَ.

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى بَغْدَادَ وَاضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ، وَكَثُرَتِ الْأَرَاخِيفُ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَطَرَدَ طَاهِرٌ عُمَالَ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ عَنِ قَرْوِينَ وَتِلْكَ النَّوَاحِي، وَقَوِيَ أَمْرُ الْمَأْمُونِ جِدًّا بِتِلْكَ الْبِلَادِ.

ظهور السُّفْيَانِيِّ بِالشَّامِ

وَفِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ أَمْرُ السُّفْيَانِيِّ بِالشَّامِ، وَاسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَعَزَلَ نَائِبَهَا، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْأَمِينَ جَيْشًا، فَلَمْ يَقْدَمُوا عَلَيْهِ بَلْ أَقَامُوا بِالرَّقَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا سَنَدُّرُهُ بَعْدُ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا حَبَسَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ أَسَدَ بْنَ يَزِيدَ؛ لِأَجْلِ أَنَّهُ نَقَمَ عَلَى الْأَمِينِ لَعِبَهُ وَتَهَاوَنَهُ فِي أَمْرِ الرَّعِيَّةِ، وَارْتِكَابَهُ اللَّعْبَ وَالصَّيْدَ فِي هَذَا الْوَقْتِ.

وَوَجَّهَ الْأَمِينَ أَحْمَدَ بْنَ مَرْزِيدٍ، وَعَبَدَ اللَّهَ بْنَ حُمَيْدِ بْنِ قَحْطَبَةَ فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عِشْرُونَ أَلْفًا، إِلَى حُلْوَانَ^١؛ لِقِتَالِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ أَمِيرِ الْحَرْبِ مِنْ جِهَةِ الْمَأْمُونِ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى قَرِيبٍ مِنْ حُلْوَانَ خَنَدَقَ طَاهِرٌ عَلَى جَيْشِهِ خَنْدَقًا، وَجَعَلَ يَعْمَلُ الْحِيَلَةَ فِي إِيقَاعِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْأَمِيرَيْنِ، فَاخْتَلَفَا فَرَجَعَا وَلَمْ يُقَاتِلَاهُ، وَدَخَلَ طَاهِرٌ إِلَى حُلْوَانَ وَجَاءَهُ كِتَابُ الْمَأْمُونِ بِتَسْلِيمِ مَا تَحْتَ يَدِهِ إِلَى هَرِثْمَةَ بْنِ أَعْيَنَ، وَأَنْ يَتَوَجَّهَ هُوَ إِلَى الْأَهْوَازِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ. وَفِيهَا رَفَعَ الْمَأْمُونُ مَنْزِلَةَ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ وَوَلَّاهُ أَعْمَالًا كِبَارًا، وَسَمَّاهُ ذَا الرِّيَاسَتَيْنِ.

وَفِيهَا وَلَّى الْأَمِينَ نِيَابَةَ الشَّامِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ، وَقَدْ كَانَ أَخْرَجَهُ مِنْ سِجْنِ الرَّشِيدِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَبْعَثَ لَهُ رِجَالًا وَجُنُودًا لِقِتَالِ طَاهِرٍ وَهَرِثْمَةَ، فَلَمَّا وَصَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ إِلَى الرَّقَّةِ أَقَامَ بِهَا، وَكَتَبَ إِلَى رُؤَسَاءِ الشَّامِ يَتَأَلَّفُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ حُلُقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ وَقَعَتْ حُرُوبٌ كَانَ مَبْدُوهَا مِنْ أَهْلِ حِمَصَ، وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ وَطَالَ الْقِتَالُ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ هُنَالِكَ، فَرَجَعَ الْجَيْشُ إِلَى بَغْدَادَ صُحْبَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ، فَتَلَقَّاهُ أَهْلُ بَغْدَادَ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْتِرَامِ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا جَاءَهُ رَسُولُ الْأَمِينَ يَطْلُبُهُ،

^١ حلوان العراق.

فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَنَا بِمُسَامِرٍ وَلَا مُضْحِكٍ، وَلَا وَلِيْتُ لَهُ عَمَلًا وَلَا جَاءَ لَهُ عَلَى يَدَيَّ مَالٌ، فَلَا يَشِيءُ يُرِيدُنِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟

سَبَبُ خَلْعِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ

لَمَّا أَصْبَحَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ وَمَنْ يَذْهَبُ إِلَى الْأَمِينِ لَمَّا طَلَبَهُ، وَذَلِكَ بَعْدَ مُقَدِّمِهِ بِالْجَيْشِ مِنَ الرَّقَّةِ قَامَ فِي النَّاسِ حَظِييًّا وَأَلْبَهُمْ عَلَى الْأَمِينِ، وَذَكَرَ لَعِبَهُ وَمَا يَتَعَاطَاهُ مِنَ اللَّهِوِ وَعَبَّرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَأَنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْخِلَافَةُ لِمَنْ هَذَا حَالُهُ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُوقَعَ الْبَأْسَ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ حَثَّهُمْ عَلَى الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَالنُّهُوضِ إِلَيْهِ، وَنَدَبَهُمْ لِذَلِكَ، فَالْتَفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ، وَبَعَثَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ إِلَيْهِ خِيَلًا، فَاقْتَتَلُوا مَلِيًّا مِنَ النَّهَارِ، فَأَمَرَ الْحُسَيْنُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَتَرَجَّلُوا إِلَى الْأَرْضِ وَأَنْ يُقَاتِلُوا بِالسُّيُوفِ وَالرِّمَاحِ، فَانْهَزَمَ جَيْشُ الْأَمِينِ، وَخَلَعَ مُحَمَّدًا الْأَمِينِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَحَدِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنَ الْعَدِ لِعَبْدِ اللَّهِ الْمَأْمُونِ.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ نَقَلَ الْأَمِينُ مِنْ قَصْرِهِ إِلَى قَصْرِ أَبِي جَعْفَرٍ وَسَطَ بَعْدَادَ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ وَفَيَّدَهُ وَاضْطَهَّدَهُ، وَأَمَرَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيسَى أُمَّهُ زُبَيْدَةَ أَنْ تَنْتَقِلَ إِلَى هُنَالِكَ، فَامْتَنَعَتْ، فَفَعَّنَهَا بِالسَّوْطِ، وَقَهَرَهَا عَلَى الْإِنْتِقَالِ، فَانْتَقَلَتْ مَعَ أَوْلَادِهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ طَلَبُوا مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أُعْطِيَتْهُمْ وَاحْتَلَفُوا عَلَيْهِ، وَصَارَ أَهْلُ بَعْدَادَ فِرْقَتَيْنِ؛ فِرْقَةٌ مَعَ الْخُلَيْفَةِ وَفِرْقَةٌ

عَلَيْهِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فَعَلَبَ حِزْبُ الْخُلَيْفَةِ أَوْلِيكَ، وَأَسْرُوا الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ وَقَيْدُوهُ، وَدَخَلُوا بِهِ عَلَى الْخُلَيْفَةِ، فَكَفُّوا عَنْهُ قَيْدُوهُ، وَأَجْلَسُوهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ الْخُلَيْفَةُ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِلَاحٌ مِنَ الْعَامَّةِ أَنْ يُعْطَى سِلَاحًا مِنَ الْخَزَائِنِ، فَاثْتَهَبَ النَّاسُ خَزَائِنَ السِّلَاحِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَأَتَى الْأَمِينُ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَيْسَى، فَلَامَهُ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ فَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ بِأَنَّ عَفْوَ الْخُلَيْفَةِ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَعَقَا عَنْهُ، وَحَلَعَ عَلَيْهِ، وَاسْتَوَزَرَهُ، وَأَعْطَاهُ الْخَاتَمَ، وَوَلَّاهُ مَا وَرَاءَ بَابِهِ، وَوَلَّاهُ الْحَرْبَ وَسَيَّرَهُ إِلَى حُلْوَانَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْجِسْرِ هَرَبَ فِي حَدَمِهِ وَحَاشِيَتِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْأَمِينُ مَنْ يُرُدُّهُ، فَرَكِبَتِ الْخَيُْولُ وَرَاءَهُ فَأَذْرَكُوهُ، فَقَاتَلَهُمْ وَقَاتَلُوهُ، فَفَقَتَلُوهُ لِمُنْتَصَفِ رَجَبٍ، وَجَاءُوا بِرَأْسِهِ إِلَى الْأَمِينِ، وَجَدَّ النَّاسُ بَيْعَةَ الْأَمِينِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

وَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَيْسَى هَرَبَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ الْحَاجِبُ، وَاسْتَحْوَذَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ نَائِبُ الْمَأْمُونِ عَلَى أَكْثَرِ الْبِلَادِ، وَاسْتَنَابَ بِهَا النُّوَابَ مِنْ جِهَةِ الْمَأْمُونِ، وَحَلَعَتْ أَكْثَرُ الْأَقَالِيمِ الْأَمِينِ، وَبَايَعُوا الْمَأْمُونِ، وَتَدَنَّى طَاهِرٌ إِلَى الْمَدَائِنِ فَأَخَذَهَا مَعَ وَاسِطٍ وَأَعْمَالِهَا، وَاسْتَنَابَ مِنْ جِهَتِهِ عَلَى الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالْجُزَيْرَةِ وَالْمَوْصِلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَ الْأَمِينِ مِنَ الْبِلَادِ إِلَّا الْقَلِيلُ.

وَفِي شَعْبَانَ مِنْهَا عَقَدَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ أَرْبَعِمِائَةَ لِوَاءٍ، مَعَ كُلِّ لِوَاءٍ أَمِيرٌ، وَبَعَثَهُمْ لِقِتَالِ هَرِثْمَةَ بْنِ أَعْيَنَ، فَالْتَقَوْا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَكَسَرَهُمْ هَرِثْمَةُ، وَأَسَرَ مُقَدَّمَهُمْ

عَلِيَّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى بْنِ هَيْبٍ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ، وَهَرَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ جُنْدِ طَاهِرٍ، نَحْوَ مِنْ خَمْسَةِ آلَافٍ، فَسَارُوا إِلَى الْأَمِينِ بِبَعْدَادَ؛ فَأَعْطَاهُمْ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَأَكْرَمَهُمْ وَعَلَّفَ لِحَاهِمُ بِالْعَالِيَةِ^١، فَسَمُوا جَيْشَ الْعَالِيَةِ. ثُمَّ نَدَبَهُمُ الْأَمِينُ وَأَرْسَلَ مَعَهُمْ جَيْشًا كَثِيفًا لِقِتَالِ طَاهِرٍ فَهَزَمَهُمْ، وَفَرَّقَ شَتْلَهُمْ، وَأَخَذَ مَا كَانَ مَعَهُمْ. وَاقْتَرَبَ مِنْ بَعْدَادَ فَحَاصَرَهَا، وَبَعَثَ الْفُصَّادَ وَالْجَوَاسِيسَ يُلْقُونَ الْفِتْنَةَ بَيْنَ الْجُنْدِ حَتَّى تَفَرَّقُوا شَيْعًا، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَ الْجَيْشِ، وَسَعَتِ الْأَصَاغِرُ عَلَى الْأَكَابِرِ، وَاخْتَلَفُوا عَلَى الْأَمِينِ فِي سَادِسِ ذِي الْحِجَّةِ، فَقَالَ بَعْضُ الْبَعَادِدَةِ:

قُلْ لِأَمِينِ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ مَا شَتَّتَ الْجُنْدَ سِوَى الْعَالِيَةِ
 وَطَاهِرٍ، نَفْسِي تَقِي طَاهِرًا بِرُسُلِهِ وَالْعُدَّةَ الْكَافِيَةَ
 أَضْحَى زِمَامُ الْمُلْكِ فِي كَفِّهِ مُقَاتِلًا لِلْفَيْئَةِ الْبَاغِيَةَ
 يَا نَاكِثًا أَسْلَمَهُ نَكْتُهُ عَيْبُوهُ فِي جَيْشِهِ فَاشِيَهُ
 قَدْ جَاءَكَ اللَّيْثُ بِشِدَاتِهِ مُسْتَكْبِلًا فِي أُسْدِ ضَارِيهِ
 فَاهْرَبْ وَلَا مَهْرَبَ مِنْ مِثْلِهِ إِلَّا إِلَى النَّارِ أَوْ الْهََاوِيَةِ

فَتَفَرَّقَ عَلَى الْأَمِينِ شَتْلُهُ، وَحَارَ فِي أَمْرِهِ، وَجَاءَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ بِجَيْوشِهِ، فَنَزَلَ عَلَى بَابِ الْأَنْبَارِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِثِنْتِي عَشْرَةَ لَيْلَةً حَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ،

^١ أخلاط من الطيب.

وَأَشْتَدَّ الْحَالُ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدِ، وَأَخَذَتِ الدُّعَارُ وَالشُّطَارُ أَهْلَ الصَّلَاحِ،
وَحُرِّبَتِ الدِّيَارُ، وَتَارَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى قَاتَلَ الْأَخُ أَخَاهُ، وَالْإِبْنُ أَبَاهُ.

مقتل محمد الأمين

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَعِيحٌ وَتَسْعِينٌ وَمِائَةٌ، وَاسْتَهَلَّتْ وَقَدْ أَحَّ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ
مُصْعَبٍ وَهَرَمَةُ بْنُ أَعْيَنَ، وَمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْجُنُودِ فِي حِصَارِ بَغْدَادَ وَالتَّضْيِيقِ
عَلَى مُحَمَّدِ الْأَمِينِ، وَهَرَبَ الْقَاسِمُ بْنُ الرَّشِيدِ، وَعَمَّهُ مَنْصُورُ بْنُ الْمَهْدِيِّ إِلَى
الْمَأْمُونِ فَأَكْرَمَهُمَا، وَوَلَّى أَحَاهُ الْقَاسِمَ جُرْجَانَ، وَأَشْتَدَّ الْحِصَارُ بِبَغْدَادَ
وَنُصِبَتْ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقُ وَالْعَرَادَاتُ وَضَاقَ الْأَمِينُ بِهِمْ ذَرْعًا، وَمَ يَبْقَ مَعَهُ مَا
يُنْفِقُ فِي الْجُنْدِ، فَاضْطَرَّ إِلَى ضَرْبِ آيَةِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ، وَهَرَبَ
كَثِيرٌ مِنْ جُنْدِهِ إِلَى طَاهِرٍ، وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَأَخَذَتْ أَمْوَالٌ
كَثِيرَةٌ مِنَ التُّجَّارِ، وَبَعَثَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ إِلَى فُصُورٍ كَثِيرَةٍ، وَدُورٍ شَهِيرَةٍ، وَأَمَاكِنَ
وَمَحَالَّ كَثِيرَةٍ فَحَرَقَهَا لِمَا رَأَى فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، فَعَلَّ كُلَّ هَذَا فِرَارًا مِنْ
الْمَوْتِ، وَلِتَدْوَمَ الْحِلَافَةُ لَهُ فَلَمْ تَدْمَ، وَقُتِلَ، وَحُرِّبَتِ دِيَارُهُ كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا،
وَفَعَلَ طَاهِرٌ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْأَمِينُ، حَتَّى كَادَتْ بَغْدَادُ تَحْرُبُ بِكَمَا هِيَ.

وَاسْتَحْوَذَ طَاهِرٌ عَلَى مَا كَانَ فِي الضِّيَاعِ مِنَ الْعَلَاتِ وَالْحَوَاصِلِ لِلْأُمَّرَاءِ
وَعَبِيدِهِمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْأَمَانِ، وَخَلَعَ الْأَمِينِ، وَالْبَيْعَةَ لِلْمَأْمُونِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ
جَمَاعَةٌ؛ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ قَحْطَبَةَ، وَيَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَاهَانَ، وَمُحَمَّدُ

بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ الطُّوسِيِّ، وَكَاتَبَهُ خَلْقٌ مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ وَالْأَمْرَاءِ، وَصَارَتْ قُلُوبُهُمْ مَعَهُ.

وَفَعَهُ دَرْبِ الْحِجَارَةِ

وَاتَّفَقَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَنْ زَفَرَ أَصْحَابُ الْأَمِينِ بَعْضُ أَصْحَابِ طَاهِرٍ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ طَائِفَةً عِنْدَ قَصْرِ صَالِحٍ، فَلَمَّا جَرَى ذَلِكَ بَطَرَ الْأَمِينُ، وَأَقْبَلَ عَلَى اللَّهْوِ وَالشُّرْبِ وَاللَّعِبِ، وَوَكَّلَ الْأُمُورَ وَتَدْبِيرَهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى بْنِ هَيْكٍ، ثُمَّ قَوِيَتْ شَوْكَةُ أَصْحَابِ طَاهِرٍ وَضَعُفَ جَانِبُ الْأَمِينِ، وَانْحَازَ النَّاسُ إِلَى جَيْشِ طَاهِرٍ، وَكَانَ جَانِبُهُ آمِنًا، لَا يَخَافُ أَحَدٌ فِيهِ مِنْ سَرِقَةٍ وَلَا هَبٍّ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدِ اخْتَارَ طَاهِرٌ أَكْثَرَ مَحَالِّ بَعْدَادَ وَأَرْبَاضِهَا، وَمَنَعَ الْمَلَاحِينَ أَنْ يَحْمِلُوا طَعَامًا إِلَى مَنْ خَالَفَهُ، لِيُضَيِّقَ عَلَيْهِمْ، فَعَلَّتِ الْأَسْعَارُ عِنْدَهُمْ، وَنَدِمَ مَنْ لَمْ يَكُنْ حَرَجَ مِنْ بَعْدَادَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَمُنِعَتِ التُّجَّارُ مِنَ الْقُدُومِ إِلَى بَعْدَادَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَضَائِعِ أَوْ الدَّقِيقِ، وَصُرِفَتِ السُّفُنُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا، وَقَدِ جَرَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ؛ فَمِنْ ذَلِكَ وَفَعَهُ دَرْبِ الْحِجَارَةِ، كَانَتْ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ، قُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ مِنْ أَصْحَابِ طَاهِرٍ، كَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْعِيَّارِينَ وَالْحِرَافِشَةَ مِنَ الْبَعَادِدَةِ يَأْتِي عُرْيَانًا، وَمَعَهُ بَارِيَةٌ مُقَيَّرَةٌ، وَتَحْتَ كَنَفِهِ مَخْلَاةٌ فِيهَا حِجَارَةٌ، فَإِذَا ضَرَبَهُ الْفَارِسُ مِنْ بَعِيدٍ بِالسَّهْمِ اتَّقَاهُ بِبَارِيَّتِهِ فَلَا يُؤْذِيهِ، وَإِذَا اقْتَرَبَ مِنْهُ رَمَاهُ بِحِجَرٍ فِي الْمِقْلَاعِ فَأَصَابَهُ، فَهَزَمُوهُمْ بِذَلِكَ.

وَوَفَعَةُ الشَّمْسِيَّةِ أُسِرَ فِيهَا هَرْتَمَةُ بِنُ أَعِينٍ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى طَاهِرٍ، وَأَمَرَ بِعَقْدِ جِسْرِ عَلَى دِجْلَةَ فَوْقَ الشَّمْسِيَّةِ، وَعَبَّرَ بِنَفْسِهِ، وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْجَانِبِ الْأَخْرَ فَقَاتَلَهُمْ بِنَفْسِهِ أَشَدَّ الْقِتَالِ حَتَّى أَزَالَهُمْ عَنِ مَوَاضِعِهِمْ، وَاسْتَرَدَّ مِنْهُمْ هَرْتَمَةَ، وَجَمَاعَةً مِمَّنْ كَانُوا أَسْرُوهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى مُحَمَّدِ الْأَمِينِ، وَضَعَفَ أَمْرُ ابْنِ زُبَيْدَةَ جِدًّا، وَمَ يَبْقَ عِنْدَهُ مَالٌ يُنْفِقُهُ عَلَى جُنْدِهِ، وَلَا عَلَى نَفْسِهِ، وَتَفَرَّقَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ عَنْهُ، وَبَقِيَ مُضْطَهَدًا ذَلِيلًا. وَانْقَضَتْ هَذِهِ السَّنَةُ بِكَمَالِهَا وَالنَّاسُ فِي بَغْدَادَ فِي قَلَاقِلٍ وَزَلَزِلٍ وَهَيْشَاتٍ وَقِتَالٍ وَحِصَارٍ وَحَرْقٍ وَغَرَقٍ وَسَرَقٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهَا حَامِرٌ^١ حُزَيْمَةُ بِنُ حَازِمٍ عَلَى مُحَمَّدِ الْأَمِينِ وَأَخَذَ الْأَمَانَ مِنْ طَاهِرٍ. وَدَخَلَ هَرْتَمَةُ بِنُ أَعِينِ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، وَفِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِثْمَانٍ حَلُونَ مِنَ الْمُحَرَّمِ وَثَبَ حُزَيْمَةُ بِنُ حَازِمٍ وَمُحَمَّدُ بِنُ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ فَقَطَعَاهُ وَنَصَبَا رَايَتَهُمَا عَلَيْهِ، وَدَعَا إِلَى بَيْعَةِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَأْمُونِ وَحَلَعَ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ. وَدَخَلَ طَاهِرٌ يَوْمَ الْحَمِيسِ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، فَبَاشَرَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ، وَنَادَى بِالْأَمَانِ لِمَنْ لَرِمَ مَنْزِلَهُ، وَجَرَتْ عِنْدَ دَارِ الرَّقِيقِ وَالْكَرْخِ وَعَيْرِهِمَا وَقَعَاتٌ، وَأَحَاطَ بِمَدِينَةِ أَبِي جَعْفَرٍ وَالْخُلْدِ وَقَصْرِ زُبَيْدَةَ، وَنَصَبَ الْمَجَانِيقَ حَوْلَ السُّورِ، وَحَدَاءَ قَصْرِ زُبَيْدَةَ، وَرَمَاهُ بِالْمَنْجَنِيقِ،

^١ خامر: خالف وترك الطاعة.

فَخَرَجَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ بِأُمِّهِ وَوَلَدِهِ إِلَى مَدِينَةِ أَبِي جَعْفَرٍ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ فِي الطُّرُقِ، لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ.

وَدَخَلَ الْأَمِينُ قَصْرَ أَبِي جَعْفَرٍ وَانْتَقَلَ مِنَ الْخُلْدِ لِكَثْرَةِ مَا يَأْتِيهِ فِيهِ مِنْ رَمِي الْمَنْجَنِيْقِ، وَأَمَرَ بِتَحْرِيقِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَثَاثِ وَالْبُسُطِ وَالْأَمْتِعَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ فَحَصَرَ فِيهِ حَصْرًا شَدِيدًا. وَقَدْ جَهَدَ فِي حَصْرِهِ ذَلِكَ، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ؛ فَجَاعَ لَيْلَةً فَمَا أَتَى بِرَغِيْفٍ وَدَجَاجَةٍ إِلَّا بَعْدَ كُفْلَةٍ كَبِيرَةٍ، ثُمَّ طَلَبَ مَاءً فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ، فَبَاتَ عَطْشَانًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قُتِلَ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ.

ذِكْرُ كَيْفِيَّةِ مَقْتَلِ الْأَمِينِ

لَمَّا اشْتَدَّ بِهِ الْأَمْرُ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْخُدَمِ وَالْجُنْدِ، فَشَاوَرَهُمْ فِي أَمْرِهِ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: تَذْهَبُ بِمَنْ بَقِيَ مَعَكَ إِلَى الْجَزِيرَةِ أَوْ الشَّامِ فَتَتَقَوَّى بِالْأَمْوَالِ، وَتَسْتَحْدِمُ الرِّجَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ تَخْرُجُ إِلَى طَاهِرٍ وَتَأْخُذُ مِنْهُ أَمَانًا، وَتُبَايِعُ لِأَخِيكَ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَإِنَّ أَخَاكَ سَيَأْمُرُكَ بِمَا يَكْفِيكَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَغَايَةُ مُرَادِكَ الدَّعَةُ وَالرَّاحَةُ، وَذَلِكَ يَحْصُلُ لَكَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ هَرْتَمَةَ أَوْلَى بِأَنْ يَأْخُذَ لَكَ الْأَمَانَ؛ فَإِنَّهُ مَوْلَاكُمْ أَحَى عَلَيْكُمْ. فَمَالَ إِلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْأَحَدِ الرَّابِعِ مِنْ صَفَرٍ بَعْدَ عِشَاءِ الْأَحِرَةِ وَاعَدَ هَرْتَمَةَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ لَبَسَ ثِيَابَ الْخِلَافَةِ، وَطَيَّلَسَانًا، وَاسْتَدْعَى بِوَلَدَيْهِ

فَشَمَّهُمَا وَضَمَّهُمَا إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَسْتُوْدَعُكُمَْا اللّٰهَ، وَمَسَحَ دُمُوعَهُ بِطَرْفِ كُمَيْهِ، ثُمَّ رَكَبَ عَلَى فَرَسٍ سَوْدَاءَ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ شَمْعَةٌ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى هَرَمَّةَ أَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ، وَرَكَبَا فِي حَرَّاقَةٍ فِي دِجَلَةَ، وَبَلَغَ ذَلِكَ طَاهِرًا، فَعَضِبَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: أَنَا الَّذِي فَعَلْتُ هَذَا كُلَّهُ وَيَذْهَبُ إِلَى غَيْرِي، وَيُنْسَبُ هَذَا كُلُّهُ إِلَيَّ هَرَمَّةَ! فَلِحِقِّهُمَا وَهُمَا فِي الْحَرَّاقَةِ، فَأَمَاهَا أَصْحَابُهُ فَعَرِقَتْ فِي الْمَاءِ، فَعَرِقَ مَنْ فِيهَا، غَيْرَ أَنَّ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ سَبَحَ إِلَى الْجَانِبِ الْأَخْرَ وَأَسْرَهُ بَعْضُ الْجُنْدِ، وَجَاءَ فَأَعْلَمَ طَاهِرًا بِذَلِكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ جُنْدًا مِنَ الْعَجَمِ، فَجَاءُوا إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي قَدْ أَوَى إِلَيْهِ، وَعِنْدَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: ادْنُ مِنِّي فَإِنِّي أَجِدُ وَحْشَةً شَدِيدَةً. وَجَعَلَ يَلْتَفُّ فِي ثِيَابِهِ شَدِيدًا، وَقَلْبُهُ يَخْفِقُ حَفَقَانًا عَظِيمًا، كَادَ يَخْرُجُ مِنْ صَدْرِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَوْلِيكَ، قَالَ: إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ثُمَّ دَنَا مِنْهُ أَحَدُهُمْ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: وَيْحَكُمْ، أَنَا ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَا ابْنُ هَارُونَ، أَنَا أَخُو الْمَأْمُونِ، اللّٰهُ اللّٰهُ فِي دَمِي! فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ تَكَاثَرُوا عَلَيْهِ وَذَجَّوْهُ مِنْ قَفَاهُ، وَذَهَبُوا بِرَأْسِهِ إِلَى طَاهِرٍ وَتَرَكُوا جُنَّتَهُ، ثُمَّ جَاءُوا مِنْ بَاكِرٍ إِلَيْهَا، فَلَقَوْهَا فِي جُلِّ فَرَسٍ، وَذَهَبُوا بِهَا، وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ لِأَرْبَعِ لَيَالٍ خَلَّتْ مِنْ صَفْرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، أَعْنَى سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ.

ترجمة الأمين

وَهَذَا شَيْءٌ مِنْ تَرْجَمَةِ الْأَمِينِ: هُوَ مُحَمَّدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَمِينُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ
 بْنِ مُحَمَّدِ الْمَهْدِيِّ بْنِ الْمَنْصُورِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَيُقَالُ: أَبُو مُوسَى الْهَاشِمِيُّ
 الْعَبَّاسِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، وَأُمُّهُ أُمُّ جَعْفَرِ زُبَيْدَةَ بِنْتُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ.
 كَانَ مَوْلَدُهُ بِالرُّصَافَةِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ. وَأَتَتْهُ الْخِلَافَةُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ لِثَلَاثِ
 عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثِ وَتِسْعِينَ، وَقُتِلَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ
 لِحَمْسِ بَقِيَةٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ، يَعْنِي سَنَةَ ثَمَانِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ، قَتَلَهُ قُرَيْشُ الدَّنْدَائِيُّ،
 وَحُجِلَ رَأْسُهُ إِلَى طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ فَنَصَبَهُ عَلَى رُوحِ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ {قُلِ
 اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ}. وَكَانَتْ
 وَلَايَتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَ طَوِيلًا سَمِينًا أَبْيَضَ، أَفْحَى
 الْأَنْفِ، صَغِيرَ الْعَيْنَيْنِ، عَظِيمَ الْكَرَادِيْسِ، بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْمَنْكَبَيْنِ، وَقَدْ رَمَاهُ
 بَعْضُهُمْ بِكَثْرَةِ اللَّعِبِ وَالشُّرْبِ، وَقَلَّةِ الصَّلَاةِ. وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ طَرَفًا مِنْ
 سِيرَتِهِ فِي إِكْتِنَارِهِ مِنْ اقْتِنَاءِ السُّودَانِ وَالْخِصْيَانِ، وَإِعْطَائِهِمُ الْأَمْوَالَ وَالْجَوَاهِرَ،
 وَأَمْرِهِ بِإِحْضَارِ الْمَلَاهِي وَالْمُعَنِّيْنَ مِنْ سَائِرِ الْبُلْدَانِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِعَمَلِ حَمْسِ
 حَرَاقَاتٍ عَلَى صُورَةِ الْفِيلِ، وَالْأَسَدِ، وَالْعُقَابِ، وَالْحَيَّةِ، وَالْفَرَسِ، وَأَنْفَقَ عَلَى
 ذَلِكَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَقَدْ اِمْتَدَحَهُ أَبُو نُوَّاسٍ بِشِعْرِ أَقْبَحَ فِي مَعْنَاهُ مِنْ صَنِيعِ
 الْأَمِينِ فَإِنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ:

سَحَّرَ اللَّهُ لِلْأَمِينِ مَطَايَا لَمْ تُسَحَّرْ لِصَاحِبِ الْمِحْرَابِ^١
فَإِذَا مَا رِكَابُهُ سِرْنَ بَرًّا سَارَ فِي الْمَاءِ رَاكِبًا لَيْثَ غَابِ
ثُمَّ وَصَفَ كُلًّا مِنْ تِلْكَ الْحَرَاقَاتِ.

وَاعْتَنَى الْأَمِينُ بِنَبَايَاتِ هَائِلَةِ لِلنُّزْهَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَنْفَقَ فِي ذَلِكَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً،
فَكَثُرَ النَّكِيرُ عَلَيْهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْأَدَبِ، فَصِيحًا، يَقُولُ الشِّعْرَ وَيُجِبُهُ وَيُعْطِي عَلَيْهِ الْجَوَائِزَ
الْكَثِيرَةَ، وَكَانَ شَاعِرُهُ أَبَا نُوَّاسٍ، وَقَدْ قَالَ فِيهِ أَبُو نُوَّاسٍ مَدَائِحَ حِسَانًا، وَقَدْ
وَجَدَهُ مَسْجُونًا فِي حَبْسِ الرَّشِيدِ مَعَ الزَّنَادِقَةِ، فَأَحْضَرَهُ، وَأَطْلَقَهُ، وَأَطْلَقَ لَهُ
مَالًا، وَجَعَلَهُ مِنْ نُدَمَائِهِ، ثُمَّ حَبَسَهُ مَرَّةً أُخْرَى فِي شُرْبِ الْخُمْرِ وَأَطَالَ حَبْسَهُ،
ثُمَّ أَطْلَقَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ أَلَّا يَشْرَبَ الْخُمْرَ، وَلَا يَأْتِيَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ،
فَامْتَثَلَ ذَلِكَ، وَكَانَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ بَعْدَمَا اسْتَتَابَهُ الْأَمِينُ.

وَقَدْ تَأَدَّبَ عَلَى الْكِسَائِيِّ^٢، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ.

^١ صاحب المحراب سليمان عليه السلام.

^٢ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمَزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِجْمَانَ بْنِ فَيْرُوزَ الْكِسَائِيِّ الْكُوفِيِّ (١١٩ - ١٨٩ هـ)
ولد الكسائي في إحدى قرى الكوفة وهو مولى بني أسد من خندف وكان إمام الكوفيين في اللغة
والنحو، وسابع القراء السبعة. ويعد المؤسس الحقيقي للمدرسة الكوفية في النحو.

وَقَدْ قَدَّمْنَا مَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ مِنَ الإِخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ حَتَّى أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى خَلْعِهِ وَعَزْلِهِ، ثُمَّ إِلَى التَّضْيِيقِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَسَامَحَهُ، وَأَنَّهُ حُصِرَ فِي آخِرِ أَمْرِهِ حَتَّى اِحْتِاجَ إِلَى مُصَانَعَةِ هَرْمَةَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ لِيَجْتَمَعَ بِهِ، فَأُلْفِيَ مِنَ الْحَرَاقَةِ، فَسَبَحَ إِلَى الشَّطِّ الآخِرِ مِنْ دِجْلَةَ، فَدَخَلَ دَارًا لِبَعْضِ الْعَامَّةِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الْخَوْفِ وَالِدَّهْشِ وَالْجُوعِ وَالْعُزِيِّ وَالْقَلَقِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يُلْفِنُهُ الصَّبْرَ وَالِاسْتِعْفَارَ، فَاشْتَعَلَ بِذَلِكَ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ الطَّلَبُ وَرَاءَهُ مِنْ جِهَةِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْعَبٍ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، وَكَانَ الْبَابُ ضَيْقًا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَتَدَافِعُونَ، وَقَامَ إِلَيْهِمْ فَجَعَلَ يُدَافِعُهُمْ عَنْ نَفْسِهِ بِمِحْدَةٍ فِي يَدِهِ، فَمَا وَصَلُوا إِلَيْهِ حَتَّى عَرَفُوهُ وَضَرَبُوا رَأْسَهُ وَحَاصِرَتَهُ بِالسُّيُوفِ، ثُمَّ دَخَوْهُ، وَأَخَذُوا رَأْسَهُ وَجَثَّتَهُ فَأَتَوْا بِهِمَا طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ؛ فَفَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَأَمَرَ بِنَصَبِ الرَّأْسِ فَوْقَ رُوحِ هُنَاكَ، حَتَّى أَصْبَحَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوْقَ الرُّوحِ عِنْدَ بَابِ الْأَنْبَارِ، وَكَثُرَ عَدَدُ النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ بَعَثَ طَاهِرُ بِرَأْسِ الْأَمِينِ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُصْعَبٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِالْبُرْدَةِ وَالْقَضِيبِ وَالْمُصَلَّى، وَكَانَ مِنْ حُوصِ مَبْطَنٍ، فَسَلَّمَهُ إِلَى ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ، فَدَخَلَ بِهِ عَلَى الْمَأْمُونِ عَلَى ثُرْسٍ، فَلَمَّا رَأَهُ سَجَدَ وَأَمَرَ لِمَنْ جَاءَ بِهِ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ. وَقَدْ قَالَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ حِينَ قَدِمَ الرَّأْسُ، يُؤَلِّبُ عَلَى طَاهِرٍ: أَمْرَانَاهُ بَأَنَّ يَأْتِي بِهِ أَسِيرًا، فَأَرْسَلَ بِهِ عَقِيرًا. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: قَدْ مَضَى مَا مَضَى. وَكَتَبَ طَاهِرُ إِلَى الْمَأْمُونِ كِتَابًا ذَكَرَ فِيهِ صُورَةَ مَا وَقَعَ مِنَ الْقِتَالِ حَتَّى آلَ الْحَالِ إِلَى مَا آلَ إِلَيْهِ.

وَلَمَّا قُتِلَ الْأَمِينُ هَدَّاتِ الْفِتْنُ، وَحَمَدَتِ الشُّرُورُ، وَأَمِنَ النَّاسُ، وَطَابَتِ
 النُّفُوسُ، وَدَخَلَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ إِلَى بَعْدَادَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ
 الْجُمُعَةَ وَخَطَبَهُمْ حُطْبَةً بَلِيغَةً، ذَكَرَ فِيهَا آيَاتٍ كَثِيرَةً مِنَ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ اللَّهَ
 يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَأَمَرَهُمْ فِيهَا بِالْجَمَاعَةِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، ثُمَّ
 خَرَجَ إِلَى مَعْسَكِهِ فَأَقَامَ بِهِ، وَأَمَرَ بِتَحْوِيلِ زُبَيْدَةَ مِنْ قَصْرِ أَبِي جَعْفَرٍ إِلَى قَصْرِ
 الْخُلْدِ، فَخَرَجَتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ،
 وَبَعَثَ مُوسَى وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنِي الْأَمِينِ إِلَى عَمَّهِمَا الْمَأْمُونِ بِخُرَّاسَانَ^١، وَكَانَ
 ذَلِكَ رَأْيًا سَدِيدًا.

وَقَدْ وَثَبَ طَائِفَةٌ مِنَ الْجُنْدِ بِطَاهِرٍ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ مِنْ مَقْتَلِ الْأَمِينِ وَطَلَبُوا مِنْهُ
 أَرْزَاقَهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِذْ ذَلِكَ مَالٌ، فَتَحَزَّبُوا وَاجْتَمَعُوا، وَهَبُّوا بَعْضَ مَتَاعِهِ
 وَنَادَوْا: يَا مُوسَى، يَا مَنْصُورُ. وَاعْتَقَدُوا أَنَّ مُوسَى بْنَ الْأَمِينِ الْمُلَقَّبَ بِالنَّاطِقِ
 بِالْحَقِّ هُنَاكَ، وَإِذَا هُوَ قَدْ سَيَّرَهُ طَاهِرٌ إِلَى عَمِّهِ الْمَأْمُونِ، وَأَنَحَا طَاهِرٌ بِمَنْ مَعَهُ
 مِنَ الْقَوَادِ نَاحِيَةً، وَعَزَمَ عَلَى قِتَالِهِمْ وَمُنَاجَزَتِهِمْ بِمَنْ مَعَهُ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْهِ،
 وَاعْتَدَرُوا، وَنَدِمُوا عَلَى مَا كَانُوا فَعَلُوا، فَأَمَرَ هُمْ بِرِزْقِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ؛ بِعِشْرِينَ
 أَلْفَ دِينَارٍ افْتَرَضَهَا مِنْ بَعْضِ النَّاسِ، فَطَابَتِ الْحَوَاطِرُ، وَاتَّسَقَ الْحَالُ وَصَلَحَ
 أَمْرُ بَعْدَادَ.

^١ ليكونا تحت نظره ويأمن خروجهما عليه.

خِلاَفَةُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَأْمُونِ

لَمَّا قُتِلَ أَحُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِبَغْدَادَ فِي رَابِعِ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ، اسْتَوْسَقَتِ الْبَيْعَةُ شَرْقًا وَعَزَبًا لِلْمَأْمُونِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّشِيدِ، فَوَلَّى الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ نِيَابَةَ الْعِرَاقِ وَفَارِسَ وَالْأَهْوَازَ وَالْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ وَالْحِجَازَ وَالْيَمَنَ، وَبَعَثَ نُوَابَهُ إِلَى هَذِهِ الْأَقَالِيمِ، وَكَتَبَ إِلَى طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ وَهُوَ بِبَغْدَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى الرَّقَّةِ لِحَرْبِ نَصْرِ بْنِ شَبَثٍ، وَوَلَاهُ نِيَابَةَ الْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ وَالْمَوْصِلِ وَالْمَعْرِبِ. وَكَتَبَ إِلَى هَرْتَمَةَ بْنِ أَعْيَنَ بِنِيَابَةَ خُرَّاسَانَ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٌ، وَفِيهَا قَدِمَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ بِبَغْدَادَ نَائِبًا عَلَيْهَا مِنْ جِهَةِ الْمَأْمُونِ وَوَجَّهَ نُوَابَهُ إِلَى بَقِيَّةِ أَعْمَالِهِ، وَتَوَجَّهَ طَاهِرٌ إِلَى نِيَابَةِ الْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَبِلَادِ الْمَعْرِبِ، وَسَارَ هَرْتَمَةُ إِلَى نِيَابَةِ خُرَّاسَانَ.

وَكَانَ قَدْ خَرَجَ فِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا الْحَسَنُ الْهَرَشِيُّ يَدْعُو إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَبَى الْأَمْوَالَ، وَأَنْتَهَبَ الْأَنْعَامَ، وَعَاثَ فِي الْبِلَادِ فَسَادًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ جَيْشًا، فَقَتَلُوهُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

ثورة ابن طباطبا وأبي السرايا

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ بِالْكُوفَةِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، يَوْمَ الْخَمِيسِ لِعِشْرِ حَلْوَنَ مِنْ

جُمَادَى الْآخِرَةِ، يَدْعُو إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَالْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: ابْنُ طَبَّاطَبَا^١. وَكَانَ الْقَائِمَ بِأَمْرِهِ وَتَدْبِيرِ الْحَرْبِ بَيْنَ يَدَيْهِ أَبُو السَّرَايَا السَّرِيُّ بْنُ مَنْصُورِ الشَّيْبَانِيِّ^٢، وَقَدْ أَصْفَقَ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَى وَفَاقِهِ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، وَوَفَدَتْ إِلَيْهِ الْأَعْرَابُ مِنْ ضَوَاحِي الْكُوفَةِ، وَكَانَ النَّائِبَ عَلَيْهَا مِنْ جِهَةِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، فَبَعَثَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ إِلَى سُلَيْمَانَ يَلُومُهُ وَيُؤْتِبُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِعَشْرَةِ آلَافِ فَارِسٍ صُحْبَةَ زُهَيْرِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، فَتَقَاتَلُوا حَارِجَ الْكُوفَةِ فَهَزَمُوا زُهَيْرًا وَاسْتَبَاحُوا جَيْشَهُ وَهَبُوا مَا كَانَ مَعَهُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَلَخَ جُمَادَى الْآخِرَةَ، فَلَمَّا كَانَ الْعُدَّ مِنَ الْوَقْعَةِ تُؤَيِّ ابْنُ طَبَّاطَبَا أَمِيرُ الشَّيْعَةِ فَجَاءَهُ؛ يُقَالُ:

^١ محمد بن طباطبا: أبوه إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن الحسيني العلوي الهاشمي القرشي أحد أعيان بني هاشم من قبيلة قريش. اشتهر بلقب «طباطبا»، لأنه كان يلفظ «القاف» طاءً، للثغة في لسانه، ولذلك كان يلفظ «قبا» «طبا» وعرف إثر تكرار هذه الكلمة بـ «إبراهيم طباطبا» كان أحد أصحاب الإمام جعفر الصادق. وهو ذي الخطر، لأنه كان خطراً على الدولة العباسية. توفي مقتولاً في سجن هارون الرشيد عام ١٩٠ هجرية. أما محمد بن إبراهيم طباطبا (١٧٣ - ١٩٩ هـ) فكان من أئمة الزيديين في اليمن. خرج من المدينة إلى الكوفة باستدعاء أبي السرايا السري بن منصور الشيباني له وجماعة الأشراف والشيعية، وبثَّ الدعاة في سائر النواحي، وأنفذ أخاه القاسم بن إبراهيم إلى مصر للدعاء إليه وأخذ البيعة له، وكانت له ست وقعات على باب الكوفة، وأصابه في خروجه سهم وطعن فاعْتَلَّ. توفي فجأةً في مستهل شهر رجب سنة ١٩٩ هـ.

^٢ أبو السرايا السري بن منصور من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني .

إِنَّ أَبَا السَّرَايَا سَمَّهٖ، وَأَقَامَ مَكَانَهُ غُلَامًا أَمْرَدًا يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَأَنْعَزَلَ زُهَيْرٌ بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى قَصْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ، وَأَرْسَلَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ مَعَ عَبْدِوَسِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فَارِسٍ مَدَدًا لِزُهَيْرٍ، فَانْتَعَمُوا وَأَبُو السَّرَايَا، فَهَزَمَهُمْ أَبُو السَّرَايَا وَمَنْ يُفْلِتُ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِوَسٍ أَحَدٌ، وَانْتَشَرَ الطَّالِبِيُّونَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، وَضَرَبَ أَبُو السَّرَايَا الدَّرَاهِمَ وَالِدِنَانِيرَ فِي الْكُوفَةِ وَنَقَشَ عَلَيْهَا { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ }، ثُمَّ بَعَثَ أَبُو السَّرَايَا جُيُوشَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَوَاسِطِ وَالْمَدَائِنِ، فَهَزَمُوا مِنْ فِيهَا وَدَخَلُوهَا قَهْرًا، وَقَوِيَتْ شُوكَتُهُمْ، فَاهْتَمَّ لِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ، وَكَتَبَ إِلَى هَرْمَةَ مِنْ حُرَّاسَانَ يَسْتَدْعِيهِ لِحَرْبِ أَبِي السَّرَايَا، فَتَمَنَّعَ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَى أَبِي السَّرَايَا، فَهَزَمَ أَبَا السَّرَايَا غَيْرَ مَرَّةٍ وَطَرَدَهُ حَتَّى رَدَّهُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَوَثَبَ الطَّالِبِيُّونَ عَلَى دُورِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِالْكُوفَةِ فَنَهَبُوهَا، وَحَرَّبُوا ضِيَاعَهُمْ، وَفَعَلُوا فِعَالًا قَبِيحَةً، وَبَعَثَ أَبُو السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَجَابُوا لَهُ، وَبَعَثَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ حُسَيْنَ بْنَ حَسَنِ الْأَفْطَسِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، لِيُتِمَّ لَهُمُ الْمَوْسِمَ، فَتَهَيَّبَ أَنْ يَدْخُلَهَا جَهْرَةً، وَلَمَّا سَمِعَ نَائِبُ مَكَّةَ وَهُوَ دَاوُدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بِقُدُومِهِ هَرَبَ مِنْ مَكَّةَ طَالِبًا أَرْضَ الْعِرَاقِ، وَبَقِيَ النَّاسُ بِأَبْلِ إِمَامٍ، فَسُئِلَ مُؤَدِّهَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْأَزْرَقِيِّ أَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ فَأَبَى، فَقِيلَ لِقَاضِيهَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

الْمَخْرُومِيَّ فَاْمْتَنَعَ، وَقَالَ: لِمَنْ أَدْعُو وَقَدْ هَرَبَ نُوَابُ الْبِلَادِ. فَقَدَّمَ النَّاسُ رَجُلًا مِنْ عُرْضِهِمْ، فَصَلَّى بِهِمُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ، وَبَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى حُسَيْنِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَفْطَسِ^١، فَدَخَلَ مَكَّةَ فِي عَشْرَةِ رَهْطٍ قَبْلَ الْغُرُوبِ فَطَافَ بِالْبَيْتِ، ثُمَّ وَقَفَ بِعَرَفَةَ لَيْلًا وَصَلَّى بِالنَّاسِ الْفَجْرَ بِمُرْدَلِفَةَ وَدَفَعَ بِهِمْ، وَأَقَامَ بَقِيَّةَ الْمَنَاسِكِ فِي أَيَّامِ مَيِّ لِلنَّاسِ، فَدَفَعَ النَّاسُ مِنْ عَرَفَةَ بِغَيْرِ إِمَامٍ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ مِائَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَفِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ جَلَسَ حُسَيْنُ بْنُ حَسَنِ الْأَفْطَسُ عَلَى طِنْفِسَةٍ مُثَلَّثَةٍ حَلَفَ الْمَقَامَ، وَأَمَرَ بِتَجْرِيدِ الْكَعْبَةِ مِمَّا عَلَيْهَا مِنْ كَسَاوِي بَنِي الْعَبَّاسِ، وَقَالَ: نُظَهَّرَهَا مِنْ كَسَاوِيهِمْ. وَكَسَاهَا مُلَاءَتَيْنِ صَفْرَاوَيْنِ عَلَيْهِمَا اسْمُ أَبِي السَّرَايَا، ثُمَّ أَخَذَ مَا فِي كَنْزِ الْكَعْبَةِ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَتَتَبَعَ وَدَائِعَ بَنِي الْعَبَّاسِ فَأَخَذَهَا، حَتَّى إِنَّهُ لَيَأْخُذُ مَالَ ذِي الْمَالِ، وَيُلْزِمُهُ بِإِقْرَارٍ لِلْمُسَوَّدَةِ فَيَأْخُذُهُ.

وَهَرَبَ مِنْهُ النَّاسُ إِلَى الْجِبَالِ، وَحَكَ مَا عَلَى رُؤُوسِ الْأَسَاطِينِ^٢ مِنَ الذَّهَبِ، فَكَانَ يَنْزِلُ مِنَ السَّارِيَةِ مِقْدَارٌ يَسِيرٌ بَعْدَ جُهْدٍ جَهْدٍ، وَقَلَعُوا مَا فِي الْمَسْجِدِ

^١ الحسين بن الحسن الأفطس بن علي الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. والحسين بن الأفطس أمه عُمَيْرِيَّة هِيَ بِنْتُ خَالِدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ. وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ بِمَكَّةَ أَيَّامَ أَبِي السَّرَايَا مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدِ الدِّيَابِجِ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ ثُمَّ دَعَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ طَبَاطِبَا.

^٢ الأعمدة.

الْحَرَامِ مِنَ الشَّبَابِيكِ، وَبَاعُوها بِالْأَثْمَانِ الْبُحْسَةِ، وَأَسَاءُوا السِّيْرَةَ جِدًّا. فَلَمَّا
بَلَغَهُ مَقْتُلُ أَبِي السَّرَايَا كَتَمَ ذَلِكَ، وَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الطَّلَبِيِّينَ شَيْحًا كَبِيرًا، وَاسْتَمَرَ
عَلَى سُوءِ السِّيْرَةِ.

وَفِي سَادِسَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ مِنْهَا، قَهَرَ هَرْتَمَةُ بْنُ أَعْيَنَ أَبَا السَّرَايَا وَهَزَمَ جَيْشَهُ
وَأَخْرَجَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الطَّلَبِيِّينَ مِنَ الْكُوفَةِ وَدَخَلَهَا هَرْتَمَةُ وَمَنْصُورُ بْنُ
الْمَهْدِيِّ، فَأَمَّنُوا أَهْلَهَا، وَمَ يَعْتَرِضُوا لِأَحَدٍ، وَسَارَ أَبُو السَّرَايَا بِمَنْ مَعَهُ إِلَى
الْقَادِسِيَّةِ ثُمَّ سَارَ مِنْهَا فَاعْتَرَضَهُمْ بَعْضُ جُيُوشِ الْمَأْمُونِ فَهَزَمُوهُمْ أَيْضًا،
وَجَرِحَ أَبُو السَّرَايَا جِرَاحَةً مُنْكَرَةً، وَهَرَبُوا يُرِيدُونَ الْجَزِيرَةَ إِلَى مَنْزِلِ أَبِي السَّرَايَا
بِرَأْسِ الْعَيْنِ، فَاعْتَرَضَهُمْ بَعْضُ الْجُيُوشِ أَيْضًا فَأَسْرَوْهُمْ، وَأَتَوْا بِهِمُ الْحَسَنَ بْنَ
سَهْلٍ وَهُوَ بِالتَّهْرَوَانِ حِينَ طَرَدَتْهُ الْحَرَبِيَُّّةُ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِ أَبِي السَّرَايَا،
فَجَزَعَهُ مِنْ ذَلِكَ جَزَعًا شَدِيدًا، وَطَيْفَ بِرَأْسِهِ، وَأَمَرَ بِجَسَدِهِ أَنْ يُقَطَّعَ بِاثْنَيْنِ،
فَيُنْصَبَ عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ، فَكَانَ بَيْنَ خُرُوجِهِ وَقَتْلِهِ عَشْرَةُ أَشْهُرٍ، فَبَعَثَ
الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ إِلَى الْمَأْمُونِ مَعَ رَأْسِ أَبِي السَّرَايَا. وَقَدْ قَالَ
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

أَلَمْ تَرِ ضَرْبَةَ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ بِسَيْفِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَدَارَتْ مَرُّهُ رَأْسَ أَبِي السَّرَايَا وَأَبْقَتْ عِبْرَةً لِلْعَابِرِينَ

وَكَانَ الَّذِي فِي يَدِهِ الْبَصْرَةَ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ زَيْدُ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَيُقَالُ لَهُ: زَيْدُ النَّارِ؛ لِكَثْرَةِ مَا حَرَّقَ مِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي لِلْمُسَوِّدَةِ، فَاسَرَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَمَّنَّهُ، وَبَعَثَ بِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْفُؤَادِ إِلَى الْيَمَنِ، لِقِتَالِ مَنْ هُنَاكَ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ الَّذِينَ قَدْ خَرَجُوا بِهَا.

وَفِيهَا خَرَجَ بِالْيَمَنِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَيُقَالُ لَهُ: الْجُرَّارُ؛ لِكَثْرَةِ مَنْ قَتَلَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَخَذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. وَقَدْ كَانَ مُقِيمًا بِمَكَّةَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبْرُ أَبِي السَّرَيَا، وَظُهُورُهُ بِأَرْضِ الْكُوفَةِ طَمَعَ فَسَافَرَ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا بَلَغَ نَائِبَهَا قُدُومُهُ تَرَكَ لَهُ الْيَمَنَ وَسَارَ إِلَى حُرَّاسَانَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاجْتَازَ بِمَكَّةَ، وَأَخَذَ أُمَّةً مِنْهَا، وَاسْتَحْوَذَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ، وَجَرَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ وَحُطُوبٌ كَبِيرَةٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا، وَرَجَعَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الْعَلَوِيُّ الَّذِي ادَّعَى الْخِلَافَةَ بِمَكَّةَ عَمَّا كَانَ يَزْعُمُهُ، وَقَالَ: كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْمَأْمُونَ قَدْ مَاتَ كَمَا سَمِعَ ذَلِكَ، وَقَدْ تَحَقَّقَتْ حَيَاتُهُ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِمَّا كُنْتُ ادَّعَيْتُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى بَيْعَتِهِ، وَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْ عَرَضِ الْمُسْلِمِينَ.

قتل المأمون هزيمة بن أعين

وَهَزِمَ أَبُو السَّرَّايَا وَأَصْحَابُهُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الَّذِي تَأَمَّرَ بِالْكُوفَةِ وَادَّعَى
 الْخِلَافَةَ، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُمَا عَلَى يَدِ هَرْتَمَةَ بْنِ أَعِينٍ، فَوَشَى بَعْضُ النَّاسِ إِلَى
 الْمَأْمُونِ أَنَّ هَرْتَمَةَ لَوْ شَاءَ مَا ظَهَرَ أَبُو السَّرَّايَا وَأَصْحَابُهُ، فَاسْتَدْعَى بِهِ إِلَى مَرَوْ
 فَأَمَرَ بِهِ فَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَوُطِئَ بَطْنُهُ، ثُمَّ رُفِعَ إِلَى الْحَبْسِ، ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ
 بِأَيَّامٍ، وَانْطَوَى حَبْرُهُ بِالْكَلْبِيِّ، وَلَمَّا وَصَلَ حَبْرُ قَتْلِهِ إِلَى بَغْدَادَ سَعَتِ الْعَامَّةُ
 وَالْحَرْبِيَّةُ بِالْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ نَائِبِ الْعِرَاقِ وَغَيْرِهَا، وَقَالُوا: لَا تَرْضَى بِهِ، وَلَا
 بِعَمَّالِهِ بِيْلَادِنَا. وَأَقَامُوا إِسْحَاقَ بْنَ مُوسَى بْنِ الْمَهْدِيِّ نَائِبًا، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ
 الْجَانِبَيْنِ عَلَى ذَلِكَ، وَالتَفَّتْ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَوَادِ وَالْأَجْنَادِ،
 وَرَاسَلَ مَنْ وَافَقَ الْعَامَّةَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْقَوَادِ يُحَرِّضُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَوَقَعَتِ
 الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي شُعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، ثُمَّ اتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى أَنْ
 يُعْطِيَهُمْ شَيْئًا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ يُنْفِقُوهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَمَا زَالَ يَمْتَلِئُهُمْ إِلَى ذِي
 الْقَعْدَةِ حَتَّى يُدْرِكَ الزَّرْعُ، فَخَرَجَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ زَيْدُ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ الَّذِي
 يُقَالُ لَهُ: زَيْدُ النَّارِ، وَقَدْ كَانَ خُرُوجُهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ بِنَاحِيَةِ الْأَنْبَارِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ
 عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ نَائِبُ بَغْدَادَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ وَالْحَسَنِ بِالْمَدَائِنِ إِذْ ذَاكَ،
 فَأُخِذَ وَأُتِيَ بِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ، وَأُطْفَأَ اللَّهُ نَائِرَتَهُ.

وَبَعَثَ الْمَأْمُونُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ يَطْلُبُ جَمَاعَةً مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ، وَأَحْصَى كَم
 الْعَبَّاسِيِّونَ؟ فَبَلَّغُوا ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا، مَا بَيْنَ ذِكْرٍ وَأُنْثَى.

وَفِيهَا قَتَلَتِ الرُّومُ مَلِكَهُمْ إِثْيُونَ، وَقَدْ مَلَكَهُمْ سَبْعَ سِنِينَ، وَمَلَكَوْا عَلَيْهِمْ مِيحَائِيلَ نَائِبَهُ.

وَفِيهَا قَتَلَ الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنَ عَامِرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ لِلْمَأْمُونِ: يَا أَمِيرَ الْكَافِرِينَ؛ فَقَتَلَ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا رَاوَدَ أَهْلُ بَغْدَادَ مَنْصُورَ بْنَ الْمَهْدِيِّ عَلَى الْخِلَافَةِ فَاذْمَتَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَرَاوَدُوهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ نَائِبًا لِلْمَأْمُونِ، يَدْعُو لَهُ فِي الْخُطْبَةِ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَذَلِكَ بَعْدَ إِخْرَاجِ أَهْلِ بَغْدَادَ عَلِيِّ بْنِ هِشَامِ نَائِبِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ بَعْدَ أَنْ جَرَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وَفِيهَا عَمَّ الْبَلَاءُ بِالْعَبَّادِينَ وَالشُّطَّارِ وَالْفُسَّاقِ بِبَغْدَادَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى، كَانُوا يَأْتُونَ الرَّجُلَ يَسْأَلُونَهُ مَا لَا يُفْرِضُهُمْ أَوْ يَصِلُهُمْ بِهِ فَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ فَيَأْخُذُونَ جَمِيعَ مَا فِي مَنْزِلِهِ، وَرَبَّمَا تَعَرَّضُوا لِلْعِلْمَانِ وَالنِّسْوَانِ، وَيَأْتُونَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ فَيَسْتَأْفُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَنْعَامِ، وَيَأْخُذُونَ مَا شَاءُوا مِنَ الْعِلْمَانِ وَالنِّسْوَانِ، وَهَبُّوا أَهْلَ قُطْرُبُلٍ وَلَمْ يَدْعُوا لَهُمْ شَيْئًا أَصْلًا، فَانْتَدَبَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ خَالِدُ الدَّرِّيُوشُ. وَآخَرَ يُقَالُ لَهُ سَهْلُ بْنُ سَلَامَةَ أَبُو حَاتِمِ الْأَنْصَارِيِّ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ، وَالتَفَّ عَلَيْهِمَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَامَّةِ، فَرَدُّوا شَرَّهُمْ وَقَاتَلُوهُمْ، وَقَفُّوا عَلَيْهِمْ، وَمَنْعُوهُمْ مِنَ الْعَيْثِ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَاسْتَقَرَّتِ الْأُمُورُ كَمَا كَانَتْ، وَذَلِكَ فِي شَعْبَانَ وَمَرَضَانَ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَوَّالٍ مِنْهَا رَجَعَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ إِلَى بَعْدَادَ وَصَاحَ الْجُنْدَ،
وَأَنْفَصَلَ مَنْصُورُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَمَنْ التَّفَّ مَعَهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ.

عقد المأمون لعليّ الرضا ولاية العهد

وَفِيهَا بَايَعَ الْمَأْمُونُ لِعَلِيِّ الرِّضَا بْنِ مُوسَى الْكَاطِمِ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ بْنِ
مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنْ يَكُونَ وِليَّ الْعَهْدِ
مِنْ بَعْدِهِ، وَسَمَّاهُ الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَرَحَ لُبْسَ السَّوَادِ
وَلَبَسَ الْخُضْرَةَ، وَأَلَزَمَ جُنْدَهُ بِذَلِكَ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَفَاقِ وَالْأَقَالِيمِ. وَكَانَتْ
مُبَايَعَتُهُ لَهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِلْيَلْتَنِ حَلَّتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ،
وَذَلِكَ أَنَّ الْمَأْمُونَ رَأَى أَنَّ عَلِيًّا الرِّضَا خَيْرُ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَلَيْسَ فِي بَنِي الْعَبَّاسِ
مِثْلُهُ فِي عِلْمِهِ وَدِينِهِ، فَجَعَلَهُ وِليَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي

لَمَّا جَاءَ الْخَبْرُ إِلَى بَعْدَادَ أَنَّ الْمَأْمُونَ بَايَعَ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ
بَعْدِهِ، اِخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ فَمِنْ مُجِيبِ مُبَايَعِهِ، وَمِنْ آبِ مَانِعٍ، وَجَمْهُورُ

^١ أبو الحسن علي بن موسى الرضا، وُلِدَ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فِي ١١ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٨ هـ وَتُوِّفِيَ فِي طُوسٍ فِي ٢٩ صَفَرٍ ٢٠٣ هـ وَهُوَ سَبَطُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ ثَامِنُ الْأُئِمَّةِ الْإِثْنَا عَشَرَ عِنْدَ الشَّيْبَةِ الْجَعْفَرِيَّةِ خَلْفًا لِأَبِيهِ مُوسَى الْكَاطِمِ. عُرِفَ بِالْعِلْمِ وَالْفِقْهِ. وَلَقِبَ بِغَرِيبِ الْغُرَبَاءِ كَوْنَهُ دَفِنَ فِي بِلَادِ فَارَسٍ بَعِيدًا عَنِ أَرْضِ آبَائِهِ الْعَرَبِ. وَسُتَاتِي تَرْجَمَتَهُ عِنْدَ ذِكْرِ وَفَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْعَبَّاسِيِّينَ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ، وَكَانَ الْبَاعِثَ لَهُمُ وَالْقَائِمَ فِي ذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْصُورَ ابْنَا الْمَهْدِيِّ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِحَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، أَظْهَرَ الْعَبَّاسِيُّونَ الْبَيْعَةَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَلَقَّبُوهُ الْمُبَارَكَ، وَكَانَ أَسْوَدَ اللَّوْنِ وَمِنْ بَعْدِهِ لِابْنِ أَخِيهِ إِسْحَاقَ بْنِ مُوسَى بْنِ الْمَهْدِيِّ، وَخَلَعُوا الْمَأْمُونَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِلْيَلْتَنِينِ بَقِيَّتَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، أَرَادُوا أَنْ يَدْعُوا لِلْمَأْمُونَ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَتِ الْعَامَّةُ: لَا نَرْضَى إِلَّا بِإِبْرَاهِيمَ فَقَطْ، وَاحْتَلَفَ النَّاسُ وَاضْطَرُّوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَمَ يُصَلُّوا الْجُمُعَةَ وَصَلَّى النَّاسُ فُرَادَى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ افْتَتَحَ نَائِبُ طَبْرَسْتَانَ جِبَالَهَا وَبِلَادَ اللَّارِزِ وَالشَّيْزَرِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَصَابَ أَهْلَ خُرَّاسَانَ وَالرَّيِّ وَأَصْبَهَانَ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ، وَعَزَّ الطَّعَامُ.

وَفِيهَا تَحَرَّكَ بَابُكَ الْخُرَّمِيُّ^١ وَاتَّبَعَهُ طَوَائِفُ مِنَ السِّفَلَةِ وَالْجَهْلَةِ، وَكَانَ يَقُولُ بِالتَّنَاسُخِ، قَبَّحَهُ اللَّهُ، وَسَيَأْتِي مَا آلَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثِنْتَيْنِ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْهَا بُويعَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ بِالْخِلَافَةِ بِبَغْدَادَ، وَخَلَعَ الْمَأْمُونَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَامِسُ الْمُحَرَّمِ صَعِدَ

^١ بابك الخرمي (ت ٢٢٣ هـ): قائد عسكري بارز قاد الحركة الخرمية ضد الخلافة العباسية في أذربيجان بعد مصرع أبي مسلم الخراساني، استمرت حوالي عشرين سنة. وتمكن المعتصم - في حملة قادها الأفشين حيدر بن كاوس - من دحرها سنة ٢٢٢ هـ. وصلب في سامراء.

إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ الْمَنْبَرِ فَبَايَعَهُ النَّاسُ وَلُقِّبَ بِالْمُبَارَكِ، وَعَلَبَ عَلَى الْكُوفَةِ
وَأَرْضِ السَّوَادِ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْجُنْدَ أَرْزَاقَهُمْ فَمَا طَلَهُمْ ثُمَّ أَعْطَاهُمْ مِائَتِي دِرْهَمٍ
لِكُلِّ وَاحِدٍ، وَكَتَبَ لَهُمْ بِتَعْوِيضٍ مِنْ أَرْضِ السَّوَادِ، فَخَرَجُوا لَا يَمُرُّونَ بِشَيْءٍ
إِلَّا انْتَهَبُوهُ، وَأَخَذُوا حَاصِلَ الْفَلَاحِ وَالسُّلْطَانِ، وَاسْتَنَابَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْجَانِبِ
الشَّرْقِيِّ الْعَبَّاسِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي، وَعَلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِسْحَاقَ بْنَ مُوسَى
الْهَادِي.

وَفِيهَا خَرَجَ حَارِجِيٌّ يُقَالُ لَهُ مَهْدِيُّ بْنُ عَلْوَانَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمَ جَيْشًا
عَلَيْهِمْ أَبُو إِسْحَاقَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ الرَّشِيدِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْقَوَادِ فَكَسَرَهُ وَرَدَّ
كَيْدَهُ، وَوَلَّاهُ الْحَمْدُ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ أَحُو أَبِي السَّرَايَا بِالْكُوفَةِ فَبَيَّضَ^١، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ
بْنَ الْمَهْدِيِّ مَنْ قَاتَلَهُ، فَقَتَلَ أَحُو أَبِي السَّرَايَا وَأَرْسَلَ بِرَأْسِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

وَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، ظَهَرَتْ فِي السَّمَاءِ
حُمْرَةٌ، ثُمَّ ذَهَبَتْ وَبَقِيَ بَعْدَهَا عَمُودَانِ أَحْمَرَانِ فِي السَّمَاءِ إِلَى آخِرِ اللَّيْلِ.
وَجَرَتْ بِالْكُوفَةِ حُرُوبٌ بَيْنَ أَصْحَابِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ الْمَأْمُونِ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا
شَدِيدًا، وَعَلَى أَصْحَابِ إِبْرَاهِيمَ السَّوَادُ وَعَلَى أَصْحَابِ الْمَأْمُونِ الْخُضْرَةُ،
وَاسْتَمَرَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ إِلَى أَوَاخِرِ رَجَبٍ.

^١ لبس البياض وطرح السواد خروجاً على العباسيين.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَفَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ بِسَهْلِ بْنِ سَلَامَةَ الْمُطَوِّعِيِّ فَسَجَنَهُ،
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ التَّفَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ يَفُومُونَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ
عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَكِنْ كَانُوا قَدْ جَاوَزُوا الْحَدَّ وَأَنْكَرُوا عَلَى السُّلْطَانِ، وَدَعَوْا إِلَى
الْقِيَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَصَارَ بَابُ دَارِهِ كَأَنَّهُ بَابُ سُلْطَانٍ عَلَيْهِ السِّلَاحُ
وَالرِّجَالُ وَعَبَّرَ ذَلِكَ مِنْ أَجْمَةِ الْمَلِكِ، فَقَاتَلَهُ الْجُنْدُ فَكَسَرُوا أَصْحَابَهُ، فَأَلْفَى
السِّلَاحَ وَصَارَ بَيْنَ النِّسَاءِ وَالنِّظَارَةِ، ثُمَّ احْتَفَى فِي بَعْضِ الدُّرُوبِ فَأُخِذَ وَجِيءَ
بِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَجَنَهُ سَنَةً كَامِلَةً.

وَفِيهَا أَقْبَلَ الْمَأْمُونُ مِنْ حُرَّاسَانَ قاصِدًا الْعِرَاقَ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى
بْنَ جَعْفَرِ الْعَلَوِيِّ^١ أَخْبَرَ الْمَأْمُونَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْفِتَنِ وَالِاخْتِلَافِ بِأَرْضِ
الْعِرَاقِ، وَبِأَنَّ الْهَاشِمِيِّينَ قَدْ أَهْوَأُوا إِلَى النَّاسِ بِأَنَّ الْمَأْمُونِ مَسْحُورٌ وَمَجْنُونٌ، وَأَنَّهُمْ
قَدْ يَنْقِمُونَ عَلَيْكَ بِيَعْتِكَ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى، وَأَنَّ الْحَرْبَ قَائِمَةٌ بَيْنَ الْحَسَنِ
بْنَ سَهْلِ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ، فَاسْتَدْعَى الْمَأْمُونُ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أُمَّرَائِهِ
وَأَقْرَبَائِهِ، فَسَأَلَهُمْ عَمَّا أَخْبَرَهُ بِهِ عَلِيُّ الرِّضَا فَصَدَّقُوهُ بِالْأَمْرِ، بَعْدَ أَخْذِهِمُ الْأَمَانَ
مِنْهُ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلِ حَسَنٌ لَكَ قَتَلَ هَرِثْمَةَ، وَقَدْ كَانَ نَاصِحًا
لَكَ، فَعَاجَلَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ مَهْدٍ لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى قَادَ لَكَ
الْخِلَافَةَ بِزِمَامِهَا فَطَرَدْتَهُ إِلَى الرِّقَّةِ فَفَعَدَ لَا عَمَلَ لَهُ وَلَا تَسْتَنْهِيضُهُ فِي أَمْرِ، وَإِنَّ

^١ ولي العهد.

الأرضَ نَفَتَتْ بِالشُّرُورِ وَالْفِتَنِ مِنْ أَقْطَارِهَا. فَلَمَّا تَحَقَّقَ ذَلِكَ الْمَأْمُونُ أَمَرَ بِالرَّحِيلِ إِلَى بَعْدَادَ، وَقَدْ فَطِنَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ بِمَا تَمَالَأَ عَلَيْهِ أَوْلِيكَ النَّاصِحُونَ لِلْمَأْمُونِ، فَضَرَبَ قَوْمًا وَنَتَفَ لِحَى بَعْضِهِمْ.

مقتل الفضل بن سهل الوزير

وَسَارَ الْمَأْمُونُ فَلَمَّا كَانَ بِسَرْحَسَ عَدَا قَوْمٌ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ وَزِيرِ الْمَأْمُونِ وَهُوَ فِي الْحَمَامِ فَقَتَلُوهُ بِالسُّيُوفِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِلَيْلَتَيْنِ حَلَّتَا مِنْ شَعْبَانَ، وَلَهُ سِتُونَ سَنَةً. فَبَعَثَ الْمَأْمُونُ فِي آثَارِهِمْ فَجِيءَ بِهِمْ؛ وَهُمْ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَمَالِكِ فَقَتَلَهُمْ، وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ يُعَزِّيه فِيهِ، وَوَلَّاهُ الْوِزَارَةَ مَكَانَهُ.

وَارْتَحَلَ الْمَأْمُونُ مِنْ سَرْحَسَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ نَحْوَ الْعِرَاقِ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ بِالْمَدَائِنِ، وَفِي مُقَابَلَتِهِ جَيْشٌ يُقَاتِلُونَهُ مِنْ جِهَةِ الْمَأْمُونِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ الْمَأْمُونُ بُورَانَ بِنْتَ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ، وَزَوَّجَ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا بِابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبٍ، وَزَوَّجَ ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيَّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ بِابْنَتِهِ الْأُخْرَى أُمِّ الْفَضْلِ.

وفاة الرضا

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا وَصَلَ الْمَأْمُونُ فِي سَيْرِهِ مِنْ حُرَّاسَانَ إِلَى الْعِرَاقِ إِلَى مَدِينَةِ طُوسَ فَنَزَلَ بِهَا وَأَقَامَ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ أَيَّامًا مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ أَكَلَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا عِنَبًا فَمَاتَ فَجَأَةً، فَصَلَّى عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ وَدَفَنَهُ إِلَى جَانِبِ أَبِيهِ الرَّشِيدِ، وَأَسْفَ عَلَيْهِ أَسْفًا كَثِيرًا فِيمَا ظَهَرَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَكَتَبَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ يُعَزِّيه فِي عَلِيِّ الرِّضَا وَيُخْبِرُهُ بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْحَزَنِ عَلَيْهِ، وَكَتَبَ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَادَ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّكُمْ إِنَّمَا نَقَمْتُمْ عَلِيَّ بِسَبَبِ تَوَلَّيْتِي الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِي لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا وَهَذَا هُوَ قَدْ مَاتَ فَارْجِعُوا إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. فَأَجَابُوهُ بِأَعْلَظِ جَوَابٍ كُتِبَ بِهِ إِلَى أَحَدٍ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَلَبَتِ السُّودَاءُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ حَتَّى قُبِدَ فِي الْحَدِيدِ وَأُودِعَ فِي بَيْتٍ، فَكَتَبَ الْأُمَرَاءُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَأْمُونِ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ: إِنِّي وَاصِلٌ عَلَى إِثْرِ كِتَابِي هَذَا، ثُمَّ جَرَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَأَهْلِ بَعْدَادَ وَتَنَكَّرُوا عَلَيْهِ وَأَبْعَضُوهُ.

وَوَظَهَرَتِ الْفِتْنُ وَالشُّطَارُ وَالْفُسَّاقُ بِبَعْدَادَ وَتَفَاقَمَ الْحَالُ وَصَلَّوْا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ظُهُرًا، أَمَّهُمُ الْمُؤَدِّدُنُ مِنْ غَيْرِ حُطْبَةٍ؛ صَلَّوْا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ، وَاحْتَلَفَ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالْمَأْمُونِ، ثُمَّ غَلَبَتِ الْمَأْمُونِيَّةُ عَلَيْهِمْ.

خَلَعُ أَهْلِ بَغْدَادَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِيِّ

لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ دَعَا النَّاسُ لِلْمَأْمُونِ وَخَلَعُوا إِبْرَاهِيمَ، وَأَقْبَلَ حَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ فِي جَيْشٍ مِنْ جِهَةِ الْمَأْمُونِ فَحَاصَرَ بَغْدَادَ وَطَمَعَ جُنْدُهَا فِي الْعَطَاءِ، فَطَاوَعُوهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْمَأْمُونِ. وَقَدْ قَاتَلَ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ جِهَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِيِّ ثُمَّ احْتَالَ عَيْسَى حَتَّى صَارَ فِي أَيْدِي الْمَأْمُونِيَّةِ أَسِيرًا، ثُمَّ آلَ الْحَالُ إِلَى أَنْ احْتَفَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ فِي آخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ. وَكَانَتْ أَيَّامُهُ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا. وَقَدْ وَصَلَ الْمَأْمُونُ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِلَى هَمْدَانَ وَجِيُوشُهُ قَدِ اسْتَعَادُوا بَغْدَادَ إِلَى طَاعَتِهِ.

ترجمة الرضا

عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْفَرَسِيُّ الْهَاشِمِيُّ الْعَلَوِيُّ، الْمُلَقَّبُ بِالرِّضَا، كَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ هَمَّ أَنْ يَنْزِلَ لَهُ عَنِ الْخِلَافَةِ فَأَبَى عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَجَعَلَهُ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ، فَتَوَفَّى فِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بِطُوسٍ. وَقَدْ رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِيهِ وَغَيْرِهِ. وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الْمَأْمُونُ وَأَبُو الصَّلْتِ الْهَرَوِيُّ، وَأَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِيُّ النَّحْوِيُّ، وَقَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: اللَّهُ أَعَدَلَ مِنْ أَنْ يُكَلِّفَ الْعِبَادَ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَهُمْ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا مَا يُرِيدُونَ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا كَانَ قُدُومُ الْمَأْمُونِ أَرْضَ الْعِرَاقِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِبُجْرَجَانَ فَأَقَامَ بِهَا شَهْرًا، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا، وَكَانَ يَنْزِلُ فِي الْمَنْزِلِ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّهْرَوَانِ فَأَقَامَ بِهَا ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، وَقَدْ كَانَ كَتَبَ إِلَى طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ وَهُوَ بِالرَّقَّةِ أَنْ يُؤَافِيَهُ إِلَى النَّهْرَوَانِ فَوَافَاهُ بِهَا وَتَلَقَّاهُ رُءُوسُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْقُوَادِ، وَجُمْهُورُ الْجَيْشِ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ الْآخِرِ دَخَلَ بَعْدَادَ ارْتِفَاعَ النَّهَارِ، لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ صَفَرٍ، فِي أُهْبَةِ عَظِيمَةٍ وَجَيْشٍ عَظِيمٍ، وَعَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَقُبَايِهِمْ وَجَمِيعِ لِيَاسِهِمُ الْخُضْرَةَ، فَلَبَسَ أَهْلُ بَعْدَادَ وَبَنُو هَاشِمٍ أَجْمَعُونَ الْخُضْرَةَ، وَنَزَلَ الْمَأْمُونُ بِالرُّصَافَةِ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى قَصْرِهِ عَلَى دِجْلَةَ، وَجَعَلَ الْأُمَرَاءَ، وَوُجُوهَ الدَّوْلَةِ يَتَرَدَّدُونَ إِلَى دَارِهِ عَلَى الْعَادَةِ، وَقَدْ تَحَوَّلَ لِيَاسُ الْبِعَادَةِ إِلَى الْخُضْرَةَ، وَجَعَلُوا يَحْرِقُونَ كُلَّ مَا يَجِدُونَهُ مِنَ السَّوَادِ، فَمَكَّنُوا بِذَلِكَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ.

ترك الخضره والعودة إلى السواد

ثُمَّ اسْتَعْرَضَ حَوَائِجَ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَكَانَ أَوَّلَ حَاجَةٍ سَأَلَهَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى لِيَاسِ السَّوَادِ فَإِنَّهُ لِيَاسُ آبَائِهِ مِنْ دَوْلَةِ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ. فَلَمَّا كَانَ السَّبْتُ الْآخِرُ وَهُوَ الثَّلَاثُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ صَفَرٍ جَلَسَ الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ وَعَلَيْهِ الْخُضْرَةُ، ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِخَلْعَةِ سَوْدَاءَ، فَأَلْبَسَهَا طَاهِرًا، ثُمَّ أَلْبَسَ بَعْدَهُ جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ السَّوَادِ فَلَبَسَ النَّاسُ السَّوَادَ وَعَادُوا إِلَى ذَلِكَ، بَعْدَ مَا عَلِمَ مِنْهُمْ الطَّاعَةَ وَالْمُؤَافَقَةَ،

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمَأْمُونَ مَكَثَ يَلْبَسُ الْخُضْرَةَ بَعْدَ قُدُومِهِ بَعْدَادَ سَبْعًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ عَمُّهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ بَعْدَ اخْتِفَائِهِ سِتِّ سِنِينَ وَشُهُورًا، قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: أَنْتَ الْخَلِيفَةُ الْأَسْوَدُ. فَأَخَذَ فِي الْإِعْتِدَارِ وَالِاسْتِعْفَارِ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَأْمُونِ: أَنَا الَّذِي مَنَنْتَ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَفْوِ.

وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ شَاوَرَ فِي قَتْلِ عَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدِ الْوَزِيرِ الْأَحْوَلُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ قَتَلْتَهُ فَلَكَ نُظْرَاءُ، وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَمَا لَكَ نَظِيرٌ.

ثُمَّ شَرَعَ الْمَأْمُونُ فِي بِنَاءِ قُصُورٍ عَلَى دِجْلَةَ إِلَى جَانِبِ قَصْرِهَا، وَسَكَنَتْ الْفِتْنُ وَانزاحتِ الشُّرُورُ، وَأَمَرَ بِمُقَاسِمَةِ أَهْلِ السَّوَادِ عَلَى الْخُمْسَيْنِ، وَكَانُوا يُقَاسِمُونَ عَلَى النِّصْفِ، وَأَخَذَ الْقَفِيزَ الْمُلْجَمَ وَهُوَ عَشْرَةُ مَكَائِيٍّ بِالْمَكُوكِ الْهَارُوبِيِّ، وَوَضَعَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ حَرَاجَاتِ بِلَادِ شَتَّى، وَرَفَقَ بِالنَّاسِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ.

وَوَلَّى أَحَاهُ أَبَا عَيْسَى بْنَ الرَّشِيدِ الْكُوفَةَ، وَوَلَّى أَحَاهُ صَالِحًا الْبَصْرَةَ، وَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ نِيَابَةَ الْحَرَمَيْنِ، وَهُوَ الَّذِي حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

وَفِيهَا وَقَعَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ بِأَبِكِ الْحَرَمِيِّ فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِ.

وفاة الشافعي

وفي هذه السنة كانت وفاة أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، وقد أفردنا له ترجمة مطوّلة في أول كتابنا "طبقات الشافعيين"، ولندكر ههنا ملخصاً من ذلك، وبالله المستعان.

هو الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، القرشي المطلبّي، والسائب بن عبيد أسلم يوم بدر وابنه شافع بن السائب من صغار الصحابة، وأمه أزدية. وقد رأت حين حملت به كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر، ثم وقع في كل بلد منه شظية. وقد ولد الشافعي بعزة، سنة خمسين ومائة، ومات أبوه وهو صغير، فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين، لئلا يضيع نسبه، فنشأ بها، وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ "الموطأ" وهو ابن عشر، وأفق وهو ابن خمس عشرة سنة. أذن له شيخه مسلم بن خالد الزنجي. وعني باللغة والشعر، وأقام في هذيل نحوًا من عشر سنين، فتعلم منهم لغات العرب وفصاحتها، وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة، وقرأ بنفسه "الموطأ" على مالك من حفظه فأعجبه قراءته وهنئه، وأخذ عنه علم الحجازيين، بعد أخذه عن مسلم بن خالد الزنجي.

وَرَوَى عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ قَدْ ذَكَرْنَا أَسْمَاءَهُمْ مُرْتَبِينَ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ. وَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ قُسْطَنْطِينٍ، عَنْ شِبْلٍ، عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ جَبْرِيلَ، عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَخَذَ الشَّافِعِيُّ الْفِقْهَ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ خَالِدِ الرَّزْحِي، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِمَا، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ مِنْهُمْ عُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَغَيْرُهُمْ، كُلُّهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَفَقَّهَ أَيْضًا عَلَى مَالِكٍ عَنْ مَشَائِخِهِ، وَتَفَقَّهَ بِهِ جَمَاعَةٌ قَدْ ذَكَرْنَاهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى زَمَانِنَا فِي مُصَنَّفٍ مُفْرَدٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَعَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ وَلِيَ الْحُكْمَ بِنَجْرَانَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ، ثُمَّ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِ وَوَسَّوْا بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ هَارُونَ أَنَّهُ يَزُومُ الْخِلَافَةَ، فَحَمَلَ عَلَى بَعْلِ فِي قَيْدٍ إِلَى بَعْدَادَ فَدَخَلَهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَعُمُرُهُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، فَاجْتَمَعَ بِالرَّشِيدِ فَتَنَظَرَهُ هُوَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَحْسَنَ الْقَوْلَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَتَبَيَّنَ لِلرَّشِيدِ بَرَاءَتَهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَأَنْزَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عِنْدَهُ.

وَكَانَ أَبُو يُوسُفَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ بِسَنَةٍ، وَأَكْرَمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَكَتَبَ عَنْهُ الشَّافِعِيُّ وَقَرَّ بِعِيرٍ^١. ثُمَّ أَطْلَقَ لَهُ الرَّشِيدُ أَلْفِي دِينَارٍ وَعَادَ الشَّافِعِيُّ إِلَى

^١ يعني ما يوازي حمل جمل.

مَكَّةَ فَفَرَّقَ عَامَّةَ مَا حَصَلَ لَهُ فِي أَهْلِهِ وَذَوِي رَحْمِهِ مِنْ بَنِي عَمِّهِ، ثُمَّ عَادَ الشَّافِعِيُّ إِلَى بَغْدَادَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ وَمِائَةٍ فَاجْتَمَعَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ هَذِهِ الْمَرَّةَ؛ مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْكِرَائِسِيُّ، وَالْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجِ النَّقَّالِ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّافِعِيُّ، وَالزَّعْفَرَانِيُّ وَغَيْرُهُمْ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ.

وَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ أَيْضًا سَنَةَ ثَمَانٍ وَتَسْعِينَ وَمِائَةٍ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى مِصْرَ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ؛ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ، كَمَا سَيَأْتِي. وَصَنَّفَ بِهَا كِتَابَهُ "الْأَمَّ"١، وَهُوَ مِنْ كُتُبِهِ الْجَدِيدَةِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ رِوَايَةِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَهُوَ مِصْرِيٌّ. وَقَدْ زَعَمَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَغَيْرُهُ أَنَّهَا مِنَ الْقَدِيمِ. وَهَذَا بَعِيدٌ وَعَجِيبٌ مِنْ مِثْلِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ أَتَى عَلَى الشَّافِعِيِّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ كِبَارِ الْأَئِمَّةِ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا فِي الْأُصُولِ فَكَتَبَ لَهُ "الرِّسَالَةَ"٢، وَكَانَ يَدْعُو لَهُ فِي الصَّلَاةِ دَائِمًا، وَشَيْخُهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَقَالَ: هُوَ إِمَامٌ، وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْقَطَّانِ، وَكَانَ يَدْعُو لَهُ أَيْضًا فِي صَلَاتِهِ. وَأَبُو عُبَيْدٍ وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ وَلَا أَعْقَلَ وَلَا أَوْرَعَ مِنْ

١ في الفقه.

٢ في أصول الفقه.

الشَّافِعِيُّ، وَيَحْيَى بْنُ أَكْثَمِ الْقَاضِي، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ يَطُولُ ذِكْرُهُمْ وَشَرَحَ أَقْوَالَهُمْ.

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَدْعُو لَهُ فِي صَلَاتِهِ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ أَحْمَدُ يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ شَرَّاحِيلَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي عَلْقَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» قَالَ: فَعُمِّرَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُولَى، وَالشَّافِعِيُّ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ عَنِ الشَّافِعِيِّ: هُوَ صَدُوقٌ لَا بَأْسَ بِهِ. وَقَالَ مَرَّةً: لَوْ كَانَ الْكَذِبُ لَهُ مُطْلَقًا لَكَانَتْ مُرُوءَتُهُ تَمْنَعُهُ أَنْ يَكْذِبَ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: الشَّافِعِيُّ فَقِيهُ الْبَدَنِ، صَدُوقٌ اللَّسَانِ. وَحَكَى بَعْضُهُمْ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ أَنَّهُ قَالَ: مَا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ حَدِيثٌ غَلَطَ فِيهِ. وَحُكِيَ عَنِ أَبِي دَاوُدَ نَحْوُهُ.

وَقَالَ إِمَامُ الْأَئِمَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ حُزَيْمَةَ، وَقَدْ سُئِلَ: هَلْ سُنَّةٌ لَمْ تَبْلُغِ الشَّافِعِيَّ؟ فَقَالَ: لَا. وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ تَارَةً تَبْلُغُهُ بِسَنَدِهَا، وَتَارَةً مُرْسَلَةً، وَتَارَةً مُنْقَطِعَةً، كَمَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي كُتُبِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ حَزْمَةُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: سُمِّيَتْ بَعْدَادُ نَاصِرُ السُّنَّةِ. وَقَالَ أَبُو ثَوْرٍ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ الشَّافِعِيِّ، وَلَا رَأَى هُوَ مِثْلَ نَفْسِهِ. وَكَذَا قَالَ الرَّعْفَرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ.

وَقَالَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ الظَّاهِرِيُّ فِي كِتَابِ جَمْعِهِ فِي فَضَائِلِ الشَّافِعِيِّ: لِلشَّافِعِيِّ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لِعَبْدٍ؛ مِنْ شَرَفِ نَسَبِهِ، وَصِحَّةِ دِينِهِ، وَمُعْتَقَدِهِ، وَسَخَاوَةِ نَفْسِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِصِحَّةِ الْحَدِيثِ وَسَقَمِهِ وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَحِفْظِهِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَسِيرَةِ الْخُلَفَاءِ، وَحُسْنِ التَّصْنِيفِ، وَجُودَةِ الْأَصْحَابِ وَالتَّلَامِذَةِ، مِثْلَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي زُهْدِهِ وَوَرَعِهِ، وَإِقَامَتِهِ عَلَى السُّنَّةِ. ثُمَّ سَرَدَ أَعْيَانَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْبَعَادَةِ وَالْمِصْرِيِّينَ. وَكَذَا عَدَّ أَبُو دَاوُدَ مِنْ جُمْلَةِ تَلَامِيذِهِ فِي الْفِقْهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ.

وَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَأَشَدِّ النَّاسِ انْتِزَاعًا لِلدَّلَائِلِ مِنْهُمَا، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ قَصْدًا وَإِحْلَاصًا، كَانَ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ، وَلَا يُنْسَبُ إِلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ أَبَدًا، فَأُوجِرَ عَلَيْهِ وَلَا يَحْتَمِدُونِي.

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْهُ: إِذَا صَحَّ عِنْدَكُمْ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَعُولُوا بِهِ وَدَعُوا قَوْلِي فَإِنِّي أَقُولُ بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوهُ مِنِّي، فَلَا قَوْلَ لِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ: لِأَنَّ يَلْقَى اللَّهُ الْعَبْدَ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشِّرْكَ بِاللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ. وَفِي رِوَايَةٍ: خَيْرٌ

لَهُ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِعِلْمِ الْكَلَامِ. وَقَالَ: لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ مِنْ
الْأَهْوَاءِ لَفَرُّوا مِنْهُ كَمَا يَفْرُونَ مِنَ الْأَسَدِ. وَقَالَ أَيْضًا: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ
أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجُرِيدِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَيُنَادَى عَلَيْهِمْ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ
الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ.

وَقَالَ الْبُؤَيْطِيُّ^١: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ؛ فَإِنَّهُمْ
أَكْثَرُ النَّاسِ صَوَابًا.

وَكَانَ يَقُولُ: إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، فَكَأَنَّمَا رَأَيْتَ رَجُلًا مِنْ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا، حَفِظُوا لَنَا الْأَصْلَ،
فَلَهُمْ عَلَيْنَا الْفَضْلُ. وَمِنْ شِعْرِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْعَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِئَةَ فِي الدِّينِ

الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَا السَّيَاطِينِ

وَكَانَ يَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ.

^١ يوسف بن يحيى البُؤَيْطِيُّ المصري (ت ٢٣١هـ): صاحب الإمام الشافعي، وخليفته من بعده
على أصحابه. تفقه على الشافعي، واختص بصحبته حتى صار من أكبر أصحابه المصريين، ومن
أشهر القائمين بفقهاء. وكان جبالاً من جبال العلم والدين، عابداً، زاهداً، مُناظراً، كثير الذكر
والتهجد والتلاوة، سريع الدمعة. وبُويط من صعيد مصر.

وَقَدْ رَوَى عَنْهُ الرَّبِيعُ وَعَبِيْرٌ وَاحِدٌ مِنْ رُءُوسِ أَصْحَابِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَمُرُّ
بِآيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهِ وَلَا تَعْطِيلٍ
وَلَا تَحْرِيفٍ، عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ. وَقَالَ ابْنُ حُرَيْمَةَ: أَنْشَدَنِي الْمُزَنِّيُّ، قَالَ:
أَنْشَدَنَا الشَّافِعِيُّ لِنَفْسِهِ:

وَمَا شِئْتُ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ فَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسْنُ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ قَبِيْحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ
عَلَى ذَا مَنْنَتٍ وَهَذَا خَدَلْتُ وَهَذَا أَعْنَتُ وَذَا لَمْ تُعِنْ

وَقَالَ الرَّبِيعُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ.

وَعَنِ الرَّبِيعِ قَالَ: أَنْشَدَنِي الشَّافِعِيُّ:

قَدْ عَوَّجَ النَّاسُ حَتَّى أَحَدَثُوا بَدْعًا فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ لَمْ تُبْعَثْ بِهَا الرُّسُلُ
حَتَّى اسْتَحَفَّ بِحَقِّ اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ وَفِي الَّذِي حُمِلُوا مِنْ حَقِّهِ شُعْلُ
وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ شِعْرِهِ فِي السُّنَّةِ، وَكَلَامِهِ فِيهَا، وَفِي الْحِكْمِ وَالْمَوَاعِظِ طَرْفًا صَالِحًا
فِي الَّذِي كَتَبْنَاهُ فِي أَوَّلِ "طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ".

وَقَدْ كَانَتْ وَقَاتُهُ بِمِصْرَ^١ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَقِيلَ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ، عَنْ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَكَانَ أَبْيَضَ جَمِيلًا طَوِيلًا مَهْيَبًا، يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ مُخَالَفَةً لِلشَّيْعَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ.

ثورة الزط

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا وَلى الْمَأْمُونُ طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْعَبٍ نِيَابَةَ بَغْدَادَ وَالْعِرَاقَ وَخُرَاسَانَ إِلَى أَقْصَى عَمَلِ الْمَشْرِقِ، وَرَضِيَ عَنْهُ وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ، وَذَلِكَ لِمَرَضِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلِ بِالسَّوَادِ. وَوَلَّى الْمَأْمُونُ مَكَانَ طَاهِرٍ عَلَى الرَّقَّةِ وَالْجَزِيرَةِ يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ، وَقَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ إِلَى بَغْدَادَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ اسْتَحْلَفَهُ عَلَى الرَّقَّةِ وَأَمَرَهُ بِمُقَاتَلَةِ نَصْرِ بْنِ شَبَّثٍ.

^١ قيل إن المالكية قاموا بضرب الإمام الشافعي ضرباً عنيفاً بالهراوات حتى تسبب هذا بقتله. والله أعلم. وقيل إن سبب موته هو مرض البواسير الذي أصابه.

وَوَلَّى الْمَأْمُونُ عَيْسَى بْنَ يَزِيدَ الْجُلُودِيَّ مُقَاتِلَةَ الزُّطِّ^١. وَوَلَّى عَيْسَى بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ أَذْرَبِيحَانَ وَإِرْمِينِيَةَ، وَأَمَرَهُ بِمُحَارَبَةِ بَابِكِ الْحَرَمِيِّ. وَمَاتَ نَائِبُ مِصْرَ السَّرِيِّ بْنِ الْحَكَمِ بِهَا. وَنَائِبُ السَّنَدِ دَاوُدُ بْنُ يَزِيدَ، فَوَلَّى مَكَانَهُ بِشْرَ بْنَ دَاوُدَ، عَلَى أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتِّ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا وَلَّى الْمَأْمُونُ دَاوُدَ بْنَ مَاسْجُورَ بِلَادَ الْبَصْرَةَ وَكُورَ دِجْلَةَ وَالْيَمَامَةَ وَالْبَحْرَيْنِ، وَأَمَرَهُ بِمُحَارَبَةِ الزُّطِّ.

وَفِيهَا جَاءَ مَدُّ كَثِيرٌ فَعَرَّقَ بِلَادَ أَرْضِ السَّوَادِ^٢ وَأَهْلَكَ لِلنَّاسِ شَيْئًا كَثِيرًا.

وَفِيهَا وَلَّى الْمَأْمُونُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ الرَّقَّةَ وَأَمَرَهُ بِمُحَارَبَةِ نَصْرِ بْنِ شَبَثٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ نَائِبَهَا يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ مَاتَ، وَكَانَ قَدْ اسْتَخْلَفَ مَكَانَهُ ابْنُهُ أَحْمَدَ، فَلَمْ يُمِضْ ذَلِكَ الْمَأْمُونُ وَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ؛ لِشَهَامَتِهِ وَبَصَرِهِ بِالْأُمُورِ، وَحَثَّتْهُ عَلَى قِتَالِ نَصْرِ بْنِ شَبَثٍ. وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَبُوهُ مِنْ

^١ الزط: شعوب هندية هاجروا إلى فارس واستقر كثير منهم في جنوب العراق وعملوا بالزراعة. وقادوا ثورة ضد العباسيين استمرت حتى عهد المعتصم الذي أنهى ثورة الزط بشكل نهائي. وبعد نجاحه بذلك قام بتفرقة الزط في مختلف أنحاء البلاد لمنع تمرد آخر.

^٢ أرض السواد هي الأرض المغنومة من الفرس التي فتحها عمر، وهي سواد العراق. وسميت بهذا الاسم؛ لأن الجيش لما خرجوا من البادية رأوا هذه الأرض والتفاف شجرها سموها السواد لذلك؛ لأنهم كانوا يجمعون بين الحضرة والسواد في الاسم.

حُرَّاسَانَ بِكِتَابٍ فِيهِ الْأَمْرُ لَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٍ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا حَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيْلَادِ عَكِّ فِي الْيَمَنِ، يَدْعُو إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعُمَّالَ بِالْيَمَنِ أَسَاءُوا السِّيْرَةَ إِلَى الرَّعَايَا، فَلَمَّا ظَهَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا بَايَعَهُ النَّاسُ، فَلَمَّا بَلَغَ أَمْرُهُ إِلَى الْمَأْمُونِ بَعَثَ إِلَيْهِ دِينَارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ وَمَعَهُ كِتَابُ أَمَانٍ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا، إِنَّهُ هُوَ سَمِعَ وَأَطَاعَ، فَحَضَرُوا الْمَوْسِمَ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى الْيَمَنِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ، بَعَثَ دِينَارَ بِكِتَابِ الْأَمَانِ فَقَبِلَهُ وَسَمِعَ وَأَطَاعَ، وَجَاءَ حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ دِينَارٍ، فَسَارَ مَعَهُ إِلَى بَغْدَادَ وَلَبَسَ السَّوَادَ فِيهَا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَلَا السَّعْرُ بِبَغْدَادَ وَالْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ، حَتَّى بَلَغَ سَعْرُ الْقَفِيزِ مِنَ الْحِنْطَةِ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا ذَهَبَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْعَبِ أَحْوِ طَاهِرٍ فَارًّا مِنْ حُرَّاسَانَ إِلَى كَرْمَانَ فَعَصَى بِهَا، فَسَارَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ فَحَاصَرَهُ حَتَّى نَزَلَ قَهْرًا، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ فَعَفَا عَنْهُ فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ مِنْهُ.

¹ كناية عن العودة إلى بيعة العباسيين.

وَفِيهَا اسْتَعْفَى مُحَمَّدُ بْنُ سَمَاعَةَ مِنَ الْقَضَاءِ، فَأَعْفَاهُ الْمَأْمُونُ وَوَلَّى مَكَانَهُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ.

وَفِيهَا وَلَّى الْمَأْمُونُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيَّ الْقَضَاءَ بِعَسْكَرِ الْمَهْدِيِّ فِي شَهْرِ الْمُحَرَّمِ، ثُمَّ عَزَلَهُ عَنْ قَرِيبٍ وَوَلَّى مَكَانَهُ بِشْرَ بْنَ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيَّ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا. فَقَالَ الْمَخْزُومِيُّ فِي ذَلِكَ:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُوَحَّدُ رَبُّهُ قَاضِيكَ بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ حِمَارُ
يَنْفِي شَهَادَةَ مَنْ يَدِينُ بِمَا بِهِ نَطَقَ الْكِتَابُ وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ
وَيَعُدُّ عَدْلًا مَنْ يَقُولُ بِأَنَّهُ شَيْخٌ يُحِيطُ بِجِسْمِهِ الْأَقْطَارُ

وَفَاةُ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ

وَهِيَ نَفِيسَةُ بِنْتُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْفَرَشِيَّةُ الْهَاشِمِيَّةُ. كَانَ أَبُوهَا نَائِبًا لِلْمَنْصُورِ عَلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ خَمْسَ سِنِينَ، ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ فَعَزَلَهُ عَنْهَا، وَأَخَذَ مِنْهُ كُلَّ مَا كَانَ جَمَعَهُ مِنْهَا، وَأَوْدَعَهُ السِّجْنَ بِبَغْدَادَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى تُؤَيِّقَ الْمَنْصُورُ، فَأَطْلَقَهُ الْمَهْدِيُّ وَأَطْلَقَ لَهُ كُلَّ مَا كَانَ أَخَذَ مِنْهُ، وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى الْحَجِّ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، فَلَمَّا كَانَ بِالْحَاجِرِ تُؤَيِّقَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ خَمْسِ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ ابْنَتَهُ نَفِيسَةَ دَخَلَتْ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ مَعَ زَوْجِهَا الْمُؤْمِنِ، إِسْحَاقَ
 بِنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ^١، فَأَقَامَتْ بِهَا، وَكَانَتْ ذَاتَ مَالٍ وَإِحْسَانٍ إِلَى النَّاسِ
 وَالْجُدْمَى وَالزَّمَنَى وَالْمَرْضَى وَعُمُومِ النَّاسِ، وَكَانَتْ عَابِدَةً زَاهِدَةً كَثِيرَةَ الْخَيْرِ،
 وَلَمَّا وَرَدَ الشَّافِعِيُّ مِصْرَ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ، وَكَانَ رُبَّمَا صَلَّى بِهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ،
 وَحِينَ مَاتَ أَمَرَتْ بِجِنَازَتِهِ فَأَدْخَلَتْ إِلَيْهَا الْمَنْزِلَ فَصَلَّتْ عَلَيْهِ، وَلَمَّا تُوُفِّيَتْ
 عَزَمَ زَوْجُهَا إِسْحَاقُ بِنُ جَعْفَرٍ أَنْ يَنْقُلَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَمَعَهُ أَهْلُ مِصْرَ
 مِنْ ذَلِكَ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَتَزَكَّهَا عِنْدَهُمْ، فَدَفِنَتْ فِي الْمَنْزِلِ الَّذِي كَانَتْ تَسْكُنُهُ
 بِمَحَلَّةٍ كَانَتْ تُعْرَفُ قَدِيمًا بِدَرْبِ السَّبَاعِ بَيْنَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ الْيَوْمَ، وَقَدْ بَادَتْ
 تِلْكَ الْمَحَلَّةُ فَلَمْ يَبْقَ سِوَى قَبْرِهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ
 السَّنَةِ فِيمَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ حَلْكَانَ فِي "وَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ"، قَالَ:
 وَلِأَهْلِ مِصْرَ فِيهَا اعْتِمَادٌ. قُلْتُ: وَإِلَى الْآنِ، وَقَدْ بَالَعَ الْعَامَّةُ فِي أَمْرِهَا كَثِيرًا،
 وَيُطْلِقُونَ فِيهَا عِبَارَاتٍ بَشَعَةً فِيهَا مُجَازَفَةٌ تُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَالْفَاطِطُ
 كَثِيرَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفُوا بِأَنَّهَا لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُهَا فِي مِثْلِ أَمْرِهَا، وَرُبَّمَا نَسَبَهَا
 بَعْضُهُمْ إِلَى زَيْنِ الْعَابِدِينَ، وَلَيْسَتْ مِنْ سُلَالَتِهِ، وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَقَدَ فِيهَا

^١ أبو محمد إسحاق بن جعفر الصادق: فقيه ومحدث ثقة، ولد في العريض في المدينة المنورة وتوفي في مصر، أمه حميدة البربرية وهي أم إخوته موسى الكاظم ومحمد الدياج وفاطمة الكبرى. تزوج بنفيسة بنت الحسن بن زيد بن الإمام الحسن المجتبي المدفونة في مصر وله من الأبناء، محمد والحسن وجعفر والقاسم والحسين.

مِنَ الصَّلَاحِ مَا يَلِيقُ بِأَمْثَالِهَا مِنَ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ، وَأَصْلُ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مِنَ الْمُعَالَاةِ فِي الْقُبُورِ وَأَصْحَابِهَا، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَسْوِيَةِ الْقُبُورِ وَطَمْسِهَا. وَالْمُعَالَاةُ فِي الْبَشَرِ حَرَامٌ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهَا تُفَكُّ مِنَ الْحَشَبِ^١، أَوْ أَنَّهَا تَنْفَعُ أَوْ تَضُرُّ بِغَيْرِ مَشِيئَةِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ. رَحِمَهَا اللَّهُ وَأَكْرَمَهَا وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَنْزِلًا.

وفاة الفضل بن الربيع

الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرَوَةَ كَيْسَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، الَّذِي كَانَ زَوَالَ دَوْلَةِ الْبِرَامِكَةِ عَلَى يَدَيْهِ، وَقَدْ وَزَرَ مَرَّةً لِلرَّشِيدِ، وَقَدْ كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنَ الرَّشِيدِ، وَكَانَ شَدِيدَ التَّشَبُّهِ بِالْبِرَامِكَةِ، وَكَانُوا يَسْتَهِينُونَ بِهِ فَلَمْ يَزَلْ يَعْمَلُ جُهْدَهُ فِيهِمْ حَتَّى هَلَكُوا كَمَا تَقَدَّمَ. وَذَكَرَ الْقَاضِي ابْنُ حَلِكَانَ أَنَّ الْفَضْلَ هَذَا دَخَلَ يَوْمًا عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، وَابْنُهُ جَعْفَرٌ يُوقِعُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَعَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَشْرُ قِصَصٍ، فَلَمْ يَقْضِ لَهُ مِنْهَا وَاحِدَةً بَلْ يَتَعَلَّلُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، فَجَمَعَهُنَّ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ وَقَالَ: ارْجِعْنَ خَائِبَاتٍ حَاسِنَاتٍ. ثُمَّ هَضَّ وَهُوَ يَقُولُ:

عَسَى وَعَسَى يَنْبِي الرِّمَانِ عِنَانَهُ بَتَصْرِيفِ حَالِ وَالرِّمَانِ عَثُورُ
فَتُقْضَى لُبَانَاتٌ وَتُشْفَى حَسَائِفُ وَتُحَدِّثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورُ

^١ الخشب داء يصيب العظام. والخشب سوء العيش وضيقه.

فَسَمِعَهُ الْوَزِيرُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ فَقَالَ لَهُ: أَقَسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَا رَجَعْتَ. فَأَخَذَ مِنْ يَدِهِ الْقِصَصَ فَوَقَعَ عَلَيْهَا. ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَخْفِرُ خَلْفَهُمْ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْهُمْ، وَتَوَلَّى الْوَزَارَةَ بَعْدَهُمْ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو نُوَّاسٍ:

مَا رَعَى الدَّهْرُ آلَ بَرْمَكٍ لَمَّا أَنْ رَمَى مُلْكُهُمْ بِأَمْرِ فَطِيعِ
إِنَّ دَهْرًا لَمْ يَرِعْ عَهْدًا لِيَحْيَى عَيْرُ رَاعٍ ذِمَامَ آلِ الرَّيِّعِ

ثُمَّ وَرَرَ مِنْ بَعْدِ الرَّشِيدِ لِابْنِهِ الْأَمِينِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَأْمُونُ بَعْدَادَ احْتَفَى، فَأَرْسَلَ لَهُ الْمَأْمُونُ أَمَانًا فَحَرَجَ، وَمَ يَزَلُ حَامِلًا حَتَّى مَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَلَهُ ثَمَانٍ وَسِتُّونَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا حَصَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ نَصْرَ بْنَ شَبَّثٍ بَعْدَ مَا حَارَبَهُ خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمَّا حَصَرَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ حَتَّى أَلْجَأَهُ إِلَى أَنْ طَلَبَ مِنْهُ الْأَمَانَ، فَكَتَبَ ابْنُ طَاهِرٍ إِلَى الْمَأْمُونِ يُعَلِّمُهُ بِذَلِكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ يَأْمُرُهُ بِكِتَابَةِ أَمَانٍ لِنَصْرِ بْنِ شَبَّثٍ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَتَبَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ كِتَابَ أَمَانٍ، فَنَزَلَ فَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بِتَخْرِيبِ الْمَدِينَةِ الَّتِي كَانَ مُتَحَصِّنًا بِهَا، وَذَهَبَ شُرُهُ.

وَفِيهَا جَرَتْ حُرُوبٌ مَعَ بَابِكِ الْخُرَّمِيِّ فَأَسَرَ بَابِكُ بَعْضَ أُمَرَاءِ الْإِسْلَامِ وَأَحَدَ مُقَدَّمِي الْعَسَاكِرِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَفِيهَا تُؤَيِّ مَلِكُ الرُّومِ مِيحَائِيلُ بْنُ جُورْجِسَ، وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ تِسْعَ سِنِينَ، فَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ ابْنَهُ تَوْفِيلَ بْنَ مِيحَائِيلَ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ عَشْرٌ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي صَفَرٍ مِنْهَا دَخَلَ نَصْرُ بْنُ شَبَثٍ إِلَى بَغْدَادَ حِينَ بَعَثَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ مِنَ الرَّقَّةِ فَدَخَلَهَا وَمَ يَتَلَقَّهَ أَحَدٌ مِنَ الْجُنْدِ بَلَّ دَخَلَهَا وَحَدَهُ فَأُنزِلَ فِي مَدِينَةِ أَبِي جَعْفَرٍ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ، وَفِي هَذَا الشَّهْرِ ظَفَرَ الْمَأْمُونُ بِجَمَاعَةٍ مِنْ كُبَرَاءِ مَنْ كَانَ بَايَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ فَعَاقَبَهُمْ وَحَبَسَهُمْ فِي الْمَطْبِقِ.

ظُهُورُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ بَعْدَ اخْتِفَائِهِ

وَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْأَحَدِ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَخْرِ مِنْهَا اجْتَاَزَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَكَانَ مُحْتَفِيًا مُدَّةَ سِتِّ سِنِينَ وَشُهُورٍ مُنْتَقِبًا فِي زِيِّ امْرَأَةٍ وَمَعَهُ امْرَأَتَانِ فِي بَعْضِ دُرُوبِ بَغْدَادَ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ، فَقَامَ الْحَارِسُ فَقَالَ: إِلَى أَيِّنَ هَذِهِ السَّاعَةِ؟ وَمِنْ أَيِّنَ؟ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُمْسِكَهُنَّ، فَأَعْطَاهُ إِبْرَاهِيمُ حَاتِمًا كَانَ فِي يَدِهِ مِنْ يَأْقُوتٍ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْحَارِسُ اسْتَرَابَ وَقَالَ: إِنَّمَا هَذَا حَاتِمٌ رَجُلٍ كَبِيرِ الشَّانِ. فَذَهَبَ بِهِ إِلَى مُتَوَلِّي اللَّيْلِ، فَأَمَرَهُنَّ أَنْ يُسْفِرْنَ عَنْ وُجُوهِهِنَّ، فَتَمَنَّعَ إِبْرَاهِيمُ فَكَشَفُوا عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ، فَعَرَفَهُ فَذَهَبَ بِهِ إِلَى صَاحِبِ الْحَرَسِ فَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ، فَرَفَعَهُ الْأَخْرُ إِلَى بَابِ الْمَأْمُونِ فَأَصْبَحَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ وَنِقَابُهُ عَلَى رَأْسِهِ وَالْمِلْحَفَةُ فِي صَدْرِهِ لِيَرَاهُ النَّاسُ، وَلِيَعْلَمُوا كَيْفَ أَخَذَ. فَأَمَرَ

الْمَأْمُونُ بِالِاخْتِفَاطِ بِهِ وَالِاخْتِرَاسِ عَلَيْهِ مُدَّةً، ثُمَّ أَطْلَقَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ. هَذَا وَقَدْ صَلَبَ جَمَاعَةً مِمَّنْ كَانَ سَجَنَهُمْ بِسَبَبِهِ لِكُونِهِمْ أَرَادُوا الْفَتْكَ بِالْمُؤَكَّلِينَ بِالسِّجْنِ، فَصَلَبَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةً.

وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ لَمَّا أُوقِفَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ شَرَعَ فِي تَأْنِيهِهِ، فَتَرَفَّقَ لَهُ عَمُّهُ إِبْرَاهِيمُ كَثِيرًا، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ تُعَاقِبَ فِحَقِّكَ، وَإِنْ تَعْفُ فَبِفَضْلِكَ. فَقَالَ: بَلْ أَعْفُو يَا إِبْرَاهِيمُ، إِنْ الْقُدْرَةَ تُدْهِبُ الْحَفِيزَةَ، وَالنَّدْمُ تَوْبَةٌ، وَبَيْنَهُمَا عَفُو اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِمَّا تَسْأَلُهُ. فَكَبَّرَ إِبْرَاهِيمُ وَسَجَدَ شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدْ امْتَدَحَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ابْنَ أَخِيهِ الْمَأْمُونُ بِقَصِيدَةٍ بَالِغٍ فِيهَا، فَلَمَّا سَمِعَهَا الْمَأْمُونُ قَالَ: أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: { لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا كَانَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالضِّيَاعِ وَالذُّورِ، فَزِدَّتْ إِلَيْهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ مُكْرَمًا مُعْظَمًا.

عُرْسُ بُورَانَ بِنْتِ الْحَسَنِ

وَفِي رَمَضَانَ مِنْهَا بَنَى الْمَأْمُونُ بُورَانَ بِنْتِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَعْدَادَ فِي رَمَضَانَ إِلَى مُعَسْكَرِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ بِقِمِّ الصِّلَحِ، وَكَانَ الْحَسَنُ قَدْ عُوِفِيَ مِنْ مَرَضِهِ فَنَزَلَ الْمَأْمُونُ عِنْدَهُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ وُجُوهِ الْأَمْرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ

وَأَكَابِرِ بَنِي هَاشِمٍ، فَدَخَلَ بِيُورَانَ فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ فِي لَيْلَةٍ عَظِيمَةٍ، وَقَدْ أَشْعَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ شُمُوعُ الْعَنْبَرِ، وَنَثَرَ عَلَى رَأْسِهِ الدُّرَّ وَالْجَوْهَرَ، فَوَقَّ حُصْرٍ مَنَسُوجَةٍ بِالذَّهَبِ الْأَحْمَرِ. وَكَانَ عَدَدُ الْجَوْهَرِ مِنْهُ أَلْفَ دَرَّةٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَجُمِعَ فِي صَيْبِيَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ كَانَتْ الْجَوْهَرُ فِيهَا، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا نَتَرَنَاهُ لِتَتَلَقَّطَهُ الْجَوَارِي. فَقَالَ: لَا، أَنَا أَعَوِّضُهُنَّ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ. فَجَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْعُرُوسُ وَمَعَهَا جَدَّتُهَا وَرُبَيْدَةُ أُمُّ أَخِيهِ الْأَمِينِ مِنْ جُمَّلَةٍ مَنْ جَاءَ مَعَهَا فَأَجْلَسَتْ إِلَى جَانِبِهِ فَصَبَّ فِي حِجْرِهَا ذَلِكَ الْجَوْهَرَ، وَقَالَ لَهَا: هَذَا نِحْلَةٌ مِثِّي لَكَ، وَسَلِي حَاجَتِكَ. فَأَطْرَقَتْ حَيَاءً، فَقَالَتْ جَدَّتُهَا: كَلِمِي سَيِّدَكَ وَسَلِيهِ حَاجَتِكَ فَقَدْ أَمَرَكَ. فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْضَى عَنِّي عَمِكَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ وَأَنْ تَرُدَّهُ إِلَى مَنْزِلَتِهِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ. فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: وَأُمُّ جَعْفَرٍ تَعْنِي رُبَيْدَةَ تَأْذُنُ لَهَا فِي الْحَجِّ. قَالَ: نَعَمْ. فَخَلَعَتْ عَلَيْهَا رُبَيْدَةَ بِذَلَّتْهَا الْأُمُويَّةُ، وَأَطْلَقَتْ لَهَا قَرْيَةً مُقَوَّرَةً. وَأَمَّا وَالِدُ الْعُرُوسِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فَإِنَّهُ كَتَبَ أَسْمَاءَ قُرَاهُ وَضِيَاعَهُ وَأَمْلَاكُهُ فِي رِقَاعٍ وَنَثَرَهَا عَلَى الْأَمْرَاءِ وَوُجُوهِ النَّاسِ، فَمَنْ وَقَعَتْ فِي يَدِهِ مِنْهَا رُفْعَةٌ، بَعَثَ إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي فِيهَا نُوَابُهُ فَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ مَلَكًا خَالِصًا. وَأَنْفَقَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْجَيْشِ فِي مُدَّةِ مُقَامِهِ عِنْدَهُ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا مَا يُعَادِلُ خَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَلَمَّا أَرَادَ الْمَأْمُونُ الْإِنْصِرَافَ مِنْ عِنْدِهِ، أَطْلَقَ لَهُ عَشْرَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَقْطَعَهُ الْبَلَدَةَ الَّتِي هُوَ نَازِلٌ بِهَا، وَهُوَ إِفْلِيمُ فَمِ الصِّلْحِ، مُضَافًا إِلَى مَا

بِيَدِهِ مِنَ الْإِقْطَاعَاتِ. وَرَجَعَ الْمَأْمُونُ إِلَى بَعْدَادَ فِي أَوَاخِرِ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ رَكِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى مِصْرَ فَاسْتَنْقَذَهَا بِأَمْرِ الْمَأْمُونِ مِنْ يَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّرِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، الْمُتَعَلِّبِ عَلَيْهَا، وَاسْتَعَادَهَا مِنْهُ بَعْدَ خُرُوبٍ يَطُولُ ذِكْرُهَا.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ^١.

ظهور بدعة خلق القرآن

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثِنْتِي عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا وَجَّهَ الْمَأْمُونُ مُحَمَّدَ بْنَ حُمَيْدٍ الطُّوسِيَّ^٢ عَلَى طَرِيقِ الْمَوْصِلِ لِمُحَارَبَةِ بَابِكِ الْخُرَمِيِّ فِي أَرْضِ أَدْرِيجَانَ، فَأَخَذَ جَمَاعَةً مِنَ الْمُتَعَلِّبِينَ فِيهَا، فَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى الْمَأْمُونِ أُسْرَاءَ إِلَى بَعْدَادَ.

^١ لم يذكر فيها ابن كثير أحداثاً تذكر.

^٢ محمد بن حميد الطوسي: من كبار قادة جيوش الخليفة المأمون، حيث استعان به في مقاتلة الخارجين عليه وبخاصة بابك الخرمي الذي ادعى الألوهية، فأبلى الرجل في قتاله بلاءً حسناً، لكن جماعة من أنصار بابك الخرمي نصبوا له كميناً عام ٢١٤ هجرية، وخرجوا عليه بغتة ففر معظم أصحابه لكنه صمد أمامهم وقاتلهم قتالاً شديداً حتى كسرت في يده ٩ سيوف، ولما يسوا من قتله احتالوا بأن ضربوا فرسه بالرمح فسقط إلى الأرض فاجتمعوا عليه وقتلوه.

وَفِي رَيْبِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَظْهَرَ الْمَأْمُونُ فِي النَّاسِ بَدْعَتَيْنِ فَطِيعَتَيْنِ؛ إِحْدَاهُمَا أَطْمَ مِنَ الْأُخْرَى، وَهِيَ الْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ^١، وَالْأُخْرَى تَفْضِيلُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ أَخْطَأَ فِي كُلِّ مَنْ هَدَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ خَطَأً كَبِيراً فَاحِشاً، وَأَثَمَ إِثْماً عَظِيفاً، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يُكْفِّرُ مَنْ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، كَمَا سَيَأْتِي ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا نَارَ رَجُلَانِ بِمِصْرَ، وَهُمَا عَبْدُ السَّلَامِ وَابْنُ جَلِيسٍ، فَخَلَعَا الْمَأْمُونُ وَاسْتَحْوَذَا عَلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَبَايَعَهُمَا طَائِفَةً مِنَ الْقَيْسِيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ، فَوَلَّى الْمَأْمُونُ أَحَاهُ أَبَا إِسْحَاقَ نِيَابَةَ الشَّامِ وَمِصْرَ، وَوَلَّى ابْنَهُ الْعَبَّاسَ نِيَابَةَ الْجَزِيرَةِ وَالشُّعُورِ وَالْعَوَاصِمِ، وَأَطْلَقَ لِكُلٍِّ مِنْهُمَا، وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ أَلْفَ دِينَارٍ، وَحَمْسَمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، فَلَمْ يُرَ

^١ محنة خلق القرآن: فكر انتشر في عهد الخليفة العباسي المأمون من قبل فرقة المعتزلة والتي تدعي أن القرآن مخلوق وكلام الله مخلوق وهو ما ابتدع القول به الجهم بن صفوان، واقتنع بهذا الرأي الخليفة المأمون وطالب بنشر هذا الفكر وعزل كل قاضٍ لا يؤمن به. وهو ما لقي معارضة واستهجاناً كثيراً من الائمة مثل الإمام أحمد بن حنبل الذي تحمل من أجل ذلك الكثير من التعذيب حتى قام الخليفة المتوكل بإخلاء هذه المحنة وأفرج عنه. وأصل هذه المسألة شبهة قديمة أراد أن يثيرها يوحنا الدمشقي الذي قال إذا كان القرآن غير مخلوق فهو أزلي وبالمثل فإن النبي عيسى أزلي لأنه كلمة الله وإن كان مخلوقاً فهو منفصل عن قدسية الله مثل باقي المخلوقات وشبهات أخرى فاسدة بنيت على علم الكلام الفاسد المأخوذ من فلسفة اليونان.

يَوْمًا أَكْثَرَ إِطْلَاقًا مِنْهُ، أَطْلَقَ فِيهِ هُؤُلَاءِ الْأَمْرَاءِ الثَّلَاثَةَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ
وَحَمْسِمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ.

وَفِيهَا وَلِيُّ الْمَأْمُونِ السِّنْدَ غَسَّانَ بْنَ عَبَّادٍ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعُ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ لِحْمَسٍ بَقِيْنَ مِنْ رِبْعِ
الْأَوَّلِ مِنْهَا التَّقِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَبَابُكَ الْحُرْمِيُّ، لَعَنَهُ اللَّهُ فَقَتَلَ الْحُرْمِيُّ حَلَقًا
كَثِيرًا مِنْ جَيْشِهِ وَقَتَلَهُ أَيْضًا، وَأَهْرَمَ بَقِيَّةُ أَصْحَابِ ابْنِ حُمَيْدٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَبَعَثَ الْمَأْمُونُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ إِلَى عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ يُحْيِرَانِهِ بَيْنَ حُرَّاسَانَ وَنِيَابَةِ الْجِبَالِ وَأَدْرَبِجَانَ وَأَرْمِينِيَةَ، لِمُحَارَبَةِ
بَابُكَ؛ فَاخْتَارَ الْمَقَامَ بِحُرَّاسَانَ، لِكَثْرَةِ احْتِيَاجِهَا إِلَى الضَّبْطِ، وَلِلْخَوْفِ مِنْ
ظُهُورِ الْخَوَارِجِ بِهَا.

وَفِيهَا دَخَلَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ الرَّشِيدِ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ، فَافْتَتَحَهَا وَاسْتَعَادَهَا إِلَى
السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَظَفَرَ بِعَبْدِ السَّلَامِ وَابْنِ جَلِيسٍ وَقَتَلَهُمَا.

¹ وفي موته قال الشاعر أبو تمام مرثيته الشهيرة التي مطلعها:

كَذَا فَلْيَجَلَّ الحَطْبُ وَلْيَفدَحِ الأَمْرُ فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ

تُوَفِّيتِ الأَمَالَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَأَصْبَحَ فِي شُغْلِ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ

وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مِنْ قَلِّ مَالُهُ وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ

وَفِيهَا حَرَجَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ بِلَالُ الضَّبَائِي الشَّارِي، فَبَعَثَ إِلَيْهِ المَأْمُونُ ابْنَهُ العَبَّاسَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَمْرَاءِ، فَقَتَلُوا بِلَالًا وَعَادُوا سَالِمِينَ.

وَفِيهَا وَلَّى المَأْمُونُ عَلِيَّ بْنَ هِشَامِ الجَبَلِ وَقُمَّ وَأَصْبَهَانَ وَأَذْرَبِجَانَ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي أَوَاخِرِ المَحْرَمِ مِنْهَا رَكِبَ المَأْمُونُ فِي العَسَاكِرِ مِنْ بَغْدَادَ قَاصِدًا بِلَادَ الرُّومِ لِعَزْوِهِمْ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى بَغْدَادَ وَأَعْمَالِهَا إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ، فَلَمَّا كَانَ بِتَكْرِيتَ تَلَقَّاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنَ المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَأَذِنَ لَهُ المَأْمُونُ فِي الدُّخُولِ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ الفَضْلِ بِنْتِ المَأْمُونِ، وَكَانَ مَعْمُودَ العَقْدِ عَلَيْهَا فِي حَيَاةِ أَبِيهِ فَدَخَلَ بِهَا، وَأَخَذَهَا مَعَهُ إِلَى بِلَادِ الحِجَازِ، وَتَلَقَّاهُ أَحُوهُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنَ الرَّشِيدِ مِنَ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَى المَوْصِلِ، وَسَارَ المَأْمُونُ فِي جَحَافِلِ كَثِيرَةٍ إِلَى بِلَادِ طَرْسُوسَ فِي جُمَادَى الأُولَى مِنْهَا، وَفَتَحَ حِصْنَ هُنَاكَ عَنَوَةً وَأَمَرَ بِهَدْمِهِ، ثُمَّ رَجَعَ المَأْمُونُ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ إِلَى دِمَشقَ فَنَزَلَهَا وَعَمَرَ دَيْرَ مُرَّانَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَأَقَامَ بِدِمَشقَ مُدَّةً.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتَّ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا عَدَا مَلِكُ الرُّومِ وَهُوَ تَوْفِيلُ بْنُ مِيخَائِيلَ فَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ المُسْلِمِينَ فِي أَرْضِ طَرْسُوسَ؛ نَحْوًا مِنْ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةِ إِنْسَانٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَيْضًا كَتَبَ إِلَى المَأْمُونِ فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ فَلَمَّا قَرَأَ المَأْمُونُ كِتَابَهُ نَهَضَ مِنْ قُورِهِ، فَرَكِبَ فِي الجُيُوشِ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ عَوْدًا عَلَى بَدءِ،

وَصَحْبَتُهُ أَحُوهُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ الرَّشِيدِ نَائِبِ الشَّامِ وَمِصْرَ، فَافْتَتَحَ بُلْدَانًا كَثِيرَةً صُلْحًا وَعَنْوَةً، وَافْتَتَحَ أَحُوهُ ثَلَاثِينَ حِصْنًا، وَبَعَثَ الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ فِي سَرِيَّةٍ إِلَى طُوَانَةَ فَافْتَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً، وَأَسَرَ خَلْقًا مِنَ الدَّرَارِيِّ وَعَيْرِهِمْ، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنَ الرُّومِ، وَحَرَقَ حُصُونًا عِدَّةً، ثُمَّ عَادَ سَالِمًا مُؤَيَّدًا إِلَى الْعَسْكَرِ. وَأَقَامَ الْمَأْمُونُ بِبِلَادِ الرُّومِ مِنْ نِصْفِ جُمَادَى الْآخِرَةِ إِلَى نِصْفِ شَعْبَانَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ وَقَدْ وَثَبَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُوسُ الْفَهْرِيُّ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بِبِلَادِ مِصْرَ، فَتَعَلَّبَ عَلَى نُوَابِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الرَّشِيدِ، وَقَوِيَتْ شُوكَتُهُ، وَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَرَكِبَ الْمَأْمُونُ مِنْ دِمَشْقَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا سَنَدُكُرُهُ.

بدعة الجهر بالتكبير بعد الصلوات الخمس

وَفِيهَا كَتَبَ الْمَأْمُونُ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ نَائِبِ بَغْدَادَ وَمَا وَالَاهَا مِنَ الْبِلَادِ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِالتَّكْبِيرِ عَقِيبَ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسِ فَكَانَ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ فِي جَامِعِ الْمَدِينَةِ وَالرُّصَافَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ، أَهْمُّ لَمَّا فَضُّوا الصَّلَاةَ قَامَ النَّاسُ قِيَامًا فَكَبَرُوا ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ اسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ الصَّلَوَاتِ، وَهَذِهِ بَدْعَةٌ أَحَدَّثَهَا الْمَأْمُونُ بِلَا مُسْتَنَدٍ وَلَا دَلِيلٍ وَلَا مُعْتَمَدٍ فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَفْعَلْهُ قَبْلَهُ أَحَدٌ وَلَكِنْ ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحِ" عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَفَعَ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَنْصَرِفُ النَّاسُ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ. وَقَدْ اسْتَحَبَّ هَذَا طَائِفَةٌ مِنْ
الْعُلَمَاءِ كَابْنِ حَزْمٍ وَغَيْرِهِ. وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ وَغَيْرُهُمْ عَلَى
عَدَمِ اسْتِحْبَابِهِ. قَالَ النَّوَوِيُّ: وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ
لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الذِّكْرَ بَعْدَ الصَّلَاةِ مَشْرُوعٌ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ لَمْ يَبْقَ لِلْجَهْرِ
مَعْنَى. وَهَذَا كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْهَرُ بِالْفَاتِحَةِ فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ
لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهَا سُنَّةٌ، وَهَذَا نَظَائِرٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا هَذِهِ الْبِدْعَةُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الْمَأْمُونُ؛ فَإِنَّهَا بِدْعَةٌ مُحَدَّثَةٌ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ
السَّلَفِ.

وَفِيهَا وَقَعَ بَرْدٌ شَدِيدٌ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي الْمَحَرَّمِ مِنْهَا دَخَلَ الْمَأْمُونُ الدِّيَارَ
الْمِصْرِيَّةَ، وَظَفَرَ بَعْبُدُوسِ الْفِهْرِيِّ، فَأَمَرَ فَضْرِبَتْ عُنُقَهُ، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا إِلَى
السَّامِ.

وَفِيهَا رَكِبَ الْمَأْمُونُ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ أَيْضًا، فَحَاصَرَ لُؤْلُؤَةَ مِائَةَ يَوْمٍ، ثُمَّ ارْتَحَلَ
عَنْهَا وَاسْتَحْلَفَ عَلَى حِصَارِهَا عُجَيْفًا، فَحَدَعَتْهُ الرُّومُ فَأَسْرَوْهُ، فَأَقَامَ فِي
أَيْدِيهِمْ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ انْقَلَبَتْ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَاسْتَمَرَّ مُحَاصِرًا لَهُمْ، فَجَاءَ مَلِكُ
الرُّومِ بِنَفْسِهِ فَأَحَاطَ بِجَيْشِهِ مِنْ وَرَائِهِ، فَبَلَغَ الْمَأْمُونُ فَسَارَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَحَسَّ
تَوْفِيلُ بِقُدُومِهِ انْصَرَفَ هَارِبًا مِنْ وَجْهِهِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْوَزِيرَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ

الصَّنْعَلُ. فَسَأَلَهُ الْأَمَانَ وَالْمُصَالِحَةَ وَالْمُهَادَنَةَ، لَكِنَّهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ كِتَابًا بَلِيغًا مَضْمُونُهُ التَّفْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ، وَإِنِّي إِنَّمَا أَقْبَلُ مِنْكَ الدُّخُولَ فِي الْحَنِيفِيَّةِ وَإِلَّا فَالسَّيْفُ وَالْقَتْلُ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى مِنْهَا وَجَّهَ الْمَأْمُونُ ابْنَهُ الْعَبَّاسَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ لِبِنَاءِ الطُّوَانَةِ، وَتَجْدِيدِ عِمَارَتِهَا، وَبَعَثَ إِلَى سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَالْأَفَاقِ فِي تَجْهِيزِ الْفَعْلَةِ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ إِلَيْهَا؛ مِنْ مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْعَلَهَا مِيلًا فِي مِيلٍ، وَأَنْ يَجْعَلَ سُورَهَا ثَلَاثَةَ فَرَاسِحَ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهَا ثَلَاثَةَ أَبْوَابٍ عِنْدَ كُلِّ بَابٍ حِصْنٌ.

مُحَنَّةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ

فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَتَبَ الْمَأْمُونُ إِلَى نَائِبِهِ بِنْعَدَادِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَمْتَحِنَ الْفُضَاةَ وَالْمُحَدِّثِينَ بِالْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَأَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةً مِنْهُمْ إِلَى الرَّقَّةِ. وَنُسَخَةُ كِتَابِ الْمَأْمُونِ إِلَى نَائِبِهِ مُطَوَّلَةٌ، قَدْ سَرَدَهَا ابْنُ جَرِيرٍ وَمَضْمُونُهَا الْإِحْتِجَاجُ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مُحَدَّثٌ وَلَيْسَ بِقَدِيمٍ، وَعِنْدَهُ أَنَّ كُلَّ مُحَدَّثٍ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُؤَافِقُهُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَلَا الْمُحَدِّثِينَ، فَإِنَّ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَقَوْمٌ بِهِ الْأَفْعَالُ الْإِحْتِيَارِيَّةُ لَا يَقُولُونَ بِأَنَّ فِعْلَهُ تَعَالَى الْقَائِمَ بِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ - بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ - مَخْلُوقًا، بَلْ يَقُولُونَ:

هُوَ مُحَدَّثٌ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ. بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى الْقَائِمِ بِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمَا كَانَ قَائِمًا بِذَاتِهِ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ } وَقَالَ تَعَالَى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ } فَالْأَمْرُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ صَدَرَ مِنْهُ تَعَالَى بَعْدَ خَلْقِ آدَمَ، فَالْكَلَامُ الْقَائِمُ بِالذَّاتِ لَيْسَ مَخْلُوقًا، وَهَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ. وَقَدْ صَنَّفَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كِتَابًا فِي هَذَا الْمَعْنَى سَمَّاهُ "خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ".

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ كِتَابَ الْمَأْمُونِ لَمَّا وَرَدَ بَعْدَادَ قُرِئَ عَلَى النَّاسِ، وَقَدْ عَيَّنَ الْمَأْمُونُ جَمَاعَةً مِنَ الْمُحَدِّثِينَ لِيُحْضِرُهُمْ إِلَيْهِ، وَهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ كَاتِبِ الْوَأَقِدِيِّ، وَأَبُو مُسْلِمٍ مُسْتَمْلِي يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَأَبُو حَيْثَمَةَ زُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ دَاوُدَ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدُّورِيِّ. فَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى الْمَأْمُونِ إِلَى الرَّقَّةِ فَامْتَحَنَهُمْ بِالْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَظْهَرُوا مُوَافَقَتَهُ، وَهُمْ كَارَهُونَ، فَرَدَّهُمْ إِلَى بَعْدَادَ وَأَمَرَ بِإِشْهَارِ أَمْرِهِمْ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ، فَفَعَلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ذَلِكَ، وَأَحْضَرَ خَلْقًا مِنْ مَشَايخِ الْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءِ، وَالْقُضَاةِ وَأَيْمَةَ الْمَسَاجِدِ وَغَيْرِهِمْ، فَدَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ الْمَأْمُونِ وَذَكَرَ لَهُمْ مُوَافَقَةَ أَوْلِيكَ الْمُحَدِّثِينَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَجَابُوا بِمِثْلِ جَوَابِ أَوْلِيكَ مُوَافَقَةَ لَهُمْ، وَوَقَعَتْ بَيْنَ النَّاسِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثُمَّ كَتَبَ الْمَأْمُونُ كِتَابًا ثَانِيًا إِلَى إِسْحَاقَ يَسْتَدِلُّ فِيهِ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ
 بِشَبْهِهِ مِنَ الدَّلَائِلِ لَا تَحْقِيقَ تَحْتَهَا، وَلَا حَاصِلَ لَهَا بَلْ هِيَ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ،
 وَأُورِدَ مِنَ الْقُرْآنِ آيَاتٍ هِيَ حُجَّةٌ عَلَيْهِ لَا لَهُ، وَقَدْ أُورِدَهُ ابْنُ جَرِيرٍ بِطَوْلِهِ،
 وَأَمَرَهُ أَنْ يَفْرَأَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، وَأَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَإِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ،
 فَأَحْضَرَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَئِمَّةِ؛ وَهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَقُتَيْبَةُ،
 وَأَبُو حَسَّانَ الزِّيَادِيُّ، وَيَشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي مُقَاتِلٍ،
 وَسَعْدَوَيْهِ الْوَاسِطِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ، وَابْنُ الْهَرْشِ،
 وَابْنُ عُليَّةِ الْأَكْبَرِ، وَيَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْعُمَرِيُّ، وَشَيْخٌ آخَرٌ مِنْ سُلَالَةِ عُمَرَ
 كَانَ قَاضِيًا عَلَى الرَّقَّةِ، وَأَبُو نَضْرِ التَّمَّارِ، وَأَبُو مَعْمَرِ الْقَطِيعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ
 حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحِ الْجُنْدَيْسَابُورِيِّ الْمَضْرُوبِ، وَابْنُ الْفَرَّخَانِ،
 وَالنَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، وَابْنُ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ، وَأَبُو الْعَوَّامِ الْبِرَّازِ، وَأَبُو شُجَاعٍ، وَعَبْدُ
 الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ وَجَمَاعَةٌ. فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَرَأَ عَلَيْهِمْ
 كِتَابَ الْمَأْمُونِ، فَلَمَّا فَهَمُوهُ قَالَ لِيشْرِ بْنِ الْوَلِيدِ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ:
 هُوَ كَلَامُ اللَّهِ. قَالَ: لَيْسَ عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ، وَإِنَّمَا أَسْأَلُكَ أَهْوَ مَخْلُوقٌ؟ قَالَ:
 لَيْسَ بِخَالِقٍ. قَالَ: وَلَا عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ. فَقَالَ: مَا أَحْسِنُ غَيْرَ هَذَا. وَصَمَّمَ
 عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَحَدًا فَرْدًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ شَيْءٌ وَلَا
 بَعْدَهُ شَيْءٌ وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي وَلَا وَجْهٍ مِنْ
 الْوُجُوهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ لِلْكَاتِبِ: اكْتُبْ بِمَا قَالَ. فَكَتَبَ، ثُمَّ امْتَحَنَهُمْ رَجُلًا

رَجُلًا، فَأَكْثَرَهُمْ اِمْتَنَعَ مِنَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَكَانَ إِذَا اِمْتَنَعَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَمْتَحِنُهُ بِمَا فِي الرُّقْعَةِ الَّتِي وَاَفَقَ عَلَيْهَا بِشَرُّ بِنِ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيِّ، مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي وَلَا وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ فَيَقُولُ: نَعَمْ. كَمَا قَالَ بِشَرُّ.

وَلَمَّا اِنْتَهَتْ النَّوْبَةُ إِلَى اِمْتِحَانِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَقَالَ لَهُ: أَتَقُولُ إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا. فَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذِهِ الرُّقْعَةِ؟ فَقَالَ: أَقُولُ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَرِلَةِ: إِنَّهُ يَقُولُ سَمِيعٌ بِأَذُنٍ بَصِيرٌ بِعَيْنٍ. فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: مَا أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟ فَقَالَ: أَرَدْتُ مِنْهَا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْهَا، وَهُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ. فَكَتَبَ جَوَابَاتِ الْقَوْمِ رَجُلًا رَجُلًا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْمَأْمُونِ.

وَكَانَ مِنَ الْحَاضِرِينَ مَنْ أَجَابَ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ مُصَانَعَةً مُكْرَهًا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْزِلُونَ مَنْ لَا يُجِيبُ عَنْ وُظَائِفِهِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ رِزْقٌ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ قُطِعَ، وَإِنْ كَانَ مُقْتِنًا مُنْعَمًا مِنَ الْإِفْتَاءِ، وَإِنْ كَانَ شَيْخَ حَدِيثٍ رُدِعَ عَنِ الْإِسْمَاعِ وَالْأَدَاءِ، وَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ صَمَاءَ وَحِجْنَةَ شَنْعَاءَ وَدَاهِيَةَ دَهْيَاءَ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

وَأَمَرَ النَّائِبُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَاتِبِ، فَكَتَبَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جَوَابَهُ بِعَيْنِهِ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ، فَجَاءَ الْجَوَابُ بِمَدْحِ النَّائِبِ عَلَى مَا فَعَلَ، وَالرَّدِّ

عَلَى كُلِّ فَرْدٍ، فَرَدَّ مَا قَالَ فِي كِتَابِ أَرْسَلَهُ، وَأَمَرَ نَائِبَهُ أَنْ يَمْتَحِنَهُمْ أَيْضًا، فَمَنْ
أَجَابَ مِنْهُمْ شُهرَ أَمْرِهِ فِي النَّاسِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ مِنْهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ،
فَابْعَثْ بِهِ إِلَى عَسْكَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُقَيَّدًا، مُحْتَفَظًا بِهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فِيرَى فِيهِ رَأْيَهُ، وَمَنْ مَذَهَبَهُ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.
فَعَقَدَ الْأَمِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ مَجْلِسًا آخَرَ، وَأَحْضَرَ أَوْلِيَاءَ وَفِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ
وَكَانَ صَاحِبًا لِيَشْرِ بْنِ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيِّ، وَقَدْ نَصَّ الْمَأْمُونُ عَلَى قَتْلِهِمَا إِنْ لَمْ
يُجِيبَا عَلَى الْقَوْلِ، فَلَمَّا امْتَحَنَهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيًا بَعْدَ قِرَاءَةِ كِتَابِ
الْخَلِيفَةِ أَجَابُوا كُلُّهُمْ مُكْرَهِينَ مُتَأَوِّلِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ} إِلَّا أَرْبَعَةً؛ وَهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ حَمَّادِ
سَجَّادَةَ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِ الْقَوَارِيرِيِّ. فَقَيَّدَهُمْ وَأَرْصَدَهُمْ لِيَبْعَثَ بِهِمْ إِلَى
الْمَأْمُونِ، ثُمَّ اسْتَدْعَى بِهِمْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَاَمْتَحَنَهُمْ، فَأَجَابَ سَجَّادَةَ إِلَى
الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَأَطْلَقَ قَيْدَهُ وَأَطْلَقَهُ، ثُمَّ امْتَحَنَهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ فَأَجَابَ
الْقَوَارِيرِيُّ إِلَى ذَلِكَ، فَأَطْلَقَ قَيْدَهُ أَيْضًا وَأَطْلَقَهُ، وَأَصْرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمُحَمَّدُ
بْنُ نُوحٍ الْجُنْدَيْسَابُورِيُّ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ، فَأَكَّدَ قَيْودَهُمَا وَجَمَعَهُمَا فِي
الْحَدِيدِ، وَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى الْخَلِيفَةِ وَهُوَ بَطْرُسُوسٌ، وَكَتَبَ مَعَهُمَا كِتَابًا بِإِزْسَالِهِمَا
إِلَيْهِ، فَسَارَا مُقَيَّدَيْنِ فِي مَحَارَةٍ عَلَى جَمَلٍ مُتَعَادِلَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^١، وَجَعَلَ

^١ المحارة هودج صغير، متعادلين كل منهما في هودج متقابلين على جنبتي الجمال.

الإمام أحمدُ يدَعُو اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا وَيَبْنَ المَأْمُونِ وَأَنْ لَا يَرِيَاهُ وَلَا يَرَاهُمَا .

وَجَاءَ كِتَابُ المَأْمُونِ إِلَى نَائِبِهِ؛ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ القَوْمَ إِنَّمَا أَجَابُوا مُكْرَهِينَ، مُتَأَوِّلِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} وَقَدْ أَخْطَأُوا فِي ذَلِكَ خَطَأً كَبِيرًا فَأَرْسَلْتُهُمْ كُلَّهُمْ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ. فَاسْتَدْعَاهُمْ إِسْحَاقُ وَالزَّمَهُمْ بِالمَسِيرِ إِلَى طَرْسُوسَ فَسَارُوا إِلَيْهَا، فَلَمَّا كَانُوا يَبْعُضُ الطَّرِيقِ بَلَغَهُمْ مَوْتُ المَأْمُونِ فَرَدُّوا إِلَى الرَّقَّةِ ثُمَّ أُذِنَ لَهُمْ فِي الرُّجُوعِ إِلَى بَعْدَادَ.

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَابْنُ نُوحٍ قَدْ سَبَقَا النَّاسَ، وَلَكِنْ لَمْ يَجْتَمِعَا بِهِ حَتَّى مَاتَ، وَاسْتَجَابَ اللهُ سُبْحَانَهُ دُعَاءَ عَبْدِهِ وَوَلِيِّهِ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، رَحِمَهُ اللهُ، فَلَمْ يَجْتَمِعُوا بِالمَأْمُونِ، وَرَدُّوا إِلَى بَعْدَادَ. وَسَيَأْتِي تَمَامَ مَا وَقَعَ مِنَ الأَمْرِ الفُظِيعِ فِي أَوَّلِ وِلَايَةِ المُعْتَصِمِ بْنِ الرَّشِيدِ، وَتَمَامَ الكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ فِي تَرْجَمَةِ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، عِنْدَ ذِكْرِ وَفَاتِهِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَبِاللهِ المُسْتَعَانُ.

تَرْجَمَةُ عَبْدِ اللهِ المَأْمُونِ

هُوَ عَبْدُ اللهِ المَأْمُونُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ المَهْدِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ المَنْصُورِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ العَبَّاسِ، المُرَشَّيِّ الهَاشِمِيِّ

¹ استجاب الله دعاءه وهلك المأمون.

الْعَبَّاسِيُّ، أَبُو جَعْفَرٍ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدِ اسْمُهَا مَرَّاجِلُ الْبَادَغِيسِيَّةُ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ لَيْلَةَ تُوَيِّ عَمُّهُ الْهَادِي، وَوَلِيَّ أَبُوهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ كَمَا تَقَدَّمَ.

تَوَلَّى الْمَأْمُونُ الْخِلَافَةَ فِي الْمَحَرَّمِ لِحَمْسٍ بَقِينَ مِنْهُ بَعْدَ مَقْتَلِ أَخِيهِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ، وَاسْتَمَرَ فِي الْخِلَافَةِ عِشْرِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ. وَقَدْ كَانَ فِيهِ تَشْيِيعٌ وَاعْتِرَالٌ، وَجَهْلٌ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَقَدْ بَايَعَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لَعَلِيَّ الرَّضَا بْنِ مُوسَى الْكَاطِمِ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ بْنِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَخَلَعَ السَّوَادَ وَلَبَسَ الْخُضْرَةَ كَمَا قَدَّمْنَا، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ الْعَبَّاسِيُّونَ مِنَ الْبِعَادَةِ، وَغَيَّرَهُمْ، وَخَلَعُوا الْمَأْمُونُ وَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ كَمَا تَقَدَّمَ، ثُمَّ ظَفَرَ الْمَأْمُونُ بِهِمْ، وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ فِي الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ عَلِيِّ الرَّضَا بِطُوسَ، وَعَفَا عَنْ عَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ كَمَا تَقَدَّمَ بَسْطُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ.

أَمَّا كَوْنُهُ عَلَى مَذْهَبِ الْإِعْتِرَالِ؛ فَإِنَّهُ اجْتَمَعَ بِجَمَاعَةٍ؛ مِنْهُمْ بَشْرُ بْنُ غِيَاثِ الْمَرْيَسِيِّ^٢، فَأَخَذَ عَنْهُمْ هَذَا الْمَذْهَبَ الْبَاطِلَ، وَكَانَ يُحِبُّ الْعِلْمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

^١ عم المأمون.

^٢ بشر بن غياث المريسي، ولد حوالي سنة ١٣٨ هـ. كان أبوه يهودياً فأسلم وصار من موالي آل زيد بن الخطاب. تأثر بالمعتزلة وصار منهم وجرّد القول بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عيناً

بصيرة نافذة فيه، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل، وراج عنده الباطل، ودعا إليه وحمل الناس قهراً عليه، وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته.

كان المأمون أبيض ربعة حسن الوجه، قد وخطه الشيب تعلوه صفرة، أعين طويل اللحية رقيقها، ضيق الجبين، على حده حال. أمه أم ولد يقال لها: مراحل.

ولما ابتدع المأمون ما ابتدع من التشيع والاعتزال، فرح بذلك بشر المريسي وكان بشر هذا شيخ المأمون فأنشأ المريسي يقول:

قد قال مأموننا وسيدنا قولاً له في الكتاب تصديق
إن علياً أعني أبا حسن أفضل من أزلت به التوق

خلافة المعتصم بالله بن هارون الرشيد

بويع له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس يوم الخميس الثامن عشر من رجب من سنة ثمانين وعشرون ومائتين وكان إذ ذاك مريضاً، وهو الذي صلى على أخيه المأمون. وقد شعب بعض الجند فأرادوا أن يؤلوا العباس بن المأمون فخرج عليهم العباس فقال لهم: ما هذا الحُبُّ البارد؟ أنا قد بايعت

الجميعة في عصره وعالمهم، فمقتله أهل العلم، وكثرة عدته، ولم يدرك جهم بن صفوان، بل تلغف مقالاته من أتباعه.

عَمِّي الْمُعْتَصِم^١. فَسَكَنَ النَّاسُ وَحَمَدَتِ الْفِتْنَةُ، وَرَكِبَ الْبُرْدُ بِالْبَيْعَةِ لِلْمُعْتَصِمِ إِلَى الْأَفَاقِ، وَبِالتَّعْزِيَةِ بِالْمَأْمُونِ. فَأَمَرَ الْمُعْتَصِمُ بِهَدْمِ مَا كَانَ بِنَاءَ الْمَأْمُونِ فِي مَدِينَةِ طَوَانَةَ وَأَمَرَ بِإِبْطَالِ ذَلِكَ، وَنَقَلَ مَا كَانَ حَوْلَ إِلَيْهَا مِنَ السِّلَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَذِنَ لِلْفَعَلَةِ بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى بُلْدَانِهِمْ وَأَقَالِيمِهِمْ، ثُمَّ رَكِبَ الْمُعْتَصِمُ فِي الْجُنُودِ قَاصِدًا بَغْدَادَ وَصُحْبَتُهُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْمَأْمُونِ فَدَخَلَهَا يَوْمَ السَّبْتِ مُسْتَهْلًا شَهْرَ رَمَضَانَ فِي أُجْمَةٍ عَظِيمَةٍ وَجَمُلٍ تَامٍ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ هَمْدَانَ وَأَصْبَهَانَ وَمَاسَبَدَانَ، وَمَهْرَجَانَ فِي دِينِ الْحُرَمِيَّةِ، فَتَجَمَّعَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِمُ الْمُعْتَصِمُ جَيْوشًا كَثِيرَةً، آخِرُ مَنْ جَهَّزَ إِلَيْهِمْ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ، وَعَقَدَ لَهُ عَلَى الْجِبَالِ^٢، فَخَرَجَ مِنْ بَغْدَادِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَقَرَأَ كِتَابَهُ بِالْفَتْحِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، وَأَنَّهُ فَهَرَ الْحُرَمِيَّةَ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَهَرَبَ بَقِيَّتُهُمْ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

^١ سيأتي بعد قليل أن خصوم المعتصم نجحوا بعد ذلك في تأليب العباس على عمه المعتصم وخروجه عليه فقتله المعتصم.

^٢ هكذا.

وَعَلَى يَدَيْهِ جَرَتْ فِئْتَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَضُرِبَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَا سَيَأْتِي
بَسْطُ ذَلِكَ فِي تَرْجَمَةِ أَحْمَدَ عِنْدَ ذِكْرِ وَفَاتِهِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِهِ الْبَقَاءُ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ
عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِالطَّلَقَانِ مِنْ خُرَاسَانَ يَدْعُو إِلَى
الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ^١، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَفَاتَلَهُ قَوَادُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ
مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةً، ثُمَّ ظَهَرُوا عَلَيْهِ وَهَرَبَ فَأُخِذَ ثُمَّ بُعِثَ بِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ،
فَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْمُعْتَصِمِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي الْمُنْتَصَفِ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ
السَّنَةِ، فَأَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ طَوِيلٍ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ، فَمَكَثَ
فِيهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ حُوِّلَ إِلَى أَوْسَعٍ مِنْهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقٌ مَنْ يَخْدُمُهُ، فَلَمْ يَزَلْ
مَحْبُوسًا هُنَالِكَ إِلَى لَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ، فَاشْتَعَلَ النَّاسُ بِالْبُعْدِ قُدِّي لَهُ حَبْلٌ مِنْ

^١ الرضا من آل محمد شعار رُفِعَ العباسيون في بداية حركتهم لجلب قلوب محبي أهل بيت النبوة
وأتباعهم لما نال هذا البيت الكريم من ظلم وتعتسف على يد الأمويين وأهم الأحق بالخلافة وعلى
الناس اختيار شخص منهم ليتصدى للخلافة والإمساك بزمام الحكم، إلا أنهم تنصّلوا ممّا رفعوه من
شعار بمجرد أن ترسّخت أقدامهم في السلطة ورأوا أنّ الدنيا أقبلت عليهم، وقلبوا لبني هاشم ظهّر
البحر، ومارسوا معهم شتى أنواع الاضطهاد والتنكيل حتى فاق ظلمهم ظلم بني أمية. ويظهر من
الوثائق التاريخية أنّ زيد بن علي رفع نفس الشعار إبان ثورته.

كُوَّةَ كَانَ يَأْتِيهِ الضَّوُّ مِنْهَا فَذَهَبَ فَلَمْ يُدْرَ كَيْفَ ذَهَبَ، وَإِلَى أَيْنَ صَارَ مِنَ الْأَرْضِ.

وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى دَخَلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى بَغْدَادَ رَاجِعًا مِنْ قِتَالِ الْحُرَمِيَِّّةِ، وَمَعَهُ الْأَسْرَى مِنْهُمْ، وَقَدْ قَتَلَ فِي حَرْبِهِ هَذَا مِنْ الْحُرَمِيَِّّةِ مِائَةَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ مِنْهُمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَفِيهَا بَعَثَ الْمُعْتَصِمُ عُجَيْفًا فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ لِقِتَالِ الزُّطِّ الَّذِينَ عَاثُوا فِي بِلَادِ الْبَصْرَةِ وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ وَتَحَبَّبُوا الْعَلَاتِ، فَمَكَثَ فِي قِتَالِهِمْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ فَقَهَرَهُمْ وَقَمَعَ شَرَّهُمْ، وَأَبَادَ حَضْرَاءَهُمْ، وَكَانَ الْقَائِمُ بِأَمْرِهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ، وَمَعَهُ آخَرُ يُقَالُ لَهُ: سَمَلِقُ، وَهُوَ دَاهِيئُهُمْ، وَشَيْطَانُهُمْ، فَأَرَاخَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ وَمِنْ شَرِّهِ^١.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ عِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَفِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ دَخَلَ عُجَيْفٌ فِي السُّنَنِ إِلَى بَغْدَادَ وَمَعَهُ مِنَ الزُّطِّ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا قَدْ جَاءُوا بِالْأَمَانِ إِلَى الْخَلِيفَةِ فَأَنْزَلُوا فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ثُمَّ نَفَاهُمُ الْخَلِيفَةُ إِلَى عَيْنِ زُرْبَةَ

^١ الزط: شعوب هندية هاجروا إلى فارس واستقر كثير منهم في جنوب العراق وعملوا بالزراعة. وقادوا ثورة ضد العباسيين استمرت حتى عهد المعتصم الذي أنهى ثورة الزط بشكل نهائي. وبعد نجاحه بذلك قام بتفرقة الزط في مختلف أنحاء البلاد لمنع تمرد آخر.

فَأَعَارَتْ الرُّومُ عَلَيْهِمْ فَاجْتَا حُوهُمَ عَن آخِرِهِمْ، فَلَمْ يُفِلْت مِنْهُمُ أَحَدٌ فَكَانَ
آخِرَ الْعَهْدِ بِهِمْ.

وَفِيهَا عَقَدَ الْمُعْتَصِمُ لِلْأَفْشِينِ^١ - وَاسْمُهُ حَيْدَرُ بْنُ كَاوَسَ - عَلَى جَيْشٍ عَظِيمٍ
لِقِتَالِ بَابِكِ الْخَرْمِيِّ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَكَانَ قَدْ اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ، وَقَوِيَتْ شَوْكُهُ،

^١ حيدر بن كاوس الملقب بـ الأفشين (توفي ٢٢٦ هـ) قائد عسكري من قادة جيش الخليفة المعتصم بالله. تعود أصوله إلى أشروسنة وتنحدر عائلته من سلالة ملكية عريقة كانت تحكم أشروسنة أحقاباً طويلة وهو من أحفاد الأكاسرة، واشتهر بلقب الأفشين وهو لقب يطلق على من يحكم أشروسنة وقد ورث هذا اللقب عن أبيه الذي كان آخر ملك من عائلته. كان مجوسياً واعتنق الإسلام نفاقاً حيث كان يطن الزندقة عندما رأى قوة المسلمين وإقبال أمر الإسلام الذي كان ينتشر يوماً بعد يوم في بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر إذ قرر القيام بمؤامرة تمثلت في إدعائه للإسلام ومحاولته التقرب من الخليفة المأمون ومن بعده المعتصم بالله لذلك اعتنقه في زمن خلافة المأمون وقد عمل على توثيق صلته بالمعتصم بالله لعلمه بصيرورة الخلافة إليه. وكان الأفشين بطلاً شجاعاً مشهوراً بذلك فأعجب به المعتصم وجعله من خواصه، فلما تولى المعتصم بالله الخلافة جعله من جملة قواده الحريين. وحين تحقق الخليفة المعتصم بالله مما كان من أمره بعد هزيمة المازيار ومما كان من إرسال الأفشين الأموال إلى أشروسنة عندما كان يحارب بابك الخرمي، وما أتم به من أمر منكجور (مثل الأفشين في أذربيجان) الذي ثار بتحريض منه، تغيرت معاملة المعتصم له. وأحس الأفشين بتغير الخليفة معه وعلم أنه سيكتشف خطته فتحير في أمره لذا بدأ يفكر بالهرب والفرار إلى أرمينية ثم إلى بلاد الخزر حتى يستميل ويجرض الخزر على قتل وقتال المسلمين ثم يعود إلى أشروسنة، إلا أنه أخفق وفشل في ذلك عندئذ قرر الأفشين أن يصنع وليمة كبيرة يدعو إليها الخليفة المعتصم بالله وأكابر قادة الجيش الإسلامي ويدس السم لهم في الطعام ليموتوا جميعاً، وإذا لم يحضر المعتصم فسوف يهرب، فصنع ذلك ولكن أحداً ما لم يأت لأن أخبار المؤامرة بلغت مسامع المعتصم واطلع

وَأَنْتَشَرْتَ أَتْبَاعَهُ فِي بِلَادِ أَدْرِيْجَانَ وَمَا وَالْأَهَا، وَكَانَ أَوَّلَ ظُهُورِهِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ زَنْدِيْقًا كَبِيْرًا وَشَيْطَانًا رَجِيْمًا، فَسَارَ الْأَفْشِيْنَ وَقَدْ أَحْكَمَ صِنَاعَةَ الْحَرْبِ فِي الْأَرْصَادِ وَعِمَارَةِ الْحُصُونِ وَإِيْصَالِ الْمَدَدِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ مَعَ بُعَا الْكَبِيْرِ^١ أَمْوَالًا جَزِيْلَةً نَفَقَةً لِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ وَالْأَتْبَاعِ وَقَدْ اتَّفَعَ، فَالْتَمَى هُوَ وَبَابَكَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَافْتَتَلَا قِتَالًا عَظِيْمًا، فَقَتَلَ الْأَفْشِيْنَ مِنْ أَصْحَابِ بَابِكَ حَلْفًا كَثِيْرًا أَزْيَدَ مِنْ أَلْفٍ وَهَرَبَ هُوَ إِلَى مَدِيْنَتِهِ فَأَوَى إِلَيْهَا مَكْسُورًا، وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَا تَضَعَّعَ مِنْ أَمْرِ بَابِكَ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ يَطْوُلُ ذِكْرُهَا، وَقَدْ اسْتَفْصَاهَا الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

على نواياه الخبيثة فحاول الأفشين الفرار عن طريق الموصل ويعبر النهر حتى يصل لبلاد الخزر ولكنه فشل في ذلك أيضاً لأن في الوقت الذي عزم فيه على الهرب أمر المعتصم بالقبض عليه وحبسه. وتوفي في سجنه بسبب سوء التغذية حيث أن المعتصم بالله أمر بتقليل الطعام والماء عنه فكان يدفع إليه في كل يوم رغيف خبز واحد مع قdoch ماء حتى مات، وعند ذلك أمر المعتصم ابن الأفشين بغسله وتكفينه حتى يُدفن ولكن القادة الأتراك مثل القائد التركي بُعا الكبير والقائد التركي الخزري إيتاخ والقائد التركي أشناس خالفوا أمر المعتصم وبدلاً من أن يدفنوه قاموا بتصلبيه وتعليق جثته إلى جانب جثة صديقه المزدكي المازيار مُحَمَّد بن قارن الذي قتله المعتصم بالله لتركه الإسلام واحتلال طبرستان والخروج على عبد الله بن طاهر وجثة بابك الخرمي التي كانت مُعلقة في وسط مدينة سامراء.

^١ بُعا الكبير أو بُعا الأكبر، المعروف أيضاً باسم بُعا التركي، قائد عسكري تركي خدم العباسيين.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ حَرَجَ الْمُعْتَصِمُ مِنْ بَعْدَادَ فَنَزَلَ الْقَاطُولَ^١ فَأَقَامَ بِهَا. وَفِيهَا غَضِبَ الْمُعْتَصِمُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ مَرْوَانَ بَعْدَ الْمَكَانَةِ الْعَظِيمَةِ وَعَزَلَهُ عَنِ الْوُزَرَاءِ وَحَبَسَهُ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُ، وَجَعَلَ مَكَانَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّيَّاتِ^٢.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا كَانَتْ وَقَعَةُ هَائِلَةٌ بَيْنَ بَعَا الْكَبِيرِ وَبَابِكِ الْحُرْمِيِّ، فَهَزَمَ بَابُكُ بَعَا وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ثُمَّ اقْتَتَلَ الْأَفْشِينُ وَبَابُكُ، فَهَزَمَهُ أَفْشِينُ وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَصْحَابِهِ بَعْدَ حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ، قَدْ اسْتَفْصَاهَا أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ فِي تَارِيخِهِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثِينَ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا وَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ جَيْشًا كَثِيفًا مَدَدًا لِلْأَفْشِينِ عَلَى مُحَارَبَةِ الْحُرْمِيَّةِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ نَفَقَةً لِلْجُنْدِ وَالْأَتْبَاعِ.

وَفِيهَا اقْتَتَلَ الْأَفْشِينُ وَالْحُرْمِيَّةُ قِتَالًا عَظِيمًا، وَافْتَتَحَ الْأَفْشِينُ الْبَدَّ مَدِينَةَ بَابُكُ وَاسْتَبَاحَ مَا فِيهَا، وَاللَّهُ الْحَمْدُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِعِشْرِ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ، وَذَلِكَ بَعْدَ مُحَاصِرَةِ وَحُرُوبِ هَائِلَةٍ وَقِتَالِ شَدِيدٍ وَجُهْدِ جَهِيدٍ، وَقَدْ أَطَالَ أَبُو

^١ على دجلة في موضع سامرا قبل أن تعمر.

^٢ محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر، المعروف بابن الزيات (١٧٣ - ٢٣٣ هـ):

وزير المعتصم بالله وأديب وشاعر عربي. قتله المتوكل في سنة ٢٣٣ هـ.

جَعْفَرٍ بَسْطُهُ جِدًّا. وَحَاصِلُ الْأَمْرِ أَنَّهُ افْتَتَحَ الْبَلَدَ وَأَخَذَ جَمِيعَ مَا احْتَوَى عَلَيْهِ مِنْ الْأَمْوَالِ مِمَّا قَدَرَ عَلَيْهِ.

قَتْلُ بَابِكِ الْحُرْمِيِّ

لَمَّا احْتَوَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى بَلَدِهِ الْمُسَمَّى بِالْبَدِّ، وَهِيَ دَارٌ مُلْكِهِ وَمَقَرُّ سُلْطَانِهِ، هَرَبَ بَيْنَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَعَهُ أُمُّهُ وَأَمْرَأَتُهُ، فَانْفَرَدَ فِي شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ خَدَمِهِ، وَمَ يَبْقَى مَعَهُمْ طَعَامٌ، فَاجْتَارَ بِحِرَاتٍ فَبَعَثَ غُلَامَهُ إِلَيْهِ وَمَعَهُ ذَهَبٌ فَقَالَ: أَعْطِهِ الذَّهَبَ وَخُذْ مَا مَعَهُ مِنَ الْخُبْزِ. فَنظَرَ شَرِيكَ الْحِرَاتِ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ وَهُوَ يَأْخُذُ مِنْهُ الْخُبْزَ، فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ اغْتَصَبَهُ مِنْهُ، فَذَهَبَ إِلَى حِصْنٍ هُنَاكَ فِيهِ نَائِبٌ لِلْحَلِيفَةِ يُقَالُ لَهُ سَهْلُ بْنُ سُنْبَاطٍ لِيَسْتَعْدِيَ عَلَى ذَلِكَ الْغُلَامِ، فَرَكِبَ بِنَفْسِهِ وَجَاءَ فَوَجَدَ الْغُلَامَ فَقَالَ: مَا خَبْرُكَ؟ فَقَالَ: لَا شَيْءَ وَإِنَّمَا أُعْطِيتُهُ دَنَانِيرًا، وَأَخَذْتُ مِنْهُ هَذَا الْخُبْزَ. فَقَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَأَرَادَ أَنْ يُعَمِّيَ عَلَيْهِ الْخُبْزَ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مِنْ غِلْمَانِ بَابِكِ. فَقَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ فَقَالَ: هَا هُوَ ذَا جَالِسٍ يُرِيدُ الْعَدَاءَ، فَسَارَ إِلَيْهِ سَهْلُ بْنُ سُنْبَاطٍ، فَلَمَّا رَأَهُ تَرَجَّلَ وَجَاءَهُ فَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ: يَا سَيِّدِي أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَدْخُلَ بِلَادَ الرُّومِ، فَقَالَ: إِلَى عِنْدِ مَنْ تَذَهَبُ أَحْرَزُ مِنْ حِصْنِي وَأَنَا غُلَامُكَ وَفِي خِدْمَتِكَ؟ وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى خَدَعَهُ وَأَخَذَهُ مَعَهُ إِلَى الْحِصْنِ، فَأَنْزَلَهُ عِنْدَهُ وَأَجْرَى عَلَيْهِ النَّفَقَاتِ الْكَثِيرَةَ وَالتُّحَفَ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَكَتَبَ إِلَى الْأَفْشِينِ يُعَلِّمُهُ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ

إِلَيْهِ أَمِيرَيْنِ لِقَبْضِهِ فَنَزَلَا قَرِيبًا مِنَ الْحِصْنِ وَكَتَبَا إِلَى ابْنِ سُنْبَاطٍ فَقَالَ: أَيْمًا مَكَانِكُمَا حَتَّى يَأْتِيَكُمَا أَمْرِي. ثُمَّ قَالَ لِبَابِكِ: إِنَّكَ قَدْ حَصَلَ لَكَ عَمٌّ وَضِيقٌ مِنْ هَذَا الْحِصْنِ وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى الْخُرُوجِ الْيَوْمَ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَنَا بُزَاةٌ وَكِلَابٌ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَخْرُجَ مَعَنَا لِنَتَشْرِحَ. قَالَ: نَعَمْ. فَخَرَجُوا وَبَعَثَ ابْنُ سُنْبَاطٍ إِلَى الْأَمِيرَيْنِ أَنْ كُونَا بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا وَفِي وَقْتِ كَذَا وَكَذَا مِنَ النَّهَارِ، فَلَمَّا كَانُوا بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَقْبَلَ الْأَمِيرَانِ بِمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْجُنُودِ فَأَحَاطُوا بِبَابِكِ وَبِابْنِ سُنْبَاطٍ، فَلَمَّا رَأَوْهُ جَاءُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: تَرَجَّلْ عَن دَابَّتِكَ. فَقَالَ: وَمَنْ أَنْتُمَا؟ فَذَكَرَا أَمَّهُمَا مِنْ عِنْدِ الْأَفْشِينِ فَتَرَجَّلَ حِينِيذٍ عَن دَابَّتِهِ وَعَلَيْهِ دُرَاعَةٌ بَيْضَاءُ وَعِمَامَةٌ بَيْضَاءُ وَحُفٌّ قَصِيرٌ وَفِي يَدِهِ بَازٌ فَظَرَّ إِلَى ابْنِ سُنْبَاطٍ، فَقَالَ: قَبَحَكَ اللَّهُ، فَهَلَّا طَلَبْتَ مِنِّي مِنَ الْمَالِ مَا شِئْتَ، فَكُنْتُ أَعْطِيكَ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطِيكَ هَؤُلَاءِ. ثُمَّ أَرْكَبُوهُ وَأَحْدُوهُ مَعَهُمَا إِلَى الْأَفْشِينِ فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ بِلَادِ الْأَفْشِينِ خَرَجَ فَتَلَقَّاهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَصْطَفُقُوا صَفَّيْنِ وَأَنْ يَتَرَجَّلَ بِبَابِكَ فَيَدْخُلَ بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ مَاشٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. ثُمَّ احْتَفَظَ بِهِ وَهُوَ فِي السِّجْنِ عِنْدَهُ ثُمَّ كَتَبَ الْأَفْشِينُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ يُخْبِرُهُ بِأَنَّ بَابَكَ فِي أَسْرِهِ وَقَدْ اسْتَحْضَرَ أَحَاهُ عَبْدَ اللَّهِ أَيْضًا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ بِأَمْرِهِ أَنْ يُقَدَّمَ بِهِمَا عَلَيْهِ إِلَى بَغْدَادَ، فَتَجَهَّزَ بِهِمَا إِلَى بَغْدَادَ فِي تَمَامِ هَذِهِ السَّنَةِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي يَوْمِ الْحَمِيسِ ثَالِثِ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ الْأَفْشِينُ عَلَى الْمُعْتَصِمِ سَامِرَاءَ وَمَعَهُ بَابُكَ الْحَرَمِيُّ وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي تَحْمُلٍ عَظِيمٍ، وَقَدْ أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ ابْنَهُ هَارُونَ الْوَائِقُ أَنْ يَتَلَقَّى الْأَفْشِينَ وَكَانَتْ أَحْبَابُهُ تَفْدُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ شِدَّةِ اعْتِنَاءِ الْمُعْتَصِمِ بِأَمْرِ بَابِكَ، وَقَدْ رَكِبَ الْمُعْتَصِمُ قَبْلَ وُصُولِ بَابِكَ بِيَوْمَيْنِ عَلَى الْبَرِيدِ حَتَّى دَخَلَ إِلَى بَابِكَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ رَجَعَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ دُخُولِهِ عَلَيْهِ تَأَهَّبَ الْمُعْتَصِمُ وَاصْطَفَى النَّاسُ سِمَاطِينَ، وَأَمَرَ بَابُكَ أَنْ يَرَكِبَ عَلَى فَيْلٍ لِيَشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَيَعْرِفُوهُ، وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ دِيبَاجٍ وَقَلَنْسُوَةٌ سَمُورٍ مُدَوَّرَةٌ، وَقَدْ هُبِيَ الْفَيْلُ، وَخُضِبَتْ أَطْرَافُهُ، وَاللِّسَ مِنْ الْحَرِيرِ وَالْأَمْتَعَةَ الَّتِي تَلِيقُ بِهِ كَثِيرًا.

وَلَمَّا أَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْ الْمُعْتَصِمِ أَمَرَ بِقَطْعِ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَحَزَّ رَأْسَهُ، وَشَقَّ بَطْنِهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِحَمْلِ رَأْسِهِ إِلَى خُرَاسَانَ وَصَلَبَ جُثَّتِهِ عَلَى خَشَبَةٍ بِسَامِرَاءَ، وَكَانَ بَابُكَ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي لَيْلَةٍ أَسْفَرَ صَبَاحُهَا عَنْ قَتْلِهِ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْحَمِيسِ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ حَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. وَكَانَ هَذَا الْمَلْعُونُ قَدْ قَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مُدَّةِ ظَهْوَرِهِ - لَعْنَةُ اللَّهِ - وَهِيَ عِشْرُونَ سَنَةً مِائَتِي أَلْفٍ وَخَمْسَةَ وَخَمْسِينَ أَلْفًا وَخَمْسِمِائَةَ إِنْسَانٍ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَأَسَرَ خَلْقًا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَكَانَ مِنْ جُمَّلَةٍ مَنْ اسْتَنْقَذَهُ الْأَفْشِينُ مِنْ أَسْرِهِ نَحْوَ مِنْ سَبْعَةِ آلافٍ وَسِتِّمِائَةَ إِنْسَانٍ، وَأَسَرَ مِنْ أَوْلَادِهِ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَمِنْ حَلَائِلِهِ وَحَلَائِلِ أَوْلَادِهِ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ امْرَأَةً مِنَ الْخَوَاتِينِ، وَقَدْ كَانَ أَصْلُ بَابِكَ ابْنُ جَارِيَةٍ زُرِّيَّةٍ

الشُّكْل، قَالَ بِهِ الْحَالُ إِلَى مَا آلَ بِهِ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَرَاخَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِ
بَعْدَمَا افْتَتَنَ بِهِ خَلْقَ كَثِيرٍ، وَجَمَّ غَفِيرٌ مِنَ الطَّعَامِ.

وَلَمَّا قَتَلَهُ الْمُعْتَصِمُ تَوَجَّ الْأَفْشِينَ وَقَلَدَهُ وَشَاحِينَ مِنْ جَوْهَرٍ، وَأَطْلَقَ لَهُ عِشْرِينَ
أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِوَلَايَةِ السِّنْدِ، وَأَمَرَ الشُّعْرَاءَ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِ
فَيَمْدَحُوهُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنَ الْخَيْرِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى تَخْرِيْبِهِ بَلَدَ بَابِكِ الَّتِي
يُقَالُ لَهَا الْبَدُّ، وَتَرْكِهِ إِيَّاهَا يَبَابًا حَرَابًا، فَقَالُوا فِي ذَلِكَ فَأَحْسَنُوا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنَى سَنَةِ ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ أَوْعَعَ مَلِكُ الرُّومِ تَوْفِيلُ بْنُ
مِيْحَائِيلَ لَعْنَهُ اللَّهُ بِأَهْلِ مَلْطِيَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَا وَالَاهَا مَلْحَمَةً عَظِيمَةً قَتَلَ
فِيهَا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَسَرَ مَا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَكَانَ مِنْ
جُمْلَةٍ مِنْ أَسَرَ أَلْفَ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ، وَمَثَلَ بِمَنْ وَقَعَ فِي أَسْرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
فَقَطَّعَ آذَانَهُمْ وَأَنَافَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، قَبَّحَهُ اللَّهُ. وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ بَابَكَ
لَعْنَهُ اللَّهُ لَمَّا أُحِيطَ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فِي مَدِينَتِهِ الْبَدِّ وَاسْتَوْسَقَتِ الْجُنُودُ حَوْلَهُ،
كَتَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ يَقُولُ لَهُ: إِنَّ مَلِكَ الْعَرَبِ قَدْ جَهَّزَ إِلَيَّ جُمْهُورَ جَيْشِهِ
وَلَمْ يَبْقَ فِي أَطْرَافِ بِلَادِهِ مَنْ يَحْفَظُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْعَنِيمَةَ فَانْهَضْ سَرِيعًا
إِلَى مَا حَوْلَكَ مِنْ بِلَادِهِ فَخُذْهَا، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ أَحَدًا يُمَانِعُكَ عَنْهَا، فَرَكِبْ
تَوْفِيلًا - لَعْنَهُ اللَّهُ - فِي مِائَةِ أَلْفٍ، وَأَنْصَافِ إِلَيْهِ الْمُحَمَّرَةِ^١ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ

^١ كانوا يرتدون الحمرة.

خَرَجُوا فِي الْجِبَالِ وَقَاتَلَهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِمْ، وَتَحَصَّنُوا بِتِلْكَ الْجِبَالِ فَلَمَّا قَدِمَ مَلِكُ الرُّومِ صَارُوا مَعَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَوَصَلُوا إِلَى زِبْطَرَةَ فَقَتَلُوا مِنْ رِجَالِهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَأَسْرُوا مِنْ حَرَمِهَا أُمَّةً كَثِيرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُعْتَصِمَ فَأَنْزَعَجَ لِذَلِكَ، وَصَرَخَ فِي قَصْرِهِ بِالنَّبِيرِ، وَهَضَّ مِنْ فَوْرِهِ، فَأَمَرَ بِتَعْبِئَةِ الْجَبُوشِ، وَاسْتَدْعَى بِالْقَاضِي، وَالْعُدُولِ، فَأَشْهَدَهُمْ أَنَّ مَا يَمْلِكُهُ مِنَ الضِّيَاعِ ثُلُثُهُ صَدَقَةٌ، وَثُلُثُهُ لَوْلَدِهِ، وَثُلُثُهُ لِمَوَالِيهِ.

وَخَرَجَ مِنْ بَعْدَادَ فَعَسَكَرَ غَرْبِي دِجْلَةَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِلْيَلْتَنِ حَلَّتَا مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، وَوَجَّهَ بَيْنَ يَدَيْهِ عُجَيْفًا، وَطَائِفَةً مِنَ الْأَمْرَاءِ وَمَعَهُمْ خَلْقٌ مِنَ الْجَيْشِ إِعَانَةً لِأَهْلِ زِبْطَرَةَ فَأَسْرَعُوا السَّيْرَ، فَوَجَدُوا مَلِكَ الرُّومِ قَدْ فَعَلَ مَا فَعَلَ وَانْتَشَمَرَ إِلَى بِلَادِهِ رَاجِعًا، وَتَفَارَطَ الْحَالُ وَلَمْ يُمْكِنِ الْإِسْتِدْرَاكُ فِيهِ، وَرَجَعُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ لِإِعْلَامِهِ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ، فَقَالَ لِلْأَمْرَاءِ: أَيُّ بِلَادِ الرُّومِ أَمْنَعُ؟ قَالُوا: عَمُورِيَّةٌ لَمْ يَعْضُ لَهَا أَحَدٌ مُنْذُ كَانَ الْإِسْلَامُ، وَهِيَ أَشْرَفُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْفُسْطَنْطِينِيَّةِ.

فَتْحُ عَمُورِيَّةَ عَلَى يَدِي الْمُعْتَصِمِ

لَمَّا تَفَرَّغَ الْمُعْتَصِمُ مِنْ شَأْنِ بَابِكَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَتَلَهُ وَأَخَذَ بِلَادَهُ، اسْتَدْعَى بِالْجَبُوشِ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ، وَتَجَهَّزَ جِهَارًا لَمْ يَتَجَهَّزْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ، وَأَخَذَ مَعَهُ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ وَالْأَحْمَالِ وَالْجِمَالِ وَالْقِرْبِ وَالِدَّوَابِّ وَالنِّفْطِ وَالْحَنْبَلِ وَالْبِغَالِ شَيْئًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ، وَسَارَ إِلَيْهَا، فِي جَحَافِلِ كَالْجِبَالِ، وَبَعَثَ

الْأَفْشِينُ حَيْدَرَ بْنَ كَاوَسَ مِنْ نَاحِيَةِ سُرُوجَ، وَعَبَّأَ الْخَلِيفَةُ جَيْشَهُ تَعْبِيَةً لَمْ يُسْمَعِ بِمِثْلِهَا، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَمْرَاءَ الْمَعْرُوفِينَ بِالْحَرْبِ، فَاثْتَهَى فِي سَيْرِهِ إِلَى هَرِّ اللَّمَسِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ طَرْسُوسَ، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ الْمُبَارَكَةِ.

وَقَدْ رَكِبَ مَلِكُ الرُّومِ فِي جَيْشِهِ، فَقَصَدَ نَحْوَ الْمُعْتَصِمِ، فَتَقَارَبَا حَتَّى كَانَ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعَةِ فَرَسِخَ، وَدَخَلَ الْأَفْشِينُ بِلَادَ الرُّومِ مِنْ نَاحِيَةِ أُحْرَى، فَجَاءَ مِنْ وَرَاءِ مَلِكِ الرُّومِ، فَحَارَى فِي أَمْرِهِ وَصَاقَ دَرْعَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ؛ إِنَّهُ هُوَ نَاجَزُ الْخَلِيفَةَ جَاءَهُ الْأَفْشِينُ مِنْ خَلْفِهِ، فَالْتَقِيَ عَلَيْهِ فَيَهْلِكُ، وَإِنْ سَارَ إِلَى أَحَدِهِمَا، وَتَرَكَ الْآخَرَ أَحَدَهُ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنْهُ الْأَفْشِينُ فَسَارَ إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ فِي شِرْذِمَةٍ مِنَ الْجَيْشِ، وَاسْتَحْلَفَ عَلَى بَقِيَّتِهِ قَرِيبًا لَهُ، فَالْتَقَى هُوَ وَالْأَفْشِينُ فِي يَوْمِ الْحَمِيسِ لِحَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ شُعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَتَبَّتِ الْأَفْشِينُ فِي ثَانِيِ الْحَالِ، وَقَتَلَ مِنَ الرُّومِ خَلْقًا، وَجَرَحَ آخَرِينَ، وَتَفَلَّتْ فِئَةٌ مَلِكِ الرُّومِ، وَبَلَغَهُ أَنَّ بَقِيَّةَ الْجَيْشِ قَدْ شَرَدُوا عَنْ قَرَابَتِهِ وَذَهَبُوا عَنْهُ وَتَفَرَّقُوا عَلَيْهِ، فَأَسْرَعَ الْأُوبَةَ، فَإِذَا نِظَامُ الْجَيْشِ قَدْ انْحَلَّ، فَعَضِبَ عَلَى قَرَابَتِهِ وَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى الْمُعْتَصِمِ، فَسَرَّهُ ذَلِكَ، فَرَكِبَ مِنْ فُورِهِ وَجَاءَ إِلَى أَنْفَرَةَ وَوَفَاهُ الْأَفْشِينُ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى هُنَالِكَ، فَوَجَدُوا أَهْلَهَا قَدْ هَرَبُوا مِنْهَا وَتَفَرَّقُوا عَنْهَا فَتَقَفُوا مِنْهَا بِطَعَامٍ وَعُلُوفَةٍ كَثِيرَةٍ، ثُمَّ فَرَّقَ الْمُعْتَصِمُ جَيْشَهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ؛ فَالْمِيمَنَةُ عَلَيْهَا الْأَفْشِينُ وَالْمَيْسَرَةُ عَلَيْهَا أَشْنَسُ وَالْمُعْتَصِمُ فِي

الْقَلْبِ، وَبَيْنَ كُلِّ عَسْكَرَيْنِ فَرْسَخَانِ، وَأَمَرَ كُلَّ أَمِيرٍ مِنَ الْأَفْشِينِ وَأَشْنَسَ أَنْ
يَجْعَلَ لِحَيْشِهِ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً وَقَلْبًا وَثُمَّلَةً وَسَاقَةً، وَأَتَتْهُمُ مَهْمًا مَرُّوا عَلَيْهِ مِنْ
الْقُرَى حَرْفُوا، وَحَزَبُوا، وَأَسْرُوا، وَعَنِمُوا، وَسَارَ بِهِمْ كَذَلِكَ قَاصِدًا إِلَى عَمُورِيَّةَ
وَكَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَنْقَرَةَ سَبْعُ مَرَاجِلَ، فَأَوَّلُ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْجِيُوشِ أَشْنَسُ
أَمِيرُ الْمَيْسَرَةِ ضَحْوَةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ لِحَمْسِ حَلُونَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ،
فَدَارَ حَوْلَهَا دَوْرَةً، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى مِيلَيْنِ مِنْهَا، ثُمَّ قَدِمَ الْمُعْتَصِمُ صَبِيحَةَ يَوْمِ
الْجُمُعَةِ بَعْدَهُ، فَدَارَ حَوْلَهَا دَوْرَةً، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْهَا، ثُمَّ قَدِمَ الْأَفْشِينُ يَوْمَ
السَّبْتِ فَدَارَ حَوْلَهَا دَوْرَةً ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْهَا وَقَدْ تَحَصَّنَ أَهْلُهَا، وَمَلَأُوا أَبْرَاجَهَا
بِالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ، وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ كَبِيرَةٌ ذَاتُ سُورٍ مَنِيعٍ، وَأَبْرَاجٍ عَالِيَةٍ
كَبِيرَةٍ، وَقَسَمَ الْمُعْتَصِمُ الْأَبْرَاجَ عَلَى الْأَمْرَاءِ، فَنَزَلَ كُلُّ أَمِيرٍ بُحَاةَ الْمَوْضِعِ الَّذِي
أَقْطَعَهُ، وَعَيَّنَهُ لَهُ، وَنَزَلَ الْمُعْتَصِمُ قُبَالَهُ بِمَكَانٍ هُنَاكَ قَدْ أَرْشَدَهُ إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ
كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَسْرَاءِ، وَكَانَ قَدْ تَنْصَّرَ عِنْدَهُمْ، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا
رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُ رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَخَرَجَ إِلَى الْخَلِيفَةِ،
فَأَسْلَمَ وَأَعْلَمَهُ بِمَكَانِ فِي السُّورِ كَانَ قَدْ هَدَمَهُ السَّيْلُ وَبُنِيَ بِنَاءً فَاسِدًا بِلَا
أَسَاسٍ، فَنَصَبَ الْمُعْتَصِمُ الْمَجَانِيقَ حَوْلَ عَمُورِيَّةَ فَكَانَ أَوَّلُ مَوْضِعٍ انْهَدَمَ
ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الَّذِي نَصَحَ فِيهِ ذَلِكَ الْأَسِيرُ، فَبَادَرَ أَهْلُ الْبَلَدِ، فَسَدُّوهُ
بِالْحَشَبِ الْكِبَارِ الْمُتَلَاصِقَةِ، فَأَلَحَّ عَلَيْهَا الْمَنْجَنِيقُ فَكَسَرَهَا فَجَعَلُوا فَوْقَهَا
الْبَرَادِخَ؛ لِيُرْدُوا حِدَّةَ الْحَجَرِ، فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهَا الْمَنْجَنِيقُ لَمْ تُعْنِ شَيْئًا، وَانْهَدَمَ

السُّورُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ، وَتَفَسَّحَ، فَكَتَبَ نَائِبُ الْبَلَدِ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ يُعَلِّمُهُ بِذَلِكَ، وَبَعَثَ ذَلِكَ مَعَ عَلَامَيْنِ مِنْ قَوْمِهِمْ، فَلَمَّا اجْتَاَزُوا بِالْجَيْشِ فِي طَرِيقِهِمْ أَنْكَرُوا أَمْرَهُمَا، فَسَأَلُوهُمَا مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَا: مِنْ أَصْحَابِ فُلَانٍ، لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَحَمَلَا إِلَى الْمُعْتَصِمِ فَفَرَّرَهُمَا، فَإِذَا مَعَهُمَا كِتَابُ يَاطَسَ نَائِبِ عُمُورِيَّةَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ يُعَلِّمُهُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْحِصَارِ، وَأَنَّهُ عَازِمٌ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ أَبْوَابِ الْبَلَدِ بِمَنْ مَعَهُ بَعْتَةٌ فَيُنَاجِزُ الْمُسْلِمِينَ كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا كَانَ. فَلَمَّا وَقَفَ الْمُعْتَصِمُ عَلَى ذَلِكَ أَمَرَ بِالْعَلَامَيْنِ، فَخَلَعَ عَلَيْهِمَا، وَأَنْ يُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَدْرَةً^١، فَاسْلَمَا مِنْ قَوْمِهِمَا، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ أَنْ يُطَافَ بِهِمَا حَوْلَ الْبَلَدِ، وَعَلَيْهِمَا الْخُلْعُ، وَأَنْ يُوقَفَا تَحْتَ الْحِصْنِ الَّذِي فِيهِ يَاطَسُ، فَيُنْشَرَ عَلَيْهِمَا الدَّرَاهِمُ وَالْخُلْعُ، وَمَعَهُمَا الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبَ بِهِ يَاطَسُ مَعَهُمَا إِلَى مَلِكِ الرُّومِ، فَجَعَلَتْ الرُّومُ تَلْعَنُهُمَا وَتَسُبُّهُمَا.

ثُمَّ أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ عِنْدَ ذَلِكَ بِتَجْدِيدِ الْحَرَسِ وَالْإِحْتِفَاطِ فِيهِ مِنْ خُرُوجِ الرُّومِ بَعْتَةً، فَضَاقَتْ الرُّومُ دَرْعًا بِذَلِكَ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ فِي الْحِصَارِ، وَقَدْ أَعَدَّ الْمُعْتَصِمُ عَلَيْهِمَا الْمَجَانِيقَ الْكَثِيرَةَ وَالِدَبَابَاتِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ. وَلَمَّا رَأَى الْمُعْتَصِمُ عُمُقَ حَنْدَقِهَا، وَارْتِفَاعَ سُورِهَا عَمِلَ الْمَجَانِيقَ فِي مُقَاوَمَةِ سُورِهَا، وَكَانَ قَدْ غَنِمَ فِي الطَّرِيقِ غَنَمًا كَثِيرًا فَفَرَّقَهَا فِي النَّاسِ، وَقَالَ:

^١ البدرّة: كيس فيه مقدار من المال يُعامل به، ويقدم في العطايا.

لِيَأْكُلِ الرَّجُلُ الرَّأْسَ، وَلِيَجِيءَ بِمِلءِ جِلْدِهِ تُرَابًا فَيَطْرَحُهُ فِي الْخُنْدَقِ. فَفَعَلَ
النَّاسُ ذَلِكَ، فَتَسَاوَى الْخُنْدَقُ بِوَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ كَثْرَةِ مَا طُرِحَ فِيهِ مِنَ الْأَغْنَامِ،
ثُمَّ أَمَرَ بِالْتُّرَابِ، فَوُضِعَ فَوْقَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ طَرِيقًا مُمَهَّدًا، وَأَمَرَ بِالذَّبَابَاتِ أَنْ
تُوضَعَ فَوْقَهُ، فَلَمْ يُخَوِّجِ اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ، وَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي الْحَرَسِ إِذْ هَدَمَ الْمَنْجَنِيقُ
ذَلِكَ الْمَوْضِعَ الْمَعِيبَ مِنَ السُّورِ، فَلَمَّا سَقَطَ مَا بَيْنَ الْبُرْجَيْنِ سَمِعَ النَّاسُ هَدَّةً
عَظِيمَةً، فَظَنُّهَا مَنْ لَمْ يَرَهَا أَنَّ الرُّومَ قَدْ حَرَجُوا عَلَى النَّاسِ بَعْتَةً، فَبَعَثَ
الْمُعْتَصِمُ مَنْ يُنَادِي فِي النَّاسِ: إِنَّمَا ذَلِكَ سُقُوطُ السُّورِ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ
بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا لَكِنْ لَمْ يَكُنْ يَتَّسَعُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْهُ الْجَيْشُ لِضَيْقِهِ عَنْهُمْ،
فَأَمَرَ الْمُعْتَصِمُ بِالْمَجَانِيقِ الْمُتَفَرِّقَةِ فَجُمِعَتْ هُنَالِكَ وَنُصِبَتْ حَوْلَ ذَلِكَ
الْمَوْضِعِ الَّذِي سَقَطَ، لِيُضْرَبَ بِهَا مَا حَوْلَهُ لِيَتَّسَعَ لِدُخُولِ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ.
وَقَوِيَ الْحِصَارُ هُنَالِكَ، وَقَدْ وَكَلَتِ الرُّومُ لِكُلِّ بُرْجٍ مِنْ أَبْرَاجِ السُّورِ أَمِيرًا
يَحْفَظُهُ، وَاتَّفَقَ أَنَّ ذَلِكَ الْأَمِيرَ الَّذِي أَهْدَمَ مَا عِنْدَهُ مِنَ السُّورِ ضَعْفَ عَنْ
مُقَاوَمَةِ مَا يَلْقَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَذَهَبَ إِلَى يَاطَسَ، فَسَأَلَهُ النَّجْدَةَ، فَامْتَنَعَ
أَحَدٌ مِنَ الرُّومِ أَنْ يُنَجِّدَهُ، وَقَالُوا: لَا نَتْرُكُ مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ مِنْ حِفْظِ أَمَاكِينِنَا
الَّتِي عَيْنَتْ لَنَا.

فَلَمَّا بَيَّسَ مِنْهُمْ حَرَجَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ لِيَجْتَمَعَ بِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ
الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَدْخُلُوا الْبَلَدَ مِنْ تِلْكَ الثَّغْرَةِ الَّتِي قَدِ أَهْدَمَتْ وَحَلَّتْ مِنْ
الْمُقَاتَلَةِ، فَركَبَ الْمُسْلِمُونَ نَحْوَهَا، فَجَعَلَتِ الرُّومُ يُشِيرُونَ إِلَيْهِمْ لَا تَحْيُوا، وَلَا

يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهِمْ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ تَكَاثَرُوا عَلَيْهِمْ وَدَخَلُوا
الْبَلَدَ قَهْرًا وَتَتَابَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا يُكَبِّرُونَ، وَتَفَرَّقَتِ الرُّومُ عَنْ أَمَاكِنِهَا،
فَجَعَلُوا يَقْتُلُوهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَيْثُ وَجَدُوهُمْ وَأَيَّنَ تَقْفُوهُمْ، وَقَدْ حَصَرُوهُمْ
فِي كَنِيْسَةِ هُمْ هَائِلَةٍ، فَفَتَحُوهَا قَسْرًا وَقَتَلُوا مَنْ فِيهَا قَهْرًا، وَأَحْرَقُوا عَلَيْهِمْ بَابَ
الْكِنِيْسَةِ فَأَحْرَقُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا مَوْضِعٌ مُحْصَنٌ سِوَى الْمَكَانِ الَّذِي
فِيهِ النَّائِبُ وَهُوَ يَاطَسُ، فِي حِصْنٍ مَنِيعٍ، فَرَكِبَ الْمُعْتَصِمُ فَرَسَهُ وَجَاءَ حَتَّى
وَقَفَ بِجِدَاءِ الْحِصْنِ الَّذِي فِيهِ يَاطَسُ، فَنَادَاهُ الْمُنَادِي: وَيْحَكَ يَا يَاطَسُ، هَذَا
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَاقِفٌ بُجَاهَكَ. فَقَالَ: لَيْسَ يَاطَسُ هَاهُنَا. مَرَّتَيْنِ. فَعُضِبَ
الْمُعْتَصِمُ مِنْ ذَلِكَ وَوَلَّى، فَنَادَى يَاطَسُ: هَذَا يَاطَسُ، هَذَا يَاطَسُ. فَرَجَعَ
الْحَلِيفَةُ وَنَصَبَ السَّلَامَ عَلَى الْحِصْنِ، وَطَلَعَتِ الرُّسُلُ إِلَيْهِ، فَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ،
انزِلْ عَلَى حُكْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَتَمَنَعَ، ثُمَّ نَزَلَ مُتَقَلِّدًا سَيْفًا، فَوَضَعَ السَّيْفَ
مِنْ عُنُقِهِ، ثُمَّ جِيءَ بِهِ حَتَّى أُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْ الْمُعْتَصِمِ، فَضْرَبَهُ بِالسَّوْطِ عَلَى
رَأْسِهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى مَضْرِبِ الْحَلِيفَةِ، فَمَشَى مُهَانًا إِلَى الْوِطَاقِ الَّذِي
فِيهِ الْحَلِيفَةُ نَازِلٌ، فَأُوثِقَ هُنَاكَ، وَأَحَدَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ عَمُورِيَّةٍ أَمْوَالًا عَظِيمَةً
وَغَنَائِمَ لَا تُحَدُّ وَلَا تُوصَفُ، فَحَمَلُوا مَا أَمَكَنَ حَمْلُهُ، وَأَمَرَ الْمُعْتَصِمُ بِإِحْرَاقِ
مَا بَقِيَ مِنْ ذَلِكَ، وَبِإِحْرَاقِ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْمَجَانِيقِ وَالِدَبَابَاتِ وَالْآلِ
الْحَرْبِ؛ لِئَلَّا يَتَقَوَّى بِهَا الرُّومُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْصَرَفَ

رَاجِعًا عَنْهَا إِلَى نَاحِيَةِ طَرَسُوسَ فِي أَوَاخِرِ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ
عَلَى عَمُورِيَّةَ خَمْسَةَ وَخَمْسِينَ يَوْمًا^١.

مَقْتَلُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ

كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْمَأْمُونِ مَعَ عَمِّهِ الْمُعْتَصِمِ فِي غَزَاةِ عَمُورِيَّةَ، وَكَانَ عُجَيْفُ
بُنْ عَبْسَةَ قَدْ نَدَّمَهُ إِذْ لَمْ يَأْخُذِ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَبِيهِ الْمَأْمُونِ حِينَ مَاتَ بِطَرَسُوسَ،
وَلَا مَهُ عَلَى مُبَايَعَتِهِ عَمَّهُ الْمُعْتَصِمَ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَجَابَهُ إِلَى الْفَتْكِ بَعَمِّهِ
الْمُعْتَصِمَ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنَ الْأَمْرَاءِ لَهُ، وَجَهَّزَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: الْحَارِثُ
السَّمْرَقَنْدِيُّ، وَكَانَ نَدِيمًا لِلْعَبَّاسِ، فَأَخَذَ لَهُ الْبَيْعَةَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ فِي
الْبَاطِنِ، وَاسْتَوْتَقَ مِنْهُمْ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ يَلِي مَتَى مَا فَتَكَ بِعَمِّهِ، فَلْيُقْتَلْ كُلُّ

^١ وفي ذلك قال أبو تمام قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكُتُبِ في حدِّه الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعِبِ

وفيها:

فَتَحِ الْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ

فَتَحِ تَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ

يَا يَوْمَ وَقَعَةَ عَمُورِيَّةَ انْصَرَفَتْ مِنْكَ الْمَنَى حُقْلًا مَعْسُولَةً الْحَلْبِ

أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدِ وَالْمِشْرِكِينَ وَدَارَ الشِّرْكِ فِي صَبَبِ

وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ رُؤُوسِ أَصْحَابِ الْمُعْتَصِمِ؛ كَالْأَفْشِينِ وَأَشْنَسِ
وَعَيْرِهِمْ مِنَ الْكِبَارِ، فَلَمَّا كَانُوا بِدَرْبِ الرُّومِ وَهُمْ قاصِدُونَ إِلَى أَنْقَرَةَ وَمِنْهَا إِلَى
عَمُورِيَةَ أَشَارَ عُجَيْفٌ عَلَى الْعَبَّاسِ أَنْ يَقْتُلَ عَمَّهُ فِي هَذَا الْمَضِيقِ، وَيَأْخُذَ لَهُ
الْبَيْعَةَ، وَيَرْجِعَ إِلَى بَعْدَادَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُعْطَلَ عَلَى النَّاسِ هَذِهِ
الْعَزُورَةَ. فَلَمَّا فَتَحُوا عَمُورِيَةَ وَاشْتَعَلَ النَّاسُ بِالْمَعَانِمِ أَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتَلَكَ،
فَوَعَدَهُ مَضِيقَ الدَّرْبِ إِذَا رَجَعُوا، فَلَمَّا رَجَعُوا فَطِنَ الْمُعْتَصِمُ بِالْخَبْرِ، فَأَمَرَ
بِالِاخْتِفَاطِ وَقُوَّةِ الْحَرْسِ، وَأَخَذَ بِالْحَزْمِ وَاجْتَهَدَ فِي الْعَزْمِ، وَاسْتَدْعَى بِالْحَارِثِ
السَّمْرُقَنْدِيِّ، فَاسْتَقَرَّهُ فَأَقَرَّ لَهُ بِجَلِيَّةِ الْأَمْرِ، وَأَنَّهُ أَخَذَ الْبَيْعَةَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ
مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَمْراءِ أَسْمَاهُمْ لَهُ، فَاسْتَكْتَرَهُمُ الْمُعْتَصِمُ، وَاسْتَدْعَى بَابِنَ أَخِيهِ
الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ فَقَيَّدَهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَأَهَانَهُ، ثُمَّ أَظْهَرَ لَهُ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُ
وَعَفَا عَنْهُ، فَأَرْسَلَهُ مِنَ الْقَيْدِ وَأَطْلَقَ سَرَاحَهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ اسْتَدْعَاهُ إِلَى
حَضْرَتِهِ فِي مَجْلِسِ شَرَابِهِ، وَاسْتَحْلَاهُ حَتَّى سَفَّاهُ وَاسْتَحْكَاهُ عَنِ الَّذِي كَانَ قَدْ
دَبَّرَهُ مِنَ الْأَمْرِ، فَشَرَحَ لَهُ الْقُضِيَّةَ وَأَنْهَى لَهُ الْقِصَّةَ، فَإِذَا الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَ الْحَارِثُ
السَّمْرُقَنْدِيُّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اسْتَدْعَى بِالْحَارِثِ، فَأَحْلَاهُ وَسَأَلَهُ عَنِ الْقُضِيَّةِ ثَانِيًا،
فَذَكَرَهَا لَهُ كَمَا ذَكَرَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، إِنِّي كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ،
فَلَمْ أَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا بِصِدْقِكَ إِتْيَايَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ. ثُمَّ أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ
حِينَئِذٍ بَابِنَ أَخِيهِ الْعَبَّاسِ، فَقَيَّدَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْأَفْشِينِ وَأَمَرَ بِعُجَيْفٍ وَبِقِيَّةِ مَنْ
ذَكَرَ مِنَ الْأَمْراءِ، فَاحْتَيْطَ عَلَيْهِمْ وَأُحِيطَ بِهِمْ، ثُمَّ أَخَذَ فِي أَنْوَاعِ النِّقَمَاتِ

يَقْتَرِحُهَا هُمْ، فَقَتَلَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِنَوْعٍ مِنَ الْقِتْلَاتِ، وَمَاتَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْمَأْمُونِ بِمَنْبَجٍ فَذُفِنَ هُنَاكَ، وَكَانَ سَبَبَ مَوْتِهِ أَنَّهُ جَاعَ جُوعًا شَدِيدًا، ثُمَّ جِيءَ بِأَكْلِ كَثِيرٍ، فَأَكَلَ وَطَلَبَ الْمَاءَ، فَمُنِعَ مِنْهُ حَتَّى مَاتَ، وَأَمَرَ الْمُعْتَصِمُ بِلُغْنِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَسَمَّاهُ اللَّعِينِ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ وَلَدِ الْمَأْمُونِ أَيْضًا.

خروج مازيار بن قارن

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا حَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَمَلِ طَبْرِسْتَانَ يُقَالُ لَهُ مَازْيَارُ بْنُ قَارَنَ بْنِ وَنْدَاهِرْمَزَا، وَكَانَ لَا يَرْضَى أَنْ يَدْفَعَ الْخُرَاجَ إِلَى نَائِبِ خُرَاسَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ، بَلْ يَبْعَثُهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ لِيَقْبِضَهُ مِنْهُ، فَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ مَنْ يَتَلَقَى الْحِمْلَ إِلَى بَعْضِ الْبِلَادِ فَيَقْبِضُهُ مِنْهُ ثُمَّ يَدْفَعُهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ، ثُمَّ تَوَثَّبَ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ، وَأَظْهَرَ الْمُخَالَفَةَ لِلْمُعْتَصِمِ.

¹ مازيار آخر حاكم لسلالة الكارنويدان وقائد حركة ضد الخلافة العباسية، ويعتبر بطلا قوميا في إيران. وهو مازيار ابن قارن الثاني، وقامت حركته ضد العباسيين قبل 6 سنوات من خلافة المعتصم بالله. راسله الأفشين بصورة سرية لتأجيجه على عبد الله بن طاهر؛ فالأفشين كان ينوي الاستفادة من حركة تمرد المازيار ومن بعدها يقوم الخليفة بتقليد الأفشين حكم خراسان. وكان الأفشين يطمح بمراسلة مازيار لمقاومة عبد الله بن طاهر من الاستحواذ على حكم خراسان وبعدها الاستقلال من الخلافة العباسية وبحكم أن مازيار كان يطمح في الشيء نفسه فقد وافق بسرعة على عرضه. لكن تمت هزيمة مازيار وأسره والكشف عن علاقة الأفشين ومازيار فتم القبض على الأفشين قبل أن يصل إلى سامراء وبعد إعدام مازيار تم الحصول على أدلة كافية لاتهام الأفشين وسجنه وصلبه.

وَقَدْ كَانَ الْمَازِيَارُ هَذَا مِمَّنْ يُكَاتِبُ بِأَبِكَ الْحُرْمِيِّ وَيَعِدُّهُ بِالنَّصْرِ. وَيُقَالُ: إِنَّ
الَّذِي قَوَّى رَأْسَ الْمَازِيَارِ هُوَ الْأَفْشِينُ؛ لِيُعْجَزَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَيُوَلِّيَهُ
الْمُعْتَصِمُ بِلَادَ خُرَّاسَانَ مَكَانَهُ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ
مُصْعَبٍ أَخَا إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ
طَوِيلَةٌ اسْتَفْصَاهَا ابْنُ جَرِيرٍ، وَكَانَ آخِرَ ذَلِكَ أَنْ أُسِرَ الْمَازِيَارُ وَحُمِلَ إِلَى عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَاسْتَفَرَّهُ عَنِ الْكُتُبِ الَّتِي بَعَثَهَا إِلَيْهِ الْأَفْشِينُ فَأَقَرَّ بِهَا، فَأَرْسَلَهُ
نَحْوَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَعَهُ مِنْ أَمْوَالِهِ الَّتِي اصْطَفَيْتَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً؛ مِنْ الذَّهَبِ
وَالْجُوَاهِرِ وَالتِّيَابِ، فَلَمَّا أُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْ الخَلِيفَةِ سَأَلَهُ عَنْ كُتُبِ الْأَفْشِينِ إِلَيْهِ
فَأَنْكَرَهَا فَأَمَرَ بِهِ، فَضْرِبَ بِالسَّيَاطِ حَتَّى مَاتَ وَصَلِبَ إِلَى جَانِبِ بَابِكَ الْحُرْمِيِّ
عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ، وَقُتِلَ عِيُونُ أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ الْحَسَنُ بْنُ الْأَفْشِينِ بِأُتْرُجَةَ بِنْتِ أَشْنَسَ، وَدَخَلَ بِهَا فِي
قَصْرِ الْمُعْتَصِمِ بِسَامَرَا فِي جُمَادَى، وَكَانَ عُرْسًا عَظِيمًا، وَلِيَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
الْمُعْتَصِمُ بِنَفْسِهِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا يَخْضِبُونَ لِحَى الْعَامَّةِ بِالْعَالِيَةِ.

وَفِيهَا حَرَجَ مِنْكَجُورِ الْأَشْرُوسِيِّ قُرَابَةَ الْأَفْشِينِ بِأَرْضِ أَدْرَبِيجَانَ وَخَلَعَ الطَّاعَةَ،
وَذَلِكَ أَنَّ الْأَفْشِينِ كَانَ قَدْ اسْتَنَابَهُ عَلَى بِلَادِ أَدْرَبِيجَانَ حِينَ فَرَّغَ مِنْ أَمْرِ
بَابِكَ، فَظَفَرَ مِنْكَجُورُ بِمَالٍ عَظِيمٍ مَخْزُونٍ لِبَابِكَ فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ، فَاحْتَجَبَهُ
لِنَفْسِهِ وَأَحْفَاهُ عَنِ الخَلِيفَةِ، وَظَهَرَ عَلَى ذَلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ. وَكَاتَبَ الخَلِيفَةَ فِي ذَلِكَ، فَكَتَبَ مِنْكَجُورُ يُكَذِّبُهُ فِي ذَلِكَ، وَهَمَّ بِهِ

لِيُقْتَلَهُ فَأَمْتَنَعَ مِنْهُ بِأَهْلِ أَرْدَبِيلٍ، فَلَمَّا تَحَقَّقَ الْخَلِيفَةُ كَذِبَ مَنْكُجُورَ بَعَثَ إِلَيْهِ
بُعَا الْكَبِيرَ فَحَارَبَهُ وَأَخَذَهُ بِالْأَمَانِ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ يَاطَسُ الرُّومِيُّ الَّذِي كَانَ نَائِبًا عَلَى عُمُورِيَّةٍ حِينَ فَتَحَهَا
الْمُعْتَصِمُ وَنَزَلَ مِنْ حِصْنِهِ عَلَى حُكْمِ الْمُعْتَصِمِ، فَأَخَذَهُ مَعَهُ أَسِيرًا، فَأَعْتَقَلَهُ
بِسَامِرًا حَتَّى تُؤَيِّ فِي هَذَا الْعَامِ.

وفاة إبراهيم بن المهدي

وَفِي رَمَضَانَ مِنْهَا تُؤَيِّ إِبرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ بْنِ الْمَنْصُورِ، عَمُّ الْمُعْتَصِمِ،
وَيُعْرَفُ بِابْنِ شَكْلَةَ، وَقَدْ كَانَ أَسْوَدَ اللَّوْنِ، ضَخْمًا فَصِيحًا فَاضِلًا، قَالَ ابْنُ
مَآكُولًا: وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: التَّيْنُ، يَعْنِي لِسْوَادِهِ، وَقَدْ تَرَجَّمَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ
فِي تَارِيخِهِ تَرَجْمَةً حَافِلَةً، وَذَكَرَ أَنَّهُ وَلِيَ إِمْرَةَ دِمَشْقَ نِيَابَةً عَنْ أَحِيهِ الرَّشِيدِ مُدَّةَ
سَنَتَيْنِ، ثُمَّ عَزَلَ عَنْهَا، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَيْهَا الثَّانِيَةَ، وَأَقَامَ بِهَا أَرْبَعَ سِنِينَ، وَذَكَرَ مِنْ
عَدْلِهِ وَصِرَامَتِهِ أَشْيَاءَ حَسَنَةً، وَأَنَّهُ أَقَامَ لِلنَّاسِ الْحُجَّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ، ثُمَّ عَادَ
إِلَى دِمَشْقَ وَكَانَ قَدْ بَايَعَهُ أَهْلُ بَعْدَادَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ الْمَأْمُونِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ
وَمِائَتَيْنِ كَمَا ذَكَرْنَا. وَقَدْ قَاتَلَهُ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلِ نَائِبُ بَعْدَادَ فَهَزَمَهُ إِبرَاهِيمُ،
فَقَصَدَهُ حُمَيْدُ الطُّوسِيِّ فَهَزَمَ إِبرَاهِيمَ، وَاحْتَفَى إِبرَاهِيمُ بِبَعْدَادَ حِينَ قَدِمَهَا
الْمَأْمُونُ مُدَّةَ طَوِيلَةٍ، ثُمَّ ظَفِرَ بِهِ الْمَأْمُونُ سَنَةَ عَشْرِ، فَعَفَا عَنْهُ وَأَكْرَمَهُ وَاسْتَمَرَ
بِهِ فِي مَنْزِلَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ ذَلِكَ.

وَكَانَتْ مُدَّةٌ وَلَايَتِهِ عَلَى بَعْدَادَ وَمُعَامَلَتِهَا سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْ عَشَرَ
يَوْمًا، وَكَانَ بَدَأُ اخْتِفَائِهِ فِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَتْ
مُدَّةُ اخْتِفَائِهِ سِتِّ سِنِينَ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَكَانَ الظَّفَرُ بِهِ فِي ثَالِثِ عَشَرَ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ عَشْرِ وَمِائَتَيْنِ، وَقَدْ جَرَتْ لَهُ فِي اخْتِفَائِهِ هَذَا أُمُورٌ عَجِيبَةٌ
يَطُولُ بَسْطُهَا.

وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَافِرَ الْفَضْلِ، غَزِيرَ الْأَدَبِ، وَاسِعَ النَّفْسِ، سَخِيًّا
الْكَفِّ، وَكَانَ مَعْرُوفًا بِصَنَعَةِ الْغِنَاءِ، حَازِقًا بِهَا، وَذَكَرَ الْحَطِيبُ أَنَّهُ قَلَّ الْمَالُ
عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ بِيَعْدَادَ فَأَحَّ الْأَعْرَابُ عَلَيْهِ فِي
أَعْطِيَاتِهِمْ، فَجَعَلَ يُسَوِّفُ بِهِمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُهُ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا مَالَ عِنْدَهُ
الْيَوْمَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلْيُخْرِجِ الْخَلِيفَةُ إِلَيْنَا، فَلْيُعَنَّ لِأَهْلِ هَذَا الْجَانِبِ ثَلَاثَةَ
أَصْوَاتٍ، وَلِلْجَانِبِ الْأَخْرَ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ دِعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ شَاعِرُ
الْمَأْمُونِ يَذُمُّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ فِي ذَلِكَ:

يَا مَعْشَرَ الْأَعْرَابِ لَا تَفْنَطُوا	خُذُوا عَطَايَاكُمْ وَلَا تَسْحَطُوا
فَسَوْفَ يُعْطِيكُمْ حُنَيْنِيَّةً	لَا تَدْخُلُ الْكَيْسَ وَلَا تُرْبَطُ
وَالْمَعْبَدِيَّاتُ	لِقُودِكُمْ وَمَا بِهَذَا أَحَدٌ يُعْبَطُ
فَهَكَذَا يَزْرُقُ أَصْحَابَهُ	خَلِيفَةً مُصْحَفُهُ الْبَرِبَطُ

وَكَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ الْمَأْمُونِ حِينَ طَالَ عَلَيْهِ الْإِحْتِفَاءُ:
وَلِيُّ النَّارِ مُحَكَّمٌ فِي الْقِصَاصِ، وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عَفْوٍ، كَمَا جَعَلَ كُلَّ ذِي ذَنْبٍ دُونَهُ فَإِنْ عَفَا فَبِغْضِهِ،
وَإِنْ عَاقَبَ فَبِحَقِّهِ.

فَوَقَّعَ الْمَأْمُونُ فِي جَوَابِ ذَلِكَ: الْقُدْرَةُ تُذْهِبُ الْحَفِيزَةَ، وَكَفَى بِاللَّئِمِّ إِتَابَةً،
وَعَفْوُ اللَّهِ أَوْسَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

كَانَ مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ هَذَا فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَسِتِّينَ
وَمِائَةٍ، وَتُوِّفِيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ خَلْوَنٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، عَنْ ثِنْتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً.

غضب المعتصم على الأفشين وسجنه

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا دَخَلَ بُعَا الْكَبِيرُ وَمَعَهُ
مَنْكَجُورٌ، فَذُ اعْطَى الطَّاعَةَ بِالْأَمَانِ.

وَفِيهَا عَزَلَ الْمُعْتَصِمُ جَعْفَرَ بْنَ دِينَارٍ عَنْ نِيَابَةِ الْيَمَنِ، وَغَضِبَ عَلَيْهِ، وَوَلَّى
الْيَمْنَ إِيْتَاخَ.

وَفِيهَا وَجَّهَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ بِالْمَازْيَارِ، فَدَخَلَ بَعْدَادَ عَلَى بَعْلِ بِإِكَافٍ،
لِخَمْسِ خَلْوَنٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، فَضْرَبَهُ الْمُعْتَصِمُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَرْبَعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ
سَوَطًا، ثُمَّ سَقَى الْمَاءَ حَتَّى مَاتَ، وَأَمَرَ بِصَلْبِهِ إِلَى جَنْبِ بَابِكَ الْحُرْمِيِّ، وَأَقَرَّ
فِي ضَرْبِهِ أَنَّ الْأَفْشِينَ كَانَ يُكَاتِبُهُ وَيُحْسِنُ لَهُ خَلَعَ الطَّاعَةَ، فَغَضِبَ الْمُعْتَصِمُ

عَلَى الْأَفْشِينَ وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ، فَبُنِيَ لَهُ مَكَانٌ كَالْمَنَارَةِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ يُسَمَّى الْكُوَّةَ، إِنَّمَا يَسَعُهُ فَقَطْ، وَذَلِكَ حِينَ تَحَقَّقَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ مُحَالَفَتَهُ وَالخُرُوجَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ يَعْرِضُ عَلَى الدَّهَابِ إِلَى بِلَادِ الْخَزَرِّ لِيَسْتَجِيشَ بِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَعَاجَلَهُ الْخَلِيفَةُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَعَقَدَ لَهُ الْمُعْتَصِمُ مَجْلِسًا فِيهِ قَاضِيهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ الْمُعْتَرِلِيُّ، وَوَزِيرُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الزِّيَّاتِ، وَنَائِبُهُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ، فَاتَّهَمَ الْأَفْشِينَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ بِأَشْيَاءَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بَاقٍ عَلَى دِينِ أَجْدَادِهِ مِنَ الْفَرَسِ؛ مِنْهَا أَنَّهُ غَيَّرَ مُحْتَمِنًا، فَاعْتَدَرَ أَنَّهُ يَخَافُ أَلَمْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُنَاطِرُهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ: فَأَنْتَ تُطَاعِنُ بِالرِّمَاحِ فِي الْخُرُوبِ وَلَا تَخَافُ مِنْ طَعْنِهَا، وَتَخَافُ مِنْ قَطْعِ قُلْفَةٍ بِيَدِنِكَ؟! وَمِنْهَا أَنَّهُ ضَرَبَ رَجُلَيْنِ إِمَامًا وَمُؤَدِّنًا، كُلٌّ وَاحِدٍ أَلْفَ سَوْطٍ؛ لِأَنَّهُمَا هَدَمَا بَيْتَ أَصْنَامٍ فَاتَّخَذَاهُ مَسْجِدًا، وَأَنَّهُ عِنْدَهُ كِتَابٌ "كَلِيلَةُ وَدِمْنَةُ" وَفِيهِ الْكُفْرُ، وَهُوَ مُحَلَّى بِالْجَوَاهِرِ، وَالذَّهَبِ، فَاعْتَدَرَ أَنَّهُ وَرَثَهُ مِنْ آبَائِهِ، وَأَتَّهَمَ بِأَنَّ الْأَعَاجِمَ يُكَاتِبُونَهُ فَتَقُولُ: إِلَى إِلَهِ الْأَلْهَةِ مِنْ عَيْدِهِ، وَأَنَّهُ يُقْرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَجَعَلَ يَعْتَدِرُ بِأَنَّهُ أَجْرَاهُمْ عَلَى مَا كَانُوا يُكَاتِبُونَ بِهِ آبَاءَهُ وَأَجْدَادَهُ وَخَافَ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِتَرْكِ ذَلِكَ فَيَتَّضِعَ عِنْدَهُمْ. فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ: وَيْحَكَ، فَمَاذَا أَبْقَيْتَ لِفِرْعَوْنَ حِينَ قَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى؟ وَأَنَّهُ كَانَ يُكَاتِبُ الْمَازِيَارَ بِأَنْ يَخْرُجَ عَنِ الطَّاعَةِ، وَأَنَّهُ فِي ضَيْقٍ حَتَّى يَنْصُرَ دِينَ الْمَجُوسِ الَّذِي كَانَ قَدِيمًا، وَيُظْهِرُهُ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ وَالْمَعَارِبَةِ وَالْأَتْرَاكِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَطِيبُ الْمُنْخَنِقَةَ عَلَى

الْمَدْبُوحَةِ، وَأَنَّهُ كَانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَاءَ يَسْتَدْعِي بِشَاةٍ سَوْدَاءَ، فَيَضْرِبُهَا
بِالسَّيْفِ نِصْفَيْنِ، وَيَمْشِي بَيْنَهُمَا ثُمَّ يَأْكُلُهُمَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ بَعَا
الْكَبِيرَ أَنْ يَسْجُنَهُ مُهَانًا ذَلِيلًا، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ أَتَوَقَّعُ مِنْكُمْ ذَلِكَ.
وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ حَمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ الْحَسَنِ بْنِ الْأَفْشِينِ وَرَوْجَتَهُ أُتْرُجَةَ
بِنْتَ أَشْنَسَ إِلَى سَامَرَّا^١.

وفاة الأفشين وصلبه

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتِّ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي شَعْبَانَ مِنْهَا تُوُيِّ الْأَفْشِينُ فِي
الْحَبْسِ، فَأَمَرَ بِهِ الْمُعْتَصِمُ، فَصَلِبَ، ثُمَّ أُحْرِقَ، وَدُرِّي رَمَادُهُ فِي دِجْلَةَ، وَاحْتِيطَ
عَلَى أَمْوَالِهِ وَحَوَاصِلِهِ، فَوَجِدُوا فِيهَا أَصْنَامًا مُكَلَّلَةً بِذَهَبٍ وَجَوَاهِرَ، وَكُتِبَا فِي
فَضْلِ دِينَ الْمَجُوسِ، وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً كَانَ يُتَّهَمُ بِهَا، تَدُلُّ عَلَى كُفْرِهِ وَزُنْدَقَتِهِ،
وَيَتَحَقَّقُ بِسَبَبِهَا مَا ذَكَرَ عَنْهُ مِنَ الْإِنْتِمَاءِ إِلَى دِينَ آبَائِهِ الْمَجُوسِ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ.

ثورة المُبرِّقِ اليمانيِّ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعِ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعَوْرِ
بِالشَّامِ، يُقَالُ لَهُ أَبُو حَرْبِ الْمُبْرِقِ الْيَمَانِيُّ. فَخَلَعَ الطَّاعَةَ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ،
وَكَانَ سَبَبَ خُرُوجِهِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْجُنْدِ أَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ فِي مَنْزِلِهِ وَذَلِكَ فِي غَيْبَةِ

^١ واضح أن الحسن بن الأفشين كان بخلاف أبيه.

أبي حربٍ، فَمَانَعْتُهُ الْمَرْأَةَ، فَضَرَبَهَا الْجُنْدِيُّ فِي يَدِهَا، فَأَثَرَتِ الضَّرْبَةَ فِي مِعْصِمِهَا، فَلَمَّا جَاءَ بَعْلُهَا أَبُو حَرْبٍ أَخْبَرْتُهُ، فَذَهَبَ إِلَى الْجُنْدِيِّ وَهُوَ غَافِلٌ فَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ تَحَصَّنَ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَهُوَ مُبْرَقِعٌ، فَإِذَا جَاءَهُ أَحَدٌ دَعَاهُ إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَدُّمُ مِنَ السُّلْطَانِ، فَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْحُرَاثِينَ وَعَبِيدِهِمْ، وَقَالُوا: هَذَا هُوَ السُّفْيَانِيُّ الْمَدْكُورُ أَنَّهُ يَمْلِكُ الشَّامَ. وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ، وَاتَّبَعَهُ نَحْوُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ، فَتَقَدَّ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَصِمُ وَهُوَ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ جَيْشًا نَحْوًا مِنْ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ، فَلَمَّا قَدِمَ الْأَمِيرُ وَجَدَ أُمَّةً كَثِيرَةً قَدْ اجْتَمَعُوا حَوْلَهُ فَحَشِيَ أَنْ يُنَاجِرَهُ وَالْحَالَةُ هَذِهِ، فَانْتَظَرَ حَتَّى جَاءَ وَقْتُ حَرْثِ الْأَرْضِي، فَتَصَرَّمَ عَنْهُ النَّاسُ إِلَى أَرْضِيهِمْ، وَبَقِيَ فِي شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَنَاهَضَهُ، فَأَسْرَهُ جَيْشُ الْخَلِيفَةِ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَحَمَلَهُ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ وَهُوَ رَجَاءُ بِنِ الْأَيُّوبِ حَتَّى قَدِمَ بِهِ عَلَى الْمُعْتَصِمِ، فَلَامَهُ الْمُعْتَصِمُ فِي تَأْخُرِهِ عَنِ مُنَاجِرَتِهِ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الشَّامَ، فَاعْتَدَرَ بِأَنَّهُ كَانَ مَعَهُ مِائَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، فَلَمْ يَزَلْ يُطَاوِلُهُ حَتَّى أَمَكَنَ اللَّهُ مِنْهُ. فَشَكَرَهُ عَلَى ذَلِكَ. وَقَدْ ذَكَرَ قِصَّتَهُ مَبْسُوطَةً الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَرْجَمَتِهِ مِنَ الْكُتُبِ.

وفاة المعتصم

وفي يوم الخميس لساعتين مضتا منه الثامن عشر من ربيع الأول من هذه السنة كانت وفاة أبي إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور.

ترجمة الخليفة المعتصم

وهذه ترجمة الخليفة المعتصم: هو أمير المؤمنين، أبو إسحاق محمد المعتصم ابن أمير المؤمنين هارون الرشيد ابن أمير المؤمنين المهدي محمد بن أمير المؤمنين أبي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، يقال له: المثنى. لوجوه؛ منها: أنه ثامن ولد العباس، ومنها أنه ثامن الخلفاء من دُرَيْتِهِ، ومنها أنه فتح تَمَائِي فُتُوحَاتٍ؛ بِإِلَادِ بَابِكَ عَلَى يَدِ الْأَفْشِينِ وَعَمُورِيَّةَ بِنَفْسِهِ، وَالزُّطَّ بِعُجَيْفٍ، وَبَحْرَ الْبَصْرَةِ وَقَلْعَةَ الْأَجْرَافِ، وَأَعْرَابَ دِيَارِ رَيْعَةَ، وَالشَّارِكِ، وَفَتَحَ مِصْرَ بَعْدَ عِصْيَانِهَا، وَقَتَلَ ثَمَانِيَةَ أَعْدَائِهِ: بَابِكَ، وَمَازَايَارَ، وَيَاطَسَ الرُّومِيِّ، وَالْأَفْشِينِ، وَعُجَيْفًا، وَقَارَنَ، وَقَائِدَ الرَّافِضَةِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ أَقَامَ فِي الْخِلَافَةِ تَمَائِي سِنِينَ، وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ. وَأَنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ فِي شَعْبَانَ، وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّامِنُ، وَأَنَّهُ تُوِّجِيَ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً، وَمِنْهَا أَنَّهُ حَلَفَ ثَمَانِيَةَ بَيْنَ وَتَمَائِي بَنَاتٍ، وَمِنْهَا أَنَّهُ دَخَلَ بَعْدَادَ مِنَ الشَّامِ وَهُوَ خَلِيفَةٌ فِي مُسْتَهَلِّ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَائِي عَشْرَةَ، وَمِائَتَيْنِ بَعْدَ

اسْتِكْمَالِ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ، بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ الْمَأْمُونِ بِطَرَسُوسَ، كَمَا تَقَدَّمَ.

قَالُوا: وَكَانَ أُمِّيًّا لَا يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَتَرَدَّدُ مَعَهُ إِلَى الْكُتَّابِ غُلَامًا، فَمَاتَ الْغُلَامُ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ الرَّشِيدُ: مَا فَعَلَ غُلَامُكَ؟ قَالَ: مَاتَ وَاسْتَرَاخَ مِنَ الْكُتَّابِ. فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ الرَّشِيدُ: وَقَدْ بَلَغَ مِنْكَ كِرَاهَةُ الْكُتَّابِ إِلَى أَنْ تَجْعَلَ الْمَوْتَ رَاحَةً مِنْهُ؟ وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَا تَذْهَبُ إِلَى الْكُتَّابِ بَعْدَهَا. فَتَرْكُوهُ فَكَانَ أُمِّيًّا، وَقِيلَ: بَلْ كَانَ يَكْتُبُ كِتَابَةً ضَعِيفَةً.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ كِتَابًا يَتَهَدَّدُهُ فِيهِ، فَقَالَ لِلْكَاتِبِ: اكْتُبْ: قَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ، وَسَمِعْتُ خِطَابَكَ، وَالْجَوَابُ مَا تَرَى لَا مَا تَسْمَعُ، "وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ".

وَعَزَا الْمُعْتَصِمُ بِلَادَ الرُّومِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، فَأَنكَى نِكَاحًا عَظِيمَةً فِي الْعَدُوِّ، وَنَصَبَ عَلَى عَمُورِيَّةِ الْمَجَانِيقِ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا حَتَّى فَتَحَهَا، وَدَخَلَهَا فَقَتَلَ فِيهَا ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَسَبَى مِثْلَهُمْ، وَكَانَ فِي سَبِيهِ سِتُونَ بَطْرِيْقًا، وَطَرَحَ النَّارَ فِي عَمُورِيَّةٍ مِنْ سَائِرِ نَوَاحِيهَا فَأَحْرَقَهَا، وَجَاءَ بِبَاهَا إِلَى الْعِرَاقِ وَهُوَ بَاقٍ حَتَّى الْآنَ مَنصُوبٌ عَلَى أَحَدِ أَبْوَابِ دَارِ الْخِلَافَةِ مِمَّا يَلِي الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فِي الْقُصْرِ.

وَلَمَّا وَلى الخِلافةَ كَانَ شَهْمًا فِي أَيَّامِهِ وَلَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ، وَمَهَابَةٌ عَظِيمَةٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا كَانَتْ هِمَّتُهُ فِي الحَرْبِ، لَا فِي البِنَاءِ، وَلَا فِي غَيْرِهِ.

وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ إِذَا غَضِبَ لَا يُبَالِي مَنْ قَتَلَ وَلَا مَا فَعَلَ.

وَقَدْ اسْتَحْدَمَ الْمُعْتَصِمُ مِنَ الأَتْرَاكِ خَلْقًا عَظِيمًا كَانَ لَهُ مِنَ المَمَالِيكِ التُّرْكِ قَرِيبٌ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا، وَتَمَّ لَهُ مِنْ آلَاتِ الحَرْبِ وَالدَّوَابِّ مَا لَمْ يَتَّفِقْ لِغَيْرِهِ.

وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ جَعَلَ يَقُولُ { حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَحَدْنَا هُمْ بَعْتَهُ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } وَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ عُمْرِي قَصِيرٌ مَا فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ، وَقَالَ: إِنِّي أُخِذْتُ مِنْ بَيْنِ هَذَا الخَلْقِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: ذَهَبَتِ الحَيْلُ، لَيْسَتْ حِيَلَةٌ.

وَرُويَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْافِكُ مِنْ قِبَلِي، وَلَا أَحْافِكُ مِنْ قِبَلِكَ، وَأَرْجُوكَ مِنْ قِبَلِكَ، وَلَا أَرْجُوكَ مِنْ قِبَلِي.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِسُرٍّ مَنْ رَأَى فِي يَوْمِ الحَمِيسِ ضَحَى لِتِسْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَلَّتْ مِنْ ربيعِ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، أَعْنِي سَنَةَ سَبْعِ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ لِعِشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَوَلِيَ الخِلافةَ فِي رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ أبيضَ، أَصْهَبَ اللِّحْيَةَ طَوِيلَهَا، مَرْبُوعًا، وَمُشْرَبَ اللُّونِ، أُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ اسْمُهَا مَارِدَةٌ، وَهُوَ أَحَدُ أَوْلَادِ سِتَّةٍ مِنْ أَوْلَادِ الرَّشِيدِ، كُلُّ مِنْهُمْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ؛ وَهُمْ أَبُو إِسْحَاقَ الْمُعْتَصِمِ، وَأَبُو العَبَّاسِ

الأمير، وأبو عيسى، وأبو أحمد، وأبو يعقوب، وأبو أيوب، وقد قام بالخلافة بعده ولده هارون الوثاق.

خِلاَفَةُ الْوِثَاقِ هَارُونَ بْنِ الْمُعْتَصِمِ

بُيِعَ لَهُ بِالْخِلاَفَةِ قَبْلَ أَنْ مَاتَ أَبُوهُ الْمُعْتَصِمُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِثَمَانٍ حَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، أَعْنِي سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَيُكْنَى بِأَبِي جَعْفَرٍ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدِ رُومِيَّةَ، يُقَالُ لَهَا قَرَاطِيسُ. وَقَدْ حَرَجَتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَاصِدَةَ الْحَجِّ، فَمَاتَتْ بِالْحَيْرَةِ، وَدُفِنَتْ بِالْكُوفَةِ فِي دَارِ دَاوُدَ بْنِ عَيْسَى، وَذَلِكَ لِأَرْبَعِ حَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، فِي رَمَضَانَ مِنْهَا خَلَعَ الْخَلِيفَةُ الْوِثَاقُ عَلَى أَشْنَسِ الْأَمِيرِ، وَتَوَجَّهَ، وَأَلْبَسَهُ وَشَاحِنِ مِنْ جَوْهَرٍ. وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الْأَمِيرِ.

وَعَلَا السَّعْرُ عَلَى النَّاسِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، وَأَصَاهُمْ حَرٌّ شَدِيدٌ، وَهُمْ بِعَرَفَةَ، ثُمَّ بَرَدٌ شَدِيدٌ، وَمَطَرٌ عَظِيمٌ فِي سَاعَةِ وَاحِدَةٍ، وَنَزَلَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ بِمِنَى مَطَرٌ لَمْ يَرِ مِثْلُهُ، وَسَقَطَتْ قِطْعَةٌ مِنَ الْجَبَلِ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ فَفَقَلَّتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُجَّاجِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمَرَ الْوِثَاقُ بِاللَّهِ بِضَرْبِ الدَّوَاوِينِ، وَاسْتِخْلَاصِ الْأَمْوَالِ مِنْهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ ضَرِبَ أَلْفَ سَوَطٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْهُ أَلْفَ دِينَارٍ، وَدُونَ ذَلِكَ، وَجَاهَرَ الْوَزِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ

الْمَلِكِ لِسَائِرِ وُلاةِ الشَّرْطِ بِالْعَدَاوَةِ فَكُشِفُوا، وَحُبِسُوا، وَلَفُوا جَهْدًا عَظِيمًا، وَجَلَسَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِلتَّظَرِّ فِي أَمْرِهِمْ، وَأَقِيمُوا لِلنَّاسِ، وَانْفُضِحُوا فَضِيحَةً بَلِيغَةً، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ الْوَائِقَ جَلَسَ لَيْلَةً فِي دَارِ الْخِلَافَةِ فَسَمَرَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَعْرِفُ سَبَبَ عُقُوبَةِ جَدِّي الرَّشِيدِ لِلْبَرَامِكَةِ؟ فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ الرَّشِيدَ عُرِضَتْ عَلَيْهِ جَارِيَةٌ، فَأَعْجَبَهُ جَمَالُهَا، فَسَاوَمَ سَيِّدَهَا فِيهَا، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أَفْسَمْتُ بِكُلِّ يَمِينٍ أَلَّا أَبِيعَهَا بِأَقَلِّ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ بِهَا، وَبَعَثَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْوَزِيرِ لِيَبْعَثَ بِهَا إِلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، فَاعْتَلَّ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ عِنْدَهُ، فَأَرْسَلَ الرَّشِيدُ يُؤَيِّبُهُ، وَيَقُولُ: أَلَيْسَ فِي بَيْتِ مَالِي مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ؟! وَالْحَقُّ فِي طَلَبِهَا، فَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: أَرْسَلُوهَا إِلَيْهِ دَرَاهِمَ لَيْسَتْ كَثِيرٌ ذَلِكَ، وَلَعَلَّهُ يُرَدُّ الْجَارِيَةَ. فَبَعَثُوا بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ دَرَاهِمَ، وَوَضَعُوهَا فِي طَرِيقِ الرَّشِيدِ، وَهُوَ خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا اجْتَازَ بِهَا رَأَى كَوْمًا مِنْ دَرَاهِمَ. فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: تَمُّنُ الْجَارِيَةَ. فَاسْتَكْتَرَ ذَلِكَ، وَأَمَرَ بِخَزْنِهَا عِنْدَ بَعْضِ خَدَمِهِ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، وَأَعْجَبَهُ جَمْعُ الْمَالِ فِي حَوَاصِلِهِ، ثُمَّ شَرَعَ فِي تَتَبُعِ أَمْوَالِ بَيْتِ الْمَالِ فَإِذَا الْبَرَامِكَةُ قَدْ اسْتَهْلَكُوهُ، فَجَعَلَ يَهُمُّ بِأَحْدِهِمْ تَارَةً وَيُحِجُّمُ أُخْرَى، حَتَّى كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي سَمَرَ عِنْدِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْعُودِ. فَاطَّلَقَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ، فَذَهَبَ إِلَى الْوَزِيرِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ، فَمَاطَلَهُ بِهَا مُدَّةً

طَوِيلَةً، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فِي السَّمَرِ عَرَّضَ أَبُو الْعُودِ فِي ذَلِكَ لِلرَّشِيدِ
بِقَوْلِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ:

وَعَدَتْ هِنْدٌ وَمَا كَادَتْ تَعِدُ لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْنَا مَا تَعِدُ

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ

فَجَعَلَ الرَّشِيدُ يُكْرِرُ قَوْلَهُ:

إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ

وَيُعْجِبُهُ ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ دَخَلَ عَلَيْهِ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ، فَأَنْشَدَهُ الرَّشِيدُ
هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، وَهُوَ يَسْتَحْسِنُهُمَا فَفَهُمَ ذَلِكَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ، وَخَافَ، وَسَأَلَ
عَنْ مَنْ أَنْشَدَ ذَلِكَ لِلرَّشِيدِ؟ فَقِيلَ لَهُ: أَبُو الْعُودِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَأَنْجَزَ لَهُ الثَّلَاثِينَ
أَلْفًا، وَأَعْطَاهُ مِنْ عِنْدِهِ عِشْرِينَ أَلْفًا، وَكَذَلِكَ وَلَدَاهُ الْفُضْلُ، وَجَعْفَرُ، فَمَا كَانَ
عَنْ قَرِيبٍ حَتَّى أَحَدَ الرَّشِيدُ الْبَرَامِكَةَ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِهِمْ مَا كَانَ.

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْوَائِقُ أَعْجَبَهُ ذَلِكَ، وَجَعَلَ يُكْرِرُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ

ثُمَّ بَطَشَ بِالْكِتَابِ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا عَظِيمَةً جِدًّا.

خروج بني سليمٍ حولَ المدينةِ النبويَّةِ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي جُمَادَى مِنْهَا خَرَجَتْ بَنُو سُلَيْمٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَأَخَافُوا السُّبُلَ، وَقَاتَلَهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَهَزَمُوا أَهْلَهَا، وَاسْتَحْوَذُوا عَلَى مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَتِلْكَ الْمَنَاهِلِ وَالْقُرَى، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْوَائِقُ بُعَا الْكَبِيرَ أَبَا مُوسَى التُّرْكِيَّ فِي جَيْشٍ، فَقَاتَلَهُمْ فِي شَعْبَانَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَمْسِينَ فَارِسًا، وَأَسَرَ مِثْلَهُمْ، وَأَنْهَزَمَ بِقِيَّتِهِمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْأَمَانِ، وَأَنْ يَكُونُوا عَلَى حُكْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ حَلْقٌ كَثِيرٌ، فَدَخَلَ بِهِمُ الْمَدِينَةَ وَسَجَنَ رُءُوسَهُمْ فِي دَارِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَحَرَجَ إِلَى الْحَجِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَشَهِدَ مَعَهُ الْمَوْسِمَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ، نَائِبُ الْعِرَاقِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا وَقَعَتْ مُفَادَاةٌ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِأَيْدِي الرُّومِ عَلَى يَدَيِ الْأَمِيرِ خَاقَانَ الْخَادِمِ، وَذَلِكَ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَ عِدَّةُ الْأَسَارَى الَّذِينَ اسْتُنْقِدُوا مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَاثْنَيْنِ وَسِتِّينَ أَسِيرًا. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

مَقْتَلُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ الْخُزَاعِيِّ فِي فِتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ

وَفِيهَا كَانَ مَقْتَلُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ الْخُزَاعِيِّ^١ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْهَيْثِمِ الْخُزَاعِيِّ وَجَدَهُ مَالِكُ بْنُ الْهَيْثِمِ مِنْ أَكْبَرِ الدُّعَاةِ فِي النَّاسِ إِلَى دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَكَانَتْ لَهُ وَجَاهَةٌ وَرِيَّاسَةٌ، وَكَانَ أَبُوهُ نَصْرُ بْنُ مَالِكٍ يَعْشَاهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ، وَقَدْ بَايَعَهُ الْعَامَّةُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ عَلَى الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ حِينَ كَثُرَتِ الدُّعَاةُ وَالشُّطَّارُ فِي أَرْجَاءِ بَعْدَادَ فِي زَمَانِ غَيْبَةِ الْمَأْمُونِ عَنِ بَعْدَادَ كَمَا قَدَّمْنَا بَسْطَ ذَلِكَ، وَبِهِ تُعْرَفُ سُؤْيَةُ نَصْرِ بِبَعْدَادَ.

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِّيَانَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْإِجْتِهَادِ فِي الْخَيْرِ، وَمِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ السُّنَّةِ الْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَكَانَ مِمَّنْ يَدْعُو إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَكَانَ هَارُونَ الْوَاتِقُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ فِي الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، يَدْعُو إِلَيْهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجَهَارًا؛ اعْتِمَادًا عَلَى مَا كَانَ أَبُوهُ الْمُعْتَصِمُ وَعَمُّهُ الْمَأْمُونُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ، وَلَا حُجَّةٍ وَلَا بَيَانٍ، وَلَا سُنَّةٍ وَلَا قُرْآنٍ، فَقَامَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ هَذَا يَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ

^١ أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي المروزي ثم البغدادي: إمام وعالم مسلم في علم الحديث في بغداد، قتل على يد الخليفة الواثق، رافق الامام أحمد بن حنبل وعاش معه محنة خلق القرآن ووصول المعتزلة للحكم.

الْمُنْكَرِ، وَالْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ دَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَعْدَادَ وَالتَّفَّ عَلَيْهِ مِنَ الْأُلُوفِ أَعْدَادًا، وَانْتَصَبَ لِلدَّعْوَةِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ هَذَا رَجُلَانِ وَهُمَا: أَبُو هَارُونَ السَّرَّاجُ يَدْعُو أَهْلَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، وَطَالِبٌ يَدْعُو أَهْلَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ.

وَلَمَّا كَانَ شَهْرُ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ انْتَضَمَتِ الْبَيْعَةُ لِأَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ الْخِزَاعِيِّ فِي السِّرِّ عَلَى الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْيِي عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ لِبِدْعَتِهِ، وَدَعْوَتِهِ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ. فَتَوَاعَدُوا عَلَى أَنَّهُ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ وَهِيَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ يُضْرَبُ طَبْلٌ فِي اللَّيْلِ، فَيَجْتَمِعُ النَّاسُ الَّذِينَ بَايَعُوا فِي مَكَانٍ اتَّفَقُوا عَلَيْهِ، وَأَنْفَقَ طَالِبٌ وَأَبُو هَارُونَ فِي أَصْحَابِهِ دِينَارًا دِينَارًا، فَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مَنْ أَعْطَوْهُ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَشْرَسَ، وَكَانَا يَتَعَاطِيَانِ الشَّرَابَ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْحَمِيسِ شَرِبَا فِي قَوْمٍ مِنْ أَصْحَابِهِمْ، وَاعْتَقَدَا أَنَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ هِيَ لَيْلَةُ الْوَعْدِ، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَهُ بَلِيلَةَ، فَقَامَا يَضْرِبَانِ عَلَى طَبْلِ فِي اللَّيْلِ؛ لِيَجْتَمِعَ إِلَيْهِمَا النَّاسُ، فَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ وَانْحَرَمَ النِّظَامُ، وَسَمِعَ الْحَرَسُ فِي اللَّيْلِ، فَأَعْلَمُوا نَائِبَ السُّلْطَنَةِ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبِ نَائِبِ أَخِيهِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ؛ لِعَيْبَتِهِ عَنِ بَعْدَادَ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ مُتَخَبِّطِينَ، وَاجْتَهَدَ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ عَلَى إِحْضَارِ ذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ فَأَحْضَرَا فَعَاقَبَهُمَا، فَأَقْرَأَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ فِي الْحَالِ، فَطَلَبَهُ، وَأَخَذَ حَادِمًا لَهُ فَاسْتَقْرَهُ، فَأَقْرَأَ بِمَا أَقْرَأَ بِهِ الرَّجُلَانِ، فَجَمَعَ جَمَاعَةً مِنْ رُءُوسِ أَصْحَابِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ مَعَهُ، وَأَرْسَلَ

بِهِمْ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِسَرٍّ مَنْ رَأَى، وَذَلِكَ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَأَحْضَرَ لَهُ جَمَاعَةً مِنَ الْأَعْيَانِ، وَحَضَرَ الْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادِ الْمُعْتَرِي، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ عَتَبٌ، فَلَمَّا أُوقِفَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ الْوَاتِقِ لَمْ يُعَاتِبْهُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَانَ مِنْهُ فِي أَمْرِ مُبَايَعَةِ الْعَامَّةِ لَهُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَأَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: هُوَ كَلَامُ اللَّهِ. قَالَ: أَمْخَلُوقُ هُوَ؟ قَالَ: هُوَ كَلَامُ اللَّهِ. وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ قَدْ اسْتَقْتَلَّ، وَحَضَرَ وَقَدْ تَحَنَّنَ وَتَنَوَّرَ، فَقَالَ لَهُ الْوَاتِقُ: فَمَا تَقُولُ فِي رَبِّكَ، أَتَرَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ وَالْأَخْبَارُ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»، فَنَحْنُ عَلَى الْخَبْرِ. قَالَ الْوَاتِقُ: وَجُحِكَ، أَيَّرَى كَمَا يُرَى الْمَحْدُودُ الْمُتَجَسِّمُ؟ وَيُجَوِّبُهُ مَكَانٌ وَيُحْضِرُهُ النَّاطِرُ؟ أَنَا أَكْفَرُ بِرَبِّ هَذِهِ صِفَتُهُ.

قُلْتُ: وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْخَلِيفَةُ الْوَاتِقُ لَا يَرِدُ، وَلَا يَلْزَمُ، وَلَا يُرَدُّ بِهِ مِثْلُ هَذَا الْخَبْرِ الصَّحِيحِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ الْخَزَاعِيُّ لِلْوَاتِقِ: وَحَدَّثَنِي سُفْيَانٌ بِحَدِيثٍ يَرْفَعُهُ «إِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهُ» وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ

بْنِ إِبْرَاهِيمَ: وَبِلِكَ، انظُرْ مَا تَقُولُ. فَقَالَ: أَنْتَ أَمَرْتَنِي بِذَلِكَ. فَأَشْفَقَ إِسْحَاقُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: أَنَا أَمَرْتُكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَمَرْتَنِي أَنْ أَنْصَحَ لَهُ.

فَقَالَ الْوَائِقُ لِمَنْ حَوْلَهُ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ فَأَكْتَرُوا الْقَوْلَ فِيهِ؛ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ وَكَانَ قَاضِيًا عَلَى الْجَانِبِ الْعَرَبِيِّ فَعَزَلَ وَكَانَ مُوَادًّا لِأَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ قَبْلَ ذَلِكَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ حَلَالُ الدَّمِ. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَرْمَنِيُّ صَاحِبُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ: اسْقِنِي دَمَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْوَائِقُ: يَأْتِي عَلَى مَا تُرِيدُ. وَقَالَ الْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ كَافِرٌ يُسْتَتَابُ، لَعَلَّ بِهِ عَاهَةٌ أَوْ نَقْصَ عَقْلِ. فَقَالَ الْوَائِقُ: إِذَا رَأَيْتُمُونِي قُمْتُ إِلَيْهِ فَلَا يَفْعَلُ أَحَدٌ مَعِي، فَإِنِّي أَحْتَسِبُ حُطَايَ. ثُمَّ تَهَضَّ إِلَيْهِ بِالصَّمْصَامَةِ^١ وَقَدْ كَانَتْ سِنْفًا لِعَمْرٍو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الرُّبَيْدِيِّ أُهْدِيَتْ لِمُوسَى الْهَادِي فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ، وَكَانَتْ صَفِيحَةً مَوْصُولَةً فِي أَسْفَلِهَا، مَسْمُورَةٌ بِثَلَاثَةِ مَسَامِيرٍ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ ضَرْبُهُ بِهَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَهُوَ مَرْبُوطٌ بِجَبَلٍ قَدْ أُوقِفَ عَلَى نِطْعٍ ثُمَّ ضَرْبُهُ أُخْرَى عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ طَعَنَهُ بِالصَّمْصَامَةِ فِي بَطْنِهِ فَسَقَطَ رَحِمَهُ اللَّهُ صَرِيعًا عَلَى النَّطْعِ مَيِّتًا فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثُمَّ انْتَضَى سَيْمًا الدِّمَشْقِيَّ سَيْفَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ، وَحَزَّ رَأْسَهُ، وَحَمَلَ مُعْتَرِضًا حَتَّى أُتِيَ بِهِ الْحَظِيرَةَ الَّتِي فِيهَا بَابُ الْحَرَمِيِّ فَصَلَبَ فِيهَا، وَفِي رِجْلَيْهِ زَوْجٌ قُيُودٍ،

^١ سيف معروف.

وَعَلَيْهِ سَرَائِيلُ، وَقَمِيصٌ، وَحُجَلٌ رَأْسُهُ إِلَى بَعْدَادَ فَنُصِبَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ
 أَيَّامًا، وَفِي الْجَانِبِ الْعَرَبِيِّ أَيَّامًا، وَعِنْدَهُ الْحَرَسُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفِي أذُنِهِ رُفْعَةٌ
 مَكْتُوبٌ فِيهَا: هَذَا رَأْسُ الْكَافِرِ الْمُشْرِكِ الضَّالِّ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ، مِمَّنْ قُتِلَ عَلَى
 يَدَيْ عَبْدِ اللَّهِ هَارُونَ الْإِمَامِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ أَقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ
 فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَعَرْضِ عَلَيْهِ التَّوْبَةِ، وَمَكْنَهُ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى
 الْحَقِّ فَأَبَى إِلَّا الْمَعَانَدَةَ وَالتَّصْرِيحَ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَجَّلَهُ إِلَى نَارِهِ وَالْيَمِّ عِقَابِهِ
 بِالْكَفْرِ، فَاسْتَحَلَّ بِذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ دَمَهُ وَلَعْنَهُ.

ثُمَّ أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْوَائِقُ بِتَتْبُعِ رُءُوسِ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ سَبْعَةِ
 وَعِشْرِينَ رَجُلًا، فَأُودِعُوا فِي السُّجُونِ وَسُمُّوا الظُّلْمَةَ، وَمُنِعُوا أَنْ يَزُورَهُمْ أَحَدٌ
 وَقُيِّدُوا بِالْحَدِيدِ، وَلَمْ يَجْرَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْأَرْزَاقِ الَّتِي كَانَتْ تَجْرِي عَلَى
 الْمَحْبُوسِينَ، وَهَذَا ظَلَمٌ عَظِيمٌ.

وَقَدْ كَانَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ هَذَا - رَحِمَهُ اللَّهُ - مِنْ أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ وَمِمَّنْ
 كَانَ قَائِمًا بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ حَمَّادِ بْنِ
 زَيْدٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَهَشِيمِ بْنِ بَشِيرٍ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ مُصَنَّفَاتُهُ كُلُّهَا، وَسَمِعَ
 مِنَ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَحَادِيثَ جَيِّدَةً، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِكَثِيرٍ مِنْ حَدِيثِهِ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيِّ، وَأَخُوهُ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَيَحْيَى بْنُ
 مَعِينٍ، وَذَكَرَهُ يَوْمًا فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: قَدْ حَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، وَقَدْ كَانَ لَا
 يُحَدِّثُ؛ يَقُولُ: لَسْتُ أَهْلَ ذَلِكَ. وَأَحْسَنَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ.

وَدَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَوْمًا فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ، مَا كَانَ أَسْحَاهُ لَقَدْ جَادَ
بِنَفْسِهِ لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّائِعُ: بَصُرَ عَيْنَايَ وَإِلَّا فَعَمِيئًا، وَسَمِعْتُ أُذُنَايَ وَإِلَّا
فَصُمَمًا أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ خِرَاعِيٍّ حَيْثُ ضَرَبْتَ عُنُقَهُ، يَقُولُ رَأْسُهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ.

وَقَدْ سَمِعَهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَرَأْسُهُ مَصْلُوبٌ يَقْرَأُ عَلَى الْجَذَعِ {الم أَحْسِبَ النَّاسُ
أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} قَالَ: فَاقشَعَرَ جِلْدِي.

وَرَأَهُ بَعْضُهُمْ فِي النَّوْمِ فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: مَا كَانَتْ إِلَّا عَفْوَةٌ
حَتَّى لَقِيتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَضَحِكَ إِلَيَّ.

وَرَأَى بَعْضُ النَّاسِ فِي الْمَنَامِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ
وَعُمَرُ وَقَدْ مَرُّوا عَلَى الْجَذَعِ الَّذِي عَلَيْهِ رَأْسُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ، فَلَمَّا حَادَوْهُ
أَعْرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ مَا لَكَ أَعْرَضْتَ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ؟ فَقَالَ: اسْتَحْيَاءٌ مِنْهُ حِينَ قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِي.

وَلَمْ يَزَلْ رَأْسُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ مَنصُوبًا بِبَعْدَادَ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ
مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ - إِلَى بَعْدِ
عِيدِ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ مِنْ سَنَةِ سَبْعِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، فَجُمِعَ بَيْنَ رَأْسِهِ

وَجُتِّبَهُ وَدُفِنَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَعْدَادَ بِالْمَقْبَرَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْمَالِكِيَّةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَذَلِكَ بِأَمْرِ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ الَّذِي وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَخِيهِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ.

وَقَدْ دَخَلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يُحْيَى الْكِنَانِيُّ^١ صَاحِبُ كِتَابِ "الْحَيْدَةِ" عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْخُلَفَاءِ؛ لِأَنَّهُ أَحْسَنَ الصَّنِيعِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، بِخِلَافِ أَخِيهِ الْوَائِقِ، وَأَبِيهِ الْمُعْتَصِمِ، وَعَمِّهِ الْمَأْمُونِ فَإِنَّهُمْ أَسَاءُوا إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَرَّبُوا أَهْلَ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَعَظِيمِهِمْ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُنْزَلَ جُتَّةَ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ، وَيَدْفِنَهُ فَفَعَلَ، وَقَدْ كَانَ الْمُتَوَكَّلُ يُكْرِمُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ إِكْرَامًا زَائِدًا، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيَّ قَالَ لِلْمُتَوَكَّلِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا رُئِيَ أَعْجَبُ مِنْ أَمْرِ الْوَائِقِ؛ قَتَلَ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ وَكَانَ لِسَانُهُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ إِلَى أَنْ دُفِنَ. فَوَجَدَ^٢ الْمُتَوَكَّلُ مِنْ ذَلِكَ، وَسَاءَهُ مَا سَمِعَ فِي أَخِيهِ الْوَائِقِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبَّاتِ، قَالَ لَهُ الْمُتَوَكَّلُ: فِي قَلْبِي مِنْ قَتْلِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَحْرَقَنِي اللَّهُ بِالنَّارِ إِنْ قَتَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْوَائِقِ إِلَّا كَافِرًا. وَدَخَلَ عَلَيْهِ هَرَمَّةٌ فَقَالَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ

^١ عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون، الكِنَانِيُّ الْمَكِّي: (ت ٢٤٠ هـ): فقيه

مناظر من تلاميذ الشافعي. صاحب الحيدة، والمناظرة في خلق القرآن مع بشر المريسي، بين يدي المأمون بن هارون الرشيد.

^٢ حزن.

المؤمنين، فَطَعَنِي اللَّهُ إِرْبًا إِرْبًا إِنْ قَتَلَهُ الْوَائِقُ إِلَّا كَافِرًا. وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: ضَرَبَنِي اللَّهُ بِالْفَالِحِ إِنْ قَتَلَهُ الْوَائِقُ إِلَّا كَافِرًا. قَالَ الْمُتَوَكِّلُ: فَأَمَّا ابْنُ الزِّيَّاتِ فَأَنَا أَحْرَفْتُهُ بِالنَّارِ، وَأَمَّا هَرْمَةُ فَإِنَّهُ هَرَبَ وَتَبَدَّى فَاجْتَاَزَ بِقَبِيلَةِ حُرَاعَةَ فَعَرَفَهُ رَجُلٌ مِنَ الْحَيِّ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ حُرَاعَةَ، هَذَا الَّذِي قَتَلَ ابْنَ عَمِّكُمْ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ فَقَطَّعُوهُ. فَقَطَّعُوهُ إِرْبًا إِرْبًا، وَأَمَّا ابْنُ أَبِي دُوَادٍ فَقَدْ سَجَنَهُ اللَّهُ فِي جِلْدِهِ يَعْنِي بِالْفَالِحِ، ضَرَبَهُ اللَّهُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ، وَصُودِرَ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ بِمَالٍ جَزِيلٍ جِدًّا، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ "الْمَسَائِلِ" عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الدُّورَقِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ قَالَ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ: «الْقُلُوبُ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ»، «وَإِنَّ اللَّهَ يَضْحَكُ مِمَّنْ يَذْكُرُهُ فِي الْأَسْوَاقِ». فَقَالَ: ارْؤُوهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا كَيْفٍ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ الْوَائِقُ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْحَجِّ، وَاسْتَعَدَّ لِذَلِكَ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّ الْمَاءَ بِالطَّرِيقِ قَلِيلٌ، فَتَرَكَ الْحَجَّ عَامِئِدًا.

وَفِيهَا تَوَلَّى جَعْفَرُ بْنُ دِينَارٍ نِيَابَةَ الْيَمَنِ، فَسَارَ إِلَيْهَا فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ. وَفِيهَا عَدَا قَوْمٌ مِنَ الْعَامَّةِ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ فَأَخَذُوا مِنْهُ شَيْئًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَأَخَذُوا، وَسَجِنُوا.

وَفِيهَا ظَهَرَ حَارِجِيٌّ بِلَادِ رَبِيعَةَ، فَقَاتَلَهُ نَائِبُ الْمَوْصِلِ فَكَسَرَهُ، وَأَهْرَمَ بَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ.

وَفِيهَا قَدِمَ وَصِيفُ الْحَادِمِ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْأَكْرَادِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةٍ فِي الْقَيْوُدِ، كَانُوا قَدْ أَفْسَدُوا فِي الطَّرِيقَاتِ وَقَطَعُوهَا، فَأَطْلَقَ الْخَلِيفَةُ لِيُوصِفِ الْحَادِمِ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ حَاقَانُ الْحَادِمِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ، وَقَدْ تَمَّ الصُّلْحُ وَالْمُفَادَاةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّومِ، وَقَدِمَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ رُءُوسِ أَهْلِ التُّغُورِ، فَأَمَرَ الْوَائِقُ بِامْتِحَانِهِمْ فِي الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ، فَأَجَابُوا إِلَّا أَرْبَعَةً، فَأَمَرَ الْوَائِقُ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ إِنْ لَمْ يُجِيبُوا بِمِثْلِ مَا أَجَابَ بِهِ بَقِيَّتُهُمْ. وَأَمَرَ الْوَائِقُ أَيْضًا بِامْتِحَانِ الْأَسَارَى الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ فُودِيَ عَنْهُمْ بِذَلِكَ، فَمَنْ أَجَابَ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ فُودِيَ، وَإِلَّا تَرَكَ فِي أَيْدِي الْكُفَّارِ، وَهَذِهِ بَدْعَةٌ صَلَعَاءُ شَنْعَاءُ عَمِيَاءُ صَمَاءُ لَا مُسْتَنَدَ لَهَا مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ وَلَا عَقْلٍ صَحِيحٍ، بَلِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْعَقْلُ الصَّحِيحُ بِخِلَافِهَا، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي مَوْضِعِهِ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ.

وَكَانَ وَقُوعُ الْمُفَادَاةِ عِنْدَ نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ اللَّامِسُ. عِنْدَ سَلُوقِيَّةَ بِالْقُرْبِ مِنْ طَرَسُوسَ، بَدَلَ كُلِّ مُسْلِمٍ أَوْ مُسْلِمَةٍ فِي أَيْدِي الرُّومِ أَوْ ذِمِّيٍّ أَوْ ذِمِّيَّةٍ كَانَ تَحْتَ عَقْدِ الْمُسْلِمِينَ - أَسِيرٌ مِنَ الرُّومِ كَانَ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ لَمْ يُسْلَمِ، فَنَصَبُوا جِسْرَيْنِ عَلَى النَّهْرِ فِإِذَا أُرْسِلَ الرُّومُ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً فِي جِسْرِهِمْ فَانْتَهَى

إِلَى الْمُسْلِمِينَ كَثُرَ وَكَثُرَ الْمُسْلِمُونَ. وَيُرْسِلُ الْمُسْلِمُونَ أَسِيرًا مِنَ الرُّومِ عَلَى حِسْرِهِمْ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَيْهِمْ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ يُشْبِهُ التَّكْبِيرَ أَيْضًا، وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، بَدَلُ كُلِّ نَفْسٍ نَفْسًا، ثُمَّ بَقِيَ مَعَ حَاقَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّومِ الْأَسَارَى، فَأُطْلِقَهُمْ لِلرُّومِ؛ لِيَكُونَ لَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهَا عَاقَتْ قَبِيلَةٌ يُقَالُ لَهَا: بَنُو مُخَيْرٍ بِالْيَمَامَةِ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، فَكَتَبَ الْوَائِقُ إِلَى بُعَا الْكَبِيرِ وَهُوَ مُقِيمٌ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَحَارَبَهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَأَسَرَ مِنْهُمْ آخَرِينَ، وَهَزَمَ بَقِيَّتَهُمْ، ثُمَّ التَّقَى مَعَ بَنِي تَمِيمٍ وَهُوَ فِي أَلْفِي فَارِسٍ وَهُمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ طَوِيلَةٌ، ثُمَّ كَانَ الظَّفَرُ لَهُ عَلَيْهِمْ آخِرًا، وَذَلِكَ فِي النَّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى بَغْدَادَ وَمَعَهُ مِنْ أَعْيَانِ رُؤُوسِ الْعَرَبِ فِي الْأَسْرِ وَالْفُيُودِ، وَقَدْ قَتَلَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فِي الْوَقَائِعِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا مَا يُبَيِّنُ عَلَى أَلْفِي رَجُلٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، وَمُخَيْرٍ، وَكِلَابٍ، وَمُرَّةَ، وَفَزَارَةَ، وَتَعْلَبَةَ، وَطَيْيَ، وَتَمِيمَ، وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَصَابَ الْحَجِيجَ فِي الرَّجُوعِ عَطَشٌ شَدِيدٌ حَتَّى بَاعَتِ الشَّرْبَةَ بِالذَّنَانِيرِ الْكَثِيرَةِ، وَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعَطَشِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ. وَفِيهَا أَمَرَ الْوَائِقُ بِتَرْكِ جَبَايَةِ أَعْشَارِ سُفْنِ الْبَحْرِ.

وفاة الواثق

وفاة الخليفة أبي جعفر هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله ذي الدوانيق بن محمد الإمام بن علي السجاد بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي. كان هلاكه في ذي الحجة من هذه السنة بعلة الاستسقاء فلم يقدر على حضور العيد عاميذ؛ فاستناب في الصلاة بالناس قاضيه أحمد بن أبي دؤاد الإيادي المعتزلي. وكانت وفاته ليست بعين من ذي الحجة، وذلك أنه قوي به الاستسقاء فأفعد في تنور قد أحمي له بحيث يمكن إجلاسه فيه؛ ليسكن وجعه، فلان عليه أمره بعض الشيء، فلما كان من الغد أمر بأن يحمى أكثر من العادة فأجلس فيه ثم أخرج فوضع في محفة فحمل فيها وحوله أمرأوه، ووزرأوه وقاضيه، فمات وهو محمول فيها فما شعروا حتى سقط جبينه على المحفة وهو ميت، فعمّض القاضي عينيه بعد ذلك وهو الذي ولي غسله والصلاة عليه، ودفنه في قصر الهادي، وكان أبيض اللون مشرباً حمرةً، جميلاً رنةً حسن الجسم، قاتم العين اليسرى، فيها نكتة بيضاء، وكان مولده سنة ست وتسعين ومائة بطريق مكة، فمات وهو ابن ست وثلاثين سنة، وكانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام.

وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا اسْتَحْلَفَ الْوَائِقُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ عَلَى الصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الْعِيدِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: كَيْفَ كَانَ عِيدُكُمْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: كُنَّا فِي نَهَارٍ لَا شَمْسَ فِيهِ. فَضَحِكَ وَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنَا مُؤَيَّدٌ بِكَ.

وَكَانَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ قَدْ اسْتَوَلَى عَلَى الْوَائِقِ، وَحَمَلَهُ عَلَى التَّشْدِيدِ فِي الْمِحْنَةِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْقَوْلِ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ.

وَكَانَتْ وَقَاتُهُ بِسُرٍّ مَنْ رَأَى الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا فِي الْقَصْرِ الْهَارُوِيَّ، فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِسِتِّ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنَى سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثَيْنِ وَمِائَتَيْنِ عَنْ سِتِّ وَثَلَاثَيْنِ سَنَةً. وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ حَمْسَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَحُوهُ جَعْفَرُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

خِلَافَةُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ

بُيِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَخِيهِ هَارُونَ الْوَائِقِ، وَكَانَتْ بَيْعَتُهُ وَقْتُ زَوَالِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِسِتِّ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَكَانَتْ الْأَنْرَاكُ قَدْ عَزَمُوا عَلَى تَوَلِيَةِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْوَائِقِ، فَاسْتَصْعَرُوهُ فَتَرْكُوهُ، وَعَدَلُوا إِلَى جَعْفَرٍ هَذَا، وَكَانَ عُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ الَّذِي أَلْبَسَهُ خِلْعَةَ الْخِلَافَةِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ الْقَاضِي، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، وَبَايَعَهُ الْخَاصَّةُ، ثُمَّ الْعَامَّةُ، وَكَانُوا قَدْ اتَّفَقُوا عَلَى تَسْمِيَّتِهِ بِالْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ إِلَى صَبِيحَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ: قَدْ رَأَيْتُ أَنْ يُلَقَّبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ. فَاتَّفَقُوا

عَلَى ذَلِكَ، وَكَتَبَ إِلَى الْأَفَاقِ، وَأَمَرَ بِعَطَاءِ الشَّاكِرِيَّةِ مِنَ الْجُنْدِ ثَمَانِيَةَ شُهُورٍ،
وَلِلْمَغَارِبَةِ أَرْبَعَةَ شُهُورٍ، وَلِغَيْرِهِمْ ثَلَاثَةَ شُهُورٍ، وَاسْتَبَشَرَ النَّاسُ بِهِ.

تم كتاب

العصر العباسي الأول

المحتويات

٤	تمهيد
٧	هذا الكتاب
١١	بداية الكتاب
١١	العصر العباسي الأول
١٢	ثورة أهل قنسرين
١٣	وَقَعَةُ أَبِي مُحَمَّدٍ السُّفْيَانِيِّ
١٦	بداية توحُّس العباسيين من أبي مسلم الخراساني
١٨	مقتل ابن هبيرة
٢٥	المحاولة الأولى لقتل أبي مسلم
٢٦	موت السِّفَّاح
٢٦	تَرْجَمَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ السِّفَّاحِ وَذِكْرُ وِفَاتِهِ
٢٩	خِلَافَةُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ
٣٠	خُرُوجِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْمَنْصُورِ
٣٣	مَهْلِكُ أَبِي مُسْلِمِ الْخُرَّاسَانِيِّ
٤٠	تَرْجَمَةُ أَبِي مُسْلِمِ الْخُرَّاسَانِيِّ
٥١	ثورة سَنَبَاد
٥٢	ثورة مُلْبَد
٥٣	ثورة جَهْوَورِ بْنِ مَرَّارِ الْعِجْلِيِّ
٥٤	خِلَافَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاجِلِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ
٥٥	سنة الحصب وتوسعة الْمَنْصُورِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
٥٦	وفاة أَبِي دَاوُدَ نَائِبِ خُرَّاسَانَ

- ٥٧ ثورة الرّأونديّة .
- ٥٩ عصيان عبْد الجُبّارِ بنِ عبْد الرّحْمَنِ في خراسان .
- ٦٠ فَتْحُ طَبْرِسْتَانَ الْأَوَّلِ .
- ٦١ عصيان عُيَيْنَةَ بنِ مُوسَى نَائِبِ السِّنْدِ .
- ٦٣ وفاة سُلَيْمَانَ بنِ عَلِيِّ عَمِّ الخَلِيفَةِ .
- ٦٤ بداية أمر ابني عبْد الله بنِ حَسَنِ .
- ٦٩ خروج ابني عبْد الله بنِ حَسَنِ .
- ٦٩ خُرُوجُ مُحَمَّدِ بنِ عبْدِ اللهِ بنِ حَسَنِ بِالْمَدِينَةِ .
- ٧٧ مَقْتَلُ مُحَمَّدِ بنِ عبْدِ اللهِ بنِ حَسَنِ .
- ٧٩ خُرُوجُ إِبْرَاهِيمَ بنِ عبْدِ اللهِ بنِ حَسَنِ بِالبَصْرَةِ .
- ٨٨ خُرُوجُ إِبْرَاهِيمَ بنِ عبْدِ اللهِ بنِ حَسَنِ بِالْبَصْرَةِ .
- ٩٤ مقتل إِبْرَاهِيمَ بنِ عبْدِ اللهِ بنِ حَسَنِ .
- ٩٦ ترجمة عبْدِ اللهِ بنِ حَسَنِ .
- ٩٧ ترجمة مُحَمَّدِ بنِ عبْدِ اللهِ بنِ حَسَنِ .
- ٩٧ اكتمال بناء بغداد .
- ١٠٤ مَهْلِكُ عبْدِ اللهِ بنِ عَلِيِّ عَمِّ الْمَنْصُورِ .
- ١٠٦ خَلْعُ الْمَنْصُورِ لِعِيسَى بنِ مُوسَى .
- ١٠٨ وَفَاةُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَذِكْرُ تَرْجُمَتِهِ .
- ١١٣ بِنَاءُ الرُّصَافَةِ .
- ١١٣ قَتْلُ الخَوَارِجِ مَعْنُ بنِ زَائِدَةَ بِسِجِسْتَانَ .
- ١١٤ قصة جعفر ابن الخليفة المنصور .
- ١١٨ بِنَاءُ الرِّافَةِ الْمَدِينَةِ الْمَشْهُورَةِ .

- ١١٩ قتل ابن أبي العوّجاء الزنديق
- ١٢٢ موت المنصور
- ١٢٣ تَرْجَمَةُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ
- ١٣٢ خِلاَفَةُ الْمَهْدِيِّ
- ١٣٥ خلع المهدي عيسى بن موسى من ولاية العهد
- ١٣٦ الْبَيْعَةُ لِمُوسَى الْهَادِي وَهَارُونَ الرَّشِيدِ
- ١٤٠ خروج الْمُقْتَعِ الزَّيْدِي
- ١٤١ مقتل الْمُقْتَعِ الزَّيْدِي
- ١٤٥ سَخَطُ الْمَهْدِيِّ عَلَى يَعْقُوبَ بْنِ دَاوُدَ
- ١٤٦ وفاة عيسى بن موسى
- ١٤٨ وفاة المهدي
- ١٥٦ خِلاَفَةُ مُوسَى الْهَادِي ابْنِ الْمَهْدِيِّ
- ١٥٨ وفاة الهادي
- ١٦٣ خِلاَفَةُ هَارُونَ الرَّشِيدِ
- ١٦٦ وفاة الخيزران
- ١٦٨ طَهْرُورُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ
- ١٧٠ فِتْنَةُ الزَّرَائِمَةِ وَالْيَمَانِيَّةِ بِالشَّامِ
- ١٧٥ وفاة الإمام مالك بن أنس
- ١٨٠ وفاة موسى الكاظم
- ١٨٢ وفاة أحمد ابن أمير المؤمنين الرشيد
- ١٨٥ نكبة البرامكة
- ١٩٦ القبض على عبد الملك بن صالح

- ١٩٨ ترجمة جعفر بن يحيى
- ٢٠٧ وفاة هارون الرشيد
- ٢٠٧ ذِكْرُ وَفَاةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ
- ٢٠٩ تَرْجِمَةُ هَارُونَ الرَّشِيدِ
- ٢٢٠ ذِكْرُ زَوْجَاتِهِ، وَبَنِيهِ، وَبَنَاتِهِ
- ٢٢١ خِلَافَةُ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ
- ٢٢٢ الْخِلَافَةُ بَيْنَ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ
- ٢٢٦ بَدِيَةُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ
- ٢٢٨ ظُهُورُ السُّفْيَانِيِّ بِالشَّامِ
- ٢٣٠ سَبَبُ خَلْعِ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ
- ٢٣٣ مَقْتَلُ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ
- ٢٣٤ وَقَعَةُ دَرْبِ الْحِجَارَةِ
- ٢٣٦ ذِكْرُ كَيْفِيَّةِ مَقْتَلِ الْأَمِينِ
- ٢٣٨ تَرْجِمَةُ الْأَمِينِ
- ٢٤٢ خِلَافَةُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَأْمُونِ
- ٢٤٢ ثَوْرَةُ ابْنِ طِبَاطَبَا وَأَبِي السَّرَايَا
- ٢٤٨ قَتْلُ الْمَأْمُونِ لِهَرْتَمَةَ بْنِ أَعْيَنَ
- ٢٥٠ عَقْدُ الْمَأْمُونِ لِعَلِيِّ الرِّضَا وَوَلَايَةُ الْعُهُدِ
- ٢٥٠ بَيْعَةُ أَهْلِ بَعْدَادَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ
- ٢٥٤ مَقْتَلُ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلِ الْوَزِيرِ
- ٢٥٥ وَفَاةُ الرِّضَا
- ٢٥٦ خَلْعُ أَهْلِ بَعْدَادَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ

- ٢٥٦ ترجمة الرضا
- ٢٥٧ ترك الخضر والعودة إلى السواد
- ٢٥٩ وفاة الشافعي
- ٢٦٦ ثورة الرط
- ٢٦٩ وَفَاةُ السَّيِّدَةِ نَعِيْسَةَ
- ٢٧١ وفاة الفضل بن الربيع
- ٢٧٣ طُهُورُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ بَعْدَ اخْتِفَائِهِ
- ٢٧٤ عُرْسُ بُورَانَ بِنْتِ الْحَسَنِ
- ٢٧٦ ظهور بدعة خلق القرآن
- ٢٨٠ بدعة الجهر بالتكبير بعد الصلوات الخمس
- ٢٨٢ مِحْنَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ
- ٢٨٧ تَرْجِمَةُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَأْمُونِ
- ٢٨٩ خِلَافَةُ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ
- ٢٩٦ قَتْلُ بَابِكِ الْحُرَمِيِّ
- ٣٠٠ فَتْحُ عَمُورِيَّةَ عَلَى يَدَيْ الْمُعْتَصِمِ
- ٣٠٦ مَقْتَلُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ
- ٣٠٨ خُرُوجُ مَارْيَانَ بْنِ قَارَنَ
- ٣١٠ وفاة إبراهيم بن المهدي
- ٣١٢ غضب المعتصم على الأفشين وسجنه
- ٣١٤ وفاة الأفشين وصلبه
- ٣١٤ ثورة المُبْرَقِعِ الْيَمَانِيِّ
- ٣١٦ وَفَاةُ الْمُعْتَصِمِ

- ٣١٦ تَرْجَمَةُ الْحَلِيفَةِ الْمُعْتَصِمِ
- ٣١٩ خِلَافَةُ الْوَاتِقِ هَارُونَ بْنِ الْمُعْتَصِمِ
- ٣٢٢ خُرُوجُ بَنِي سُلَيْمٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ
- ٣٢٣ مَقْتَلُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ الْحِزَاعِيِّ فِي فِتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ
- ٣٣٣ وَفَاةُ الْوَاتِقِ
- ٣٣٤ خِلَافَةُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ

المراجع

قلت في المقدمة إنني اعتمدت في جمع مادة هذا الكتاب على مصدر واحد

هو كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير رحمه الله

نسخة (الشاملة)

للمراسلة والتواصل:

محمد علي حسين

mali_111@hotmail.com

الكويت تليفون 98866903

مصر تليفون 01099694140

تعريف



- محمد علي حسين (أبو زهرة)

- لغوي وباحث في التراث الإسلامي

- موجه في مادة اللغة العربية - مواليد نبروه - مصر ١٩٦٢ م

- مهتم بنشر التراث في سلسلة صدر منها اثنان وعشرون عملاً، جمعاً
 ودراسة واختصاراً وتحقيقاً، هي: (دولة بني أمية - الثائران: الحسين وابن الزبير
 - معاوية كسرى العرب - خلافة علي بن أبي طالب - خلافة ذي النورين
 عثمان بن عفان - خلافة الصديق والفراروق - محمد رسول رب العالمين -
 علي ومعاوية يوم صقين - الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر - التعازي
 والمراثي للميرد - محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني - الداء والدواء لابن
 القيم - أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي - النساء لابن قتيبة - بهجة
 المجالس لابن عبد البر - تهذيب تاريخ ابن خياط - مختصر زاد المعاد - قصة
 الإيمان منذ آدم حتى محمد - العواصم من القواصم لابن العربي - حقوق
 آل البيت في مفهوم ابن تيمية - الشواهد الشعرية في معجم البلدان لياقوت

الحموي - مختصر فضائل القرآن لأبي عبيد) إضافة إلى كتابين آخرين خارج السلسلة هما: "علماء معاصرون نصرُوا الإسلام"، وكتاب "غرباء". وكلها كتب منشورة على مواقع نشر الكتب الإلكترونية مثل موقع: نور، وموقع فولة بوك (في صفحة: محمد علي أبو زهرة).